

م.أ. رودينوف

إصدارات جامعة عدن

عادات وتقاليد حضرموت الغربية

العام والمحلي في الثقافة السلالية

ترجمة: د. علي صالح الخلاقي

دار جامعة عدن للطباعة والنشر

ميخائيل روديونوف

عادات وتقاليد

حضرموت الغربية

العام والمحلي

في الثقافة السلالية

ترجمة: د. علي صالح الخلاقي

بسم الله الرحمن الرحيم

إصدارات جامعة عدن

WWW. Adenuniversity.edu.ye
E-mail: adenuinversity@y.net.ye

رقم الايداع في المكتبة الوطنية – عدن274 لعام 2002
حقوق الطبع والنشر محفوظة، دار جامعة عدن للطباعة والنشر
الطبعة الأولى، 2003.

National Library Aden, No. 274/2002
Copyright. Aden University Printing and Publishing House,
1st Edition, 2003



الجمهورية اليمنية . عدن . مدينة الشعب . ص . ب . 11016 ☎ 360087 – 360135
Fax (+9672) 360701 E-mail: unipress@y.net.ye (+967 2) 360701:فاكس
R. O. YEMEN. ADEN. MADINAT AL – SHAAB P . O . BOX 11016 ☎ 360087-360135

المحتويات

تمهيد 10
1- الهدف والمبادئ ومهام البحث 10
2- حضرموت، حضرموت الغربية: مقامات المناطق 12
3- الدراسة الأثنوغرافية لحضرموت 15
الجزء الأول: المجتمع والتاريخ 31
الفصل الأول: التنظيم الاجتماعي 33
1- الفئات (الطبقات) التقليدية 33
2- التركيب الأثنوقبلي 41
- وادي عمد 42
- وادي دوعن 44
- وادي العين 46
- وادي الكسر 48
3- المؤسسات الاجتماعية التقليدية 52
- الاستنتاجات 57
الفصل الثاني: من تاريخ حضرموت 59
1- الماضي الحضاري: الأساطير والواقع 59
2- التنافس القعيطي- الكثيري (القرن19-1918) 69
في الطريق نحو الدولة الواحدة 77
- الاستنتاجات 88
الجزء الثاني: الأقتصاد ومركبات نظام الإعاشة: 90
الفصل الأول: الأعمال التقليدية 93
1- الزراعة 93
- الري 93
- زراعة النخيل 97
- النباتات الزراعية الأخرى 103
2- تربية الحيوانات 106
3- الصناعات الحرفية 110
- تشغيل الأخشاب 110
- الحدادة 114
- صياغة المجوهرات 116
- الصناعة الفخارية 119
- دباغة الجلود 121
- الحياكة 122
- النسيج 124
- إنتاج زيت السمسم 125
4- المهن 126
- تربية النحل 126
- القنص 130
- الاستنتاجات 134
الفصل الثاني: مركبات نظام الإعاشة 137
1- نظام المسكن- الإسكان 137
- القزة 144
- عمد 145

- الهجرين 147
- المشهد 148
2- الأزياء 149
3- الطعام 158
4- الطب الشعبي 162
- الاستنتاجات 165
الجزء الثالث: القوانين والعادات 167
الفصل الأول: القيم الأخلاقية 169
1- القواعد المنظمة للنسب والزواج 169
- مراسيم الولادة 170
- الختان 171
- طقوس الزواج 171
- مراسيم دفن الموتى 176
2- القوانين المنظمة للملكية والإدارة 180
3- القوانين الإنسانية 186
- الاستنتاجات 187
الفصل الثاني: النقل وإعادة الإنتاج 189
1- التقاليد الشفوية والمكتوبة 189
2- الوظيفة الاجتماعية للشاعر 190
3- نماذج من الفلكلور الشعري 192
1- أبو عامر 192
2- الحميد ولد منصور 193
3- علي بن حسن العطاس 196
4- بوعلي سالم بن جبران 202
5- غانم الحكيمي 203
6- القانص 204
7- المنقص 205
8- الوزير المحضار والقبائل 206
9- سيد باموسى 208
10- الشبير بايعشوت 209
11- المناظرات الشرعية في الشعر 212
12- بوبشر والحكم علي 213
13- نماذج من الزامل 216
14- الأغاني ....
- الاستنتاجات 220
- الخاتمة 221
- الملحق 224
- التقويم النجمي 224
- الدورة السنوية 225
- الدورة اليومية 227
- المقاييس التقليدية 228
- الحكم والأمثال 229
- نصوص التعابير الصوتية بالإنجليزية 230
- ملحق الرسوم والصور 237
- فهرس المصادر والمراجع 297

تمهيد المؤلف

القارئ العربي العزيز:

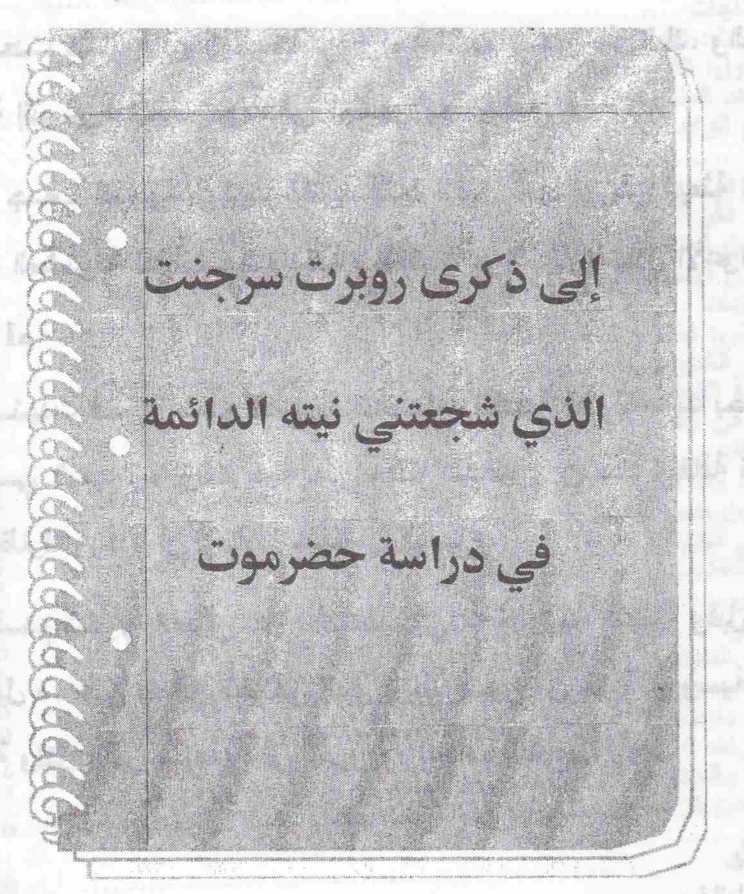
سعدت كثيراً أن أتيحت لي فرصة تقديم كتابي هذا إليك، والذي كرّس لدراسة إثنوغرافيا حضرموت في الجمهورية اليمنية.

لقد جمعت المعلومات لهذا الكتاب أثناء العمل الميداني في البعثة الروسية- اليمنية المشتركة للأبحاث التاريخية والتنقيب عن الآثار، خلال الأعوام 1983 -1991م.

اجتهدت في رسم الصورة التفصيلية للثقافة التي تضرب بجذورها في الماضي البعيد ولا زالت حية حتى وقتنا الحاضر، إن هذه الثقافة تتغير الآن أمام أنظارنا ويجب أن نحافظ عليها من الضياع.

وأقدم شكري العميق لكل الأصدقاء في الجمهورية اليمنية وقبل كل شيء للزميل د. علي صالح الخلاقي الذي ترجم كتابي من اللغة الروسية إلى اللغة العربية ولكل الذين ساهموا في تحريره وإعداده للطبع.

بقلم المؤلف
مخائيل رودينوف
سانت بطرسبورج
نوفمبر 2002م


إلى ذكرى روبرت سرجنت
الذي شجعتني نيته الدائمة
في دراسة حضرموت

تقديم

صدر هذا الكتاب أصلاً باللغة الروسية في موسكو عام 1992م بعنوان "أثنوغرافيا حضرموت الغربية – العام والمحلي في الثقافة السلالية " وهو الكتاب الثاني الذي أقوم بتعريبه عن اللغة الروسية ، بعد كتاب "سقطرى .. هناك حيث بعثت العنقاء " لفيتالي ناؤمكين والذي صدر أيضاً عن دار جامعة عدن للطباعة والنشر عام 1999م .

وأود لفت انتباه القارئ ، انني ترددت كثيراً في كتابة هذا التقديم ، لانني أشعر ان الكتاب ينبغي أن يقدم ذاته الى القارئ مباشرة ، بيد أن مادفعني الى هذا التقديم هو الشعور بعدم الرضى عن بقاء مصطلح "أثنوغرافيا" متصدراً لعنوان الكتاب ، بعد تعريبه ، ومبعث عدم الرضى إن هذا المصطلح الذي قد يفهمه القارئ الروسي ببساطة لأن مدلوله معروف في لغته ، فأنه كمصطلح أجنبي ، بالنسبة للقارئ العربي ، جاف المعنى ويشوبه الغموض ، لاشتقاقه من الكلمتين اليونانيتين "أثنوس" ومعناها شعب و"غرافيا" ومعناها وصف ، فضلاً عن ذلك فأن هذا المصطلح الشائع في روسيا ، بصيغته ومعناه ، يقابله في بعض البلدان الاوروبية مصطلح "أثنولوجيا " ، كما إن عدم وجود معايير دقيقة لمثل هذه المصطلحات أوحدود فاصلة بينها وبين المواد المتاخمة أمر يجعل القارئ المهتم أسير عدم الفهم ، ناهيك عن غموض المعنى بالنسبة لقطاع عريض من القراء ، بفعل الامية الهجائية والثقافية ، ممن لايعرفون ماتعنيه كلمة "أثنوغرافيا".

وهكذا رأيت ان أستبدل هذا المصطلح بصيغة عربية ، تجعل عنوان الكتاب أقرب الى فهم القارئ العربي ووسمته بـ "عادات وتقاليد حضرموت

الغربـيـة " وأظننــي لم أذهب بعيداً عن معناه ، لأن الروس يطلقون مصطلح "اثنوغرافـيا" علـى دراسـة الثقافة الشعبية المادية ، التي أراها تتجسد هنا بصـورة جلـية فـي العـادات والتقاليدالشعـبية ، المادية والروحية ، وهي الموضـوعات التي يتناولها المؤلف في فصول هذا الكتاب والتي أعفي نفسي مـن الحديث عنها ، حتى لا أفسد على القارئ متعة القراءة والفائدة من خلال الابحاربيـن دفتيه ، وهي المتعة ذاتها التي حفزتني للأقدام على ترجمته فور الأنتهاء من قرائتي لطبعته الروسية .

تنـبع أهمية الكـتاب ، حسـب تقديري ، من كونه الأول من نوعه الذي يتعرض لدراسة منطقة نائية اغفلتها الدراسات والأبحاث ،الاّ فيما ندر ، وهذه المنطقة هي حضرموت الغربية ، التي تشتمل على أودية دوعن وعمد والعين والكسـر ، بـتجمعاتها السـكانية وعاداتها وتقاليدها ، التي لم تنل حظها من الدراسة، مقارنة بكثرة ماكتب عن وادي حضرموت الرئيسي بمدنه الشهيرة ، شبام ، سيئون ، تريم ، ولذلك فأن هذا الكتاب يعد وبحق رائد اً في هذا المجال ، ليس فقط في موضوعه ومضامينه ، وانما ايضاً بمنهجيته واسلوبه العلمي ، فقد بذل مؤلفه المستشرق الروسي ميخائيل رودينوف جهداً علمياً كبيراً إعتمد أساساً على الأبحاث الميدانية والمشاهدات الحية التي كانت ثمرة ثمان سنوات أمضـاها فـي البحـث الميداني في تلك المناطق ضمن نشاط البعثة الروسية اليمنـية المشـتركة منذ عام 1983م وحتى عام 1990م ، فضلاً عن إستناده علـى قائمـة طويلـة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية التي أحاطت بموضوع الكتاب ، فزادته ثراء وقيمة علمية وأكاديمية .

ويلزمنــي القول انني ، إلتزمت الأمانة عند ترجمة فصول الكتاب وبذلت جهـداً مضنياً لأقدمه بهذه الصورة ، كما حرصت على الحصول على المصادر والمـراجع التي اقتبس عنها المؤلف وتتبعها لأورد تلك الاقتباسات كما جاءت فـي مظانهـا ، الأمـاتعذر الحصـول عليه وهو قليل ، كما لجأت في التثبت والـتحقق من أسماء الأماكن والأشخاص والقبائل والأسماء المحلية لكثير من الاشياء الى بعض سكان تلك المناطق ممن يعيشون أويعملون في عدن ، منهم الأستاذ الجامعي ، وصاحب البقالة ، وبائع العسل ، فأليهم جميعاً أزجي جزيل الشكر والتقدير لتجاوبهم ومساعدتهم التي أسدوها لي .

وبالمناسبة أعبر عن شديد الأمتنان لرئيس جامعة عدن أ.د. صالح علي باصـرة الـذي وجـه بطبع هذا الكتاب ليستفيد منه دارسو علم التاريخ وعلم الاجـتماع ، وأعترف ان التشجيع الذي أبداه من قبل ، لطباعة أول كتاب أقوم بترجمـته " سـقطرى .. هـناك حيث بعثت العنقاء" قد كان عاملاً مشجعاً لي لمواصـلة تجـربة الترجمة ، والتي أسفر عنها هذا الجهد الذي أقدمه للقارئ علـى أمـل ان يثري المكتبة اليمنية ، ويثير إهتمام المعنيين للقيام بدراسات مماثلة لمختلف مناطق بلادنا ، ذات الأرث الحضاري الضارب في القدم ، حتى لايتعرض ماتبقى من تراثنا للضياع أوالنسيان بفعل عوامل التطور التي تهدد ماتبقى في ذاكرتنا من عادات وتقاليد ، نحن أحوج مانكون لتدوينها ودراستها لأهميتها في وصل الأجيال الجديدة بتاريخ وتراث والأجداد .

وليعذرنـي القـارئ العزيز اذا ماكانت هناك هفوات او نواقص ، فلست بمدع للكمال . والله الموفق .

د. علي صالح الخلاقي
أستاذ التاريخ الاسلامي المساعد
جامعة عدن

تمهيد

1- الهدف والمبادئ ومهام البحث

في هذا البحث تدرس المكونات العامة والمحلية للثقافة السلالية المحددة في ضوء معطيات حضرموت الغربية (ج.ي.د. ش، ومنذ عام 1990م ج.ي) كمنطقة تاريخية اثنوغرافية.

إن الحلقة الأخيرة في سلسلة "الطبيعة – المجتمع – الثقافة" تفهم كإنجاز للوسائل المنظمة للنشاط الإنساني /133ص؛40؛110ص31/ والثقافة السلالية هي تزاوج عناصر الثقافة الملموسة للخاصية الاثنوغرافية للأثنوس (الشعب)، خلافاً عن ثقافة الأثنوس، المجسدة للحصيلة الكلية لتنظيم الكائن السلالي/152ص53/ والصنفان لا يمكن تحديدهما: أن خاصية الأول علاوة على غيره "عناصر محايدة سلالياً" /110ص32/ .

إن الخفي سلالياً في الظروف المحددة مؤهل لأن يصبح جزءاً حيوياً من الثقافة السلالية. ولذلك أضيف إليها تماماً مقترح ي.إ. مكرتومان/154ص42/بالنسبة لثقافة الأثنوس (الشعب) تنقسم إلى مجالات أربع:

1- الإنتاج الأولي (الأشغال التقليدية، طرائقها وأدواتها).
2- تأمين الحياة (مجموع الإسكان، مجمع الغذاء، مجموع الملابس).
3- مجال المعايير الاجتماعية (أو التنظيمية، المتوجهة إلى الجماعة).
4- الإنسانية (المجموعات الأيديولوجية، المتوجهة إلى الشخصية).

ومن الجلي، أن لدى كل من هذه المجالات مستوى مختلف للسلالة، وهي تنقسم إلى مجموعتين: المجالات الأولى والثانية تنتمي إلى التقنية المادية، والثالثة والرابعة - إلى المجموعة الاجتماعية/152ص59/.

إن المنظومة، فطرياً بخصوصيتها الثقافية/121ص35-36/، تفترض ليس فقط جرد ووصف وتصنيف العناصر الرئيسية للنظام، وإنما إبراز الصلات سواء داخل المجالات المنفصلة (تحت المنظومة) أو فيما بينها. وقد أخضعت هذه المسائل تركيب البحث ومنطق عرض المواد.

إن مسألة المكونات العامة والمحلية للثقافة السلالية – هي واحدة من أصعب المسائل، التي يصطدم بها العالم النظري أو العالم الميداني في علم الأنثوغرافيا (أنظر، البحث الثقافي المنطقي على سبيل المثال/153ص7-30/) وفي هذه الدراسة يـنظر في ترابط الخاص والعام ليس بعمق، وإنما في سياق الحديث عن الثقافة

العربية، وبشكل دقيق، في حدود منطقتها الجنوبية العربية (انظر لاحقاً، فقرة 2) ويسير البحث في عدة مستويات: من الحقيقة الاثنوغرافية المحددة إلى الاعتيادية بالنسبة لحضرموت الغربية بشكل عام وهلم جرا - إلى الحضرمي العام، الداخل في الفضاء التاريخي الأثنوغرافي الأكثر أتساعاً - اليمني، الجزيرة العربية، العربي.

من الواضح أن الأبحاث المماثلة لا يمكن أن تكون تفصيلية بصورة مستفيضة، وتساعد المعطيات الجديدة في التعمق بالتحليل وفي تدقيق وتنقيح بعض حالات البحث العلمي. غير إن المؤلف يعتبر مهمته محققه، إذا ما فعّل ظهور هذا الكتاب، بهذه الدرجة أو تلك، الأبحاث الأثنوغرافية في المنطقة وإعطاء حافزاً جديداً للعلم الأثنوغرافي الذي يتراكم أمام أعيننا - أثنوغرافيا الجنوب العربي.

إن البعثة الروسية في اليمن (حتى عام 1992- البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة)، التي شارك فيها المؤلف منذ موسم البحث الميداني الأول (عام 1983)، تضم مختلف الاختصاصين: علماء الآثار، المؤرخين، علماء اللغة، المهندسين المعماريين، علماء الأنثروبولوجيا، الجغرافيين، علماء النبات، الجيولوجيين. وقد صدرت أبحاثهم (160، 135، 136، 108، 144، 17، 156، 157، 192، 194، 126 - أ، 144 - أ، 174- أ، 188 - أ) أو هي في طريقها للنشر. وهذا يعفي المتخصص في علم الأثنواغرافيا من التجوال الواسع في تاريخ وجغرافية حضرموت، وتسمح بالاقتصار على المعلومات الأكثر أهمية.

وأود الإقرار بالجميل لأولئك الذين بدونهم لما كتبت هذا الكتاب: أستاذي المرحوم ن.بيغولوفسكي، د.أ - أولدروغ، ب.ب.بيتروفسكي، أ.ب.بيتروشيفسكي، إ.ن.فينيكوف، أ.م.غولدوبين، ر.سرجنت، والمعلمين والزملاء الكبار أ.أ.دولينين، أ.ب.خالدوف،والمعلمين والزملاء الكبار إ.ا.بيرشيتس، س.ا.أرتيونوف، ف.ف.ماتفيف، ف.دوستال (فينا)، شتاين (ليبتزغ)، والزملاء والرفقاء ، م.ب بيوتروفسكي، ف.ف. ناؤومكين، جنجريخ (فينا)، ف.ف. بولوسين، ا.د.كنيش، س.ا.سيربروف، ب.ا.بوغوريلسكي، ي.ف.كوجين، وكذلك جميع المشاركين في البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة وبشكل خاص مؤسسها ب.أ. غريازنيفتش، الذي وضع الأبحاث الأثنوغرافية في برنامج البعثة كواحدة من أهم الاتجاهات. وامتنان خالص للأدباء اليمنيين عبدالقادر الصبان (سيئون)، علي بكير (تريم)، جعفر السقاف (سيئون)، عبدالعزيز بن عقيل (المكلا)، الهام عبدالوهاب ورشيد حسين (عدن)، عبدالرحمن السقاف (سيئون)، وحفظة التقاليد الشعبية: الشاعر بوبشر (غنيمة بن عقيل)، وكبير أسرة آل العطاس - علي بن أحمد العطاس (حريضة)، وكذلك طالب الحامد (ثعير)، حسن باتيس (حريضة)، حسين بوبكر (خريخر)، بدر بن عفيف (الهجرين)، وكثيرين غيرهم ممن أسرّوا لي معارفهم بسخاء.

2-حضرموت، حضرموت الغربية:

مقامات المناطق

إن موضـوع البحـث - حضـرموت الغربية كمنطقة تاريخية اثنوغرافية، يبرز للمرة الأولى في هذه الدراسة العلمية. ومفهوم حضرموت يتطلب التدقيق، وذلك لأن لها على الأقل ثلاثة معاني.

أولاً، إنها دولة قديمة جنوب الجزيرة العربية وعاصمتها شبوة، ظهرت في تخوم القرنيـن الثانـي والأول قبل الميلاد، وظلت باقية حتى القرن الرابع الميلادي، حينما كانت قد دخلت في قوام الدولة الحميرية. وهي بلد البخور وتجارة القوافل، وقد ورد ذكـرها فـي الكتـب المقدسة، وفي النقوش السبائية ومن قبل المؤلفين الكلاسيكيين (123؛ 212)، وقد حافظت على خصوصيتها أيضاً في العهد الإسلامي(164 ص 59 -65).

وثانـياً، إن حضرموت هي إحدى المحافظات الست لجمهورية اليمن الديمقراطية الشـعبية (مـن1967-1970م جمهوريـة اليمـن الجنوبية الشعبية)[1]. وقد أعطيت تسـميتها التاريخية في أبريل 1980م، أما قبل ذلك فشأنها شأن المحافظات الأخرى فـي اليمن الجنوبي، فقد سُميت منذ ديسمبر 1967م بالعدد الترتيبي (الخامسة أو 5) - وهذا الأجراء الحكومي كان يهدف إلى أضعاف المناطقية.

وحضرموت هي أكبر محافظات البلاد في المساحة وفي عدد السكان، وهي تشغل أكثر من ثلث مساحة البلاد (لم ترسم الحدود في الشمال والشمال الغربي، ولذلك فأن تقديـر مسـاحة حضرموت تتأرجح في حدود 129,4 ألف كم^2 - 147,7 ألف كم^2 - 155,376 ألف كم^2/ 2 ص 216 ؛ 127 ص 13,4/). ووفقاً لإحصائيات عام 1988 م فأن عدد سكان المحافظة 626,3 ألف نسمة /42 ص2/.

جغرافياً تنقسم محافظة حضرموت إلى:

السـاحل (حوالـي 35% مـن مجموع السكان، ومدنه: المكلا-المركز الإداري للمحافظة، الشحر، وإلى الشمال من الساحل-غيل باوزير).

حضرموت الداخل (حوالي 53%من السكان)، إي الوادي الرئيسي (ومدنه القطن، شـبام، سـيئون، تـريم)والأودية الجانبية (ومدنها: حريضة في وادي عمد، خريبة،

---

[1] التقسيم الاداري- الإقليمي لليمن حسب ما كان علية الحال في يناير 1989م (المؤلف).

سيف، والهجرين في وادي دوعن) والمديريات الصحراوية القليلة السكان إلى الشمال من الوادي الرئيسي: العبر وثمود.

والمفهوم الثالث عن حضرموت كمنطقة تاريخية اثنوغرافية يعني تحديد مكانتها بما يتفق مع درجات المقامات للمناطق. ويميز التوزيع الإقليمي الأثنوغرافي للمناطق التاريخية - الأثنوغرافية إلى خمسة مستويات. أكبرها - المنطقة التاريخية الأثنوغرافية التي تضم عدداً من المحافظات (الأقاليم) التاريخية الأثنوغرافية أو اكبر من المحافظات، تنقسم إلى مقاطعات، نواحي ومناطق. وفي بعض الأحيان فأن مرادف مفهوم المنطقة يكون "الإقليم الكبير" [109 ص 19، 22، 24].

ومن بين الأقاليم الكبرى (المناطق) الستة عشر حسب تقسيم ن.ن. تشيبوكساروف وب.ف.أندريانوف للعالم المعاصر، والهام بالنسبة لموضوعنا منطقتان: العربية - الشمال أفريقية والغرب أسيوية. أن الخصائص الأثنو- ثقافية المميزة لهما تسمح بتوحيدهما في المنطقة التاريخية - الأثنوغرافية الكبيرة الشمال أفريقية - الغرب أسيوية. وهذه المنطقة أطلق عليها عالم الأثنوغرافيا رفائيل باتاي (القارة الثقافية) المستقلة [244 ص 15؛ 246 ص 7 - 9؛ 10 - 36].

في البحث تتجلى خصائص المساحة السطحية لهذه المنطقة، أو المكونات العامة للثقافة السلالية المميزة لغالبية سكانها، وهاكم بإيجاز الرئيسية منها:

1- وجود الوحدة البدوية-الحضرية الخاصة للسكان مع التبعية المتبادلة والنزاعات فيما بين أقسامها، وكذا مع مستوى كبير من وحدة أنماط الحياة المعيشية في كل أشكالها الاقتصادية - الثقافية (البدو- الحضر- شبه الحضر- شبه البدو).

2- وظيفة الوساطة للمدن بين قطبي الوحدة الحضرية- البدوية، المؤسسات الاجتماعية المدنية- السوق، الصناعات الحرفية المتخصصة (نظام الورش، الأعمال الوراثية)،تحديد مجالات النشاط الاجتماعي الأكثر صرامة،الاحتكار الثقافي والأيديولوجي والانفتاح الكبير في التكوينات الجديدة.

3- القاعدة القبلية كأساس للتنظيم الاجتماعي للبدو وقسم من الحضر:التعبير عن العلاقات الاجتماعية في صورة روابط قرابة الدم المعلنة، الزواج الداخلي مع مثالية الزواج من ابنة العم.

4- وجود المجموعات الأسرية العشائرية التي تُسمى باسم الجد الحقيقي المباشر في الجيل الرابع - السابع (الحد الأدنى أسم الجد[173]) والأسرة الموحدة أو المنفصلة - من الجهة الأبوية،وكثرت تعدد الزوجات.

5- الحفاظ على التقاليد الشفوية المتطورة، التي تولد الشعر والبلاغة، بالاستناد على العرف، الذي يؤكد التكافل الأسري (التعاون المتبادل، الثأر، صيانة

الشـرف)، وإكرام الضيف، والكرم والثبات أمام نوائب الدهر، والمعيار المزدوج للأخلاق الجنسية.

6- وحـدة المبادئ الأخلاقية، بغض النظر عن الاختلافات في الاعتقادات الدينية، إذ أن وجود القيم الإسلامية العامة، تؤثر كذلك على سكان المنطقة غير المسلمين.

إن الخصـائص الأثنوثقافـية المسـرودة، التـي توصف أحياناً كملك لأثنوسات منفصـلة فقـط، تحـدد طـابع منطقة الشمال الأفريقية – الغرب آسيوية التاريخية الاثنوغرافـية. وبعض منها توجد في مناطق تاريخية اثنوغرافية أخرى، لكنها هناك تنتمي إلى منظومة سلالية – ثقافية أخرى، (173 ص81 – 82؛ 172 ص 61 – 64).

تنقسـم منطقة الشمال الأفريقية – الغرب أسيوية التاريخية الأثنوغرافية إلى عدد مـن الأقاليـم (النواحـي)، بمـا في ذلك الجزيرة العربية التي تتألف من عدة أقاليم تاريخـية أثنوغرافـية: الصـحراء العربـية (العربـية السعودية، الكويت، المناطق الصـحراوية فـي إيـران، سـوريا، الأردن، إسرائيل (فلسطين – المترجم) والقسم الأسـيوي من مصر)، جنوب غرب الجزيرة العربية (اليمن) وشرق الجزيرة العربية (عمان، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين).

إن لإقليم التاريخي الاثنوغرافي لجنوب غرب الجزيرة العربية، بما في ذلك، على وجـه الخصوص، تلك النواحي كالمهرة وسقطرى وحضرموت، تمتلك صلات وثيقة إلى درجة كبيرة مع إقليم شرق الجزيرة العربية.

إن أقسـام الإقلـيم وحـدوده الشرقية، تدقق وتوضح تركيب المناطق التاريخية-الأثنوغرافية الداخلة في الإقليم. هكذا ففي حضرموت الداخل (مرادف وادي الأحقاف) يمكـن تحديـد مـناطق تاريخـية – أثنوغرافية شرقية ووسطى وغربية. وقد غدت الأخيرة منطقة أصلية لإظهار المكونات المحلية للثقافة السلالية، ارتباطاً بخصائصها الأكثر عمومية.

فـي البحـث يُفهـم من اسم حضرموت الغربية المنطقة التاريخية، الاثنوغرافية لحضـرموت الداخـل، وهذا العنوان ليس افتراضاً من أجل الاختصار فقط، وإنما لأن سكان "الغرب" المحليين يتقبلون ذلك بمعنى واحد – كمديرية غربية (منذ عام 1980 مديـرية دوعـن)، أو الروافد الجنوبية الغربية للوادي الرئيسي: وادي عمد، دوعن، العيـن والأنجـاد فيما بينها. وهذا قد تم الأخذ به في وضع حدود حضرموت الغربية كمـنطقة تاريخـية – أثنوغرافـية (علاوة على موضع سير الثلاثة الأودية – وادي الكسر، الذي يدخل في إطار مركز حورة، مديرية القطن). التسميات المحلية الأخرى لتلك المنطقة تقريباً – علوا (من حيث سير السيول) أو القبلة "الموجهة إلى مكة".

3-الدراسة الأثنوغرافية لحضرموت

فـــي عام 1943م نشرت ف.أ. كراتشكوفسكايا استعراضاً للمنجزات التي تراكمت لدى العلم الأوربي خلال مائة عام من دراسة حضرموت (146 ص 31 – 45). فما هي إذن النتائج الرئيسية للدراسات الأثنوغرافيا في الوقت الراهن لاسيما مع اقتراب يوبيل القرن والنصف من زمن الأبحاث؟

إن الحســـاب الزمني يتم عادة من أول رحلة علمية في حضرموت الداخل، والتي قـــام بهـــا كما هو معروف في يونيو – سبتمبر 1843م المولود في ويستفاليا أ. فون فريده (146 ص 31 – 36؛ 4 ص 185، 174 ص 102 – 109؛ 167؛ 168). أما قـــبل ذلـــك فقد استمدت المعلومات من المصادر المكتوبة (الكتب المقدسة ومصنفات المؤلفيـــن الكلاسيكيين ومؤلفي القرون الوسطى) /4 ص 51، 55، 64، 65، 68 – 69/، ومـــن روايـــات سكان مناطق معينة أو المهاجرين/4 ص 102، 105، 118، 174/. ومـــن معلومـــات شـــحيحة لشـــهود عـــيان (على سبيل المثال، اليسوعيان البرتغالـــيان اللـــذان انطلقـــا فـــي نهاية القرن السادس عشر الميلادي من ظفار إلى صـــنعاء عبر حضرموت) /250 ص 194 – 207/ ولم تستخدم عملياً أو تتداول في الأعمـــال العلمـــية، كما هو الحال مع البعثة البريطانية لرسم الخرائط الجغرافية على متـــن سفينة " بالينور " والتي جمع المشاركون فيها في ثلاثينات القرن التاسع عشر الميلادي معلومـــات جغرافـــية واقتصادية عن حضرموت وقاموا في أبريل 1836م برحلة استغرقت عشر ساعات في سواحلها /103 ص 20 – 34؛ 104/.

العـــالم اللغـــوي والـــرحالة الألمانـــي غ.فون ملتسان، الذي أصدر عام 1870م "مذكـــرات فـــريدة" /106/ أشار إلى ان مصداقيتها أثارت لدى بعض العلماء شكوكاً جديـــة/85 ص 20، 23؛ 106 ص 2 – 3؛ 146 ص 38/ ومع ذلك فأن المعلومات الواردة في الكتاب أساساً قد أكدت من قبل باحثين آخرين.

وهكـــذا فأن الإنجليزي س.ب.ميلز في عام 1870م قد حقق وأكمل هذه المذكرات عـــن المســـكن التقلـــيدي لجنوب غرب حضرموت/89–91/، وفي عام 1931م قرر الهولـــندي د.فان ميلن مع الألماني فان وايزمان دقة معظم الرسوم الجغرافية (ماعدا القسم المكرس لوادي عمد حيث توجد أخطاء واضحة) /88 ص4–5؛ 55 ص107–124.

لقـــد حـــدث فـــي زمـــن إصـــدار" مذكرات فريده " التشكيل النشط للأثنوغرافيا (الأنثولوجـــيا) كعلـــم أدبـــي مســـتقل، ولذلك أبرز الناشر وبروح العصر المعلومات الأثنوغرافـــية فـــي العناوين الفرعية، وفي تقديمه للكتاب استخدم نفس التعريف "الأثنوغرافي" (فاضحاً ديو كوري الذي يزعم انه زار حضرموت الداخل عام 1844م) 104 ص 7 .

في الكتاب أعطيت صفة المظهر الخارجي والداخلي وأوضاع المسكن التقليدي/ 106 ص 102 – 104، 193/. ومعلومات متناثرة عن أنشطة السكان – زراعة النخيل(ص 52، 184 – 186) وتقنية المزروعات: التبغ (ص 60، 228)، السمسم (ص61،184، 170، 213، 232) النيلة (ص 63، 112، 203 – 204، 220، 223 ، 228، 230، 235، 268). كما يتحدث عن منظومة الري ، وأنواع الآبار وخزانات المياه، وعن السقي بمياه السيول (ص 88، 90، 95، 105 – 106، 137، 142 – 143، 172، 267 – 268).كما يتحدث عن بعض جوانب التنظيم الاجتماعي للبدو، على سبيل المثال عن مجلس القبائل (ص 196) وعن المراسيم ذات الصلة ببدء نشوب النزاعات بين القبائل، وعن عادات المصالحة (198 – 199)، والثأر(ص 226 – 228) وعن طقوس الزواج - عند الحضر (ص 217 – 220) وعند البدو (262 – 263) وعن مراسيم الجنازة عند الحضر (ص 234 – 235) وعند البدو (ص 239 – 240) وعن العادات اليومية، كتناول الأطعمة لدى البدو (ص 93 – 94). كما لم يغفل الاهتمام باللباس التقليدي: ثوب البدوية (ص 90 – 91، 170 – 171)، فستان النساء الحضريات في وادي دوعن (ص 110 – 112)، والفلكلور الموسيقي (ص 94، 119، 132، 194، 195، 217، 219)، والأحوال السيكولوجية (ص 259، 261، 264). وتحتل مكانة خاصة المسميات الاصطلاحية القبلية وتعداد السكان (ص 102، 169 – 170، 185 – 186، 253 – 256) وقد خصص ناشر الكتاب فون مالتسان جزءاً من هذه المعلومات في ملحق خاص (ص 313 – 323).

وفي ملاحظات الناشر تعليق تأصيلي معظمة متعلق بحقيقة أسماء العلم (ص 275 – 293). وكانت خارطة حضرموت الداخل، التي وضعها فون ملتسان، بصرف النظر عن عدم اكتمالها، نقطة الانطلاق لظهور رسوم الخرائط الجغرافيا اللاحقة. وفي هذا تتلخص القيمة الرئيسية لـ"مذكرات فريده " ذاتها كمصدر اثنوغرافي: معها تتم المقارنة ومنها ينطلق الباحثون اللاحقون.

في ثمانينات القرن التاسع عشر الميلادي اهتمت الإدارة الاستعمارية للهند الهولندية بالمهاجرين من الجنوب العربي الذين جاء معظمهم من حضرموت. وقام ل.فان دين بيرغ بسلسلة استفتاءات في أوساطهم، وقد ألف كتاباً استرجع فيه، من أحاديث المتعلمين المنتمين في أصولهم إلى حضرموت، هيئة مواطنهم الأصلية / 203/. وفي أعوام التسعينات بدأ المستعرب الهولندي البارز س. سنوك هورجرنج في نشر مقالات عن الإبداع الشعري في حضرموت (حسب المخطوطات) وعن

العادات القبلية /272 – 275/. ومع ذلك فأن المعطيات الموضوعية تماماً عن الثقافة التقليدية لم يكن من الممكن الحصول عليها إلا على الواقع ذاته.

كان الأول من العلماء الأوروبيين الذي وصل إلى الوادي الرئيسي لحضرموت (حيث لم يصل بطل "مذكرات فريده") البروفيسور البرليني ل.هيرش الذي وصل عام 1893م إلى الشرق حتى تريم/67 ص66، 196 – 205؛ 4 ص 240 – 258/ وقد استخدم خارطة فان دين برغ، مدققا إياها في أثناء رحلته. ومن بين المشاهدات الغريبة المتعددة التي يتضمنها كتاب هيرش، يمكن ذكر مثل هذه المعلومات الأثنوغرافية، على سبيل المثال، التنظيم الاجتماعي لقبيلة العوامر/67 ص 222/، والزي النسائي التقليدي (ص 26، 128)، والوشم وتزيين الجسم بصبغة النيلة (ص 44).

بعد هيرش مباشرة اتجهت إلى حضرموت الداخل في شتاء 1893 – 1894م بعثة ت. بينت الإنجليزية، والتي ضمت في قوامها زوجته (أول مصورة نسائية في وادي حضرموت)، واختصاصي في علم النباتات وآخرين/51، 52؛ 174 ص 104 – 105؛ 4 ص 343 – 345، 282/. وقد توقف بينت وزوجته في شبام ولم يستطيعا التوغل أبعد إلى الشرق. ويتطابق وصف الزي النسائي (جنوب وادي دوعن)عند بينت/52 ص 93/ مع الوصف الذي جاء في كتاب فريده. وقد اهتم بينت وزوجته بعناية فائقة بالزي النسائي المحلي: ثوب الفلاّحة في حضرموت الغربية – القناع والقبعة العريضة المصنوعة من سعف النخيل (ص 94 –95 ، 167)، وأدوات الزينة – الإعداد الفردية للأقراط على كل أذن (ص 119)، صبغة الوجه وأدوات الزينة الأخرى (ص 93، 110، 119). وتوجد كذلك معلومات عن فن العمارة (على سبيل المثال، ص 106، 148) والري بمياه السيول (ص 128) والفلكلور الشفاهي والموسيقى للبدو (ص 128 – 129) ومعلومات عن قبائل منفردة: نهد (ص 101، 106) الكثيري (ص 127) الجابري (ص 151، 165، 168 – 169، 173) ومع ذلك فأن كتاب بينت وزوجته لا يخرج عن إطار يوميات السفر الاعتيادية لذلك الزمن، والتي لا تبرز الناحية الأثنوغرافية بشكل خاص.

وبطريقة أخرى تماماً تعامل الباحث السويدي ك.لاندبرغ مع مهمته. ويمكن تسميته وبحق أول أثنوغرافي لغوي درس الجنوب العربي، وعلى وجه الخصوص حضرموت، وتواجد لاندبرغ فقط على ساحل حضرموت. ومن أجل تكوين صورة دقيقة جداً للمناطق الداخلية فأنة قد أختار منهج الاستفتاء، الذي لم يبخل من أجله بالنقود (كثيرمن المخبرين والمعاونين مدفوعي الأجر ونشر المواد على نفقته) ولا بالوقت (في سبيل أعداد النصوص الخاصة بحضرموت أمضى خمس سنوات).

في مؤلفه المكرس لحضرموت/236/ يورد لاندبرغ منذ البداية نماذج الفلكلور الشعري المحلي حسب الأنواع (ص1 - 238) ومن ثم يقدم النصوص النثرية بلغة دارجة تصف الأعمال التقليدية: البائع (ص241 - 247) ، السراج[1] (ص 247 - 284)، المزارع (ص 284 - 328)، المتخصص بالسقي (ص 329 - 332)، السمسار التجاري- الدلال (ص 332 - 337)، النجار (ص 337 - 351)، الحداد (ص 351 - 367)، الجمّال (ص 367 - 377)، القصاب (ص 378 - 393)، الكاتب - السكرتير (ص 393 - 394)، البناء (ص 394 - 408)، الصباغ (ص 408 - 431)، الحّلاق (ص 393 - 501) كما نُشرت هنا حكاية نثرية عن ضريح النبي هود (ص484 - 493) وبئر برهوت (ص 435 - 484) والتي أتيح للعلماء الأوروبيين التعرف عليها فقط بعد اكثر من ثلاثة عقود، وكذلك يورد حكاية عن عادة الختان (ص 484 - 493) بما في ذلك ختان البنات خارج حضرموت.

نقلت جميع النصوص بالخط العربي، وزودت بتعابير للرموز الصوتية الدقيقة للغاية وترجمة فرنسية حرفية مع تعليقات ضافية ومعجم لشرح الكلمات العويصة. وتشمل التعليقات مواد أثنوغرافية متنوعة: الملابس وأدوات الزينة (ص 61، 79 - 80)، ولوازم البيت (على سبيل المثال، وصف المرتاج الخشبي، المستخدم في حضرموت، (انظر إلى صورته بين ص84 و85)، وأصناف البارود (ص 164) وفصائل الجمال (ص 87) والأسماء المحلية للأصابع (ص 82) والمصطلحات ذات الصلة بالتوجه إلى المناطق (ص 31، ملاحظة 10) و مواقيت التنقلات اليومية (ص 209).

التفت لاندبرغ إلى هكذا نظام لعلاقات القرابة الأسرية، كعلاقة الخؤولة واعتبرها ذات صلة تأثرية (ص 98) وهو أمر تقليدي تماماً لأثنوغرافيا ذلك الوقت، وعلى الرغم أن الاستنتاجات النظرية التي فات أوانها تشغل مكانة قليلة في أعماله، فان المواد الأثنو- لغوية التي جمعها وعلق عليها لا زالت تحتفظ حتى الوقت الراهن بقيمة عظيمة للبحوث الأثنوغرافية: أنّ كل واحدة من ملاحظاته تقريباً يمكن أن تصبح أساسا للبحوث اللاحقة، كما أن التباين بالمعلومات الأثنو لغوية التي أوردها لاندبرغ بتتابع بالنسبة لقبائل (دثينة، العوالق) ومناطق حضرموت، وجزئياً المهرة واليمن (الشمالي) /237 مجلد 1/، تعطي إمكانية رائعة لتصنيفها أثناء العمل لأعداد أطالس تاريخية- اثنوغرافية ولغوية للجنوب العربي.

---

[1] صانع سرج حيوانات الركوب. (المترجم)

قام ف. هاين مع عقيلته برحلة إلى الجنوب العربي (1901 – 1902) بتكليف من أكاديمية فينا للعلوم ومثل لاندبرغ أيضاً لم يستطيعا التغلغل في المناطق الداخلية لحضرموت، وتواجد فقط على الساحل (بما في ذلك المهرة). ومع ذلك تظل رحلتهما في تاريخ الاثنوغرافيا العربية: انهما كانا، من حيث الجوهر، الأوائل في تلك الأماكن، من الاختصاصين في المتاحف، وقد جمعا ونقلا إلى متحف الأثنوغرافيا في فينا مجموعة غاية في الروعة من مواد الحياة التقليدية/215 ص 189 – 190؛ 88 ص 7 – 8/. وتحتوي البيانات الأستبيانية التي دوناها بعض المعلومات الأثنوغرافية عن حضرموت /60 ص 23 – 58/.

في عام 1918/ وصف الإنجليزي و.لي ورنير، الذي زار شبام وأماكن أخرى في حضرموت الداخل، وصف باختصار العلاقة بين الطبقات الاجتماعية التقليدية، وعمليات الهجرة والاقتصاد (/83 ص217–22).

بيد أن النتائج الأكثر أهمية مقارنة مع الرحالة الأوربيين الآخرين، كان قد توصل إليها د. فان ديرميلين وغ. فون ويزمان اللذان سبق ذكرهما، وقد عبرا حضرموت عام 1931م من الجنوب الغربي إلى الشرق حتى ضريح النبي هود وبئر برهوت وكانا أوائل الباحثين الأوربيين الذين وصلوا إلى هناك. وفي الكتاب الذي يتحدث عن هذه الرحلة/88/ يعود إلى فان ديرميلين النص، أما إلى فون ويزمان فتعود الخارطة. وفي الكتاب تروى معلومات شيقة عن هندسة البناء (ص 52، 62، 68، 92، 110، 137) ومن بينها طلاء البيوت من الخارج والداخل (ص 68، 131، 188) وكذا عن منشآت الأنفاق الفريدة التي صادفها المؤلفان في طريق عودتهما إلى الساحل (ص 230) ويجري الحديث كثيراً عن الأزياء التقليدية وأدوات الزينة: لدى البدويات في الهضاب بالقرب من الشاطئ (24 – 25)، ولدى المزارعات بالقرب من الهجرين (ص 79) وعن الحلي والثوب النسائي في ريدة الدّين (ص 217) وعن الزي الرجالي لقبيلة المناهيل (ص 171)، وعن النعال ذات القطع الجلدية غير المثبتة، التي تخفق أثناء المشي لإفزاع الثعابين (ص 228).

وذكرت خصائص النشاط الاقتصادي: إنشاء الخزانات لحفظ المياه (ص 52، 74) والاستخدام المتعدد الأشكال لشجرة العلب (ص 49) وإنتاج التمور (ص 74) وأعمال الحياكة من سعف النخيل (ص 68). ويحكي عن نظام التغذية لدى البدو (ص 49، 55، 58)، وزيادة على ذلك يذكر المشروب المسكر المستخرج من عصير النخيل المختمر الذي يتم تحضيره في ضفة الهضبة (ص 226). ويتعرض المؤلفان بسلاسة للفلكلور الغنائي: ارتجال الدان (ص 54)، والألحان البدوية (ص 228)، ويكتبان إنهما لم يصادفا في هينن ولا حتى أثر "للشعراء الصعاليك" الذين ذكرهم سنوك

هورغـرونج (ص 106) ويقفـان بتفصيل أمام اتجاهات الهجرة من حضرموت (ص 66، 105 ومـا يليـها) وكـذا مـا هــي أثار هذه العملية الديموغرافية في التأثير الأندنوســي فــي المناطق الداخلية للبلاد (ص 204، 212 وما يليها). أما المعلومات الهامة فتورد عن التنظيم الاجتماعي للقبائل، على سبيل المثال: عن أعقـاب الرسول (ﷺ) السـادة الذيـن يديـرون حـياة عدد من أعضاء قبيلة الحموم (ص 96)، وعن النزاعات الداخلية بين قبائل نهد (ص 102 - 103).

في عام 1939م قام الباحثان معاً برحلتهما الثانية المشتركة إلى حضرموت، وفي هذه المرة بطريق اكثر صعوبة، تبدأ من المناطق الداخلية لمستعمرة عدن/86، 87/. وأهـم نـتائج الـرحلة كانت الخارطة الجغرافية التي وضعها فون ويزمان للجنوب العربـي مـن مديـنة شقرة في الغرب إلى الحدود الشرقية لحضرموت. إضافة إلى العلامـات الاعتيادية على الخارطة التي تشير إلى تفرق مواطن القبائل وفروعها. إن خارطـة فـون ويـزمان التي نشرت في عام 1958م، بصرف النظر عن الفراغات وبعـض الأخطاء أو عدم الدقة، قد احتفظت بأهميتها حتى الآن ويجب أن تؤخذ بعين الاعتـبار عند إعداد أية خارطة مماثلة للأطالس التاريخية - الأثنوغرافية واللغوية وغيرها/243،105، ص6 - 12/.

أن القسط الهام في الذخائر التي لم تكتمل بعد من المواد المختارة عن حضرموت قـد أسهم به الصحفي والمصور الألماني هـ. هيلفريتـز (1932م و1934) /61-65/، والـذي تعرضت تحقيقات سفره للنقد المدعم بالحجج، وكذا الرحالة الإنجليزي ف. ستراك (ثانـي امـرأة - مصـورة في حضرموت الداخل في عامي 1935م و 1938 /98/. فـي كتـبها ومقالاتها توجد مشاهدات سلالية سيكولوجية حية وبشكل خـاص ما يتعلق بحياة المرأة/96 - أ ص 46 - 47، 58، 109، 150،209،100 ؛ 97 ص 113 - 126؛ 99 ص 1-17/.

إن "العهـد البطولـي" فـي دراسة حضرموت،حينما كان على الرحالة أن يلم في الكثير من العلوم الإنسانية والطبيعية، وفقاً للضرورة، قد أتمه في الأساس الإنجليزي و.هــ. انجرامس. ففي أعوام الثلاثينات، وباسم الممثل البريطاني عقد انجرامس اتفاقيات لوقف الحروب والنزاعات الداخلية مع مئات عديدة من مشائخ القبائل وحكام المـدن والحـوط (مفـردها: حوطة) والقرى المحصنة. وقد أعطاه هذا تجربة رائعة للـتوغل في الآلية الاجتماعية المعقدة للبلد/75/. وفي كتابة/80/ (أنظر كذلك/4 ص 313 - 323/) وصـف بوضوح الطبقات والمؤسسات الاجتماعية(أنظر على سبيل المـثال /80 ص 136، 293). كما يورد تفاصيل كثيرة عن العلاقة بين القبائل(أنظر مثلاً/80/ص 136، 293، 250 - 279/).

كـان انجرامس وقرينته د. انجرامس هما الأوائل من الباحثين الأوروبيين اللذان فتحا الطريق من ضريح النبي هود (أنظر الوصف المفصل للضريح وطقوس زيارته/71 ص 199 - 201/) إلـى السـاحل عـبر المهـرة/71 ص 205 ومـا يليها أما د.انجـرامس فهـي الأولـى التـي اجـتازت أراضي قبيلة الصيعر مؤكدة على وجه الخصـوص أن الأطـلال الحمـيرية في بنه الوارد ذكرها في "مذكرات فريده" توجد حقيقة في الواقع (ص 332). وفي مقارنتها لوضع المرأة الحضرية والبدوية، تشير د.انجـرامس إلى الدور الأكثر نشاطاً لنساء البدو الرحل، على سبيل المثال في وادي رخـية (ص 372) وإلى مزايا الأمومة في التنظيم التقليدي للمناهيل والمهرة، وجزء مـن الكثـيري (ص 301) وبدرجـة أقل لدى الصيعر- على سبيل المثال، الأسماء المؤنـثة للآبـار (ص 371). وفي الكتاب الكثير من التفاصيل الأثنوغرافية الهامة: الحظـر القبلـي لدى الحموم، المناهيل، المهرة (ص 193 - 194)، الثياب النسائية التنكرية لـدى قـبائل بأحسن (ص 236)، العادة التي تسمح لعابر السبيل في رملة السبعتين أن يحلب النوق التابعة لغيرة (ص345)، القمصان الطويلة التي تميز البدو من آل علي كثيري (ص 277)، الشعر الأشقر لأفراد آل بريك من قبيلة الصيعر (ص 316)، التأثـير الزنجباري* على آل بأحسن من قبيلة الحموم (ص 235، 337)وأثار ماقبل الإسلام في تقديس المطر المجسدة في شخص ولى المطر (ص 157).

إن جـذور العـادات، التـي تعـود إلـى ما قبل الإسلام، قد جذبت بشكل خاص هــ.انجرامس، علـى سبيل المثال، مقالته عن قنص الوعول/77 ص12 - 13/ (انظـر كذلـك/202 ص 183 - 196/) ومـن أعمالـه الأخرى في الموضوعات الأثنوغرافـية ينبغـي أن نذكر "بناء العمارة في حضرموت"، "تربية النحل في وادي دوعن" وغير ذلك/72، 76، 73، 74، 78، 79/.

وتزامناً مع انجرامس، أو بعده بقليل، تواجد في حضرموت الرحالة الانجليزي ج (عـبدالله) فيلبـي، ر.أ.هميلتون، و.تيسيجر وآخرون/93 - 95، 57 - 59، 101، 102/. ومـع ذلـك فـأن "العهد البطولي" قد اقترب من نهايته. وبدأ زمن الدراسات التفاضلية المتعمقة.

كـان المستشرق الإنجليزي ر.سرجنت هو العالم الذي جمع الاهتمامات الواسعة للأسلاف وكـذا الاتجاهات المحددة لأبحاثه الخاصة، وقد وضع مهمته هكذا: "البدء بدراسة الحضارة الحضرمية من خلال اللغة"/252، ص×1/.

---

* نسبة الى زنجبار في تنزانيا (المترجم)

فــي عامــي 1947 - 1948م باشر سرجنت بعثات علمية طويلة في حضرموت الداخــل (في تريم، على سبيل المثال أمضى سبعة أشهر)، حيث جمع مواد فلكلورية والأثنوغرافــية، وكذلــك مجموعــة عيــنات مــن أدوات المعيشــة لمــتحف الآثار والأثنوغرافــيا في جامعة كمبردج. وقد واصل أبحاث لندبرغ الأثنوغرافية ولكن ليس غيابيا وإنما مباشرة في الواقع.

لقد شكلت نماذج النصوص الشعرية والنثرية لسكان حضرموت الحضر (بجداول عربــية وبــدون تعبــيرات رمزية صوتية باللاتينية) وكذا التعليقات الواسعة عليها، المجلــد الأول للعمل الذي ألفه سرجنت/252/. أما المجلد الثاني الذي وعد العالم أن يضع فيه نبذ عن "كل جوانب الحياة اليومية لحضرموت"/252 ص×1/ فحتى الآن لم يــر الــنور. وفي الكتاب يورد عناوين فصول الأشعار من النمط الحميني، أي المعقد باللغــة الدارجة. ويلاحظ القيمة المتشعبة بالخبر لــ"قصائد السفر" بتسميتها اللازمة لكــل مــراحل المسافات البعيدة بما في ذلك "أسماء" لمراكز تجمعات هي غالباً خاوية مــن السكان (ص 9 - 10) وغيرها من "القصائد الفهرس" حيث يتم تبعاً للموضوع تعداد أصناف التمور، أنواع الأسماك الساحلية، والمساجد المحلية، والنجوم والرياح (ص 10).

أن الاهتمام الخاص قد أعطي لأغنية الفلكلور ولآلات الطرب والرقص (ص17 - 50) وزيــادة علــى ذلــك أشــار مــثلاً إلى أن الاختلاف في الرقصات بين الطبقات الاجتماعــية أشــد مــن اختلاف الأغاني. وفي الكتاب يجري الحديث كذلك عن نوع خــاص، غــير مفهــوم للرجل- الباحث، يسمى (خيبعان) أي عن الشعر ذي الترانيم والأنغــام المستخدمة في الأعراس من قبل النساء في دوائرهن الخاصة (ص 43 - 44). واعتــبر ســرجنت أن الأغانــي التي تردد أثناء جفاف المياه من الآبار او في مواســم دريس الحصاد قد كانت مهملة في زمنه. وتأسف كذلك لأن أغاني القنص لم تــدون حــتى الوقــت الراهن (ص 8). ومع كل ذلك فأن التقاليد الشفهية بشكل عام مازالــت باقــية فــي حضرموت. وتعد قبيلة نهد أفضل من يحفظ فن الزامل (أشعار قصــيرة بمناسبة المسير، القنص الناجح، الزواج أو الأعياد الأخرى) (ص 32)، أما فــي هينــن (هناك حيث لم يجد فان ديرملين "الشعراء الصعاليك" المتخصصين) فقد وجــد أناس هناك كانوا يحفظون عن ظهر قلب ثلاثين إلى أربعين قصيدة من سلسلة القصائد عن أبي زيد الهلالي (ص 12).

اســتند ســرجنت أيضاً إلى التقاليد الكتابية لحضرموت، وعرف جيداً علم تدوين الــتاريخ المحلي/249، 259/. وقــد لامــس في مقالاته دائرة واسعة من القضايا الأثنوغرافــيا، علــى ســبيل المــثال: المقابــر في تريم، هندسة البناء والمهندسين

المعماريين في حضرموت، "الهتافات أو الأدعية" الخاصة بأحياء تريم، التقويم بالنجوم، قصة النبي هود وكذا أنبياء حضرموت الآخرين ما قبل الإسلام، الطبقات الاجتماعية، عادات الزواج ومصطلحات صلة القرابة، المنظومات المحلية للري وغير ذلك/248، 247، 251، 255، 254، 257، 260، 261، 264، 263، 253، 256، 258/ (قائمة الأعمال المنشورة لسرجنت أنظر/92/). ويكرس العالم أبحاث خاصة لقنص الوعل في الجنوب العربي وجذوره الطقوسية/265/.

إن المادة الأثنوغرافية تحتويها أيضاً مقالات أ.ليبدلمير الاقتصادية – الجغرافية/ 238 ص1 – 47، 239/ للمقارنة /231/.

إن أول الاستكشافات الأثنوغرافية في علم الاجتماع في حضرموت الداخل (يوليو 1962 م – يونيو 1963م) قد قام بها عبدالله بوجرا /207 – 209/.

تلميذ المستعرب و"الانثروبولوجي السياسي" إ. غيلنر الذي يعمل في بريطانيا العظمى وقد استخدم بوجرا أثناء الأعداد للعمل الميداني، على وجه الخصوص، أطروحة ج. هارتلي "المنظومة السياسية للقبيلة العربية في حضرموت" والتي دافع عنها في جامعة لندن /233/.

درس بوجرا مجتمع حريضة (وادي عمد) "كمدينة ثانوية تستحق الاعتبار" / 209 ص 12/، وفي الغالب طبقة السادة في حريضة، الذين بقيت في أوساطهم حتى الآن علاقة انتقادية تجاه شخصيته وتقديراته. وفي نظرته إلى النواحي الفراغية لنظام الطبقات الاجتماعية، فأنه يعرض الفرق بين الاستيطان القبلي "المتكافئ" والبلدات "ذات الانقسام الطبقي" والمدينة (ص 8 – 9، 36 – 37) وغيرها. ويقوم بتقسيم طبقي في الأحياء المنقسمة للمدن وقطع المقابر (ص 17) وكذلك في مراسيم النظام التقليدي (ص 18).

يلاحظ الباحث ثنائية القيادة العادية في العالم العربي لدى الطبقات التقليدية – زعيمان اثنان، عند السادة (منصب) ولدى القبائل (مقدم). (ص 20 ملاحظة 1).

ظلت النزعة باقية لدى الأسر المنقسمة وغير المنقسمة نحو الزواج الداخلي، وإزاء الزواج وفقا لقاعدة الكفاءة أو الكفؤ (التساوي بالأصل)، زد على ذلك فأن الرجل كان يمكنه أن يتزوج من الطبقات الدنيا، أما المرأة فلا تتزوج إلاّ ممن يساويها أو يعلوها شأناً في الوضع الاجتماعي (ص 93 – 95).

في البحث العلمي تورد معلومات إحصائية مختلفة وتتبع روابط التقسيم الطبقي الاجتماعي مع التنظيم الاقتصادي وتوزيع الموارد المادية. وبشكل عام يرسم بوجرا لوحة معبرة للمجتمع التقليدي في حريضة القديمة، والذي لم يعد له وجود على تلك الصورة.

خـلال عـام ونصـف قـبل أن يبدأ بوجرا في البحث الميداني في حريضة، زار حضـرموت للمـرة الأولى و.دوستال، الاختصاصي النمساوي في علم الأثنوغرافيا، والـذي كـان عليـة أن يشرع هنا ببحث منظم في اتجاهين ذوي ارتباط متبادل: الخصوصـية الأثنوغرافـية للبدو الرحل، الجمّالة، والآلية التقليدية للصناعة الحرفية لدى الحضر.

في موسم البحث الميداني عام 1960م (أكتوبر – ديسمبر) أجرى دوستال استفتاء فـي شـبام وتريم، وجمع مجموعة قطع لمتحف فينا الأثنوغرافي. وفي عام 1963م أضاف إلى هذه المواد معلومات كان قد حصل عليها أثناء بعثته إلى الكويت (1956م)، كانـت أساسـاً لأطروحته العلمية"البحث الأثنولوجي لتطور أهل البداوة في الجزيرة العربـية". وقد تم تدقيق بعض استنتاجات وأوضاع أطروحته بعد رحلاته الجديدة إلى حضـرموت فـي عام 1964م وعام 1966م. وكانت النتيجة البحث العلمي "البدو في الجنوب العربي"/215/ مع إهداء للمستعرب الألماني ف. كسكيل الذي اعتمد دوستال على أفكاره كثيراً /215ص 9 – 20 وما يليها /.

يقسـم دوستال أوساط البدو في الجزيرة العربية إلى سلالتين ثقافيتين هما الشداد والحولاني، وسميت هكذا حسب الترتيب الشائع لديهم في سرج الجمال (ص 13، 19 -20، 139، 146 ومـا يليها). إن التصميم الأول – متأخر نسبياً (تقريباً من القرن الثالـث الميلادي)، وهو يثبت على سنام البعير وله انحنائين، الأمر الذي يمكن القيام بالسفر الطويل والقيام بالعمليات القتالية. أما التصميم الثاني فيثبت إلى ردف الجمل، ويكـون المقعد أو أكياس الحمل خلف السنام. ويشيع هذا المبدأ الأكثر محافظة على القديـم فـي جـنوب الجزيـرة العربية لدى كثير من القبائل. ومن بين تلك التي قام بدراسـتها دوستال الصيعر (ص 26، 72 – 74، 79 – 81، 112 – 117)، الكرب (ص 26، 74، 81، 111)، العوامـــــر (ص 28، 74 – 75، 81 – 82، 117 – 119)، آل راشد (ص 28 – 30، 75 – 76، 82، 119 – 120)، المهرة (ص 34، 78، 84 – 85، 123 –135).

أوضح الباحث الارتباط الواضح لنوع السرج مع عناصر أخرى ليس فقط للثقافة الماديـة، وإنمـا أيضـاً للتنظيم الاجتماعي. وهذه الفكرة تصاحب الكتاب كله. وفي إجمالـه لحصيلة جميع المؤلفات الأدبية تقريباً عن الجنوب العربي التي راكمها العلم حتى زمن بحثه، يعطي دوستال نبذة موجزة للثقافة المادية للقبائل المذكورة ويتصفح الأدوات واللوازم المنزلية (ص 40 – 45)، المسكن (ص 45 – 47)، الأسلحة (ص 50 –51)، الملابـس (ص50–55)، الحلي وأدوات الزينة (ص55 – 61)، تسريحة الشعر (ص 62)، أنواع أدهنة الجسم والوشم (ص 62 – 63).

وفي كل هذه المجالات تبرز الخصوصية السلالية الثقافية لمجموعة الحولاني، وهكذا فالعوامر، المناهيل والمهرة يستخدمون للمبيت عادة ملاجئ طبيعية أو سقائف مرتجلة لاتقاء الشمس والرياح. وتحت تأثير ثقافة الشداد فأن قبائل الصيعر والكرب، وجزء كبير من آل راشد يستخدمون الخيام، الموحدة بالتصميم والمادة (صوف الماعز والضان الأسود)، ولكنها تختلف من حيث الحجم والتخطيط. بيد انه حتى هنا يمكن تمييز الأساس الثقافي للحولاني: على سبيل المثال، في خيام الصيعر لا يوجد تقسيم إلى جزئين رجالي ونسائي (ص 45).

وفي الكتاب توصف الأشغال التقليدية لدى القبائل (ص 63 – 69) والتنظيم الاجتماعي، بما في ذلك مراحل دورة الحياة (ص 69 – 85) والتاريخ القبلي وتاريخ حضرموت والمهرة (ص 85 – 137). وفي خلاصة البحث (ص 138 – 165) ويشير المؤلف إلى العناصر المكونة لـ" مجموعة الحولاني" الأثنوغرافية "الصرف" (ص 146 – 147) وهي:

- الأواني الخاصة (المجدولة بخطوط سعف النخيل أو المخاطة بجلد مزخرف).
- شريط جلدي، يمسك الشعر.
- الحياكة أو النسيج البدائي.
- عدم وجود الخيام.
- الموديلات الخاصة للسروج (البرادع) (رجاليه، نسائية وللحمل).
- الأساليب الخصوصية، المرتبطة بحلب الناقة (غسل الأيدي، ببول الناقة قبل الحلب، واستخدام أواني خاصة بمثابة محالب، تنظف مقدماً بالرمل).
- وفي التنظيم الاجتماعي- الحفاظ على بعض خصائص خط الأم.

قام دوستال بدراسة التقنية التقليدية في أوساط السكان الحضر في حضرموت الداخل (تريم) في أغسطس – سبتمبر 1964م، وفي فبراير- أبريل 1966م قام بصورة متوازية باستفتاء الحرفيين في تريم وشارك عالم الأثنوغرافيا سوية مع مدراء التصوير من معهد الأفلام العلمية (جيتنجن – ألمانيا) في أعداد 26 فلماً قصيراً، حفظت للعلم الخبرة التقنية للبنائين، الفخاريين، النجارين، الحدادين.....الخ، وأساليب الطب الشعبي، وتفاصيل بعض الطقوس. وزودت الصور بالنصوص التي صدرت على شكل كتيبات منفردة ضمن سلسلة "الموسوعة السينمائية"/218؛ 217 ص 121 – 122؛ 54 رقم 1180 – 1201، 1315، 1346، 428 – 429/. وفي عام 1972م جمع دوستال جميع هذه المواد في كتاب "الحرفيون وتقنية الصناعة اليدوية في تريم" /217/ (للمقارنة/201 ص 489 – 503/). وفيه أعطى اهتماما خاصاً للمصطلحات المهنية وأدوات الحرفيين المهرة في حضرموت.

إن الاهتمام المستمر بالمعطيات الأثرية للجنوب العربي أتاحت للعالم أن يشرحها من وجهة نظر الأثنوغرافيا/214 - 216، 219، 221 - 223/، وهذا يخص معيشة البدو، مراسيم دفن الموتى، تقديس الثور ما قبل الإسلام والمساكن الاعتيادية. وفي حصيلة عمله "المساواة والمجتمع الطبقي في الجنوب العربي" /225/ نظر الباحث إلى الأشكال العديدة للتطور الاجتماعي، وقد استمالت أبحاثه الميدانية قبائل إمارة راس الخيمة (الإمارات العربية المتحدة)، اليمن الشمالي، المملكة العربية السعودية، وكذا سكان مدن صنعاء(اليمن الشمالي) وتريم (حضرموت، ج.ي.د.ش). وكان دوستال أول من دعا إلى توحيد جهود علماء الأثنوغرافيا لأعداد أطلس اثنوغرافي مشترك للجنوب العربي.

وتساعد على الاستنتاج العام وفهم المعطيات المتراكمة المجموعة الثقافية- المنطقية ذات المجلدات العديدة "الجنوب العربي" التي تصدر في باريس ويرأس تحريرها ج.شلهود، حيث استخدمت كذلك بعض المواد الأثنوغرافية الميدانية /211 مجلد 3 (ببليوغرافيا حضرموت، انظر ص 376 - 377)/. وفي الإصدار المصور البديع "اليمن: 3000 عام من فنون وحضارة العربية السعيدة" /234/، الذي وقت مع معرض الحضارة اليمنية في ميونيخ (1987 - 1988م)، وأسهم في تقديمه الاختصاصيون الرئيسيون من المشتغلين بدراسة الجنوب العربي.

*

بدأ الباحثون المحليون الأبحاث الميدانية الأثنوغرافية في حضرموت فقط منذ مطلع الثمانينات. بيد أن الكثير من المعلومات الأثنوغرافيا تحتويها المدونات التاريخية المحلية، والسير الذاتية، والأشعار، والرسائل/249، 259/. وفي مكتبة "الأحقاف" للمخطوطات التي يديرها علي بكير، تحفظ عينات كثيرة العدد لآداب وعلوم حضرموت، بما في ذلك آثار تقاليده التاريخية الغنية/ 43، 129/. وجمعت وثائق السلطنة الكثيرية في أرشيف فرع سيئون للمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف/20/. أما مخطوطات ووثائق السلطنة القعيطية ففي أرشيف المكلا للحزب الاشتراكي. وتعد المجموعة الأثنوغرافية لمتحف العادات والتقاليد الشعبية في سيئون في غاية الأهمية /38/.

إن الموضوعات الأثنوغرافية قد حظيت بعناية المؤرخين المحليين في القرن العشرين، منهم: مؤلف أول تاريخ مكتوب للمنطقة صلاح البكري، الذي ينتمي إلى قبيلة يافع، والذي نشر في عامي 1935م - 1936م في القاهرة "التاريخ السياسي لحضرموت" في مجلدين بنزعة مضادة للسادة بشدة/122/، والمؤرخ الكثيري السيد محمد ابن هاشم/142/، والسيد علوي الحداد/190/، والشيخ سعيد باوزير/114،

113/، والسادة محمد الشاطري وصالح الحامد/197، 193/، ومحمد باحنان الذي ينسب نفسه إلى قبيلة كنده القديمة/15/.

وكان محمد بامطرف الذي توفي مؤخراً في المكلا، حلقة الوصل بين علماء حضرموت القديمة والأدباء اليمنيين في عهد الاستقلال (أنظر عنه /13/) وتعد مؤلفاته التي لم تصدر جميعها بعد، عوناً لا يعوض لعلماء الأثنوغرافيا والمهتمين بالفلكلور/12، 115 - 119/. كما جمع العلامة السيؤني(نسبة إلى سيئون)عبدالقادر الصبان معلومات عن الزراعة والسكان البدو/179، 176، 40/ وعن فلكلورهم وعممها في كتابه "العادات والتقاليد في وادي الأحقاف" /180/ ومن موقعه في رئاسته لفرع سيئون للمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف عمل الصبان الكثير من أجل تطوير دراسة المنطقة وأحوالها.

أما الجوانب المختلفة للثقافة السلالية فتناولتها منشورات جعفر السقاف من سيئون /182، 183/. والعلماء من الشحر عبدالرحمن الملاحي وعبدالله الحداد/30، 107، 189/، ومن المكلا عبدالله باوزير، عبدالعزيز بن عقيل، سعيد بايمين وغيرهم/134 - 126، 11/. كما تظهر الدراسات الأثنوغرافية الهامة على صفحات المجلة العدنية "الحكمة" ومجلة "آفاق" في المكلا وفي المنشورات القليلة للمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف .

ولقد قدم المساعدة لوزارة الثقافة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، في العمل للحفاظ على العادات والتقاليد لشعبية، العلماء، من ألمانيا الشرقية. كما قد شارك المهندس المعماري ك. هـ. بوخو في وضع قائمة الآثار لفن العمارة التقليدية/204، 205/. وقام الاختصاصي في اثنوغرافيا البدو. ل. شتاين برحلات في مناطق سكن البدو في حضرموت وسقطرى في أعوام 1982م، 1985م، 1989م/ 277، 174 ص 83 - 90/. وقد ظهرت نتائج تعاون هذين الباحثين في الإصدار الإيضاحي التصويري الغني "حضرموت" /153/. وفي وقت واحد ظهر معه تقريباً ألبوم مجري مصور/82/. وأصبحت أهم خطوة في الدراسة الأثنوغرافية المتتالية، برنامج التسجيل والإحصاء لقرى ومدن ج.ي.د.ش الذي أقره عام 1983م المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف. وهذا البرنامج بما في ذلك الحصيلة المنظمة والمستمرة للمعلومات الأثنوغرافية، تنفذ بمشاركة الاختصاصيين الروس في علم الأثنوغرافيا.

* * *

إن التقاليد السوفيتية للدراسة الأثنوغرافية لحضرموت حديثة نسبياً. وقد كانت رائدتها ف. أ. كراتشكوفسكايا التي جمعت المعلومات من المصادر المكتوبة

والمؤلفات العلمية عن مساكن وملابس حضرموت/147، 149، 150، 148، 151/. أما الانطباعات المباشرة عن الحياة المعيشية المحلية والأخلاق فقد سجلها في السبعينات أ.غ.بيرسبكين (غيراسيموف)/21 ص 379 - 417؛ 22 ص 114 - 119/. وعلى الرغم إن الجمعية الجغرافية الروسية قد خططت للأبحاث والدراسات الميدانية في هذه المنطقة في القرن التاسع عشر، فأن الأبحاث الأثنوغرافية لم تبدأ إلا في عام 1983م، مع بداية عمل البعثة السوفيتية - اليمنية المشتركة.

في موسم البحث الميداني الأول(فبراير - أبريل 1983م) كشف مؤلف هذا الكتاب المناطق القبلية وجغرافية إسكان الطبقات الاجتماعية التقليدية في الجنوب الغربي لرافد وادي حضرموت- وادي دوعن - وادي الكسر، وجمع نماذج من الفلكلور الشعري والموسيقي، وبدأ في وصف أعمال وحياة السكان الحضر، ودرس المجموعات الأثنوغرافية لمتاحف ج.ي.د.ش في سيئون، المكلا، تريم، عدن/ 32؛ 36؛ 35؛ 34؛ 171 ص 33 - 34/.

وفي عام 1984م قام المؤلف بمعالجة معطيات الموسم السابق، وحدد اتجاهات ومنهج الأبحاث اللاحقة، وتشاور مع الأثنوغرافيين المستعربين في النمسا وألمانيا الشرقية ، وتعرف على مجموعات من حضرموت في متحف الأثنوغرافيا في ليبتزج. وفي وقت واحد مع ذلك سجل ب.إ. بوغوريلسكي، عضو الفريق الأثنوغرافي في البعثة السوفيتية-اليمنية المشتركة، النشاط الاعتيادي للسكان في وادي دوعن وقواعد آداب سلوكهم /165 ص 101 - 113/.

في موسم البحث الميداني الثالث (فبراير-أبريل 1985م) راجع المؤلف وأكمل المادة حسب الاتجاهات التي حددها في عامي 1983م - 1984م. وأعطى اهتماماً خاصاً لتصوير الزي التقليدي والمسكن ولوازم البيت وأشغال الحضر وشبه البدو الرحل في وادي دوعن وروافده/169، 170/.

في موسم البحث الميداني الرابع(أبريل - يونيو 1986م) انتشرت الأبحاث في المناطق الوسطى والشرقية لحضرموت الداخل، أي أن المؤلف حصل على إمكانية مقارنة الخصوصية الأثنوغرافية للغرب مع الخاصية العامة. وعند دراسة الحرف اليدوية قدم تحليلاً لآلية إعادة الإنتاج وتغيير التقنية. ودرس العادات المرتبطة بالاعتقادات الاعتيادية.

في الموسم الخامس(فبراير- مايو 1987م) أتاحت الظروف المناخية جوهرياً زيادة المعلومات عن منظومة الري بمياه السيول في غرب حضرموت. وجمع المؤلف معطيات جديدة عن الصناعة اليدوية، وتربية النحل، وطقوس قنص الوعل، ودرس علاقات الزواج الأسرية ودّون الفلكلور/170، 36/.

في عام 1988م استكملت معالجة المادة المجمعّة. وتعرف المؤلف على مجموعة أثنوغرافية خاصة بحضرموت، محفوظة في متحف فينا الأثنوغرافي، وعلى المخطوطات اليمنية من مجموعة جلازر في المكتبة الوطنية في النمسا وقسم الجنوب العربي في معهد الأثنوغرافيا التابع لجامعة فينا.

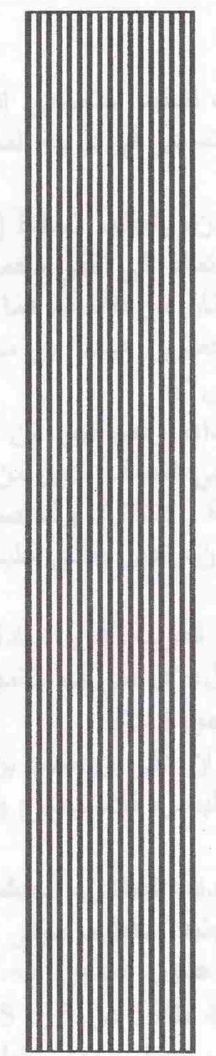
في موسمي البحث الميداني السابع والثامن للبعثة السوفيتية-اليمنية المشتركة (فبراير- أبريل 1989 - 1990م) ترأس المؤلف مجموعة القضايا الأثنوغرافية التي قامت بدراسة(أثنوغرافية، اجتماعية، لغوية)متكاملة لزراعة حضرموت (في عام 1989م - وادي عمد في غرب حضرموت، في عام 1990 - الهضبة الجنوبية الغربية والجزء الشرقي للوادي الرئيسي والشاطئ).

وعلى امتداد سنوات عمل البعثة السوفيتية - اليمنية المشتركة، جمعت قطع أثنوغرافية لمتحف بطرسبورج للأنثروبولوجيا والأثنوغرافيا الذي يحمل اسم بطرس الأول(6878، 6920، 6927، 6986 - تجميع م.أ.روديـنوف، و 6901 - تجميع ب.أ.بوغوريلسكي).

واستناداً إلى التجربة المتراكمة وضعت المجموعة برنامج منظور للأبحاث والدراسات المقبلة، والذي بدأ تنفيذه في موسم 1990م، ومهمته الرئيسية- دراسة الخصائص الأثنوغرافية والروابط بين أهم المناطق الطبيعية-الاقتصادية في حضرموت (الهضبة - الوادي - الساحل) لغرض وصف مناطقه التاريخية الأثنوغرافية من الداخل: الوسطى، الشرقية، الساحلية. وهناك عمل مماثل يجري تنفيذه في سقطرى من قبل زملاء البعثة الروسية-اليمنية المشتركة /160/. ويبدأ كذلك الاستيعاب الأثنوغرافي للمهرة، المنطقة التاريخية-الأثنوغرافية الثالثة بعد حضرموت وسقطرى.

أن الجهود المشتركة للباحثين الوطنيين والأجانب تضع أسس أثنوغرافيا الجنوب العربي.

الجزء الأول





الفصل الأول

التنظيم الاجتماعي

1-الفئات التقليدية (الطبقات)

صاحب الانقسام السياسي لجنوب اليمن قبل الثورة، تشتت اجتماعي. إذ أنقسم المجتمع إلى عدد من الفئات المرتبة حسب التدرج الاجتماعي في درجة المقامات- الطبقات الاجتماعية التقليدية.

إن المكانة الأكثر تميزاً في حضرموت، كما في عموم اليمن، يشغلها السادة (المفرد: سيد) ويطلق على النساء (شريفة). وهذه الفئة تدعى الانتماء إلى النبي محمدﷺ من جهة ابنته فاطمة، التي كان لها من علي ابن أبي طالب اثنان من الأبناء، هما الحسن والحسين. ويعتقد سادة حضرموت إن سلفهم هو الحسين أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر، من أحفاد الإمام السادس جعفر الصادق/47 ص67/.

ووفقاً لرواية النسب فأن أحمد بن عيسى ومعه ابنه عبدالله وعدد كبير من أنصاره قد انتقل من المدينة العراقية (البصرة) إلى حضرموت في النصف الأول من القرن العاشر، واستحق بذلك لقب المهاجر، أي أنه قام بالهجرة (الانتقال). وقد اصبح ابن حفيده علوي هو الشخصية التي يتسمى بها السادة المحليون، الذين يطلق عليهم اسم باعلوي.

خلافاً للمبدأ الصارم لخطوط الانتماء الأبوي للعشائر العربية، فأن السادة "أبناء الرسول" مستندين في ذلك إلى حديث للنبي محمد ﷺ يقول: "كل بني آدم ينتمون إلى عصبة إلاّ ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم" /122 مجلد 2 ص 245/.

إن أصل السادة كما هو جلي يثير الشكوك: تذكر التقاليد أن على بن محمد بن جديد بن عبدالله (ابن الابن لحفيد المهاجر) قد اتجه إلى سكان البصرة للاستيضاح والتثبت وبفضل شهادتهم "عزز النسب" /47 ص66 - 72/.

بين سادة حضرموت: العيدروس، السقاف، الكاف، الحداد، العطاس، الحبشي، بن الشيخ بوبكر، بلفقية، المحضار، مشهور، شهاب، السري، الجنيد، بافطيم، مولى دويله، الصافي، باعقيل، البيتي، با روم، مديحج، الخضر، مقيبل، بن حدون، مطهر، طه، البار، الهادي، الهندوان، السليله، طاهر وغيرهم/75 ص 36 - 40 ،190 ص 3 - 5/. وقد انقطعت بعض الأسر التي اشتهرت جيداً في الماضي (المساوى، الشيلي، مولى خيله).

في أيدي السادة، حسب التعبير المشترك في اليمن، تركزت "السلطة الروحية" /122 ج 1 ص 77/، والتي تقف فوق منظومة التقاليد القبلية للمجتمع المحلي، وقد قاموا بدور الوسطاء والمحكمين في المنازعات والمخاصمات. واعتقدوا أن الفضل والحكمة قد

انتقلا إليهم من بيت النبي بالوراثة. واعترف السادة بحق الحماية والشفاعة. وكان الحكام القبليون أحياناً ضعفاء أمام صيغة "وحق جدي" /257 ص 19/.

وهناك تأثير خاص مارسه المناصب – رؤساء عشائر السادة. أن كلمة المنصب لوحدها، وظهور الراية القبلية أو صوت الطبل القبلي، والتلويح بسعف النخيل أو الرداء، كان يوقف النزاعات والحروب الداخلية. من ناحية أخرى كان المنصب النشيط يستطيع بمهارة أن يذكي المزاج القتالي وتأليب القبائل ضد أعدائها. والسادة أنفسهم لا يحملون السلاح، ويعتمدون على القوة القتالية للقبائل: بن الشيخ بوبكر – على يافع، الحبيشي – على الكثيري، العيدروس – على تميم، العطاس – على الجعدة، الخضر على الدّين ،الحامد – على ماضي /122، مجلد 2 ص 118؛159 ص 141 – 156/.

كانت الوظيفة الرئيسية للمنصب الحفاظ على النظام في الأراضي الحمية (حوطة، هجر) حيث لا تسري قوانين ثأر الدم وغيرها من مظاهر القوانين القبلية الاعتيادية (طاغوت). إن هذه الأماكن المقدسة، حيث ترتفع في وسطها الأضرحة الطينية (القبة) لأتقياء المسلمين، قد خصصت منذ القدم للصلاة والتجارة وحل الخلافات. وبدون مثل هذه "الجزر الآمنة" في ظروف عدم الاستقرار الدائم وغياب السلطة المركزية النافذة، فأن البدو والحضر، ببساطة، لا يستطيعون العيش /266 ص 41 – 58/.

اقترنت "السلطة الروحية" للسادة مع ثقلهم الاقتصادي. ومن أجل "استقبال الضيوف" كان المناصب يستلمون العشر من قبائلهم "الخاصة" والهبات المقدمة (نذر–نذور) من قبل زوار تلك الأماكن المقدسة. وفي دولتي الكثيري والقعيطي استفاد السادة من الامتيازات الضرائبية، إذ أن الكثيرين كانوا معفيين كلية من الضرائب. وحسب شهادة ر.سرجنت فأن السادة أنفسهم كانوا يطلقون على المعفيين من الضرائب وبسخرية " آل با ثلاث كعل" أي " جنس بخصية ثالثة"، بسبب "قوتهم" الزائدة /257 ص 17/.

أثر السادة، كبار ملاك الأراضي والتجار، بحيوية خارج حدود حضرموت، على الأقل منذ القرن السادس عشر الميلادي، أما في القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين فقد وصلوا إلى أهم المواقع في الحياة العملية للهند (حيدر آباد، بومبي وغيرها)، وجنوب شرق آسيا (سنغافورة، جزيرة جاوه)،وشرق افريقيا (جزيرة زنجبار، الصومال، كينيا، أوغندا) /122، مجلد 2 ص 236 – 242؛ 224 ص 228 – 232/. ولأنهم يقضون الجزء الأكبر من الحياة في الخارج، فأن المهاجرين السادة، مثلهم مثل غيرهم من ممثلي فئات اليمن الجنوبي الآخرين، قد تزوجوا هناك نساء محليات: وهكذا ظهرت في جاوه المجموعة السلالية، المولدين – الحضارم المهجنين /122 مجلد 2 ص 349 – 350/.

نشط الانفصال المادي للسادة في العشرينات – الأربعينات من القرن العشرين، خاصة أعوام الحرب العالمية الثانية عندما انقطعت الروابط الاقتصادية مع المهجر. فقد

تخلى جزء من السادة الصغار الذين تعرضوا للفقر عن القيم الأخلاقية التقليدية لطبقتهم، وانتقلوا إلى الراديكالية السياسية.

تميز السادة بزيهم الخاص، إذ كانوا يلبسون قميصاً طويلاً أبيض اللون، وعمامة بيضاء (طاقية) وشال أخضر. واتبعت نساؤهم بصرامة "قاعدة التواضع" وكن يظهرن أمام الناس بثوب أسود ومنديل أسود، ويغطين الوجه بقناع أسود (برقع). وهنا فأن الذين "ينتمون إلى آل البيت" ويلبسون كالبدو ويحملون السلاح يدينهم السادة الآخرون، رغم أن أمثال هؤلاء "المتبدونين" كانوا غير قليلين: آل مولى الدويلة، الذين يعيشون بين قبيلة آل تميم في وادي المسيلة، وقسم من آل الشيخ ابوبكر في وادي عمد، وادي بن علي ووادي ساه، وسادة بيت حمودة في قبيلة الحموم، وقسم من العطاس في وادي حجر، والسقاف من غيل بن يمين وغيرهم /197 الجزء 2 ص 174 - 175/.

وفي اللغة (النطق ،نظام النبرات ، التلحين) تميز السادة أيضاً عن غيرهم من الطبقات. والنساء من " آل البيت " التزمن، بصرامة، بالزواج الداخلي، وقد نتج هذا عن شيوع، في العالم العربي، مبدأ زواج المطابقة (الكفاءة)، الذي سبق الإشارة إليه، والذي ينص: أن الرجل يمكنه أن يتزوج من نفس مستواه أو ممن هي أدنى منه من حيث العمر، لكن المرأة مرغمة أن تتزوج فقط ممن هو أعلى منها أو في مستواها. وسنتحدث لاحقاً عن ما يتعلق بتلك الحالة (أنظر الجزء الأول من الفصل الثاني الفقرة 3).

"السلطة الروحية"، ولكن بدرجة أقل مما لدى السادة، امتلكتها الفئة التقليدية الثانية من حيث الشهرة – المشائخ (مفردها شيخ).وفي اللغة العربية المألوفه فأن كلمة شيخ تعني زعيم قبيلة (في حضرموت – مقدم)، كبير السن ويحظى بالاحترام، أو رئيس جماعة صوفية. وفي حضرموت يطلقون هذا الاسم على مجموعة متوارثة، ترجع أصلها إلى (ولي) أو إلى مسلم ورع ومتعلم. وتشكل أضرحة أمثال هؤلاء الأتقياء مراكز حوطات المشائخ، المماثلة من حيث وضعها لحوطات السادة (انظر بالتفصيل /187 – أ ص 37 – 51/).

يوجد أيضاً لدى عشائر الشيوخ المؤثرين نظام المناصب: على سبيل المثال، لدى باعباد (المرتبطين بضريح هود "نبي حضرموت" الأكثر اعتباراً من بين المقدسات المحلية)، آل العمودي، باوزير وغيرهم. وفي التقاليد المحلية يطلقون على أسلاف المشائخ أنصار النبي محمد ﷺ : وهذا هو لدى باجبير شقيق علي أبن أبي طالب– عقيل، ولدى بافضل – سعد العشيره، ولدى عبدالمنيع – شعيب بن عمر، ولدى الخطيب – عبدالله بن بشر– قائد المفارز الإسلامية الأولى التي جاءت إلى حضرموت، وعند العمودي – الخليفة أبوبكر/ 190 ص 49؛ 257 ص 11؛124 ص 29/. أما الادعاءات الأكثر التي تستحق الاعتبار– فلدى شيوخ آل باوزير، الذين ينسبون أنفسهم إلى الجد محمد عباس من خلال علي بن طراد – وزير الخليفتين العباسيين (المسترشد

الذي حكم عام 512 هـ/ 1135م والمقتفي- 530هـ/1136م)، الذي تزوج من العباسة بنت محمد - أخت الخليفة الرشيد (529هـ/1135م). وقد انتقل حفيدهما يعقوب بن يوسف باوزير إلى حضرموت في القرن الثاني عشر الميلادي /10- أ ص 20 - 21، 40 - 41، 67، 74/.

أورد مؤلف "البدر المنير في رفع الحجاب من نسب آل باوزير" مزاحم باوزير، ستة عشر برهاناً في صالح الأصل العباسي لأسرته /10 - أ ص75 - 78/، ووضع هؤلاء الشيوخ تقريباً، في مستوى واحد مع السادة. غير أن كثيرين في حضرموت يجادلون في هذا النسب، معتبرين أن البرامكة الفرس هم أسلاف باوزير /124 ص 28 - 29/. أن التحكم بشجرة النسب لتعزيز وتثبيت الوضع الاجتماعي الأكثر سمواً عادة، يصطف في مخطط مماثل.

وفي "حياة" السيد أحمد المهاجر والشيخ يعقوب باوزير أشياء عامة كثيرة:

1- الانتماء إلى عرب "الشمال" (العدنانيين)، عبر عشيرة النبي محمد ﷺ مع انتقال صلة القرابة بالخط النسوي.
2- بواعث الانتقال إلى حضرموت بسبب الحج غير الموفق إلى مكة.
3- النشاط الديني والإصلاحي بين السكان المحليين، الذي صاحبته الشهرة والأعاجيب /191 ص 3 - 5، 47 ص 55 - 59، 10 - أ ص 47 - 49، 74/.

في الدراسات الأدبية تورد افتراضات عن أصل انتماء طبقة المشائخ (بعض الأسر تدعي نسبها إلى "ملوك كنده")، وعن ارتباطهم بالمعتقدات الشعبية الإسلامية، وبالطقوس "الوثنية" (على سبيل المثال، بالقنص الجماعي للوعل).وعلى الأرجح، مع فئة الكهنة في حضرموت قبل الإسلام /197 ج 2 ص 172، 224 ص 232). أما السادة، فعلى خلاف ذلك، يقترنون بالإسلام السني الرسمي للمدرسة الشافعية، وفي بعض الأحيان بنزعات صوفية. ويعتقد انه إلى زمن ظهور السادة في حضرموت امتلك كثير من الشيوخ هناك الأراضي الواسعة، وانهم تنازلوا طواعية عن جزء منها للسادة، بصورة معادلة كما هي تقريباً صلاحياتهم الدينية - القانونية. وقد تميزت العلاقة بين هاتين الطبقتين في الوقت نفسه بالتعاون والمنافسة.

فضلاً عما ذكر أعلاه فالأسر المشيخية المعروفة هي آل اسحاق، بن عفيف، باحمّيد، بامخرمة، باراس، باسهل، آل بريك، باجمال، باسودان، باعامر، باعشن وغيرهم. وقد حظي المؤثرين من المشائخ بالأحترام والتوقير أيضاً، كمثل السادة: تقبيل اليد (وأحياناً الرجل)، المناداة الخاصة حبيب"أي حبيب الله". وارتدى المشائخ الملابس كذلك مثل السادة، باستثناء انهم حملوا خنجراً مستقيماً. وقد سمح مبدأ زواج المطابقة لتزويج ممثلات طبقة المشائخ على وجهاء واعيان القبائل. وحافظت الكثير من أسر المشائخ على الصلات التقليدية مع القبائل: باعباد مع الحموم، باراس مع نوّح وسيبان، باسهل

مـع الجعـدة، آل اسـحاق مع الصيعر، باوزير مع العوائبة وغير ذلك. وجزء من أسر المشائخ حملوا السلاح ومارسوا أسلوب حياة شبـه مترحلة /197 ج 2 ص 171 - 172/.

وتلاحـظ أيضـاً العملية العكسية: جماعة من أفراد القبيلة التي فقدت قوتها القتالية، تسـلم أبـناءها لدراسة العلوم الدينية، وبانتقاله إلى مرتبة "مشائخ العلم". فأنه يمكن أن يـتحول مع الوقت إلى مرتبة "مشائخ الأصل". وفي وادي دوعن، حيث تأثير السادة كان ضعيفا، ومشائخ العمودي مشهورين بدرجة كافية، لم ينس حتى الآن المثل الشعبي الذي يصور عملية مماثلة:"من ينحط من الرجال، يدعي وقار الشيوخ" /124 ص 37/. ومثل آخـر سـجله كذلك ر. سرجنت/257 ص 14/، لازال شائعاً حتى الوقت الراهن في تلك النواحي:"الشيخ شيخ والسيد أيش من طير؟".

الطـبقة التقلـيدية الثالثة من حيث الشهرة القبيلي (جمعها قبائل، أعضاء القبيلة). والصفة المميزة للقبيلي - البدوي مربي الماشية أو المزارع الحضري - تتمثل في حق حمـل السـلاح، أي الجنبيه العريضة المعقوفة والبندقية (أكثر شئ بندقية المسكيت ذات بـارودة الشطف)، وفي مطلع القرن فإن السيف والرمح والترس الجلدي (درقه) أخذت تخرج عن نطاق الاستخدام. وكان القبيلي يرتدي الحزام المصنوع من القماش ونعال من الجلـد الخام، وفي الغالب كان حافي القدمين. وتميزت تسريحة القبيلي الراشد بوضوح عن تسريحة غير الراشد: الأخير لا يقع تحت طائلة القوانين القبلية، وعلامة ذلك وضع ناصية من الشعر(قمزوز). وفي طبقة القبائل كانت الأنساب ذات دلالة، ليس أقل مما لدى السـادة والمشائخ. قسم من أفراد قبيلة الدّين يسمون أنفسهم حميريين، والسيبان وبني زنـه –سـكان حضـرموت الأصليين، والكرب - خولانيين، والصيعر، بني محفوظ، بن دغـار، باكثير من تريس وقسم من الدين يعتبرون أنفسهم إخلاف الكنديين، وآل جابر - خزرجيين، وبني هلال يرجعون نسبهم إلى عدناني نجد وهكذا ادواليك. عادة فأن ظهور الأئـتلافات السياسـية على شكل صلات القرابة بالدم، قد أدى إلى تغيير رابطة النسب، التـي تتطلـب قوانين أنساب جديدة، ولهذا فأن هذا الصنف في آداب اللغة العربية، في المجتمع المنقسم إلى طبقات، كان ملحاً وغزيراً (أنظر، على سبيل المثال /10/).

خضع القبائل لأحكام قادتهم (نظرياً منتخبون، أما في الواقع فبالوراثة) الذين اتجهوا في الظروف الصعبة إلى الوسطاء السادة أو المشائخ. وسادت القوانين القبلية الاعتيادية أيضـاً فـي أوسـاط القبائل البدوية، كما في أوساط قبائل الحضر. والأساس في التقاليد القبلية هي عادة التبعية المتبادلة والمسؤولية المشتركة لجميع أفراد القبيلة ذوي الأهلية والحقـوق الكاملة. وقد وحد الالتزام الصارم بالثأر (كان ينتقم من جميع الرجال البالغين من قبيلة الجائر) جميع أفراد القبيلة في مواجهة الآخرين.

وفـي ظروف النزاعات والحروب الداخلية فأن بعض العادات القبلية قد سمحت، إلى درجـة معلومـة، للإبقـاء علـى الصلة بين مختلف أجزاء جنوب اليمن. ومن بين تلك

العادات قانون "المرافقة والحماية" (السيارة والخفارة)، عندما تأخذ القبيلة مسئولية أمن القوافل على أراضيها وبالقرب من حدودها ، حيث تخصص لها مرافقين من بين أفرادها. والهجوم على القافلة الذي يقودها مثل ذلك المرافق-القبيلي، كان يعني خوض الحرب من قبل كل أفراد قبيلته.

أن عدم القدرة على حماية المرافقين كان يعد عاراً. وكان لدى القبائل حلفاء عقدوا معهم اتفاقيات الحماية: شفوياً (صيغة الضمان "في وجهي" وتعني "شرفي هو الكفالة") أو كتابياً (عهد مزبور، وصر). وضيف القبيلة، الذي يتعرض للهجوم، كان ملزماً حسب التقاليد الوقوف إلى جانب المضيف، على الأقل في اليوم الأول للقتال /176 ص 28 – 29/. ويخفف من قانون "الدم بالدم" فدية الدم (ارش – دية). وكانت مخالفة القانون التقليدي تجلب للقبيلة بكاملها (اللؤم والشؤم) "سواد الوجه". ومن يخرق العادة كان يعاقب بغرامة، وإيقاع عقوبة الموت أو الأبعاد – المؤقت أو الدائم. والعقاب الأخير (النبذ) كان يعد أقسى من الموت /176 ص 35/.

في ثلاثينات القرن العشرين، كان يوجد في حضرموت الداخل اكثر من ألف فرع من القبائل المستقلة /80 ص 253/، الأبرز منها: المناهيل (على أراضٍ واسعة من ثمود في الشمال وحتى الساحل في الشرق)، الحموم (من وادي المسيلة وحتى مدينة الشحر)، السيبان (من الساحل عند مدينة المكلا وحتى وادي دوعن)، الصيعر (في المناطق الصحراوية إلى الغرب وإلى الشرق من الوادي الرئيسي)، نهد (غالباً في وادي الكسر وفي مجرى أسفل وادي عمد)، تحالف قبائل الشنافر (الكثيري، العوامر،الجابري، ممن تقع أراضيهم بين مدينتي شبام وتريم)، الدّين (إلى الشمال وفي الهضبة بين وادي عمد ووادي دوعن) /176 ص 20 – 22، 197 ج 2 ص 89 – 110/.

قبيل الحرب العالمية الثانية تسارعت عملية انتقال الملكية القبلية المشتركة إلى أيدي زعماء القبائل، وكثيراً ما مارسوا الربا أيضاً. وتنافس المهاجرون من القبائل في الخارج، وبنجاح، مع ممثلي الطبقتين الأرفع. وتراكمت التحولات الاجتماعية الاقتصادية بالتدرج، وكانت مهيأة لنسف البنيان الراكد لمجتمع الجنوب العربي.

بالمقارنة مع الطبقات الثلاث الأكثر تميزاً (سادة، مشائخ، قبائل) فأن دراسة الفئات الاجتماعية التقليدية الأخرى أسوأ، وهي تتميز بوضوح أقل /164 ص 45 – 47/. وغالباً (باستثناء العبيد وبعض المجموعات المنعزلة) يطلقون عليهم المفهوم العام "الضعفاء والمساكين" "الفقراء" وهؤلاء لم يملكوا الحق في حمل السلاح وكانوا في تبعية للطبقات العليا. ولقد تكونت التصورات عن هذه الطبقات الاجتماعية وغيرها لدى أعضاء البعثة السوفيتية – اليمنية المشتركة منذ الوهلة الأولى للبحوث الميدانية ونشرها س.ن.سريبروف.

فـي العام 1990م تبدو الخارطة خلافاً لذلك بعض الشيء. فبالفئات المسماة متميزة، لحقت طبقة القرويين، أو (قروان)، التي تعرضت على وجه الخصوص لتغيير قوي خلال الـربع الأخير من هذا القرن، وهكذا ففي إطارها دخل كبار التجار، البناؤن المحترفون، صـاغه المجوهرات والنجارون، الذين يعيشون في المدن والمراكز المهنية - التجارية. وعلى الرغم من الاشتقاق الشعبي، الذي يرجع أسم هذه الفئة إلى "قرية"، فأنها تأتي من الفعـل (قر) "أستوطن الحضر" (للمقارنة/ 211 مجلد 3 ص 30/) وتتطابق مع التعبير الشائع في مدن حضرموت الشرقية لأناس هذه الأشغال"مساكين حضر". وكان لأفراد هذه الفـئة وضعاً شخصياً رفيعاً، مثلهم أيضاً مثل مجموعة الحرثان (مفردها حرّاث "فلاح")، الـذي ينتمـي ممـثلوها في الغالب إلى سكان حضرموت القدماء (أهل البلاد). قسم من الحـرثان فـي حضـرموت الشـرقية، باقعـرة على الأرجح، بل وحقاً واحدة من اقدم مجموعـات السكان /209 ص 39 - 40/، وآخرون - متمحورون في أراضي القبائل، ويـتبعون قـبائل أخرى. وكان للحرثان الحق في امتلاك قطع الأراضي الزراعية، وهو ماكـان محضوراً على الآخرين "الضعفاء"، والحادثة المشهورة، عندما حاول الحرثان أن يكونـوا قبائل أو شيوخ، بمعنى حماية أملاكهم بقوة السلاح من الابتزاز، فقد قوبل هذا باستنكار السادة وعقوبات عسكرية من القبائل /209 ص 107 - 108/.

بعـد ذلـك تأتـي فئة المدينة، التي أشار إليها ف. دوستال وهو يصف مجتمع تريم بمصـطلح "مسـاكين - ضعفاء" /224 ص 232 - 233، 217 ص 13 - 15/، أما القرويون المحليون- فببساطة مساكين أو"حويك" (المفرد: حائك) /180 ص42/. واليهم ينتمـي النساجون، صابغوا النيلة، صانعوا الفخار، النجارون، البناؤن، القصابون، دباغو الجلـود، الجـزارون، السمكرية، الحدادون، السماسرة الصغار- دلالون (انظر الجزء 3 الفصـل 1 الفقـرة 1)، السـقائون، الأخدام. ولم تخلصهم الرفاهية المادية من الألقاب الوراثـية، التـي قـال عنها الشاعر الحضرمي محمد السقاف بانقيل: هاهو الحائك، أو المسـكين، مـن يخـدم عمله المجتمع. (اقتباس من /180 ص 43/). أن المساكين - الحضـر والمساكين - الضعفاء - هم الفئات الرئيسية لأبناء البلد الذين تضمهم الأحياء العامة لتلك المدن، مثل تريم وسيئون.

وفـي حضيض العلاقات الاجتماعية يقع الأجراء والعمال السود، الذين ينضوون في حضـرموت في المجموعة الخاصة "نفس الضعفاء" وأحياناً يطلقون عليهم "أخدام". وفي بعـض الأحـيان يضعونهم أدنى من العبيد في نظام الملائمة الزوجية. وفي قاع درجات المقامـات الاجتماعـية يقـع كذلـك الصـبيان. (مفردها صبي"خادم") وهم يخدمون في الأعـراس، الجـنازات، وفـي عـدد من مراسيم الاحتفالات الرسمية والأسرية، وأدنى مجموعـة صـبيان في حضرموت هم (الحجور)، الأرجح، نسبة إلى وادي حجر، حيث

استوطنوا بصورة متراصة. والضعفاء (الأخدام)، جزء من الصبيان والعبيد ولهم مميزاتهم الجسدية التي تدل على أصلهم الأفريقي.

أولى القوانين، التي منعت تجارة العبيد، ظهرت في حضرموت فقط في عام 1938م (كانت محدودة، واتبعت في السلطنة القعيطية ولدى بعض القبائل). وحينها كان في حضرموت حوالي 4 – 5 آلاف عبد. الكثير منهم خدموا السلطان، وحملوا السلاح، وشغلوا مناصب رفيعة. ولم تسر عليهم القوانين القبلية الاعتيادية، ولذلك استخدمهم السلاطين ، وبالأكثر القادة القبليون الصغار في الأغراض العسكرية. وقد جُلب العبيد غالباً من أفريقيا، مع أن هناك حوادث معروفة، عندما يأتي القبائل المهاجرون بزوجات من الهند، وبعد الطلاق كان يتم بيعهن كرقيق. هـ. انجرامس يؤكد أن: " بعض القبائل البدوية، كالصيعر كانوا عادة يختطفون العرب الآخرين من الأماكن القصية وبيعهم في حضرموت. وقد أنذر السيد أبوبكر الكاف واحداً منهم. فأعاد هذا سؤاله: أأبيعهم؟ بالطبع، أنا أبيعهم. لو أنني أستولي على المحترم مفتي تريم، لكنت بعته" /80 ص 293/.

هذه هي أهم طبقات المجتمع التقليدي في حضرموت. وبقيت فقط خارج إطار الوصف مجموعات متخصصة ذات قرابة بالدم (الموسيقيون الجوالون أتباع بن علوان، وشعراء باعطوه وآخرون) /274 ص 18/. وقد انعكس الانقسام الطبقي في الأشغال والاستيطان، والملبس والكلام الحي، وأنظمة الزواج والمهام في الطقوس الجماعية المشتركة. ومع إنها رسمياً قد ألغيت، فأن كثيراً من مظاهرها باقية حتى الآن.

وهكذا، فأن درجات مقامات النفوذ (من الأعلى إلى الأسفل) يمكن تصورها في المجموعات التالية:

1- السادة.
2- المشائخ.
3- القبائل.
4- القرويون، الحرثان، المساكين – الحضر.
5- المساكين الضعفاء.
6- الضعفاء (الأخدام).
7- الصبيان.
8- العبيد.

بيد أن هذا النظام سيثير الجدل في أوساط الحضارمة حتماً: فليست دقيقة جداً المصطلحات، التي تعرف المجموعات (4، 5، 6) والوضع الخاص لأفراد المجموعة (8)

كـان فـي بعـض الأحيان (عبيد السلاطين وعبيد القبائل القوية) أعلى من وضع ممثلي المجموعتين (6 و7)، بل وأحياناً (5).

إن درجـة مقامـات الـنفوذ ليسـت واحـدة المقاييس لترتيب الطبقات الاجتماعية التقليدية. فالانتقاء وفق مبدأ زواج المطابقة، الذي أوردة عبدالقادر الصبان /180 ص 33 - 34/ يعطي ترتيباً آخر:

1- السادة.
2- السـلاطين (هكذا حتى عام 1940م سمي أعضاء الأسرة الحاكمة في سيئون وتريم من آل الكثيري، وفيما بعد وحتى الثورة سميوا أمراء).
3- القبائل.
4- المشائخ.
5- القرويون (حرثان، مساكين - حضر).
6- مساكين (حويك).
7- عبيد.
8- ضعفاء.

وبالنسبة لغرب حضرموت، فعلى الأرجح إن الجدول الأمثل هو التالي:

1- السادة.
2- المشائخ.
3- القبائل.
4- القـرويون أو الحـرثان (بما في ذلك تجار الريف، والمتعلمون الذين لم يدخلوا في المجموعة الثانية، وعلماء القرآن والكتبة والمعلمون).
5- المساكين.
6- الضعفاء (المستأجرين والأجراء ومختلف العمال ....الخ).
7- الصبيان.
8- العبيد.

ويمكن تسمية أفراد المجموعة (7) وأحياناً (6) أحياناً أخداماً.

2- التركيب الأثنوقبلي

أن الـتجوال فـي أودية حضرموت الغربية (وادي عمد، وادي دوعن، وادي العين والجزء الجنوبي الغربي لوادي الكسر)، والذي قامت به المجموعة التاريخية-الثقافية فـي البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة خلال الأعوام 1983- 1989م، قد أظهر خارطة

المنظومة الأثنوقبلية للسكان. في وادي عمد كُلف بدراسة الاستيطان والأنساب عضو المجموعة التاريخية - الثقافية أ.د.كنيش.

وادي عمد

(الغرب الأقصى من أودية منطقة الدراسة، المسافة من الأعلى إلى المصب -أكثر من 70كم)

في هضاب الوادي تقع مدينة حريضة، التي أضحت في مطلع القرن السابع عشر الميلادي حصناً للسادة آل العطاس. ومن هنا انتشر تأثيرهم، فأنشأوا البلدات- الحوطات (على سبيل المثال المشهد، في وادي دوعن) أو تحصنوا في المراكز السكانية القديمة. في القسم الأوسط من وادي عمد وضعوا تحت إشرافهم نفحون، حيث أنشأوا الزيارة السنوية الوحيدة في الوادي مترافقة مع سوق دوري (أنظر الجزء الثاني، الفصل الثاني، الفقرة الأولى). إلى الجنوب، في مدينة عمد، اقتسموا السلطة مع السادة آل الحامد، المستندين على قبائل آل ماضي. يعيش السادة كذلك في عنق، خنفر (الحبشي) وفي بعض البلدات الأخرى. إلى الشمال-الغربي من حريضة تقع عندل، التي ذكرت في شعر شاعر ما قبل الإسلام إمرئ القيس، مركز مشائخ باجابر. وهنا تمر الحدود الجنوبية للمنطقة القبلية نهد (فروع آل بشر وآل فارس)، الذين يدعون الانتماء إلى الحميرين القدماء - القضاعيين.

من بلدة عنيبات بعيداً إلى الجنوب، تقريباً حيث تتموضع أعلى مدينة عمد حصون الظبة، تمتد أراضي قبائل الجعده، التي تنسب نفسها إلى بني مره - العدنانيين. وينتمي الجعدة، الذي أقاموا في الوادي، إلى واحد من الفروع الثلاثة لهذه القبيلة - الى سَلَمَهْ بن حامد. وحسب كلمات محدثنا من حبب- ناصر عبدالله بن شملان (حوالي 65 عاماً)، المعروف بالمقدم، فأن صيغة سليمة - سليمو تعني "أعقاب أبنت سليمان" - ظاهرة جلية لحساب خط الأم في النسب (عند البكري - سلمه بن سليمان، وعند الشاطري - آل سالمة /122 مجلد 2 ص 94 ؛ 197 الجزء 2 ص 162/).

ومن الفروع كثيرة العدد للجعده نذكر سكرة (عنيبات، مقتباكه شرج الحموس، مسوّر، آل حمود)، آل علي بن عامر (المقدف، وغيرهم)، آل سليمان بن علي،(علاه) كريشان (دار الكريشان، الجرشة)، آل بن نوبان (الشّروج)، آل سرحان (سوبه) ، مّسلم (شامخ)، آل حامد (رحم وغيره)، آل هلابي (زاهر، نفحون، مسيلة آل هلابي وغير ذلك)، المراضيح (جدفرت المراضيح سريواة)، بالخشر (رحب)، آل عامر بن علي (منخوب)، بن الشيبة (عنق وغيرها)، آل لجذم (النّعير)، بن شملان (شظية، حبب،عمد وغيرها) جاحز- حصن مشائخ آل العمودي.

تبتدي جنوبي مدينة عمد أراضي قبيلة آل ماضي التي تنتسب إلى بني هلال- العدنانيين. ويشغل فرع باسويدان، بن ذُف وبن عقيل طمحان، وآل بامَسْلَم - بامهشم، بن يسلم -الدوبه ، السمح، وآل مبارك، آل لميق من آل مرعي يسكنون في حِبْره والوجره. آل سويدان، الذين يسكنون كذلك في ترامول (ترُومّل) والوجرة، يعترفون بمشائخهم آل العمودي (الشعبة) ويعتبرون أنفسهم، كبني عقيل، حميريون في الأصل، دخلوا في قبيلة آل ماضي. وحسب الرواية، فأن الشخص الذي سمي باسمه السادة آل حامد جاء بالاسم ماضي إلى أعلى وادي عمد من البويرقات (وادي العين).

أقصى جنوب الوادي يقطن آل باصليب (حلة باصليب) من قبيلة المشاجرة، التي تسيطر على قسم من الهضبة بين وادي عمد ووادي دوعن.

وتتشتت في أنحاء الوادي قبائل متفرقة، يسمون أنفسهم أحفاد مقاتلي السلطان الكثيري بدر بوطويرق، الذي تمكن في القرن السادس عشر الميلادي من توحيد جميع حضرموت تقريبا إلى حين. ومن بينها - آل كثير (المناطق الشمالية لحريضة ، جاحز)، يافع (خربة باكرمان، قرن بامسعود، رحب) ويؤكد الحرثان آل باجبير أنهم فرع من قبائل نهد، شردهم السلطان بدر. ويربطون باسمه أطلال الحصون (على سبيل المثال، في عنق).

في مطاولة تسكن قبائل آل تميم - النازحون من أقصى شرق حضرموت، من قسم إلى شرج آل بن سالم - فرع قبيلة سيبان. وفي زاهر يسكن الكنديون-المشائخ آل بأقيس، وإلى خميلة بايزيد، البلدة الأقصى جنوب الوادي، نزح المشائخ آل بايزيد، الذين يعتقدون إن جدهم محمد بايزيد السبتاني قد جاء إلى هنا قبل ستة قرون خلت من تركيا (وحسب رواية أخرى فأنهم أيضاً كنديون). وفي قرى مَخْيَة وشرقي باتيس استوطنت قبيلة باتيس، التي ارتحلت في زمن ما من وادي جردان إلى الهضبة شرقي وادي عمد (مشائخهم - آل العمودي). وفي قرية رحب، ورغم تواجد السادة آل الحامد، فأن السلطة الروحية على القبائل كانت في أيدي مشائخ آل باوزير.

عدا الأسر المشيخة المذكورة، كان النفوذ الروحي في الوادي لكبار ملاك الأراضي من مدينة عمد: مشائخ باعشن، الذين كان أسلافهم يؤمون الصلاة، التي تقام حتى الوقت الراهن أثناء شعائر طلب المطر (الاستسقاء)، ومشائخ بشخر وغيرهم. بيد أن معظم المشائخ الذين ينتمون بشكل خاص إلى فئة "شيوخ العلم" كانوا على الدوام يؤكدون وضعهم "يعززون النسب" وهذا يخص قبل كل شئ المشائخ - الحرثان (المشائخ - الفلاحين): ال باخليفة من نفحون، حيث كانوا قضاة ومسؤولين عن شبكة قنوات الري، وباكرمان من خربة باكرمان، وباحسين من النعير وغيرهم. وكان آل باكوبن من رباط باكوبن يدّعون لقب الشيخ، الذي حصل علية سلفهم من السيد علي بن حسن العطاس وتصاهر مع مشائخ حريضة بالوراثة آل باسهل.

ومـن بيـن أسر الحرثان يتميز آل باسليمان (شرقي باسليمان) (انظر الجزء الثاني الفصـل 1 الفقرة 1)، آل بارميم، آل باهادي (مدينة عندل)، آل باسليم (جاحز)وغيرهم. والأسـر الحرفـية المعروفة: الفخاريون آل بابريجه، النجارون آل باطرفي، الصاغه آل باحشـوان وغـيرهم. (انظـر الجـزء الثاني الفصل 1 الفقرة 3). ويوجد أعقاب العبيد والصبيان - ممثلو الطبقات الدنيا.

وادي دوعن

(بين وادي عمد ووادي العين، المسافة من المنابع
إلى الملتقى مع وادي عمد اكثر من 80 كيلو).

اقتصـر ظهـور السادة آل العطاس من حريضة في وادي دوعن على أسفل الوادي، حيـث تـم خـلال الأعوام 1747 - 1754م / 9 ص 27، 185/ تأسيس وبناء حوطة المشـهد (أنظـر الجـزء الثاني، الفصل 2 الفقرة 1، الجزء الثالث الفصل 2 الفقرة 3)، والتي نظمت فيها زيارة سنوية مع سوق دورية. وقد أتيح لهم أن يتثبتوا ويتعززوا هنا بمـؤازرة مشـائخ آل بـن عفيف، الذين ينسبون إلى ملك كندة شرحبيل /7 ص 131، الملاحظة 1 /.

يدعي الكثير من المشائخ المحليين الانتساب إلى كندة. من بينهم - قبيلة بن محفوظ التـي تقطـن أسـفل الـوادي (خرير، نحوله، صيلع) والتي تحسب في الغالب مع قبيلة الصيعر /197، الجزء 2، ص 150 /. وفي وادي غبر، في الرافد الغربي للوادي، يمتلك آل البطاطي اليافعيون قرية القزة. كما توجد أراضي قبلية أخرى تحيط بها:

اليافعيون - آل يزيد في الهجرين وخريبة، الذيباني في خريبة والشرقي، العسكري في جبيل، الحميقاني في حصن باسعد، عوابثة - كراديس في غار السودان، الحميريون - بلعُبيد في قيدون، بني هلال - باعوم في باشعيب ......الخ.

ومـع ذلـك فأن الجزء الأكبر من الوادي، بما في ذلك الروافد الجانبية الكثيرة أعلى الـوادي إلـى "اليمين" (الغربية) و"اليسار" (الشرقية)- وادي ليمن ووادي ليسر، عبارة عن أراضي قبلية للسيبان ونوّح، وكذلك الكثير من مشائخ آل العمودي.

وتـتألف قبـيلة سيبان مع عدد من الفروع المستقلة: الحالكة- بقشان (ميخ، خيلة القبلية، خيلة الشرقية)باجعيفر (حصن لبيضي، حصن الجعافرة)، بابلغوم (حيد البلاغيم)، بانخـر (صـيف)، بابلغيـث (كوكة، الريدة) بلحمر (حوفة) الخنابشة (الجحي،الجديدة)، الخامعـة - باسـلوم، باصـرة، باقديم، القثم (قارة بن سلوم، مصنعة باصرة، الخليف، القبلـي، مطروح، الرشيد، الشق الشرقي، شويطة)، المراشدة (شويطة، الخالف)، سُمح (رحـوب، الخريبة، الخالف)، باعارمة (نسرة، مصنعة بابلعوم، لباه، خالف، حبرة)، آل

بوحســن (حصــن آل بوحســن، عرض باهصيم)، باحشوان (هدون)، الصدف (الرباط). وبشــكل عام فأن السيبان ينسبون أنفسهم إلى الحميريين – سكان حضرموت الأصليين، القحطانيون في الأصل /190 ص 84 – 85/.

ويســمى قبائل نوّح أنفسهم قحطانيين من "أصل حميري" /7 ص 135/. وتسكن في الــوادي فــروعهم، بامعس (أرض باسويد، قرن ماجد، الجديدة)، باحكيم (قرن باحكيم)، باحميش (قــرحة باحميش)، باصم (حصن باصم)، بصفر (المحصن)، بابطين (الزاهر)، باجندوح (جبيل).

كان النفوذ الكبير على سكان الوادي (وكذلك جزئياً في وادي عمد المجاور) لمشائخ آل العمــودي. وفــي حصنهم قيدون تلتقي طرق التجارة مع الساحل، والوادي الرئيسي لحضــرموت الداخل ومع وادي عمد، وشيدت قبة الشيخ سعيد العمودي، التي تنظم إليها زيــارة سنوية، يصاحبها سوق كبرى. وكان آل العمودي يشرفون على صيف المجاورة، فــيل، خديش، بلاد الماء، قرن ماجد، بضة (حيث يقع مقر منصبهم)، حصن عبدالصمد، لجــرات، خريــبة (التي أصبحت المركز الإداري للقعيطي بعد ضم الوادي إلى السلطنة)، وفــي وادي ليسر سيطروا على سبيح، ضري، حوفة، حيد الجزيل، خلف باعبود. (حول صراع آل العمودي مع القعيطي أنظر لاحقاً، الفصل 2 الفقرة 2).

وباســتثناء الســادة أل العطــاس، الذين كانت زيارتهم في المشهد الثانية من حيث الصــيت بعد زيارة قيدون، فأن تأثير آل البيت هنا أقل بكثير مما لمشائخ العمودي. وكان يســكن هنا أيضاً آل العطاس بين سكان قرى باحكيم، الرباط، صبيح، حوفة. وفي نصف القــرن الأخــير من عمر الدولة القعيطية ازداد نفوذ السادة آل المحضار (فرع بن شيخ ابوبكــر)من حويبة والقويرة (حيث يقع مسكن منصبهم ومن حيث تنظم الزيارة السنوية إلــى ضــريح النبــي هدون[1] بن نوح، والذي سمي الوادي ليمن على شرفة بأسم وادي النبــي). والســادة المعــروفون باروم من آل خرد (القرى السكنية، خديش، بلاد الماء، بضــة، حصــن عبدالصمد)، البار (منصب في القرين، وكذلك يسكنون في الخريبة، قرن باحكــيم) المقيبلي (الدوفة)، باصرة – غير المختلطين مع فرع سيبان!– (سبيح،حوفة)، بــن شــيخان (ضري)، الجفري (الخريبة، الرباط، رحاب، حوقة)، الصافي، والعيدروس (الخريــبة، الرباط)، الحبشي (الغبره، رحاب، الرشيد، باشعيب)، باعقيل (حصن باسعد)، الكاف (الهجرين)، السقاف (حوفة).

ومن المشائخ نذكر باراس (الخريبة)، باعشن (الخريبة، الرباط)، باسندوه (الرباط)، باجنــيد (عــرض باهيصم، العرصمة)، باناجي (الرشيد) باعشر (بضة،القرين)، باجابر (الجدفــرة، العادية)، آل اسحاق (خريخر)، باوزير (حبير، خيلة القبلية، العرصمة). وإلى

---

[1] هــدون: قــرية كبــيرة فيها قبر طويل يقال إنه قبر هادون بن هود علية السلام ولا ذكر له في السيرة والتاريخ وليس هدون بن نوح كما جاء هنا (المترجم)

"شـيوخ العلـم" ينتمي بلخير (غيل بلخير)، بازرعه (الرشيد)، والمنحدرون من الحرثان بايونس، ومن الضعفاء - با بكى.

وفـي اكـبر المراكز السكانية للوادي (من 1000- 3000 نسمة) يعيش المزارعون بالوراثة، الحرفيون والتجار- الحرثان: بلفخر، باشندوف، بادحمان وباخديش (الهجرين والقـرى المجاورة لها)، بازهير وبالسود (قيدون)، باسعد وباحُميد (بلد الماء)، باحسن (العرصـمة)، باوهـاب (بضـة)، بانبيلة (لجرات والخريبة)، باعبيد وباخريبة (رحاب)، الخريبـي (القويـرة)، باطاهـر وباحويرث (الخريبة)، زايد وبايونس (تولبة)، بالبيض وبايُسر (ضري)، باسبيل (حوفة).

يـنحدر كـبار الـتجار من طبقة القرويين (باسمبل في جبيل، وخسوفر، باعبود في الرشيد) ومن طبقة المشائخ (بامشموس في القرين، وبازرعة في الرشيد).

ويعمـل الصاغة باحشـوان فـي الهجرين، العماري - في العرصمة، باعلي - في الخريـبة، والـنجارون آل كثيري - في الهجرين، باطرفي - في جبيل، القرين، القويرة وسـبيح، وباطويحـنة - فـي القريـن، وصانعوا الفخار باخضر- في صيف وعرض باهصـيم، بابُـريجة - فـي العرصـمة وجبـيل، ودابغوا الجلود باخضر- في الدوفة، والحدادون آل حداد - في العرصمة ورحاب.

واخلاف الصبيان الذين قطنوا في أنحاء الوادي (نذكر فقط العشيرة الكبيرة آل بوفلح مـن لجـرت، الزاهـرة، حرف مراه)، ومثلهم أعقاب العبيد (الجدفرة، بلاد الماء، قرحة باحميش، عرض باسويد، حرف مراه ...الخ.

وادي العين

(المسافة من النقطة المأهولة الأولى في الجنوب إلى التقاء وادي الكسر في الشمال بحدود 40 كم).

أن الـوادي عـبارة عن أراضي قبلية للعوابث ومشائخهم آل باوزير، ويقطن هنا أيضاً الحرثان وغيرهم من ممثلي الطبقات الدنيا السابقة.

وحسب المعطيات الأستيبانية فأن العوابث عبارة عن اتحاد قبلي ، تدخل فيه قبائل لا توحدها رابطة النسب المشترك /124 ص35/، وتنسب بعض الفروع نفسها إلى العوالق ونهـد وغيرهما. استوطن العوابث آل بازار على امتداد الوادي كله: بن كردوس - في حصـن الكراديس، بن فاجع - في منهب وحصن بن فاجع، آل بكير - في حصن آل بكير ...الـخ. ويسـكن الصـبارون في منهب ، حريه ، القاهر ،المرافي ، باعنس في تييس وقـربه . وكان المقر العام لمقدم العشر من فرع الصبارين في قرية الجربيات، أما مقدم

جميع العوابث (الذي كان يُختار من آل بن فاجع فرع آل بازار) فكان يقع في البدء في قرية الخشم، ومن ثم في حصن الكراديس.

كان لمشائخ آل باوزير في الوادي منصبان: أحدهما – منصب أسفل الوادي من أسرة المؤسس أحمد بن أبوبكر (قرية السافل)، والآخر – منصب كل الوادي من آل محمد بن علي (قرية الباطنة). ويعيش آل بن عبود في با مكاين، وآل بن عبداللطيف في المرافي، وآل باعبود في صيق باعبود الخ. وهناك مشائخ يتواجدون في عذب ، مراوح ،لقلات ،تبكل ، شعران ، جعيبور ، البويرقات ، جريبات ، منهب ، منيزة ، الجبيبة ،الخشم ، حارخ ، القاهرة ، شرج الشريف .

وليس هناك من يدعى السلطه الروحية ، غير مشايخ آل باوزير. وهنا فقط عائلتان من السادة : بن حبزن من عشيرة بن الشيخ ابوبكر ، في قرية منيزه ، وكذلك آل العطاس في عذب ، الذين انتقلوا منذ فترة من حريضة.

معظم الأراضي تركزت في أيدي مشائخ آل باوزير ورؤساء قبائل العوابثة. وكان يعمل في فلاحتها بعض ممثلي هاتين الطبقتين، ولكن في الأساس كان يزاول ذلك الأجراء، العبيد والصبيان. وقد أستخدم العبيد في الزراعة (زراعة النخيل، إنتاج الحبوب)، وكان يملك آل باوزير (النقاط المأهولة : لقلات، البويرقات، بامكاين، المرافي، قوبر) والعوابثة (حصن الكراديس جريبات، منهب). ومن العجيب أن الحرثان بانوب من قرية المنيزه كانوا يملكون أيضاً عبيداً، وهذا يبين انحدارهم من الجوهيين (قبيلة سيبان) الذين خضعوا للعوابثة، وتمحوروا في الوادي قبل خمسة قرون خلت /124 ص 35، 37/.

أسافل الوادي – عذب، مروح، لقلات والسافل – تُسمى شروج وادي العين بسبب أراضيها الزراعية الواسعة نسبياً. وهنا يعيش الحرثان باعسكر (عذب). با سلسله من لقلات والسافلة ، باجواد من تبكل . استوطن آل بن سلم من السافلة في الشمال ، الى جريبات جارخ وحصون بكير في الجنوب . ونذكر ايضاً بارفاع من شعران ومنهب ، باميدع من الباطنه ، باسودان من الخشم ، والمزارعون باعطية من المرافي وقربه ، باخله من زيمخ وضيق باعبود . وفي غيضة العليا وغيضة السفلى يشتغل بالزراعة المستأجَرون السابقون – الصبيان ذوي الأصول الأفريقية: حجور – النازحون من وادي حجر.

ومن بين الحرفيين بالوراثة – الحدادون السابقون، صانعو الأسلحة، والصاغة الحاليون باقطيان، والصاغة باعلي من شرج الشريف، والنجارون آل الكثيري من البويرقات، الخشم، خريخ، والنساجون باكلاكل، والحدادون آل حداد من المركز الحرفي البويرقات – اكبر التجمعات المأهولة في الوادي.

هــذه هــي خارطة السكان والتسميات الاصطلاحية للطبقات الاجتماعية الرئيسية في الـثلاثة الأودية الرئيسية في حضرموت الغربية. ونضيف إلى ذلك وصفاً للجزء الغربي لوادي الكسر، الذي يدخل في امتداد منطقة الدراسة كملتقى الثلاثة الأودية المذكورة.

وادي الكسر

(جنوب قرية المنبعث والعجلانية)

إن القبيلة الأكـثر نفـوذاً في هذه المنطقة هي نهد – القحطانية بالنسب. وتسكن فروعها في النقاط المأهولة التالية: المنيف في الخماس والقفل، المكارم – في فدخ، بن ثابـت - فـي بحران وشريوف، المتفرعين عن بن ثابت البقري – في ديار البقري، آل عجّـاج - في قعوضة، حيث يقع مقر الحكَم القبلي، الذي يتجه إليه ليس فقط النهديون، وإنما قبائل وادي عمد.

وتـدعـي الانـتماء إلـى كندة قبائل بن ربّاع الذين ينقسمون إلى باصيعري (قرية كرعـن) وبن فارس (سدبة). وإلى قبيلة الحموم تنتمي قبيلة آل مخاشن: آل محمد بن علـي (قـرية القـاره)، آل عمـر بن سعيد (الظاهره)، باخنجرة وآل سعيد (عرض آل مخاشن)، آل عمر بن محمد (باسويد).

وفـي حـوره يقـع أحد مراكز مشائخ آل باوزير (الذين يقطنون أيضاً في النقعة). ويوجـد في سدبه مشائخ آل إسحاق، في عرض آل مخاشن- باجنيـد، في حـوره – آل موفـس وباسلامه (ويُسمى الآخيرون "تقريباً مثل المشائخ"). وكان يسكن السادة آل العطاس في الروضة المهجورة حالياً وفي كرعن.

مـن القروييـن وأخـلاف الطبقات الدنيا نذكر العشيرة كثيرة العدد آل بايعشوت من كرعـن ، حورة وعرض آل مخاشن، منقوش من النقعه، باسبولة من حوطة الحويمل، باسـرور مـن قعوضه ...الخ. ومن بين الحرفيين-الصاغة آل باحشوان، النجارون بن دهري، والحدادون آل حداد (جميعهم في حوره)، والنجارون آل كثيري في ارض بوزايد، والنسّاجون السابقون آل بازرقان في سدبة.

ما هو تعداد سكان حضرموت الغربية وديناميكيته خلال المائة عام الأخيرة؟

فـي عام 1886م كما ذكر ل.فان دين برغ أنه كان يعيش في الأودية الثلاثة 25 ألف نسمة. وفي العام 1931 أعطى د.فان ديرميلين ولنفس تلك المناطق أيضاً الرقم 29500 نسـمة. وحسـب معطـيات هـ. انجرامس لعام 1937م، فأن تعداد سكان أودية عمد، دوعـن، العيـن وغرب وادي الكسر قد بلغ نحو 63,000 نسمة /203 ص 91؛88 ص 65، 82، 90، 75 ص 11 – 12/. وفـي أثـنـاء ذلـك الوقت فأن سكان حضرموت

بكاملها قد تضاعف من ثمانينات القرن الثامن عشر الميلادي إلى ثلاثينات القرن العشرين من 150,000 نسمة إلى 260,000 نسمة /75 ص 11/.

في ثمانينات القرن العشرين كان يسكن في وادي عمد تقريباً 34,000 شخص، وفي وادي دوعن – بحدود 38,000 شخص وفي وادي العين – أكثر من 15,000 نسمة، وفي غرب وادي الكسر– بحدود 14,000 نسمة، أي اكثر من 101,000 نسمة بشكل عام، دون احتساب الهضبة، حيث يوجد أيضاً عدة آلاف من السكان (جرى الإحصاء على أساس معلومات تم الحصول عليها من أقسام الإحصاء في مديرتي دوعن والقطن، ومعلومات من الصحافة، أنظر/127 ص19، 20؛ 25، 24 ص 16/). نشير إلى أن تعداد السكان في جميع حضرموت في عام 1988م قد بلغ 626,000 نسمة.

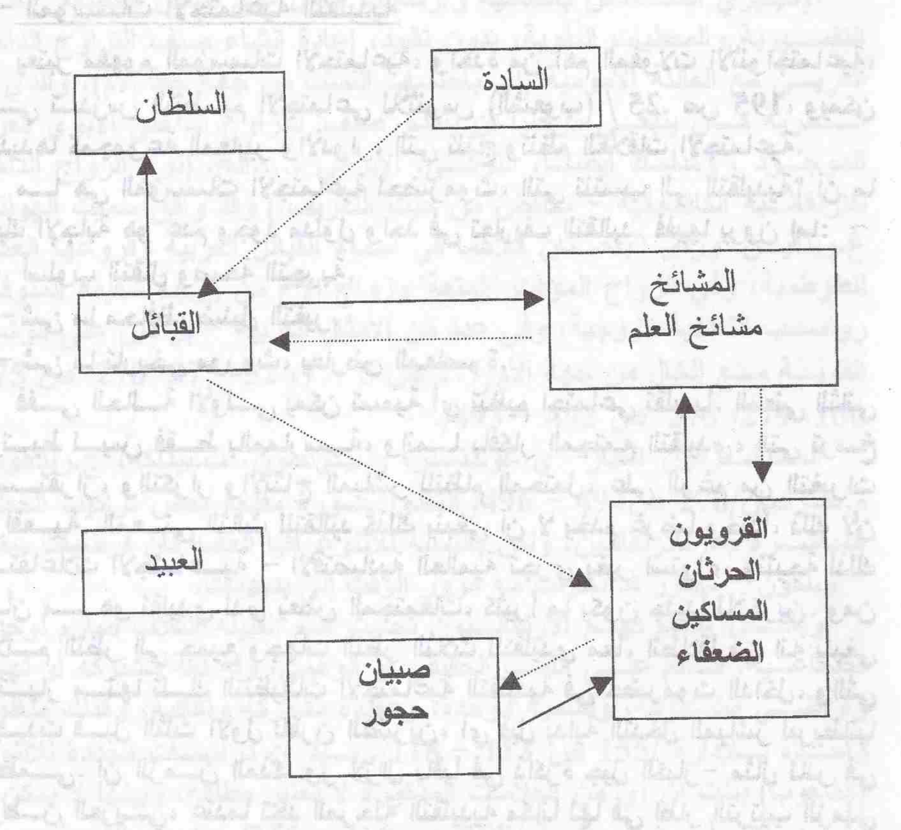
من الجلي، انه خلال الخمسين عاماً الأولى تضاعف سكان منطقة دراستنا وجميع حضرموت تناسبياً- تقريباً مرتين. وفي الخمسين عاماً الثانية فأن هذه الوتيرة قد انخفضت كثيراً في حضرموت الغربية، وارتفعت بشكل عام في حضرموت بصورة حادة. وهذا يرتبط قبل كل شئ بنمو المدن خارج حضرموت الغربية (المكلا، سيئون، القطن وغيرها)، وربما للهجرة الكثيرة من تلك المنطقة. ومن الهام أن التجمعات السكانية الكبرى في الغرب – حريضة (2000 نسمة) والهجرين (2500 نسمة)لم يتغير تعداد سكانها خلال نصف القرن الأخير.

ومن الصعوبة تحديد العلاقة التناسبية للطبقات الاجتماعية التقليدية. ففي حريضة في ستينات القرن العشرين كانت حسب إحصاءات أ.بوجرا: السادة 30%، المشائخ 4%، القبائل 28%، الحرثان 10%، الأخدام (الضعفاء)21%، الصبيان 7% /209 ص 12-13/. وفي الوقت الحاضر ازداد الثقل النوعي للسادة عدة نسب مئوية، لكن التناسب المشار إلية لازال باقياً بشكل عام. ومع ذلك فأن هذه النسبة صفة خاصة لحوطات السادة الكبيرة، التي تحيط بها أراضي القبائل (زيادة على ذلك فأن القبائل في عدد من المدن الأخرى، على سبيل المثال، في تريم، تنزح خارج حدود المدينة). لقد تنوع التركيب الاجتماعي للسكان في التجمعات المأهولة المحددة وفقاً وطبيعة الاستيطان (أنظر الجزء الثاني، الفصل 2 الفقرة1). ففي وادي عمد كانت الغلبة للقبائل، من جانب واحد، وممثلي طبقات الحرثان والمساكين والضعفاء -من جانب آخر، أما السادة والمشائخ فكان لهم نصيب مؤثر فقط في قرى قليلة. وفي وادي دوعن كانت الغالبية تتألف من الحرثان، المساكين، الضعفاء، وكذا مختلف القبائل ومشائخ آل العمودي وغيرهم. وفي وادي العين أنقسم السكان إلى ثلاثة أقسام متكافئة: القبائل (العوابثة)، المشائخ (باوزير) وممثلو الطبقات الدنيا (المساكين، الضعفاء، العبيد، الصبيان).

وتلفت الانتباه الحركة النسبية للسكان. وعلى ضوء المعطيات الأستيبانية فأن التركيب السلالي – القبلي الحالي قد تكون على مدى 4 –11 جيلاً مضت. وفي كل أسرة تقريباً يوجد من واحد إلى ثلاثة رجال يعملون في الخارج. وفي بعض الأماكن، هنا وهناك، وعلى وجه الخصوص في وادي دوعن، فأن هذا العدد اكثر بكثير: في بضة مقابل 2,600 من الساكنين 5000 مهاجر، وعملياً فأن الرجال الكبار في شرق يعملون في الخارج. ويعزز نجاح المهاجرين من الوضع الاقتصادي للجماعة الأسرية – العشائرية، أما الهجرة الصغرى (الانتقال إلى مكان الإقامة الجديد داخل حضرموت) فتغير الوضع الاجتماعي. وتستطيع الأسره القديرة لمشائخ العلم والقبائل أو القرويون (المساكين) الحرثان/الضعفاء ، أن يرفعوا وضعهم بتغييرهم لمكان سكنهم، أما أولئك غير القادرين (إي الذين نزلوا من المنظومة المحلية السابقة ولم يسجلوا في الجديدة) من أسر المشائخ أو القبائل فيمكن أن يتحولوا إلى الحرثان والمساكين أو الضعفاء. وهكذا فأن باراس، الذي انفصل عن قبيلة العوالق، وبامخرمة، المنفصل من قبيلة سيبان، قد أصبحوا مشائخ. أما الكنديون آل بن محفوظ، الذين نزحوا من وادي دوعن إلى وادي عمد (مصينعة بن محفوظ) فقد "نزلوا" إلى وضع الحرثان، واعترفوا بالتبعية لقبائل آل ماضي.

بالنسبة للعبيد فأن انتقالهم إلى وضع أخر كان استثنائياً. ومع ذلك فأن وضعهم الاجتماعي كان يتبدل وفقاً لتبعيتهم – للقرويين، القبائل، المشائخ، السادة أو السلطان. وكان عبيد السلطان في بعض الأحيان يعينون كعمال، وقادة حاميات، وذات مرة كان ممثل السلطنة القعيطية في الهجرين عبداً.

إن انعدام الحدود الكأداء بين الطبقات الاجتماعية التقليدية في حضرموت (باستثناء طبقتي السادة المنغلقة والعبيد) يتبين في المخطط التالي:



مخطط. الحراك الاجتماعي في المجتمع المنقسم طبقياً:

←——— إمكانية الانتقال إلى الطبقة الأكثر علواً.

←......... إمكانية قبول أسلوب حياة الطبقة المتدنية مع الحفاظ على النسب السابق.

←----- إمكانية الانتقال إلى الطبقة الأدنى.

3- المؤسسات الاجتماعية التقليدية

يعتبر مفهوم المؤسسات الاجتماعية، واحدة من أهم المقولات الأثنواجتماعية، التي تدرس التنظيم الاجتماعي للأثنوس (الشعوب) / 25 ص 195، ويمكن تحديدها كمجموعة المعايير والأدوار، التي تنتج وتنظم العلاقات الاجتماعية.

ما هي المؤسسات الاجتماعية لحضرموت، التي تنتسب إلى التقليدية؟ أن ما يربك الإجابة هو عدم وجود مدلول واحد في تعاريف التقاليد. ففيها يرون إما:

أ- أسلوب انتقال وصحة التجربة.

ب- شئ ما محافظ، ضئيل التغير.

ج- شئ ما تاريخي موروث، يعارض المعاصرة.

ففي الحالة الأولى يمكن تسمية أي تنظيم اجتماعي تقليدياً. المعنى الثاني مرتبط ليس فقط بالممارسة، وإنما بأفكار المجتمع التقليدي، التي ترسخ الاستقرار، والتكرار والإنتاج المباشر للنظام المحتمل، على الرغم من التغيرات الواقعية. المعنى الثالث للتقاليد كذلك ينبغي أن لا يخدم غرضاً وحيداً، ذلك لأن التفاعلات الاجتماعية - الاقتصادية العالمية تجري بغير استواء، ونتيجة لذلك فأن ما هو تقليدي لدى بعض المجتمعات، كثيراً ما يكون جديداً للآخرين. ومن اللائم النظر إلى جميع وجهات النظر الثلاث للتقليدي معاً، انطلاقاً من انه ينبغي اعتبار منها تلك التنظيمات الاجتماعية التقليدية في حضرموت الداخل، والتي وجدت قبل الثلث الأول للقرن العشرين، أي قبل بداية التدخل المباشر لبريطانيا العظمى. إن الزمن المذكور لازال باقياً في ذاكرة جيل الكبار- مثال نادر في الوطن العربي، عندما تجد المرحلة التقليدية مكاناً لها في إطار الترتيب الزمني للراهن الاثنوغرافي (عن ذلك أنظر/ 199 ص 7 - 15/).

في جنوب الجزيرة العربية (اليمن)، كما هو بشكل عام في منطقة شمال أفريقية-غرب آسيا التاريخية - الأثنوغرافية، فأن مبادئ التنظيمات الاجتماعية التقليدية عادة يعُبر عنها في مصطلحات قبلية، ولها مظهر قبلي. ومع ذلك فأن مفهوم "القبيلة" و"العشيرة" حتى الوقت الحاضر، يعتبر من المسائل الأكثر جدلاً في العلوم الاجتماعية. وسنقوم بجولة سريعة في تاريخ المصطلحات وعملية استخدامها في المصادر الوطنية والعربية.

في ثمانينات القرن التاسع عشر الميلادي، عالجت أفكار علماء الأثنوغرافيا الارتقائيين إ.ي.باخوفين، ج.ماكلينان، ي.تايلور، ل.غ.مورغان، القبيلة كأهم حلقات المؤسسات الاجتماعية البدائية /198 ص 207 - 252/، وكانت تطبق أيضاً على موضوعات الشرق الأوسط.

الإنجليزي المتخصص بالسامية و.رسميث حاول على أساس المصادر الكتابية التفسيرية والمعطيات اللغوية، بدون تقييد، إعادة إنشاء صنف التزاوج الداخلي العربي مع العائلة الأمومية (أي باحتساب النسب من جهة خط الأم)، والذي في النظرية كان ينبغي مرحلياً أن يتقدم "صنف" التزاوج الداخلي الأبوي العربي الموجود ، وكذلك أيضاً، التركي، الإيراني .....الخ. (نوع الزواج الداخلي للإرتقائية الكلاسيكية – مناقض من حيث التعريف.) وقد وافق سميث الهولندي غ.ويلكين. ورأى الباحثان كلاهما في أسماء القبائل العربية وفروعها انعكاساً للطوطمية، وفي الزواج المؤقت "المتعة" وزواج الأخ من زوجة شقيقه المتوفى- رواسب التعددية الزوجية، وفي عدد من الأمثال العربية – براهين على الوشائج القوية مع الخال من جهة الأم/271 ص 5 – 7، 32 – 37؛ 270 ص 75 – 100، 279؛ 276 ص 492 – 493/.

المستشرقون الكبار – ي.غولدتسير، ر.نيكولسون، ت.نيدلكه، ج.ريدهوس، م.هرتمان/276 ص494 – 496/ انتقدوا بصورة مقنعة بعض تراكيب الخطوط المباشرة جداً للارتقائيين، ولكن بالنسبة للأثنوغرافيا العامة فأن فرضيات سميث – ويلكون – تايلور قد تحولت مع مرور الوقت إلى بديهيات.

وبشكل عام فهم الأرتقائيون تحت أسم القبيلة ائتلاف صارم لوحدات اجتماعية، قائم على النسب الحقيقي أو الوهمي، وله لغة مشتركة أو لهجة، وأراضي مشتركة، وتسمية موحدة، وعقيدة مشتركة وثقافية، وكذلك منظومة واحدة للإدارة /155 ص 113 – 118/. بيد أن دراسات محددة للأثنوس (الشعوب) بينت أن أي من العلامات المذكورة لا تعتبر مطلقة، وبينها لا يمكن أن تضع تلازم أو حدود صارمة /198 ص 216 – 226/. وأصبح التعريف محاطاً بإضافات، واشتراطات، وظهرت له أشباه للغاية ("مجموعة أثنية." وغيرها.) ومشتركات لفظية (ب.مالينوفسكي: "القبيلة – الأمة" كحامل للثقافة و"القبيلة – الدولة" كشكل للتنظيم اجتماعي) /242 ص 252 – 260/.

في عام 1967 كرست ندوة لمسائل القبيلة، نظمتها الجمعية الأثنولوجية الأمريكية. وقد وحّد المشاركون فقط اليقين بعدم الرضى للنظرية الطبقية /227، 198 ص 228 – 230/. أما زيادة تأويل الكلمة، كما يحدث هذا غالباً، فلم يأت بوضوح أكثر.

خلال ربع القرن الأخير تغير وضع المسألة قليلاً، وأحجم الكثير من العلماء الأجانب عن استخدام مصطلحات "قبيلة" و"عشيرة" مستبدلين ذلك بعبارات ملطفة مختلفة. وفي الممارسة الوطنية فأن التشويش يعقد المفاهيم المتعددة لكلمة قبيلة، والتي تعني:

1- الجيل، السلالة.
2- الشعب، أجمالي المولودين المحليين.
3- النوع، الجنس، العرق.

في الاستخدام الاعتيادي لـ "قبيلة" و"عشيرة"، تبدوان كمترادفين، أو ينتكس تطويعها (حسب ف. دال: السلالة القبلية، كأن تكثر القبائل أو الأجيال" /23 ص 124/).

في المؤلفات العربية القروأوسطية وضعت منظومة مفصلة للمصطلح القبلي /120 ص 92 - 93/، ومع ذلك فلا توجد قبيلة واحدة في الوطن العربي، يتطابق نظامها مع تلك التراكيب الكتابية، وجزء من المصطلحات غير معروف للبدو وبمنتهى البساطة، وجزء يشمل دائرة عريضة أكثر لمدلول المعنى. وهكذا فكلمة قبيلة، بالارتباط مع سياق الحديث، تعني اتحاد قبلي، قبيلة كبيرة، قبيلة صغيرة، مجموعة عشائر أو أسر، وزيادة على ذلك، فأنها لا تستخدم فقط بالنسبة للقبائل (فممثل السادة أو العبيد يمكنه القول:"قبيلتنا....").

وفي حضرموت تستخدم مجموعة كبيرة من المصطلحات القبلية:

1- زي أو طعيلة - أكبر رابطة قبلية، والتي تطابق اتحاد القبائل (إذا حافظت الفروع الداخلة فيها على أنسابها المستقلة، على سبيل المثال طعيلة الشنافر) أو القبيلة (إذا تعرضت الأنساب للتوحيد، على سبيل المثال زي سيبان). عن مفهوم "القبيلة" أنظر/ 111 ص 8 - 30، 163 ص 176/، مع أنه في حضرموت الغربية، يتقبلون هذه المفاهيم كمميزات للجزء الشرقي من المنطقة، أما في الغرب فيستحسنون مصطلح "حلف" (أحلاف) - اتحاد قبلي.
2- القبيلة أو من يدخل فيها من القبائل.
3- آل، فصيلة ، بن-فروع قبيلة، مجموعة أسرية - عشائرية، عشيرة.
4- بيت، دار- عشيرة. من جملة مدلولات "قبليه" مصطلح "مكتب" ما يعني العشيرة التي تمحورت على الأرض للأشراف على المساحة (حامية).
5- عائلة - أسرة غير منفصلة، أو منفصلة (أنظر الجزء 3 الفصل 1الفقرة 1).

مفهوم "فخيذه" يمكن إرجاعه إلى المستويات 3 - 5. أما مصطلحات الفروع القبلية- "عشيرة"، "بطن" وغيرها - فلا وجود لها عملياً في حضرموت (للمقارنة./188 ص 18 - 19/).

تبرز القبيلة كمؤسسة اجتماعية تقليدية رفيعة، كاتحاد وطيد، أرفع نسبياً، للجماعات الاجتماعية، القائمة على أساس القرابة المصرحة، وكذلك على الروابط الاقتصادية والمناطقية.

إن القبيلة العربية (الحضرمية) - هي كائن سلالي اجتماعي، أو أثنيكوس، يتألف غالباً، من عدد من المجموعات القائمة على القرابة والتزاوج الداخلي، المنفصلة في بنائها. /128 ص 10 - 11، 35، 245 ص 325 - 350/.

وعلى مستوى القبيلة تقام الحدود العليا للتضامن القبلي، وفي الغالب، يتم الإخلال بها، لأن النزاع - أحد المبادئ الرئيسية للانفصال إلى فروع. إذا بدأت أعداد الفرع القبلي تتضاعف بدرجة قصوى، فأن الإخلال بالمساواة الاقتصادية، كافياً إلى درجة ما لأي عذر شكلي للانقسام. وفي النتيجة فأن الأقلية من الائتلاف تطرد عادة، خارج الحدود السابقة. ومثل هذا الصدام كان يمكن أن يحدث في إطار الأسرة الواحدة (آل). وهكذا، ففي نهاية القرن التاسع عشر، انفصلت من العشيرة النهدية آل ثابت (وادي الكسر، قرية شريوف)، عائلة جديدة-آل (بيت/دار) بكري، والتي شيدت القرية المحصنة ديار البكري، وقد استمر النزاع حتى نهاية ثلاثينات القرن العشرين.

أدت عملية الانتقال إلى الحياة الحضرية إلى زيادة أعداد الجماعة القبلية، لكنها أضعفت الوحدة القبلية. وقد حدثت اكثر الاشتباكات الداخلية والحروب الداخلية بين القبائل في حضرموت الغربية عند الحضر أو شبه الحضر النهدين، والسيبان والعوالق، بينما كان الصيعر، الذين تنطبق عليهم صفة المتر حلين، يعضدوا التضامن القبلي الداخلي، محولين النزاع إلى خارج حدود القبيلة.

رافق الأنقسام إلى فروع عملية القبول في عضوية القبيلة ودمج مجموعات من خارج القبيلة مع الاحتفاظ بتركيبتها وهو، على الأرجح، ما يتجلى في العناصر الثنائية في التنظيم الاجتماعي لكثير من شعوب منطقة شمال أفريقيا-غرب آسيا التاريخية الأثنوغرافية. والنموذج العربي التقليدي لتلك الثنائية، التنافس القديم جداً (منذ القرن السابع الميلادي) بين "العدنانيين" (الذين ينقسمون بدورهم إلى جماعتين قبليتين متنافستين، ربيعة ومضر) و"القحطانيين" (الذين ينقسمون إلى حمير وكهلان).

وفي حضرموت الغربية تتجلى الثنائية في التنظيم الاجتماعي لغالبية الطبقات التقليدية: محكمتان قبيلتان عند النهدين، ومنصبان (مفردها:منصب)عند سادة حريضة آل العطاس......الخ.

كانت علاقات الأمر والنهي في القبيلة ومكوناتها تتم عبر قبول الأدوار الاجتماعية (أنظر أعلاه فقرة 1، فصل 2 فقرة 1 - 3، الجزء 3 الفصل 1، فقرة 1 - 2).

وكان زعيم القبيلة المقدم (وليس الشيخ كما يسميه الشماليون) يتقاسم السلطة مع الحكَم القبلي - الضليع بالقوانين الاعتيادية (عرف، طاغوت). وقد

أشـرف الحكـم على الأعمال التي تخص الشرف القبلي، وكان باستطاعته تحديد العقوبـات المختلفة بما في ذلك حتى النفي من القبيلة. وذاع صيت بعض هؤلاء المحكميـن خـارج حدود قبيلتهم (على سبيل المثال، النهديين)، وكان يقف على راس عـدد من المقدمين المقدم الأكبر، أو النقيب. وفي جهاز القبيلة كان يوضع جهـاز مـناقض لسـلطة الدولة: ففيما إذا تمكنت القبائل أن تضع تحت سيطرتها الأراضي الثابتة مع سكان الحضر، فان الأكبر من المقدمين يُلقب بلقب سلطان.

عـن التنظـيم الاجتماعي للسادة والمشائخ ودورهم كمجلس تحكيمي تحدثنا سـلفاً، فـي الفقـرة 1. نضيف فقط، أن السادة قد أنشاوا لغرض تنظيم العلاقات القانونـية وعلاقات الملكية نقابة (سجلت في حضرموت من القرن الخامس عشر المـيلادي. /197، ج 2 ص 76 – 81/)، حـددت بشكل خاص الرواتب ونظام العمل للأجراء، والحرفيين والبنائين.

وفـي أربعيـنات القـرن العشرين، وعلى أساس النقابة وتحت الاسم ذاته تم إنشاء أولى الاتحادات النقابية العمالية المستقلة للضعفاء والحرثان /177–178/. وكـان لدى طبقة القرويين والحرثان كبار الأعيان (عاقل أو أبو)، وهم في الغالب رؤسـاء الأحـياء السـكنية (حافـة–جور "حي"). وكان المسؤول عن الأنشطة العمومـية في إصلاح العقد الرئيسية لمنظومة الري هو "خيّال". أما الحوادث ذات الصـلة بقضـايا الأرض، فكان يقوم بحلها عدي (خبير بالعادات). وكان القاضي المسلم يعنى بقضايا الوراثة والأوقاف وتوزيع الصدقات (صندوق عام للمحتاجين وعابـري السبيل والطقوس العامة). وكان يعقد ويفسخ الزواج (الوظيفة الأخيرة كـان يقوم بها كذلك شخص متخصص – عقاد). وفي حكومتي القعيطي والكثيري كانـت تدخل ضمن اختصاصات القاضي المسائل المتعلقة بـ "الحياة والموت". أما مساعد القاضي فكان يدير مكتب الأحوال– تسجيل المواليد والوفيات.

وهكـذا، فـأن التنظيمات الاجتماعية لحضرموت، بصرف النظر عن مظهرها القبلـي، قـد اسـتندت إلى عادات ما قبل الإسلام للسكان الحضر وعلى التطبيق الإسلامي. وكانت جملة خصائص الأدوار والصفات الطبقية بمثابة رموز للسلطة: الـرايات، الدفـوف وكذلـك مجموعـة الأنصـاب التذكارية ذاتها – القبُب لدى المناصـب، وكذلك الآثار العشائرية الأخرى (العصا عند آل العمودي، الخنجر عند آل باوزيـر، وجنبية الأسلاف عند بعض زعماء القبائل، والسيوف الموروثة عند السلاطين).

الاستنتاجات

إن انقسام المجتمع، أو بمعنى آخر وجود ، درجات المقامات القاسية الى حد ما للفئات الاجتماعية التقليدية (الطبقات)، صفة مميزة لكل العربية الجنوبية (اليمن). وتنشأ درجات المقامات هذه على قاعدة زواج الكفاءة ونظام الأنساب المعلنة (الخاضع للتصحيح تبعاً لصلة الارتباط) وعلى تركيبة تقسيم الوظائف الاجتماعية. إن التشابة مع الطبقات الهندية جلي، ومع ذلك فأن عدم وجود القداسة الدينية للطبقات في اليمن وحضور قابلية الحراك الاجتماعي للطبقات لا تجيز لنا مطابقة الطبقات مع الكاستا (طبقات المجتمع الهندي).

ولمنظومة الطبقات العربية الجنوبية في حضرموت خصوصيتها. هنا لا تتمثل البعض من حلقاتها، على سبيل المثال، طبقة القضاة اليمنية الشمالية أو الأخدام، التي تتطابق في الواقع المحلي مع الصبيان والجماعة الأدنى الضعفاء. ولا تتبنى عدة رموز وضعية، ففي اليمن الشمالي فأن الجنبية في الخصر الى اليمين- علامة الانتماء إلى طبقة رفيعة، وفي الوسط - إلى الطبقة الوسطى، وعلى اليسار - إلى الطبقات الدنيا. أما في حضرموت فأن الجنبية، غالباً، صفة خاصة بالقبائل. ويشار إلى جماعة الصبيان المحلية ذات الأصل الأفريقي - حجور.

إن التركيب الأثنو- قبلي لحضرموت الغربية غير متجانس، كما بينت الأبحاث الميدانية. فكل واحد من الثلاثة الأودية الرئيسية ومناطق روافدها تمثل مجموعة متعددة من القبائل والطبقات الاجتماعية: وادي العين القليل السكان هو الأكثر تجانساً، أما وادي دوعن فالأكثر تنوعاً. وعلى الخلفية القبلية القحطانية فأن السمعة الأكثر يتمتع بها الكنديون.أما القسم الهام في التركيبة السلالية-القبلية لحضرموت الغربية فتشكلة القبائل وممثلو الطبقات الدنيا السابقة. لقد تشكلت الخارطة السلالية - القبلية المسجلة منذ 100 - 200 سنة مضت، زد على ذلك أن النزوح (الهجرة الصغيرة)، كقاعدة، قد غير الوضع الاجتماعي للنازحين، وفي بعض الأحيان انتماءهم الطبقي.

تؤثر على الأوضاع الديموغرافية في حضرموت الغربية عملية النزوح، الشديدة بشكل خاص في وادي دوعن، من حيث تجئ ميازب السكان. أما الحضارة المدنية النشطة فعلى الضفاف وفي المناطق الوسطى، ولامست الغرب بضعف.

كان للتنظيم الاجتماعي لمجتمع حضرموت التقليدي شكلاً قبلياً. وكانت القبيلة تحقق المستوى الأرفع (والأشد ضعفاً) للتضامن، واستطاعت آليتها الغالبة أن تتوسع على حساب الدولة. وتتميز المصطلحات المحلية، المرتبطة بعلاقات الأمر والنهي عن تلك السائدة في وسط وشمال الجزيرة العربية، ولكنها قريبة من

العربية الكلاسيكية. إن قواعد الانقسام والضم، كخاصية للكيانات القبلية السلالية - الاجتماعية، قد أثارت النزاعات، وتتقوى بقدر انتقال القبائل إلى الحياة الحضرية.

وكانت الأهمية القصوى أيضاً للتنظيمات الاجتماعية التقليدية للسكان الحضر- الأحياء السكنية والإنتاجية....الخ، والتي جاء بعضها من الحضارة اليمنية القديمة. وقد رسخت المؤسسات الإسلامية وحافظت على قوانين الشريعة. على هذه الأسس الثلاث، وفي ظروف غياب السلطة المركزية، جرى إنشاء الآلية المحلية للضوابط الاجتماعية.

الفصل الثاني

من تاريخ حضرموت

1- الماضي الحضاري: الأساطير والواقع

كـيف يقـدم أنفسهم حملة الثقافة السلالية المحددة وماضيها؟ وبأية معالم تاريخية يتميزون؟ وأي الأبطال يتذكرون؟

من الأحاديث مع سكان حضرموت الغربية، فأن أقدم مراحل الحضارة المحلية ترتـبط لديهـم، عـادة بقوم عاد – ورد كثيراً ذكر عاد في القرآن الكريم، الذين أهلكهـم الله بعـد أن كذبوا نبوة هود.(القران الكريم 11: 52 – 63، 46: 20 – 28 ..الخ).

ويعتـبر الثموديون السكان القدماء لحضرموت الذين كذبوا كذلك النبي صالح (القـرآن الكريم 11: 64 – 71)، وأصحاب الرس الذين لم يصغوا للنصح. وفي تسـمية إحـدى مناطق حضرموت (ثمود) ترسيخ لذكرى الثموديين، وحسب أحد الـتأويلات فـأن الرس- مدينة في حضرموت، إلى حيث نزحت بقايا الثموديين / 236 ص 583، ملاحظـة 11/. وقـد انـتظر جميع الذين كذبوا الحقيقة العقاب المحـتوم. فالـثموديون الذين "جابوا الصخر بالواد" (القران الكريم 89 : 8) أي انهـم شـيدوا منشـآت الـري "فـأهلكوا باطاغية" (69 : 5)، وربما، بفيضانات المـياه،أما قـوم عـاد "فأهلكوا بريح صرصر عاتية" فأصبحوا من جرائها "كأنهم أعجـاز نخلٍ خاوية" (69 : 7)، أن صور الكوارث الطبيعية مألوفة في حضرموت الداخـل – ويوجد في حضرموت الشرقية ضريح خالٍ لهود (مشهد)، وفي وادي سر (إلى الشمال الغربي من سيئون) – ضريح خال للنبي صالح، وفي حضرموت الغربية (وادي ليمن) – ضريح خالٍ لـ "هدون"، ابن هود، بيد أن أي من الخرائب القديمـة(الأسوار، المعابد، الآبار، المقابر) تنسب فقط لقوم عاد. أن أسماء أمكنة العاديات تدل عن كثب ، على وجود مساكن مهما كانت متقادمة.

فـي وادي دوعن (خريخر، الهجرين، القزه) وفي وادي عمد (حريضة، نُعير، عمـد) سـمع المؤلـف عـن كـنوز قوم عاد – صناديق من الذهب، اختفت في الخرائب، وهذه الحكايات لا تختلف كثيراً عما دونه ك.لندبرغ تقريباً قبل مئة عام مضت /236 ص 278، 290/.

الوصـف الجلـي للسكان الأسطوريين لريبون (أطلال مدينة قديمة في مجرى أسـفل وادي دوعـن، حيث تقوم البعثة السوفيتية – اليمنية المشتركة ومنذ عام

1983م بالتنقيب الأثري) تلاه علينا منصب حريضة علي بن أحمد العطاس (توفى في عام 1988م عن عمر ناهز الثمانين عاماً). في مؤلفة "نفحة المسك المفتوت من أخبار وادي حضرموت" ورد: "من مآثر الحضارمة – ريبون. وبقايا الأبراج المشيدة من الحجارة الصخرية، يقال أن ملكها، أي هذه البلاد، أفقد عذرية ألف فتاه، وأخضع ألف مدينة أو الله يعلم كم العدد. أما هي (ريبون) – فإلى غرب من المشهد. ويروون عن نسائهم إنهن كن يسرحن صباحاً لرعي أغنامهن في مرتفعات وادي حجر وكن يرجعن في نفس اليوم، وهذه الرواية تستند إلى مقالة أبي حمزة اليماني. إذ قال، أن طول كل واحد من رجالهم سبعون ذراعاً، أما ابن عباس فقال: ثمانون ذراعاً، وقال الكلبي، أن طولهم كان مائة ذراعاً، والأقصر منهم – ستون ذراعاً. وهب /بن منبه/ قال: إن راس كل واحد منهم كان يشابه القبة الكبيرة....."/ 6 ل 13 /.

لقد ترسخ التصور التقليدي عن قوم عاد وأعيد إنتاجه لدى الحضارمة في المدارس القرآنية. بعض سور القران، وبشكل خاص "هود" (11)، "الأنبياء" (21) "الأحقاف" (46)، فهمت وتفهم حتى الآن كخاصية حضرمية. والأحقاف – كمرادف لوادي حضرموت – بلد الأراضي المتصدعة ("الخلاء"، "الكهوف" عند ك.لاندبرغ أو "الرمال" عند إ.ي. كراتشكوفسكي /236 ص 150 – 160 ؛ 29 ص 411/). يسود كذلك رأي أورده الرحالة القروأوسطي ابن المجاور /81، ج 2 ص 281؛ 69 ج 2 ص 86/، وهو أن بعض قوم عاد، الذين نجوا من الهلاك، قد سكنوا في جبال ظفار وفي جزيرة سقطرى والمصيرة، وامتازوا بطول قامتهم ولغتهم الخاصة بهم، وإليهم ينتمي المهريون (للمقارنة/ 236 ص 160/).

بالنسبة لسكان حضرموت الغربية فان المرحلة اللاحقة للماضي الحضاري بعد عهد عاد كان ظهور الكنديين في مجرى وادي دوعن والقضاعيين في وادي عمد، الذي سمي في غابر الزمن وادي قضاعة. وتعرف هنا جيداً الرواية التاريخية العربية العامة عن أصل انحدار الكنديين المحليين، الذين انتقلوا في الزمن القديم إلى وسط الجزيرة العربية في أراضي قبيلة معد، حيث ظهرت فيما بعد مملكة كنده لحُجر آكل المرار /81 ج 2 ص 246/.

الهمداني في القرن العاشر الميلادي كتب أن غرب حضرموت – هي بلاد كنده/45 ص 85/. وبعض باحثي المنطقة اعتبروا انه كان يقع في الغرب (في الهجرين) مركز كنده الرئيسي دمون، التي أضحت في العصر الإسلامي مقر الوالي الأموي، الذي أقصاه فيما بعد الأباضيون /197 ج 1 ص 129/. في الوقت الحاضر فأن دمون تنحصر في موضع إلى الشرق قرب تريم /39 ص

31 ؛ 146 ص 62/، ومـــع أن سكان دمون التريمية، حسب كلام الهمداني، كانوا حميريين /44 ص 110/، فـان إخلاف حجر آكل المرار قد استوطنوا بين قبيلة الصدف في دمون الهجرين /56 م1 ص 87/.

وفـي وادي عمـد توجد أيضاً رواية أخرى: إن دمون لم تكن في الهجرين، وإنما في القزه – البلدة الواقعة في وادي الغبر، في الرافد الغربي لدوعن. ويذكر أسم هذه البلدة بشكل AL-QUDAT في واحدة من نقوش ريبون (أر.بي X 1V / 89، رقـم 221). إن المصـدر الدائم للمياه العذبة، عين شرحبيل، قد جعل من ذلـك المكـان عامل جذب للسكان منذ العصور الحجرية القديمة /157 ص 16/. وعـن النشاط الحيوي للإنسان في العصر الحجري تتحدث الحجر التي عثر عليها أعضـاء البعـثة السوفيتية-اليمنية المشتركة على إفريز الجانب الشرقي في فج القـزه (الاسـم القديـم: فـج آل عامر)، مع مقاطع منحوتة عليها لكتابات بقيت بصورة رديئة. ولقد استخدمت واحدة من المغارات بالقرب من الحجر، ربما لدفن الموتى. إلى أعلى البلدة في وادي غبر (غبر"عين")،في صيق وارم ، توجد نقوش علـى الصخور وأشكال لكفوف ورسوم حيوانات. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار هذه الحقائق وأن ترعة مياه الهجرين القريبة من القزه تسمى إلى الآن دمون، فيمكن التأكـيد أن الاستيطان في وادي الغبر، قد لعب، دون ريب، دوراً محدداً في تاريخ حضرموت الغربية وفي استيعابه للكنديين.

الـرواية التـي تطـابق دمـون مـع القزه، يأخذ بها مؤلف "تاريخ الشعراء الحضـرميين" عـبدالله بـن محمـد السقاف، الذي أشار إلى أن خلف ملوك كنده الشـاعر معد يكرب بن الحارث (القرن 5 – 6م) ولد في القزه (التي كانت تسمى عندئذ دمون)، حيث نظم قصيدة يرثي فيها أخاه شرحبيل /181 م1 ص 4 – 6/. ووفقاً للسقاف فأن الأمير امرئ القيس (ولد حوالي عام 532 م) قد ذكر فيما كتبه من القصائد المشهورة دمون[1] – القزه، حيث أمضى نصف قرن/181 م1 ص 11 /. والعـائلات المشـيخية المعاصـرة في حضرموت الغربية، باقيس، بن عفيف وآخرين، يرجعون بنسبهم إلى تلك السلالة الملكية لكنده /161 ص 40 – 45/.

أن قـبول الإسلام من قبل الحضارمة والانفصال القصير عنه في أعوام الردة بعد وفاة النبي محمد ﷺ لا يرتبط في تصورات سكان حضرموت الغربية مع الواقع المحلـي خلافـاً، علـى سـبيل المثال، عن تريم وأماكن أخرى في شرق الوادي الرئيسـي. وابـتداء مـن العصر الإسلامي، فأن الماضي الحضاري، وبدرجة لا

---

[1] المقصود قول امرئ القيس:

تطاول الليل علينا دمون دمون إنا معشر يمانيين وإننا لأهلنا محبون "المترجم"

يستهان بها، ينقسم وفقاً لطبقات المجتمع. فرجال القبائل يحفظون في الذاكرة عن مشاركة قبائلهم في الفتوحات العربية الإسلامية وفي الحملات والاشتباكات الأخرى . وبالنسبة للسادة وجزء من المشائخ (ذوي النسب العربي الشمالي) فأن التاريخ الأسري يبدأ من أحمد بن عيسى المهاجر، الذي لازال بيته في الهجرين حتى الوقت الراهن مكاناً يؤمه الزوار (أما قبل ذلك – حسب الروايات – فأن المهاجر عاش في القرية الدوعنية الجبيل).

الكنديون، الذين ضعفوا بعد القضاء على الردة، أخلوا هيبتهم في غرب ووسط حضرموت للتوجب – القسم الأكبر من ائتلاف السكون القبلي. وفي القرن الثامن الميلادي حاول الكنديون الأخذ بالثأر، فتزعموا انتفاضة ضد الوالي الأموي، وشارك فيها أيضاً السكون، الهمدانيون، النهديون. وقد استلهمت الانتفاضة شعارات الاباضية – إحدى فرق الحركة السياسية – الدينية للخوارج.

في الصراع مع الجيوش الأموية، ثم الجيوش العباسية احتفظ الاباضيون بحضرموت بين أيدهم. ففي وادي دوعن اعتمدوا على كنده والصدف، وفي وادي الكسر على التوجب، وفي وادي عمد – على الصدف. الهمداني اعتبر المدينة الرئيسية لدوعن (الخريبة؟) مقر الأمام الأباضي لحضرموت /56 م 1 ص 87/. نازل الأباضيون بنجاح القرامطة الذين هجموا من اليمن في القرن الحادي عشر الميلادي. وتنازع سلاطين شبام الأباضيون من أسرة آل نعمان، قبيلة بن دغار، مع حكام تريم السنيين من آل راشد. وفي بداية القرن الثاني عشر الميلادي أحتل آل راشد شبام ووضعوا بذلك نهاية سلالة آل نعمان. بعد ذلك لا توجد معلومات أكثر عن إباضيي حضرموت /114 ص 77 – 78/.

يروى في حضرموت الغربية (محدثنا عمر علي باهريش، حوالي 70 عاماً، من الهجرين) أن الضربة القاضية التي لحقت بالأباضين كانت على يد السيد أحمد بن عيسى المهاجر في المعركة عند بحران في وادي الكسر. ويوجد قول مأثور، كأنه نداء إلى الأباضيين الناجين هرباً: "لا وين تبغى يا شارد بحران؟" (أنظر الملحق: الأمثال – 3). وفي رواية أخرى فأن المهاجر تصارع مع خصومه بالإنذارات وليس بالسلاح "باللسان لا بالسنان" /114 ص 56 – 57/، أما الأحداث عند بحران فتعود إلى أوقات أخرى.

مع ظهور أوائل الحكام الإقطاعيين في حضرموت (آل نعمان، آل راشد) تقوى نفوذ القبائل: فقد اشتهرت في تلك الأماكن – نهد ومذحج والواصلون الجدد – الكنديون آل يماني بنو ظنه والحميريون (الهمدانيون) آل باكثير بنو خرم/142 ص 1/. في بداية القرن الخامس عشر الميلادي حاول أول سلطان من سلالة آل كثير علي بن عمر بن جعفر بن بدر الكثيري توحيد حضرموت، بيد أن ذلك تسنى

فقط لحفيد حفيده بدر بن عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن علي، الذي عُرف ببدر بو طويرق (1496م - بداية 1570م). واسمه حياً في ذاكرة الحضرميين، وفي ذات الوقت فأن الحكام الوافدين الذين سعوا للسيطرة على البلد - الزيديون (القرن 9 -11، 17م)، الصليحيون (القرن 11 - 12م)، الأيوبيون (القرن 12-13م)، الرسوليون (القرن 13 - 15م)، الطاهريون (القرن 15 - 16م) - لم يبقوا في التقاليد المحلية الشفهية.

إن معنى "الشفهية" في هذه الحالة نسبياً جداً، طالما أن هذه التقاليد تقتات المعلومات الكتابية، المتضمنة في مجاميع الأنساب والمدونات التاريخية الأسرية والمحلية والأبحاث والقصائد والأشعار، والتي أضيف إليها في قرننا العشرين المؤلفات المنشورة للمؤرخين المحليين (انظر المقدمة،فقرة 3 ج1 ف1). وفي أثناء الاستبيانات الميدانية اصطدمنا بظاهرة "ثنائية الفلكلور"، عندما تتحول التقاليد الشفهية، التي أثرَت في حين من الأحيان البعيدة بالتقاليد المكتوبة فتصبح من جديد من المصادر المكتوبة (أنظر ج3 ف1 فقرة 1).

إن الشخصية المتميزة لدى الحضرميين في الماضي الثقافي قد تجسدت بصورة أكثر جلاءً في نموذج بدر بوطويرق. ويتضح من كنيته الفخرية، عادة، أن السلطان بدر "طرق أراضي حضرموت" فأخضعها "من ذمار إلى ظفار"، أو من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي/114 ص 113؛ 197 ج2 ص 27، الملاحظة 4/.

عن كفاح بدر بوطويرق كتب الكثير /142 ص 38 - 54؛ 114 ص 112 - 126؛197 ج2 ص 24 - 33، 122 م1 ص 96 -100؛262 ص 22 - 32، 155 - 156/. وفي اللغة الروسية فأن التاريخ الموجز لحكمه قد ورد في سياق التاريخ السياسي لليمن، والعلاقات اليمنية - العثمانية للمؤلفين ن. أ. إيفانوف، غ.م.أودالوفا /143 ص 84 - 87، 92 - 97، 101؛ 188 ص 47 - 49، 76 - 77، 85، 90 - 91، 94/ (مع زلات حقيقية في الحالة الثانية). وتهمنا علاقة السلطان بدر مع قبائل حضرموت، وقبل كل شئ - الغربية.

منذ الوهلة الأولى لحكمه تخلى بدر عن القاعدة الغالبة للوحدات المحلية شبه العسكرية، واتجه إلى إنشاء جيش مأجور، قوامه في الأساس الأتراك، الذين وصلوا إلى الشحر في الربيع من عام 1520م، وعدة آلاف من المقاتلين - اليافعيين والقبائل الزيدية من شمال اليمن والموالي الأفريقيين /122 م1 ص97 ؛ 114 ص 113/. وعرفت حضرموت من الأتراك الأسلحة النارية - بنادق المسكيت ذات الفتيلة (بنادق العلوق - بندقية الاشتعال، أو بنادق الروم - الرومية أي التركية). في البداية أدت هذه الأسلحة بالحضرميين إلى الرعب،

لكنهم سرعان ما أجادوا استخدامها وأصبحت تقريباً حتى القرن العشرين جزءاً لا يتجزأ من عتاد القبائل. وفي حضرموت الغربية كانت بنادق المسكيت ذات الفتيله الوسيله النارية الرئيسية حتى مطلع القرن العشرين /28 ص 43/. السلطان بدر استخدم في العمليات العسكرية، بالمقاييس المحلية، فرق الخيالة الكبيرة-حوالي 160 فارساً[1] /114 ص 121/. وكانت السفن الحربية تؤمن حماية الطرق البحرية /197 ج2 ص 28 - 29/.

وكما قالوا في حضرموت، من يملك الشحر فقد أمسك بعنق تجارة البلاد كلها /142 ص 209/. وبسيطرته على مدن الساحل والأسواق في حضرموت الداخل، سعى بدر بوطويرق أيضاً إلى السيطرة على طرق القوافل بينها. وهو الذي فرض الرسوم الجمركية على التجار، وأخذ الرسوم على المحاصيل والمنتوجات الحرفية وحاول ضبط النظام النقدي. وفي عام 937هـ/ 30 - 1531م ظهرت العملة التي تحمل اسم السلطان بدر: ريالات فضية، أنصاف الريال وأرباع الريال، وفي عام 942هـ /35 - 1536م، بدأ صك العملة المعدنية البقشة التي تتداول إلى بضع عشرات سنين مضت /142 ص 38/.

أثارت السياسة الاقتصادية للسلطان بدر مقاومة القبائل، التي مارست تقليدياً تجارة القوافل، وكانت تقوم بالأشراف على الحركة عبر أراضيها: المهرة والحموم في الشرق، العوامر والشنافر في الوسط، النهديون والعوالق والعمودي وسيبان في الغرب وجنوب غرب حضرموت الداخل /142 ص 46 - 49؛ 114 ص 121 - 124/.

في عام 1530م سيطر بدر على غيل بن يمين، فتصالح مع الحموم ثم سيطر على طريق الشحر-تريم. وخلال عامي 1531 - 1532م وجه الجيش إلى وادي الكسر، لوقف توسع النهديين، الذين يتزعمهم محمد بن علي بن فارس وشقيقه ثابت. أفلح بدر في مناورة الفرسان النهدين، الذين حاصروا القرين ذات الكثافة السكانية في وادي ليمن (جنوب-غرب وادي دوعن)، وأطلقوا عليها حجر العرادة - آلة حربية أشبه بالمنجنيق وأصغر منه/14 ص 122/.

وفي نهاية المطاف أحاقت الهزيمة بالنهديين، كما تم أيضاً إخضاع تمردات القبائل في وادي عمد. وفي قرية قرن بن عدوان في وادي عمد يتحدثون عن

---

[1]إلتبست هنا المعلومات على المؤلف، لان 160 فارساً، حسب المصدر الذي أستند علية المؤلف، لم يكونوا مع بدر، وإنما هم الذين اعترضوه عند مروره ببلاد نهد غضباً لصاحبهم ابن فارس الذي أسره بدر، وقد وافق أبوطويرق على إطلاقه بعد توسط المصلحين.(أنظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص121) (المترجم)

نزاع مألوف بالنسبة لذلك الزمن (كتب أ.د. كنيش المشارك في البعثة السوفيتية- اليمنية المشتركة). إن آل بن مردح، فرع قبيلة الجعدة، نزلوا من الهضبة إلى الوادي، وابتاعوا هناك دغلة من أشجار العلب، التي كان السلطان قد فرض عليها ضرائب كبيرة - 3 مكاييل من الثمار على كل شجرة (أنظر الملحق: المقاييس التقليدية). عند ذلك فأن ابن مردح، الذي كان معه مئتين من الرجال القادرين على القتال، قد انسلوا في الجنوب الغربي، في أراضي السلطان الواحدي. وانتهى الاشتباك مع رجال بوطويرق بالصلح: وعد السلطان أن يأخذ الجعدة في قواته المسلحة، وإعفائهم من الضرائب، وأن يدفع لهم نفقة سنوية من الحبوب.

في الشُعبَة المركز السكاني الكبير في وادي عمد، لا زالت الذكريات باقية عن كيف كان الشيخ عمر بن أحمد العمودي وابنه محمد يواجهان باقسم، أذناب بدر، "بالسلاح والكلام" (الراوي عبدالله بن أحمد العمودي، حوالي 40 عاماً). وفي بلدة الرضحين لا زال يعيش إلى اليوم أعقاب عوض بن سالم بامنصور من قعوضة (قرية في وادي الكسر)، الذي هزمه السلطان عند المخينيق.

في وادي دوعن كان مركز المقاومة ضد بدر بوطويرق قيدون وبضة - حصن مشائخ آل العمودي. ومنصبهما عثمان بن أحمد بن محمد (شقيق الشيخ عمر) وكان أشرس خصوم السلطان في حضرموت الغربية.

استنكر الشيخ عثمان العمودي سياسة التبعية للعثمانيين التي ينتهجها السلطان بدر، والذي استند على الترك في قضية توحيد حضرموت وفي صد التوسع الأجنبي. في شتاء 1523م احتل البرتغاليون الشحر، على الرغم من مقاومة المدافعين عنها. ويحتفل كل عام في 10 - 13 ربيع الأول كتخليد لذكرى "الشهداء السبعة"- قادة ومنظمو المقاومة ضد الدخلاء /115/.

بعد 13 عاماً، وفي فرضه ذلك الميناء ألحق السلطان بدر هزيمة ساحقة بالبرتغاليين. وفي اسطمبول قدرت هدايا السلطان الكثيري الثمينة - قطعة من الألماس النادر الوجود وخمسمائة مثقال من العنبر الأصيل وخمسة وثلاثون أسيراً برتغالياً /142 ص 44؛ 114 ص 120/.

في طريقة إلى شواطئ الهند، عرج الجيش العثماني في الشحر، حيث أقيمت في 24 ربيع الأول 944هـ /31 أغسطس 1537م أول خطبة جمعة يذكر فيها اسم الحاكم العثماني سليمان الكبير/142 ص 44/ (للمقارنة /143 ص 92/). وهكذا أعترف السلطان بدر رسمياً بتبعية الموانى. وأثناء عودتهم من الحملة الهندية وعد ممثلو الإمبراطورية العثمانية السلطان بدر بأن الدولة العلية سترسل له فرماناً بعقد الولاية له من "باب المندب إلى مدينة ظفار" وكذا لقب سنج بيك

العثمانـــي. والتزم حاكم حضرموت أن يدفع لأسطنبول ضريبة سنوية وقبول الحامية التركية والموظفين الأتراك /142 ص 44 - 45؛ 114 ص 120؛ 197 ج2 ص 27/.

وبحصـــوله على الدعم العثماني المهيب بالرجال والسلاح قرر بدر بوطويرق القـــيام بحملـــة تأديبيـــة فـــي غرب حضرموت، حيث كان قد استعد زعماء نهد بالـــتحالف مـــع الشـــيخ عثمان العمودي للهجوم ضد السلطان الكثيري. وفي 9 رمضـــان 948هــــ/ 27 ديسمبر 1541م سيطرت القوات السلطانية على مدينة قيدون المقدسة لدى آل العمودي والكثيرين في حضرموت الغربية. ومع ذلك فأن بضة، العاصمة المدنية للعمودي، التي تعرضت للحصار في نهاية 1542 - مطلع 1543م، استعصـــى احتلالها. وأطلقت فصائل بدر نيران المدافع على مدن وقرى وادي دوعـــن، وهدمـــوا قـــنوات الري، ودمروا الآبار وخزانات المياه، وقطعوا النخـــيل، وطـــردوا السكان من المدن المحتلة. وفي عام 951هـ/44 - 1545م اضطر الشيخ عثمان للتوقيع على معاهدة مع بدر وقبل التبعية له، بيد أن مشائخ العمودي بدأوا في العام 1548م حرباً جديدة مع السلطان الكثيري.

فـــي هـــذه المرة انتفض ضد السلطان اتحاد القبائل المحلية، ولم تكن القبائل الـــزيدية لليمن الشمالي وأعيان آل كثير مرتاحين لتقوي السلطة الشخصية لبدر. في خريف عام 1548م وتحت قيادة التركي يوسف والأمير علي بن عمر الكثيري اقتربـــت القوات السلطانية من بضة، لكنها وللمرة الأخرى لم تتمكن من احتلالها. مـــن جانـــبهم تحـــرك آل العمودي مع حلفائهم بحزم: احتلوا هينن وبور وتريم، وحاصـــروا شـــبوه،وهددوا المواني. وفي عام 1549م عقد كلا الجانبين صلحاً، أضـــعف شـــروطه الـــنفوذ الكثيري في حضرموت الغربية /142 ص 46 - 49؛ 114 ص144 - 146/. انـــتهز بدر وقف الحرب في الغرب، فصالح عام 1551م وسط وشرق حضرموت، وأعتقل الأمراء الكثيريين المتمردين في سجن مغلق في مريمه.

ولاحق السلطان بدر أنصار التقاليد القديمة - زعماء القبائل، أعيان آل كثير، السادة والمشائخ، الذين تذمروا من تقييد الامتيازات الأسرية، ويتحدث المؤرخون عـــن إعدامـــات واعتقالات ونفي/ 142 ص 57/. وقد حكم السلطان على شاعر حضـــرموت الكبير في القرون الوسطى عمر بن عبدالله بامخرمة، والد سكرتيره الخـــاص، بعقوبة مشينة - الطواف في شوارع شبام والحبل على رقبته - بسبب أنـــه كـــان حريصاً على بقاء بلدته الهجرين بعيداً عن السلطة الكثيرية /114 ص 129 /197 ج2 ص 30/.

فـي عام 1568م أطيح ببدر أبوطويرق من قبل المعارضة الكثيرية، وبعد عام ونصف توفي في السجن. وبعد إقصائه انجر السلاطين إلى المنافسة داخل الأسرة الواحدة، واخذوا يفقدون السيطرة على حضرموت.

أن الصـراع بيـن آل العمـودي والكثـيري حـدد في أمور كثيرة الخارطة الأثنوقبليـة لـتلك المنطقة، وأستؤنف ذلك الصراع بقوة جديدة في عام 1605م وتواصـل، يهـدأ حينـاً ويستمر أحياناً أخرى لعشرات السنين. وفي مجرى هذا الصـراع اتجـه كلا الجانبين لطلب المساعدة من الزيديين في صنعاء. واعترف السلطان بـدر بـن عمر الكثيري، حفيد بوطويرق، بسلطة الأمام الزيدي محمد المؤيـد (1620 - 1644م). وقد أتهم السلطان بالتراجع عن السنة والانتقال إلى المذهـب الزيدي، فنازعة لقبه بدر آخر- بدر بن عبدالله بن عمر (أبن أخ الأول)، مؤسس الخط الكثيري آل عبدالله.

فـي عـام 1656م أدى الشـيخ عبدالله بن عبدالرحمن العمودي يمين الولاء للأمـام الـزيدي الجديد إسماعيل المتوكل (1644 - 1676م). وحتى ذلك الوقت كـان الأمـام قـد ضم مناطق الجنوب اليمني، لحج وأراضي قبائل يافع والعوالق والواحـدي. وفـي يوليو 1660م أرسل أحمد بن الحسن الصفي بهدف السيطرة على حضرموت. تحرك الجيش الأمامي بسلام من مأرب إلى وادي حجر، وتوقف في مناطق عسيرة المرور/122 م1 ص 104/. وفي شعب بامسدوس نصب جنود بـدر بـن عـبدالله كميـناً للزيديين، ولكن تم دحرهم نحو أسفل وادي عمد، إلى الهجريـن. وإلـى أحمـد الصفي انظمت قبيلة نَّوح ومشائخ العمودي وقد زودوا الزيديين بالمؤنة والزاد ومطايا الحمل. وحصل السلطان بدر بن عبدالله على تأييد قـبائل آل محفـوظ ونهـد. وبفضل التفوق في التسليح والتدريب العسكري هزم الجـيش الأمامي قبائل وادي دوعن واحتل المناطق الغربية والوسطى لحضرموت الداخل، بما في ذلك شبام /122 م1 ص 105، 106 - أ ص 35/.

وبسبب الأضرار التي ألحقت بالبلد من اجتياح وتخريب وإهراق الدماء، أطلق شاهد عيان على الأحداث هو عمر بن عبدالرحمن العطاس أطلق على حملة أحمد الصـفي وصـف (سيل الليل) /142 ص 82/. وهذا التعبير يعني في حضرموت الغربية، وإلى يومنا هذا، كارثة اجتماعية أو طبيعية.

استسـلم السـلطان بدر بن عبدالله للأمام، فأصبح أسيراً وأرسل إلى صنعاء، وسـمح لـه بالعودة منها إلى حضرموت بصفة عامل زيدي، وذلك لأن أخ أحمد الصفي لم يقدر على إدارة أمور البلد.

فـي الـنزاعات الحضرمية الداخلية اللاحقة لعبت الدور الهام القبائل الزيدية وخصـومها اللدوديـن اليافعـيون. وكان بدر بوطويرق قد وزع أوائل الحاميات

اليافعية في جميع حضرموت. ففي الشحر والقرية الدوعنية القزه كان اليافعيون آل البطاطي، وفي الهجرين - آل يزيد، وفي قرية قرن بامسعود من قرى عمد - النقيب، وفي رحاب - لبعوس، وفي وادي بحران وسدبه - بنوبكر، وفي شبام- الموسطة،وفي سيئون - الظبي، وفي تريم -لبعوس. وهؤلاء اليافعيون "القدماء" يطلق عليهم اسم "التلد" خلافاً للجدد "الغربة" /106 أ ص 35/. الأخيرون ظهروا في حضرموت في مطلع القرن الثامن عشر في عهد السلطان بدر بن محمد الكثيري عندما بدأت الحرب بين فوج السلطان وأذناب الأمام المهدي. وأيد السادة سياسة السلطان المعارضة للزيدية. وقام السيد على بن أحمد بن الشيخ بوبكر بتخصيص الأموال لتجنيد عدة آلاف من اليافعيين، الذين طردوا في عام 1705م الزيود من حضرموت /142 ص 101 - 103/.

وقف اليافعيون "الجدد" الذين بقيوا في حضرموت (في الغالب بالائتلاف مع"القدماء") ضد الكثيريين الموالين لصنعاء.

استغل آل العمودي ضعف السلطنة الكثيرية لتوسيع نفوذهم في حضرموت الغربية: ففي عام 1704م استعادوا القزه، وفي عام 1711م احتلوا الهجرين سوية مع سيبان /114 ص 148 - 149/. وفي عام 1716م أباد النهديون (حلفاء العمودي) في وادي العين مفرزة للزيديين الذين جاؤا لمساعدة السلطان عمر بن جعفر الكثيري /122 م1 ص 110/ وقد أخذ السلطان عمر بن جعفر بالثأر لهزيمة والده وأعاد السيطرة على النصيب القبلي- الشحر. بيد انه بعد وفاته لم يتمكن آل كثير من الاحتفاظ بالسلطة سوى في وادٍ غير كبير- وادي تاربة. وهذه المرحلة يعتبرها المؤرخون المحليون نهاية السلطنة الكثيرية الأولى /142 ص 111/.

في حضرموت الغربية كانت السيطرة للمشائخ المحليين وأعيان القبائل. أما المراكز الرئيسية في حضرموت الداخل والساحل فأصبحت تحت سيطرة الفروع المتعددة لقبيلة يافع. في شبام كانت هناك الموسطة، وفي سيئون - الظبي، وفي تريم - آل غرامة (تقاسموا السلطة مع السادة)، وفي الشحر - آل بريك، وفي تريس - الضريبي، وفي المكلا - الكسادي /122 م1 ص 119 - 120، 144 ص 163/. ومع ذلك فأن آل كثير لم يفقدوا الأمل في استعادة السلطنة. لقد تحول التاريخ السياسي لحضرموت، في جوهره - إلى صراع المجموعتين القبليتين- يافع وآل كثير. وهذه الظروف كانت سبباً لطبيعة العمليات السلالية في منطقة دراستنا.

(2) التنافس القعيطي – الكثيري
(القرن 19 – 1918م)

لا ينفصل تاريخ حضرموت عن تاريخ كل العربية الجنوبية (اليمن)، حيث وجدت هناك، في مرحلة دراستنا، ثلاث حركات سياسية – دينية – متنافسة، وادعت في مختلف الأوقات توحيد المنطقة: إباضية عمان، زيدية اليمن والوهابيون في نجد.

منذ النصف الثاني للقرن الثامن عشر الميلادي، واجهت الحركة الإباضية في الجنوب الشرقي وفي شرق الجزيرة العربية أزمة، نتج عنها في العام 1792م إنشاء كيانين سياسيين: سلطنة مسقط وإمامة عمان. وأضطر الأباضيون بسبب النزاعات الداخلية والخطر الوهابي إلى الامتناع نهائياً عن خطط التوسع. ومن الجلي إن هذا الدافع كان ضعيفاً في اليمن أيضاً. وهكذا، فمع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر فأن الزيديين، الذين كانوا يسيطرون على جميع الشمال، لم يحتفظوا فقط إلا بصنعاء وضواحيها. أما بقية مناطق اليمن الشمالي – عسير، الحجرية، رداع، صعدة، وأراضي التحالف القبلي حاشد وبكيل فقد كانت مستقلة في الواقع. وفي جنوب اليمن تقوى نفوذ الزعماء اليافعيين، الذين كانوا باستمرار في عداء مع الزيديين.

كان الخطر الأقوى بالنسبة للسلالات المحلية في الجنوب العربي يتمثل بالوهابية. فقد أحتل الأمير الوهابي عبد العزيز (1765 – 1803م) في نهاية القرن الثامن عشر الساحل الشمالي لعمان. ووحد الأمير سعود بن عبدالعزيز (1803 – 1814م) أراضي الجزيرة العربية من البحر الأحمر إلى الخليج الفارسي (العربي) فتقوى بذلك الضغط العسكري على اليمن، حضرموت، ظفار ومسقط /50 ص 49 – 53/.

هاجم الوهابيون حضرموت عدة مرات. وفي عام 1809م هدموا القباب المقامة على أضرحة الصالحين في تريم المقدسة بالنسبة للحضرميين، وبعد عدة سنوات كان ذلك مصير الشحر. وقد أطلق عليهم أبن هاشم "تتار الجزيرة العربية" /142 ص 122/. يروي سكان الشحر، أن الوهابيين وضعوا التوابيت وبعض أبواب المساجد التي أخذوها في إحدى السفن التي معهم وساروا بها، ولما وصلوا إلى ثغر مرير احترقت السفينة وخرجت بعض الأبواب سليمة إلى الساحل فأخذت وأعيدت إلى مواضعها /144 ص 176/.

التقاليد الأسرية للسادة آل الحامد في عمد (المتحدث حسين بن محسن بن عبدالله الحامد، حوالي 70 عاماً) تروي عن حملة الوهابيين بقيادة بن قملا الملقب هدهد، والتي تحركت إلى الغرب من ناحية تريم (في 1226هـ /1811م). وكان عددهم، من بدو نجد والحجاز كثيراً جداً. وكانوا يبغضون السادة وجميع القريشيين، وهدموا القباب واحرقوا

التوابيت والمخطوطات. وقد جمع منصب آل الحامد السيد عيدروس بن صالح القوات في وادي عمد وتحرك به للمواجهة وبالقرب من حريضة، عند جبل غمدان تمكن من هزيمة وتشتيت جحافل الهدهد، أما نهد والصعير فأجهزوا عليهم ولم ينج من الموت إلا بضعة أشخاص فقط.

تؤكد الأحاديث مع السكان المحليين، أنه قد حدث في الوعي الاعتيادي أمتزاج الأباضيين والوهابيين في المثال السيئ هدهد بن قملا.

إن عدم الاستقرار في جنوب الجزيرة العربية (اليمن) في ذلك الوقت، قد استغلته كذلك بعض القوى الخارجية – الإمبراطورية العثمانية وبريطانيا العظمى.

ولتحييد الوهابيين، تحرك العثمانيون من خلال تابعهم الشكلي، الحاكم المصري محمد علي. وفي عام 1819م، نزلت القوات المصرية على شواطئ اليمن، وفي العشرينات والثلاثينات أخضعت تهامة وتعز، أما صنعاء فأضحت تدفع ضرائب للقاهرة، واعترفت بتبعية الموانئ.

أرسل علي بن عمر السقاف وآخرون من سادة حضرموت وفداً إلى محمد علي، على أمل أن يدعم محاولة إعادة النظام الكثيري البائد. وفي عام 1803م كان جعفر بن علي بن عمر بن جعفر الكثيري، الذي عاد لتوه من أندنوسيا، قد توجه إلى التحالف القبلي للشنافر (الذي يضم أيضاً آل كثير)، وإلى نهد والسادة بنداء كتابي لأحياء السلطنة /142 ص 120/. وفي عامي 1806 – 1807م أحتل السلطان جعفر شبام وسيئون وتريم، لكن أبنه عمر بعد وفاة الأب (عام 1808م) استطاع أن يحتفظ بشام فقط، والتي أبتاع نصفها اليافعيون عام 1833م /142 ص 125؛ 106 – أ ص 55 – 56/. ولأن الدويلة الكثيرية لم تفلح في أن تتقوى، فقد انهارت أمام مرأى العين. وربما لهذا السبب لم يآزر محمد علي آل كثير، وعين زعيم التميميين علي بن عمر كرموس حاكماً مؤقتاً لحضرموت /12 ص 131 – 32/. وفي عام 1840م غادر المصريون اليمن، وبقيت الجماعات المتصارعة على السلطة تبحث عن مؤازرة خارجية جديدة .

ومثل تلك المؤازرة جاءت من حيدر آباد.كانت هذه المدينة الهندية في القرن السادس عشر الميلادي عاصمة غولكندة، ذات الثراء الأسطوري، حسب رأي الأوروبيين، ومنذ أواخر القرن الثامن عشر إمارة حيدر آباد – تابعة لبريطانيا العظمى، التي بدأت تغلغلها في الجنوب العربي من الهند.

لقد ضعف النفوذ التركي والإيراني في المنطقة. وطردت القبائل العربية الهولنديين من الخليج العربي، المنافسين الخطرين لبريطانيا العظمى. وفي العام 1800م أصبحت مسقط مكاناً لتواجد المندوب البريطاني الدائم، وفي عام 1802م – لحج / 18 ص 16 – 22/. وبالحاقها الهزيمة بالأسطول الوهابي عند رأس الخيمة (1819م) واصلت بريطانيا العظمى تعزيز نفوذها بمساعدة الاتفاقيات والمعاهدات مع الدويلات الصغيرة في شرق

محسن جيشاً من الموالي الأفارقة والقبائل المحلية، حاول إبعاد اليافعيين من حضرموت. ففي عام 1850م هجم الكثيريون على الشحر، لكنهم لم يفلحوا في السيطرة عليها، وذلك لأن مأجوريهم الأتراك لم يستطيعوا إنزال القوات إلى البر بسبب الرياح الخريفية غير المواتية، ولمقاومة آل الكسادي اليافعيين، المسيطرين على المكلا، وآل البريكي، حكام الشحر /144 ص 177 – 178/.

في خريف 1866م هاجمت القوات الكثيرية المؤلفة من ثلاثة آلاف الشحر من ثلاث جهات. وقاد الفصائل المقتحمة خال السلطان غالب من جهة الأم – عبود بن سالم، وعمه من جهة الأب – علي بن أحمد، وشقيق السلطان – عبدالله بن محسن /114 ص 179، 186/. وبسقوط المدينة أنتهى كيان السلالة البريكية. وكان أخر ممثليها، علي ناجي، قد هرب إلى عدن، حيث لم يفلح في الحصول على مؤازرة من الإنجليز، رغم أنه قد عقد معهم قبل ذلك بثلاثة أعوام اتفاقية تجارية. وحاول الكثيريون احتلال المكلا من المدخل، لكن ما أن حصل اليافعيون على تعزيزات حتى طردوهم إلى الشحر. وبهذا همدت العاصفة الهجومية للسلطان الكثيري.

وبقيادة القعيطي أمسك اليافعيون بزمام المبادرة، وفي نهاية الخمسينات كانوا قد وسعوا أراضيهم في حضرموت الداخل: في عام 1858م امتلكوا شبام كلها بعد أن أبعدوا منصور بن عمر الكثيري، وخلال عام اشتروا من آل عمر بن جعفر بن عيسى الكثيري بلدة حورة، إلى الشمال الغربي من القطن /122 م 1 ص 132/. وانحصر الهدف الرئيسي للقعيطي في احتلال الشحر.

جرى إعداد العملية على وجه السرعة، ولكن بدقة متناهية. وبهدف استخدام المكلا والطرق إلى حضرموت الداخل عبر وادي دوعن تم عقد اتفاقية مع الكسادي. وجرى في عدن وبومبي شراء الأسلحة. وبطلب من حكومة حيدر آباد لم تستحسن الإدارة البريطانية في بومبي النزوح الجماعي للناس، الذين إستأجرهم القعيطي.

في أواخر يناير 1867م كان عوض بن عمر القعيطي (الأكثر حيوية من بين خمسة أولاد عمر بن عوض المتوفى عام 1865م) قد أوصل إلى المكلا السفن القتالية المزودة بالمدافع، والقوارب الشراعية، وعلى متنها (200) من اليافعيين و(500) من الرويلة الأفغان من الجيش النظامي /106 – أ ص 81/. ووصل عدد القوات القبلية اليافعية أيضاً إلى ألفي مقاتل، وأنظم إليهم التميميون – خصوم آل الكثيري. وفي أبريل 1867م أصبحت الشحر قعيطية حتى الأيام الأخيرة لوجودها.

لم تفلح محاولة اليافعيين لتطوير النجاح وسحق الكثيريين شتاء عام 1868م في سيئون وتريم. فالموالي الأفارقة والأفغان واليافعيون "القدماء" و"الجدد" والقبائل من نهد وآل تميم كانوا مشتتين وكانت طاعتهم للقيادة سيئة. كما أمتنع صلاح بن محمد

الكسـادي، زعـيم السـلالة العسكرية التي تسيطر على المكلا وبروم وجزء من وادي دوعـن، عـن المشاركة الفعالة في التوسع القعيطي. لقد أبقى هذا الفشل على السلطنة الكثيرية فيما انهار التحالف بين القعيطي والكسادي.

فـي سـبعينات القـرن التاسع عشر ظهرت على المسرح السياسي في حضرموت شخصـيات مؤثرة جديدة. في عام 1869م عاد عوض بن عمر القعيطي إلى حيدر آباد، بعـد أن سلم مقاليد حكم الشحر لشقيقه عبدالله. وفي عام 1870م توفي السلطان غالب بن محسن الكثيري، وورث لقبه الابن منصور. وفي عام 1873م أصبح عمر بن صلاح الكسادي نقيباً، بعد وفاة الأب.

النقيـب الجديد أصطدم مباشرة بالانتفاضة في حضرموت الغربية، حيث دارت معارك بيـن مشائخ آل العمودي مع حامية مجحم الكسادي في وادي ليمن، في المفرق الغربي لوادي دوعن /114 ص 149 – 150، 156؛ 106 – أ ص 131 – 132/.

وتشـجيعاً للمنتفضين، طالب عوض بن عمر القعيطي من النقيب عمر سداد الدَيْون الكبـيرة، فوافـق علـى بـيع المكلا أو بروم جزئياً أو كلياً عوضاً عن الديون. وكانت المباحـثات حول ذلك قد جرت في عهد النقيب صلاح في عام 1868م. (نص الاتفاقيات أنظر /106 – أ ص 268 – 272/.

في خريف 1873م وصل الأمر إلى حد الاشتباك المسلح بين حلفاء الأمس، ولم ينته فـي صـالح القعيطـي. فقـد نظم النقيب وخصوم القعيطي التحالف الثلاثي الكسادي – الكثيري – العولقي، واحتلوا غيل باوزير والريان وتأهبوا للمسير إلى الشحر.

وفـي نفـس ذلك العام 1873م، ودون توقع أي هجوم، سدد القعيطيون ضربة قوية عـند المشراف. وفي العام 1875م لم يفلح الكثيريون في السيطرة على شبام، وسلموا فـي الأعـوام اللاحقة جزءاً من تريم للقبائل المحلية، أما غيل باوزير فللقعيطين. وسلم النقيـب عمـر الكسادي الريان بدون قتال إلى رجال عوض بن عمر. وفي عام 1876م انسـحب العوالـق مـن الحزم والصداع، وغادروا حضرموت دون رجعه. وبذلك انتهى التحالف الثلاثي /106 – أ ص 142/.

عقـب احـتلال الأتـراك لليمن عام 1872م، عززت بريطانيا العظمى وبسرعة أمن مواصلاتها البحرية من الهند إلى عدن. ووقع الرهان على أفراد الأسرة القعيطية، الذين كانوا قد أبدوا الاستعداد للتحالف مع الأتراك في سبيل ضم المكلا (المباحثات معهم جرت في صنعاء في يناير 1874م. /106 – أ ص 150/).

قـام النقيـب عمر الكسادي بتعزيز المكلا من جهة البر، ولذلك دبر القعيطي الضربة مـن الـبحر، واقتنى الأسلحة والسفن في جاوه ("فلوكس")، وفي الهند ("بهلوان") وفي إيطالـيا ("جـواد"). وبوشاية من الكسادي حجزت بريطانيا العظمى هذه السفن في عدن

ونزعت عنها السلاح، مصرة على أن الخلاف ينبغي أن يحل بمساعدتها فقط (كان العثمانيون وشريف مكة قد اقترحوا تقديم خدماتهم للحل) /122 م 1 ص 131 – 132؛ 106 – أ ص 151 – 152/.

وفي سعي منها لعزل الكسادي، دفعت بريطانيا العظمى الكثيري إلى التوقيع مع القعيطي على اتفاقية سلام وتعاون مدتها عشر سنوات. وفي مقابل ذلك وعدت بعدم تقديم مساعدة للنقيب عمر بدون موافقة القعيطي وحصل اتباع السلطان الكثيري على إمكانية استخدام ميناء الشحر في الأغراض السلمية. كما تم عقد اتفاقية مع آل تميم والمناهيل /106 – أ ص 156، وانتهت بعد ذلك سنوات كثيرة من الفتن في تريم (نص الاتفاقية أنظر /106 – أ ص 276 – 278/).

بمبادرة من الجانب البريطاني عقد حاكم الشحر والمكلا كذلك مصالحة لمدة عامين، بيد أن هذا الأجراء لم يستطع تلافي التصادم الحاسم.

كانت هناك العديد من المقترحات حول مستقبل المكلا وبروم، لكن النقيب عمر لم يقبل ولا واحداً منها. وظل يكافح للحفاظ على دولته، وطلب الحماية من بريطانيا العظمى فأخفق في ذلك، وأجرى مباحثات مع الحكام الأتراك ومع سلطان مسقط. أما القعيطيون فأعدوا بمعونة الإنجليز عملية عسكرية لاحتلال المرافئ. وفي نهاية أكتوبر 1881م بدأ الأسطول البريطاني حصار بروم والمكلا، وتقدم المشاة القعيطيون في الحصار. وفي 6 نوفمبر دخلت القوات القعيطية – البريطانية المكلا. وأستسلم النقيب عمر وتم نفيه إلى زنجبار مع أسرته ومئات من أنصاره /114 ص 169 – 170، 106 – أ ص 189/.

في معاهدة الصداقة، الموقعة في 29 مايو 1882م بين الحكومة البريطانية وعبدالله بن عمر القعيطي وأخيه عوض بن عمر ورد أن الأخوين وورثتهما يملكون الحق في كل شئ كان يملكه النقيب عمر بن صلاح الكسادي، وألزما أن يدفعا له مائة ألف ريال. ومن جانبها تدفع لهما الحكومة البريطانية مبلغاً سنوياً قدره 360 ريالاً، إذا ما ظلا وورثتهما ملتزمين لشروط المعاهدة. وأهم شروطها إلزام الجانب القعيطي بألآ يبيع أو يرهن أو يتصرف بشكل أواخر في ممتلكاته الشحر والمكلا وبروم والمناطق المتعلقة بهما لأي شخص أو دولة غير الحكومة البريطانية. وكان ينبغي لهذا الشرط أن يستثني تشكيل دولة جديدة في حضرموت عن طريق شراء الأماكن المأهولة بالسكان. الشرط الآخر أعطى بريطانيا العظمى الحق في الأشراف الكامل على الأمور المتعلقة بعلاقات القعيطي مع الرؤساء المجاورين ومع الدول الأجنبية. وقد أوضحت المعاهدة القعيطية – البريطانية لعام 1988م النقاط الأخيرة بتفصيل أكثر (أنظر النص /106 – أ ص 279 – 281، 282 – 283/).

وبادعائهم بجميع ميراث الكسادي، وسع الحكام القعيطيون نفوذهم في وادي دوعن، حيث كانت قوات النقيب قد خرجت من هناك عام 1873م. ومن خلال تدخله في النزاعات الداخلية بين قبائل حضرموت الغربية ساند عوض بن عمر القعيطي الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عبدالكريم العمودي من آل مطهر، ولكن سرعان ما عزله. ودفاعاً عن الشيخ عبدالرحمن هبت قبائل الدِّين والقثم، فجاء منهم ألف وخمسمائة مقاتل. وأرسل حاكم الشحر السلطان القعيطي قوات يقودها مولاه الماس وأنظمت في مرتفعات وادي دوعن مع فصائل صلاح بن محمد القعيطي الذي قدم من القطن. وفي عام 1899م وبعد معارك عديدة أصبحت جميع فروع وادي دوعن (وادي ليمن) ضمن سلطة القعيطي. وأسند حكم الوادي إلى عميد السيبان عمر بن أحمد باصرة الخامعي. / 7 ص 133؛ 114 ص 229 ، 122م2 ص 13 – 19، 106 – أ ص 227/.

وكانت التفرعات الشرقية لوادي دوعن (وادي ليسر) قد ضُمت إلى السلطنة القعيطية في القرن العشرين. وفي عام 1902م، بدأ هناك الخصام بين زعيم قبيلة بلحمر وقبائل الخنابش – أنصار باصرة. وفي الأعوام 1907 – 1910م جرت المعارك في وادي ليسر. واقتحمت القوات القعيطية المراكز المتمردة (وهكذا كان قرن باحكيم قد أحتل عام 1908م). ومن خلال وساطة السادة آل العطاس تسنى عقد الصلح، ولكن السكينة النهائية في حضرموت الغربية لم تتبع ذلك.

إن فصل سلاطين الكثيري عن الساحل، لم يلغ خطط احتلال الشحر وطرق القوافل، التي تربط حضرموت الداخل مع الموانئ. فمنذ عام 1883م حاول عبدالله بن سالم الكثيري اجتلاء رد الفعل المحتمل من قبل بريطانيا العظمى على مثل ذلك التطور للأحداث. وقد كان رد الإدارة الاستعمارية في ربيع عام 1884م واضحاً: قمع أية محاولة للانتقام بالقوة /106 – أ ص 216 – 217/.

إن استفحال الجدل داخل السلالة المالكة حول وراثة عبدالله بن عمر، الذي وافاه الأجل عام 1888م، هدد استقرار الدولة القعيطية فقد أراد ولداه حسين ومنصور اقتسام الأملاك بينهما، لكن شقيق المتوفى عوض تدخل فأعطى غيل باوزير لمنصور، أما الشحر فخصصها مناصفة لحسين بن عبدالله ولأبنه غالب بن عوض. من جانبه رفض حسين الاعتراف بالحكم، وهكذا فمنذ عام 1896م انقسم اليافعيون إلى أنصار لأبناء عبدالله بن عمر (بزعامة الموسطة) وفريق عوض بن عمر (بزعامة الظبي). ولم تستطع أن تحل النزاع لا المرافعة إلى بومبي، ولا المجلس التحكيمي لمنصب عينات السيد أحمد بن سالم السقاف /106 – أ ص 222 – 223/. وقد ساند الإنجليز عوض بن عمر. وفي 1902م حصل على لقب سلطان الشحر والمكلا (قبل ذلك حمل الرتبة العسكرية لجيش النظام – جمعدار) وتقدم له التحية بتسع طلقات مدفعية /106 – أ ص

221/. ولم يتم نقل العاصمة القعيطية من الشحر إلى المكلا إلاّ في عام 1910م فقط، بعد وفاة السلطان عوض بن عمر.

وبتذليل النزاعات الداخلية، استمر القعيطيون في بناء الدولة. وفي عام 1904م حاولوا أن يشتروا من السلطان الواحدي أراضي خصبة على الساحل، إلى الغرب من المكلا، في منطقة ميفعة، وبلدة بير علي وبلحاف – مركزي عصابات السلاح. لكن الإنجليز منعوا جزئياً هذه الصفقة: ظلت بير علي وبلحاف مع الواحدي. وفي ذات الوقت شجعت توسع السلطنة القعيطية على حساب الأراضي القبلية المتقدمة في حضرموت الداخلية. وهكذا فأن قبائل نوّح المقاتلة قد خضعت للسلطنة القعيطية في عام 1914م، بعد حصار اقتصادي طويل، وبوساطة أثنين من المناصب آل العطاس – حسين بن أحمد من عمد، وأحمد بن حسن من حريضة /7 ص 141 – 176 /. وفي آن واحد انتقلت أيضاً منطقة وادي ساه، إلى الجنوب الشرقي من سيئون إلى أشراف القعيطي. فقد اشتكى سكان ساه من استبداد قبائل آل جابر فأتجهوا بطلب المساعدة إلى القعيطي، الذي حكمت له المحكمة في عدن بتلك الأراضي، رغم اعتراضات حكام آل كثير /106 – أ ص 228؛ 122 م2 ص 29/.

تشكلت علاقات السلطنة القعيطية مع القبائل بصعوبة. فإذا كانت اتفاقية 1918م مع قبيلة آل تميم قد هدأت الظروف، فأن الصلات مع الحموم، الذين أمسكوا بأيديهم طريق القوافل من الشحر إلى حضرموت الشرقية، قد اتسمت بالتوتر المستمر /107/. الحموم اعتبروا بحق أن السلاطين منافسين سياسيين واقتصاديين، يطمحون إلى الاستحواذ على امتيازات القبائل "الطبيعية".

إن الحرب العالمية الأولى قد نشطّت الصلات بين تركيا والسلطنة الكثيرية. فبأحتلاله لحج توجه القائد التركي علي سعيد باشا إلى الكثيري والسادة و"كبار رجالات حضرموت" برسائل يدعوهم فيها إلى قطع العلاقات مع الإنجليز و"أتباعهم" من آل القعيطي /106 – أ ص 236/. وفي متحف سيئون للمخطوطات التابع للمركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف (وثيقة رقم 49 لعام 1334هـ/ 5 – 1916م) تُحفظ شهادة تفيد أن الدعاية التركية قد وجدت لها صدى. وهي "قسمٌ للدولة العثمانية العلية من سادة حضرموت وحكامها في إنهم يعتبرون أوفياء للدولة العلية ويرفضون أية حماية من الدولة الإنجليزية".

كان رد السلطنة القعيطية والحكام البريطانيون على هذه الخطوة الكلامية بالحصار الاقتصادي، وعزل آل كثير عن الموانئ البحرية. وبنفاد الاحتياطات الداخلية وعدم وصول المساعدة المنتظرة من تركيا، ذهب الكثيريون إلى المفاوضات في عدن، في 8

مـايو 1918م، عـنـدما كانت الحرب العالمية الأولى قد اقتربت من نهايتها، وتم التوقيع على اتفاقية القعيطي – الكثيري / النص أنظر /106 – أ ص 284 – 287/.

وفـي الاتفاقـيـة قـبـل الجانـب الكثـيري الأنظمام إلى المعاهدة الموقعة بين الدولة البريطانـيـة والدولة القعيطية سنة 1888م (المادة 5). وحددت حدود السلطنة الكثيرية: سـيئون وتريم وتريس والغرف ومريمة وغيل بن يمين وأراضي قبيلة الشنافر (المادة 2). وأكدت ثباتهم وعدم اعتراضهم على حكم حضرموت، عدا المناطق المذكورة (المادة 4). وقـف الفتـن السـابقة بين الجانبين ونسيانها (المادة 6). أن يكون آل عبدالله الكثيري مسـتقلون فـي حدودهـم المعينة (المادة 3). وكل النزاعات بين طرفي الاتفاقية تحلها الدولة البريطانية بالتحكيم بواسطة والي عدن (المادة 11).

إن المـبدأ الرئيسي قد ورد في المادة (1): "يرتضي السلطان القعيطي مولى الشحر والمكـلا وسـلاطين آل عـبدالله كثير أن يكون إقليم حضرموت إقليماً واحداً وأن الأقليم المذكـور هو من متعلقات الدولة البريطانية تابعاً لسلطان الشحر والمكلا" /106 – أ ص 284/.

3- في الطريق نحو الدولة الواحدة
(1918 – 1967م)

إن الدراسـة المفصلة للتاريخ السياسي للمنطقة في المرحلة المنظورة (على سبيل المـثال، / 131، 128، 162/) تتـيح الانتـباه إلى تلك الحقائق التي أثرت جوهرياً في الوعي الاجتماعي للحضرميين، وبشكل خاص في تكوينهم السلالي.

إن الباعـث فـي تطور الوعي الاجتماعي لدى الحضارمة في الخارج، ثم في داخل الـبلاد، قـد كـان، كما يبدو، سبباً عديم الأهمية – خرق قاعدة زواج الكفاءة. ففي عام 1905م، حـدث إن امـرأة مـن السادة (شريفة) تزوجت على مسلم غير علوي (أي لا ينتمـي إلـى أعقاب أحمد بن عيسى باعلوي)، والى جانب ذلك يعتبر أيضاً غير عربي. الأحـداث اللاحقـة جـرت بعـيداً خارج حدود الحلقات الحضرمية في "الهند الهولندية" (حوالي 30 ألف شخص) / 122م 2 ص 241/.

وفـي الـرد علـى استفسار عن صحة مثل ذلك الزواج، أصدر السيد عمر بن سالم العطـاس فتوى، حرم فيها تزويج العلوية "من آل البيت" لغير العلوي مستشهداً بالقرآن، والأحاديث النبوية والتطبيق الإسلامي/122 م 2 ص 244 – 247/. وفي الفتوى تحدث العطاس عن أربع درجات في النكاح:

1- العرب لا يكافئهم غيرهم من العجم.

2- قريش لا يكافئهم غيرهم من العرب.
3- بنو هاشم لا يكافئهم غيرهم من قريش.
4- أولاد فاطمة الزهراء بنو الحسن والحسين. لا يكافئهم غيرهم من بني هاشم.

وتدليلاً على ذلك أورد أحاديث الرسول (ص): "من آذى أهل بيتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله" و "من كنت مولاه فعلي مولاه". وبالتالي، يعلق العطاس على الحديث الأخير، لا يمكن للسيد (من آل البيت) أن يتزوج من مملوكة.

وعلى النقيض تماماً من استنتاجات الفتوى سمح محمد رشيد رضا من مريدي مفتي مصر، المصلح محمد عبده، منظر القومية العربية المبكرة، والذي أصدر في مصر مجلة "المنار". وفيها كانت قد نشرت الوثائق الرئيسية للمرحلة الأولى من الجدل (المنار، 16 ربيع الأول 1322هـ الموافق 21 مايو 1905م، المجلد 8، القسم 6). وقد كتب رضا إن جميع المسلمين متساوون بغض النظر عن الأصل ولون الجلد، وأن الشريعة ينبغي أن تخدم الحرية والمساواة، وليس الانقسام والتفاضل. إن بعض الأحاديث التي اقتبسها العطاس، حسب رأي رضا – يفسرها وفق هواه، وبعض منها غير موثوقة، لأن "إسنادها ضعيف". وخصوصاً أحدث الاستياء تأويل الحديث عن ولاية علي على المسلمين، والتي فهمها العلويون كدليل لأفضلية " آل البيت" على جميع الناس. وأكد رضا ان الناس ليسوا عبيدآ للعلويين/ 122م2 ص 248/.

أسس المهاجرون الحضرميون، أنصار موقف محمد رشيد رضا، في عام 1914م في بتافيا (جزيرة جاوه) جمعية الإصلاح والإرشاد. جاء كثيرون منهم من صفوف جمعية الخير العربية. وأصبح أعضاء الجمعية الجديدة والمتعاطفون معها يسمون الإرشاديين. في عام 1915م جرى تأسيس مدرسة "الإرشاد" حيث درس في الغالب معلمون سودانيون. وللمرة الأولى فرض التعليم المشترك.

البند الثاني من نظام الجمعية ينص على مايلي : "غرض الجمعية جمع الأموال وصرفها فيما يأتي:

1- السعي الى إصلاح وترقية الأمة الإسلامية عموماً والعربية خصوصاً، أدبياً واقتصادياً بنشر الدين الإسلامي، وبث الآداب، والأخلاق الفاضلة، ونشر العلم واللغة العربية.
2- القيام بالمشاريع الخيرية: كالمدارس وبيوت الأيتام والأرامل والعجزة والمستشفيات، وتتوسل الجمعية إلى أغراضها بالتأليف والنشر، وعقد الاجتماعات، وإلقاء المحاضرات، وإرسال البعثات، وإنشاء النوادي والمكاتب العمومية، ومساعدة الجمعيات التي تتفق مع هذه الجمعية في المقصد بشرط أن يكون ذلك

غـير مخالف للدين الإسلامي ولا لقوانين الحكومة المحلية،/ 122م 2 ص 257 - 258/.

أن أي مسـلم باستطاعته أن يكون إرشادياً، وكانت قيادة الجمعية منتخبه ومحاسبة ودورية، ولكن وفقاً للفقرة (5) فلا يجوز لأحد من العلويين أن يكون عضواً من أعضاء الرئاسـة أو وكـيلاً لها. وجاء هذا المنع، كما يوضح صلاح البكري ليبرهن لهؤلاء أن الـنجاح في الأنشطة المنظمة ممكناً أيضاً بدون قيادتهم/ 122 م2 ص 260/، هامش "1" /. ومع ذلك فأن السادة كانوا بين المؤسسين والأعضاء النشطاء (على سبيل المثال من آل الحبشي)، لكن الدور الرئيسي في الحركة الإرشادية، بما في ذلك تمويلها المالي، قام به المشائخ والقبائل (اليافعيون، آل تميم، آل كثير).

فـي موقفهم من الحواجز الطبقية للمجتمع التقليدي أراد الأرشاديون تحويل مفهوم "سـيد"، واسـتخدامه ببسـاطة، كما هو مستعمل في شمال العالم العربي، كنداء لطيف مـؤدب. ولقـد نشرت صحيفة " الإرشاد" ودافعت عن محيط واسع من الأفكار التنويرية والاجتماعية والاقتصادية.

قاد "الحزب" العلوي حملة شرسة ضد الإرشاديين، متهماً خصومة بالخطط التخريبية السـرية، التي تذهب بعيداً خارج إطار النظام العلني للجمعية. فالأرشاديون كما وصفتهم أسـاليب جدل مناقشيهم: "للقنصل التركي قالوا: ان معلمي "الأرشاد" ومؤسسي مدرستهم - جواسيس للإنجليز وعملائهم السياسيين. ويقولون لأبناء وطنهم: إن هذه المدارس قد أنشـأت علـى حسـاب الكنيسـة الكاثولوكية، لتحويل الأطفال المسلمين إلى المسيحية. وللموظفيـن الإنجلـيز قالوا، أن الجمعية مرتبطة بالجمعية التركية "الوحدة والتقدم" أو بالبلاشـفة، أمـا هدفها فالثورة المنظمة في بلدان الشرق ضد الإنجليز واتباعهم ... أو انهـم يقولـون: إن معلمهم الشيخ الكبير أحمد بن محمد السركاتي - ابن أخت المهدي السـوداني - دعـيّ، وانه يخطط للثورة المهدية ضد السلطات الهولندية" (رسالة إدارة "الإرشاد" في وزارة الخارجية الإنجليزية: أنظر / 122 م2 ص 315/).

لقد ربط خصوم الإرشاد الحركة الإصلاحية مع أي من القوى الخارجية القادرة على إقـلاق الإدارة الاستعمارية - الهولندية في اندنوسيا، والبريطانية في سنغافورة والهند وفي الجنوب العربي.

واسـتخدموا أساليب التأثير الديني: هكذا، ففي عام 1918م التمسوا من شريف مكة أن يمنع الإرشاديين من القيام بالحج / 122م 2 ص 278/. وخطب السادة في المساجد، أن الإرشـاديين قد اشترتهم روسيا البلشفية للدعاية لـ "أفكار الشيوعية، ولعصيان كل السلطات وللإباحية الأخلاقية"/122 م2 ص 284/.

أعطت الدعاية المضادة للإرشاديين ثمارها. ففي البلاغ الرسمي المشترك للسلطانين القعيطـي والكثـيري (1337هـ الموافق 1918) دعيا المهاجرين الحضارمة، وقبل كل

شـيء أولـئك الذيـن ينـتمون الـى "آل البيت"، أن يطردوا من صفوفهم "الجواسيس والخـوارج"، وهددا بكشف كل الأرشاديين بالأسماء/122 م2 ص 285 – 286 /. وفي البـلاغ الرسـمي الصـادر فـي 22 رجب 1338هـ الموافق 12 أبريل 1920م منعت الجمعـية فـي أراضي السلطنة القعيطية، وكتب السلطان غالب بن عوض نثراً مسجوعاً فحـواه إن جمعـية الإرشاد، تنشر البغي والفساد، وأطلق عليها بلشفيكية غير منظمة/ 122 م2 ص 305 – 306 /.[1] وأوقفـت السـلطات البريطانـية أكـثر مـن مرة منح الجوازات للإرشاديين، المتجهين إلى سنغافورة أو العائدين إلى الوطن.

وفـيما بعد، في الثلاثينات، لم يخب وهج الصراع: فالسلطان الكثيري عندما أستقبل في حضرموت الرحالة والدبلوماسي الهولندي د. فان ديرميلين، طلب المساعدة في إبعاد جميع الحضارمة من الهند الهولندية، المتآمرين ضد سلالته. أما سادة تريم فدافعوا أمام الضـيف الهولندي بغيرة على موقف أقربائهم، المتواجدين في جاوه / 88 ص 121 – 122/.

وبصـرف الـنظر عـن الاتهامات المستمرة بالراديكالية السياسية، فأن الإرشاديين كـانوا ينـتمون إلـى الاتجـاه الإصلاحي المعتدل، الذي يعكس مصالح النفسية الوطنية للبرجوازية التجارية، بحلقاتها تلك، التي لم تكن راضية عن الاحتكار الديني والاقتصادي للسادة. وبرز في هذا الصراع بوضوح الجدل التاريخي بين السادة والمشائخ. في إحدى وثـائق الإرشـاديين (عريضة لوزارة الخارجية الإنجليزية) يماثلون أنفسهم مع الطبقة الثانـية: "الأمـة الحضـرمية . علـى الإجمال ،سواء كانوا في وطنهم أو في مهجرهم عنصـران كبـيران. أحدهمـا يسمى بالعرف العام عندنا باسم "المشائخ" وهم أهل البلاد الأصـليون، ونحـن المقدميـن إلـى جنابكم هذه العريضة. والعنصر الثاني يسمون بـ "العلوييـن"، وهـم الذين نشتكي منهم ونستغيث بكم من شر ما ينتج من فتنتهم وحيلهم عليـنا، وهـم – أي العلويون – قوم أجانب عنا، هاجروا إلى بلادنا منذ قرون، يدعون الانتساب إلى علي بن أبي طالب والى نبي المسلمين محمد (ص) من جهة أبنته" / 122 م2 ص 307/.

رد الفعل المعادي للإرشاد من قبل العلويين تمثل بإنشاء رابطتهم الخاصة في بتافيا ومـدن جـاوه الأخـرى، والتي أطلق عليها "الرابطة العلوية". وأصدرت الرابطة جريدة "حضرموت".

---

[1] حسب المصدر الذي استند إليه المؤلف وهو كتاب صلاح البكري "تاريخ حضرموت السياسي" ج2 ص 304 ط1، أن هذا البلاغ ليس رسميا وإنما نسب إلى الحكومة القعيطية وان جماعة من العلويين هم وراء تزويره ونسب إلى السلطان غالب بن عوض القعيطي. (المترجم).

تنافست الحركتان في إنشاء المدارس العربية الجديدة وفي نشر الإصدارات الدورية، وسعى كل منهما الى جذب المهاجرين الحضارمة.

كما جرت محاولات للأصلاح بين الجانبين المتخاصمين اكثر من مرة: كل "لجنة مصالحة" تحل محل الأخرى، والكثير من الشخصيات الأسلامية المعتبرة قبلت أن تقوم بدور الوسيط بلا جدوى. من بينها – رئيس جامعة القاهرة الإسلامية "الأزهر"، بل وحتى محمد رشيد رضا، الرائد العفوي للنزاع الإرشادي – العلوي.

المبادرة التوحيديه الأكثر نجاحاً قام بها محمد عبدالله العمودي في عام 1929م في مدينة سورابيا، حيث لم شعث أهم تنظيمات المهاجرين الحضارمة (باستثناء الرابطة العلوية) في إطار إئتلاف الوحدة العربية. وظل الائتلاف قائماً حتى عام 1932م / 122 م2 ص 348 – 349/.

مع نهاية العشرينات اعتبرت معظم تنظيمات المهاجرين الحضارمة، وحتى الأكثر محافظة، أن وطنهم المنقسم سياسياً، والذي تمزقه الحروب الأهلية، والجهل والتخلف، يحتاج إلى التجديد.

وفي 17 أبريل – 12 مايو 1928م عقد المؤتمر الحضرمي في سنغافورة، الذي اقترح، بمبادرة من كبار تجار الجملة من الجماعة العلوية، جملة من المطالب الاجتماعية – الاقتصادية للسلطانين القعيطي والكثيري. وهذه أهمها:

- تنظيم الخدمات الجمركية للسلطنتين في حضرموت، والقيام بتدوين العوائد والرسوم، ومنع الابتزاز التعسفي للأموال.
- تأسيس شركة تجارية وطنية وأن تشتري الحكومتان 5% من مجموع أسهم الشركة.
- إقامة شبكة من المشاريع الخيرية والصحية.
- توحيد المناهج التعليمية.
- إصلاح القضاء (استقلال القضاة ودفع مرتبات شهرية ثابتة لهم، مساواة الشهود أمام القانون، إدخال المحاماة وإنشاء الدوائر القضائية).
- مناقشة مشاريع القوانين قبل إقرارها.
- ضمان حقوق المهاجرين الحضارمة في المساهمة في قضايا وطنهم.
- الطلب من صالح بن غالب القعيطي للنظر في الخلاف الواقع بين الإرشاد والعلويين وسعياً للصلاح.
- السعي لإقامة صلح بين قبائل حضرموت لمدة أقلها خمس سنوات.
- إلغاء المسؤولية الجماعية لأفراد القبيلة عن أفعال أي منهم، ومقابل ذلك إلزامهم بمساعدة الحكومتين في إخضاعه / 122 م2 ص 66 – 75/.

قـرر المؤتمـر الحضرمي كذلك إرسال وفداً يمثله إلى الوطن لتوضيح موقفه. وقد رفض كلا السلطانين مشروع الإصلاح، الذي أعد في سنغافورة. وإذا كان الأرشاديون قد عوتـبوا، لأن أحـد قـياداتهم، الشيخ أحمد السوركاتي، غريباً بالنسبة للحضارمة، فأن السلطان عمـر بـن عوض القعيطي وصف المشاركين في مؤتمر سنغافورة كمنفذين لإرادة رجـل غريـب يدعى الطيب الساسي، الذي ليس له أدنى معرفة بحضرموت "ولا ناقـة له ولا جمـل فيها" / 122 م2 ص 64 – 65/. ومن جانبه وعد السلطان أن يقوم في الوقت القريب بأجراء إصلاحات تدريجية.

وبعد وفاتـه (فـي مطلع عام 1936م) فأن السلطان الجديد، صالح بن غالب كان مضـطراً فـي خطـاب تنصيبه أن يعد ببعض التغييرات – توسيع الأساليب المتقدمة في الـزراعة وإدخـال التقنـية الاقتصادية الحديثة، وإصلاحات قضائية معينة، والتسهيلات التجارية / 122 م2 ص 81 – 84/.

إن تأثـير بعـض نقاط برنامج سنغافورة عام 1928م، قد ظهر بوضوح في شروط "صـلح انجرامـز" (عـام 1937م)، عـندما تم في نهاية المطاف عقد الصلح بين قبائل حضرموت، تحت ضغط المندوب الإنجليزي وبالاستناد إلى السلطان القعيطي وسادة تريم آل الكاف.

سبقت الاتفـاق الزيارة التي قام بها عام 1933م المندوب السياسي البريطاني ب. ريلي، والرحلات التمهيدية لانجرامز في عامي 1934 – 1935م. وخلال تسعة أسابيع مـن تواجـده فـي السلطتين وضع انجرامز تقريراً عن الأوضاع في البلاد – من وادي جـردان إلـى سيحوت ومن البحر إلى العبر (بلاد الصيعر) / 75 ص 7/. وتيقن إن في الكثـير من التجمعات السكانية وأراضي القبائل لا تستطيع الهيئات السلاطينية أن تجبي الضرائب وليس لها أي نفوذ في الإدارة، على الرغم أن كل الحضارم شكلياً يعدون رعايا السـلاطين ويغـادرون إلى الخارج بجوازات قعيطية أو كثيرية/ 75 ص 10 /، كانت قد صدرت خلال الأعوام 1910 – 1919م.

تنقسم السلطنة القعيطية إلى عدد من المناطق الإدارية: المكلا، غيل باوزير، الشحر، الديـس، الحامـي، مـيفعه، فوه وبروم، قسم من بلحاف، حبان وعين بامعبد، قصيعر، حجـر، دوعـن، حوره وهينن، شبام، عينات، ساه. ويعيش فيها أكثر من مئتي ألف من السكان الحضـر وشبه البدو الرحل. وفي حدود السلطنة الكثيرية، المحددة في اتفاقية 1918م (أنظـر أعلاه ف2 الفقرة2)، بلغ عدد السكان اكثر من خمسين ألف نسمة / 75 ص 11 – 12، 122 م2 ص 84 – 85، 88/.

وخـارج الأشـراف السلطاني وقعت أراضي سيحوت ، قسم، قبائل بلاد الحموم، آل تميم، العوامر، آل جابر، المناهيل، الصيعر، نهد، الدّين، نوّح، الجعدة، ماضي، المشاجرة

.. الـــخ، أي أراضـــي حضرموت الغربية – وادي العين، وجزء كبير من وادي الكسر، ووادي عمـــد، باســـتثناء حريضة – وفي وادي دوعن كانت توجد أجزاء مستقلة. ومن أشـــهرها – بلدة القزة في مصب وادي الغبر. استوطنها المقاتلون آل البطاطي، وبنجاح دافعـــت القـــرية عـــن نفســـها مـــن قبائل آل محفوظ من الخريخر وصيلع المجاورتين، المعترفتان بسيادة السلطات القعيطية.

يـــتذكر سعيد محمد البطاطي، المولود في القزة (حوالي 80 عاماً): أراد بنو محفوظ إعادة تقسيم الأراضي في وادي الغبر وهم أولئك الذين عاشوا في قرية خريخر، وهؤلاء هـــم بن الشيبة، بن عجران، بن رعيس، والمراشده، وأولئك الذين عاشوا في نحوله – بـــن طـــيران وفـــي صـــلع – بن يماني. ولقد قصفوا بيوت القزة المحصنة على الجبل الصـــخري بـــالمدافع، التي جلبوها من جاوه، ولكن آل البطاطي أعادوا خلال ليلة واحدة بـــناء ما دُمر. وعندما كان الهجوم، فأن القزة كلها حملت السلاح، وحتى بعض النساء. وكان القعيطي إلى جانب آل محفوظ. غيران النزاع قد حل فيما بعد ، ومرت الحدود بين صـــخور الجرشة. (وقد حاولت السلطات الكثيرية الصلح بين الطرفين، أنظر الوثيقة رقم 18 فـــي 1296هـــ الموافق 1879م في أرشيف المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف).

أما النزاع في وادي ساه (1913 – 1914م)، إشتباكات الديّن مع عامـــل القعيطي (1923م) وغـــيرها مـــن الخلافـــات الداخلية فقد قام بحلها وبمهارة، المنحدر من قرية القويـــره الدوعنية – السيد حسين المحضار الوزير القعيطي (توفي 1927م)،.وقد دخل أسمه الفلكلـــور الشـــعبي (أنظر ج3 ف1 الفقرات 1–2). وقد كان يمتلك أيضاً موهبة ارتجال الشعر، والتي ساعدته في اللحظات الصعبة. ابن حسين، أبوبكر، سار على خطى أبيه، لكنه اهتم بالتجارة اكثر مما بالأعمال الحكومية/ 122 م2 ص 76 – 77/.

وفي رحلة انجرامز تم التوقيع على عدد من الاتفاقيات الكتابية مع القبائل. وقد قسم هـــذه الوثـــائق إلى نموذج "أ"، ويقتضي الإخلاص بلا قيود للسلطان، ونموذج "ب – عن الصـــداقة والتعاون على أساس المنافع المتبادلة. بين القبائل التي ربطت نفسها بعلاقات الـــتفاهم "أ" وجـــد الحلفاء المخلصين للقعيطي، مثل آل تميم (الذين يؤلفون مع اليافعيين والموالـــى نـــواة جـــيش السلطان) والسيبانيين آل باصره، غير إن هنا أيضاً – القبائل المستقلة المناهيل، العوابث، والفروع الأخرى للسيبان أو النوح المعتدلين منذ وقت غير بعـــيد. ووقـــع المعاهدات "ب" الحموم، الشنافر، آل كثير، المهرة، الجعدة، العوامر، بنو هلال، العوالق، العمودي وغيرهم / 75 ص 92/.

وكثيراً ما تم خرق الاتفاقيات أفقياً (أي بين القبائل وحكام السلاطين). أما الخروقات عمودياً (بين القبائل) فكانت مقننه: تخاصمت سيبان مع الحموم، المناهيل – مع المهرة، الصـــيعر – مع الجميع. وفي كثير من القبائل حدثت إصطدامات قبلية داخلية. فالحروب

الأهلية في وادي عمد (وهي صفة أيضاً في تلك المرحلة للمناطق الأخرى في حضرموت الغربية) دمرت اقتصاد الوادي، وأحرقت الكثير من أشجار النخيل، وهدمت المنازل، وآلت منشآت الري إلى التدهور، والى كل مكان امتدت "منطقة القتال" / 88 ص 199، 205/. وأذعن السادة آل العطاس في حريضة وعمد بإكراه للسلطان القعيطي، ولذلك لامهم إنجرامز على قصور الحكمة السياسية / 80 ص 248/.

وفي أثناء رحلته الثانية (عام 1936م) رأى الممثل البريطاني أن مهمته الرئيسية هي التوقيع على اتفاقية هدنة شاملة.

"في بعض الأحيان، - كتب انجرامز، - بدا وكأن توقيع أحد الزعماء كافياً لتقييد عدة الآف من الرجال المسلحين بالتعهد، وأذكر على الأقل حالة واحدة، عندما جاء للتوقيع درزينة فحسب، ومع ذلك كان لابد من الحصول عليه. وهكذا اجتمع لدينا أكثر من 1400 "حكومة" متفرقة في دولتين اثنتين. كما كانت هناك عدة مئات من المدن المستقلة ذات السكان العزل (حافظ رئيسها عادة على الموالى المسلحين، وأخذ الرهائن بغرض الأمن وعقد اتفاقيات الدفاع مع القبائل المجاورة)، وكذلك الحوطات (جمع حوطة) أو المدن المقدسة، التي لا تمس حرمتها حسب العادات القديمة أو الاتفاقية. وبلغ إجمالي ما أحصيته في حضرموت حوالي ألفين "حكومة" منفردة، من بينها فقط اثنتان التي اعترفت بهما بريطانيا" / 80 ص 25/.

أصبحت الهدنة الشاملة نافذة منذ شهر ذي الحجة 1355هـ الموافق فبراير 1937م ولمدة ثلاث سنوات. وفي عام 1940م جرى تمديدها لمدة خمس سنوات، ثم أيضاً إلى خمس سنوات أخرى. ومنذ عام 1950م أصبح ميثاق "السلام الأهلي" دائماً (رغم خرقة أكثر من مرة).

وللمحافظة عليه أنشئ مجلس خاص للصلح وبمساعدة الخبراء البريطانيين تم تكوين الجيش النظامي، وفي المدن - الشرطة المدنية، ولحفظ النظام في المناطق الريفية - الجندرمه. وتشكل جيش البادية على طراز الجيش الأردني، وكان عليه ضمان أمن الحدود والمناطق المتاخمة لها.

تركز الأشراف السياسي على حضرموت في عدن، التي انتقلت عام 1937م إلى الأشراف المباشر لوزارة المستعمرات البريطانية، وكل دويلات الجنوب العربي التابعة لبريطانيا قسمت إلى محميات عدن الشرقية والغربية / 240 ص 15 - 16، 162 ص 41 - 42 /. وفي ذلك العام أيضاً أصبح انجرامز أول مستشار بريطاني لدى السلطان القعيطي في جميع الأعمال، باستثناء مسائل العقيدة والعادات، ومنذ عام 1939م امتدت صلاحياته لتشمل السلطنة الكثيرية أيضاً / 197 م2 ص 204/.

وبسبب عصيان القبائل، ووفقاً لاتفاقية 1937م، فرضت غرامات على القبائل (أغنام وعمـلات فضـيـة)، وسلمت الرهائن والأسلحة. وانتظرت المتعندين حملة القوات البرية وغـارة طائـرات سـلاح الجو البريطاني، مع الأخطار قبل يومين قبل بدء العملية. في حضـرموت الغربـيـة كان مهبط المطار يوجد بالقرب من عنيبات (في وادي عمد) وفي بحران (في وادي الكسر).

أول غارات القصف الجوي تعرضت لها قبائل بن يماني من قبيلة آل جابر. في نهاية عـام 1936م قـاموا بمحاصرة الطريق التي أنشئت لتوها (طريق أبوبكر الكاف)، والتي ربطـت ميـناء الشـحر بتريم. هذه الطريق (ثم فيما بعد كذلك طريق المرتفعات الغربية للمكـلا – وادي دوعـن) قوضـت احـتكار القبائل المشتغلين بقوافل التجارة: آل جابر، المناهيل، الحموم، ثعين في الشرق ونوح، سيبان والعوابث في الغرب. ورغبة منها في تهدئـة القـبـائل، وعدت الحكومة بأن تسمح للنقل على السيارات فقط للركاب والحمولة الكبـيرة الحجم أو البضائع القابلة للتلف أو سريعة العطب، أما بقية الأشياء فتتبع قوافل الجمـال. وقـد خُـرق الوعد، وجرت الحوادث على الطرق من جديد. في عام 1954م قصـفت طائـرات سلاح الطيران الملكي في حضرموت الغربية السيبان بسبب هجومهم علـى سيارات الشحن، وفي عام 1961م نفس ذلك المصير تعرض له العوابث وسيبان خـامع وحيق بسبب الامتناع عن تسليم السلاح لسلطات السلطنة / 80 ص 43 /. وبعد عـدة سـنوات فـأن القـبـائل – أصحاب الجمال أجادوا قيادة سيارات النقل وحصروا استثمارها في أيديهم.

إن تأثـيراً القـبـائل، التـي كانت تقوم بتوريد العبيد عادة إلى أسواق جنوب ووسط الجزيـرة العربـيـة، قد وهن جوهرياً بمنع تجارة العبيد، ابتداء من معاهدة إلغاء الرقيق عـام 1863م – مع الكسادي وفي عام 1873م – مع القعيطي (النص، أنظر / 106 – أ ص 264 – 265/) وحتى معاهدة عام 1938م، التي أعلنت شكلياً إن امتلاك العبيد غير قانوني /80 ص 293/.

فـي عـام 1939م تـم في حضرموت تنظيم الخدمة البريدية. وقد سهلت اكثر صلة الأوسـاط المهاجـرة مـع المـنظمات الاجتماعية، التي تعمل على نشر أفكار التنوير، المسـاواة والوحـدة. ولم تستمر طويلاً أولى هذه التنظيمات (على سبيل المثال، رابطة الـتكافل الخـيرية، التي تكونت عام 1917م في سيئون والتي سرعان ما أغلقها سلطان السلطنة).

ومـنذ عـام 1928م نشطت في حضرموت رابطة الأخوة والتعاون، التي دخل منها محمد عبدالله الشاطري، محمد السري، محضار الكاف، على بلفقيه والشخصيات الثقافية والاجتماعـيـة المعروفة الأخرى، التي تناضل من أجل وحدة البلاد، ومن أجل قيام سوق

اقتصادي واحد / 178 ص 8/. لقد بدا إن الوضع لا يطاق، عندما يعرف الحضرمي البراكين في جاوه أفضل من المناطق التي تبعد بضعة ساعات مشياً على الأقدام من بيته الأصلي، وعندما لا يتصور ساكن شبام، كيف تبدو سيئون، تريم أو الهجرين/ 88 ص 117 – 118، 125/.

بعودتهم إلى الوطن جلب المهاجرون معهم الأفكار الجديدة. ومنذ عام 1930م عمل المؤتمر الحضرمي في حضرموت الغربية، ومنذ عام 1931م – جمعية الإصلاح، ومنذ عام 1936م – الجمعية العلمية، ومنذ عام 1937م نادي الشباب وغير ذلك / 187 ص 10 – 13/. وفي رابطة المساواة التي أسسها عام 1931م في سيئون محمد الجفري ومحمد السقاف وأحمد الصبان برزت فكرة التعاون مع بواكير منظمات الحرفيين والمزارعين.

إن أفكار الإرشاديين، التي كانت قريبة من كثير من المتنورين، قد وجدت صدى لها في العائلات التجارية الغنية في حضرموت الغربية (وادي دوعن ووادي عمد)، التي جمعت الثروة في المهجر: بلحمر، باصخر، باقيس، بن ماضي.

بالنسبة للكثيرين فأن ممثلي أسرة بن عبدات الكثيرية قد أصبحوا رمزاً للإرشادية، حيث قاموا خلال الأعوام 1924 – 1944م بإصلاحات في مدينة الغرف (حضرموت الوسطى)، بصرف النظر عن معارضة الإدارة الإنجليزية والسلاطينية/ 138 ص 15/.

قطعت الحرب العالمية الثانية الصلات الاقتصادية الخارجية لحضرموت. فتوقف استيراد البضائع، ولم تعد الأموال تصل من المهجر. وأحدثت الأسباب، مضافاً إليها قلت المحصول في عام 1943م، المجاعة في البلاد، التي أودت بحياة أكثر من عشرين ألف شخص. كما خالف الحكام الكثيريون العادة وطلبوا من المزارعين استعادة القروض حتى جني المحصول. وتزعم المعارضة العفوية للملاك والمستأجرين حمود باضاوي (1880 – 1966م).

قضى باضاوي، المولود في بور، والمنحدر من أسرة فقيرة من الحرثان، خمسة عشر عاماً في كينيا ("جاوه بالنسبة للفقراء"، كما كان يطلق على شرق أفريقيا نسبة إلى الانفاق القليل على الطريق)، حيث خدم جندياً. ثم عاد إلى الزراعة وبعد قليل أصبح زعيماً فلاحياً معترف به، وحصل على تأييد الجماعة الوطنية في سيئون "صوت الوطن". وفي عام 1944م في الإضرابات والمظاهرات الأولى في حضرموت، دعا باضاوي الفلاحين إلى نسيان سمة الأزدراء "ضعفاء" وعدم الخوف من الحكام: " أن قوتكم اكثر من قوتهم. لا تخيفكم جنودهم. وإذا أمسك كل واحد منكم بسعف نخيل، منقى من الورق، فأنهم سيهربون منكم. غير إنهم يسمونكم "ضعفاء". والضعيف فقط هو ذلك الذي يعوزه

الأيمـــان. نحن لسنا ضعفاء. إذا نادوك في أي وقت "ياضعيف!، فأصرف النظر عن ذلك بالكامل" /178 ص 28 – 29/.

إن وصول المتظاهرين إلى سيئون بعيدان النخيل قد دفع السلطة إلى التراجع. وفيما بعد، حينما تم في السلطنة زيادة الضرائب على المزارعين (عام 1945م)، فأن باضاوي مـع أنصاره بدر بريك، محمد وسعيد بافطيم وآخرين قد نظموا إضراباً شاملاً للفلاحين، أيـده قسـم من حرفيي المدن. وخلال الأعوام 1944 – 1946م أطلق عليها الحضارمة "ثورة حمود باضاوي" /177 ص 31 – 32، 10 – 13/.

فـي عام 1948م أنشأ باضاوي جمعية المزارعين والتي حظرتها سلطات السلطنة. وفـي عام 1959م إستعادت الجمعية نشاطها في كلا السلطتين، أما في عام 1964م فقد شكلت بمشاركة باضاوي اللجنة العليا لرابطة العمال والفلاحين، والتي دخل فيها أعضاء كثـير مـن المنظمات – أكثر من 500 شخصاً . وفي عام 1965م أصبح نشاط رابطة العمـال الحضـارمة علنياً، وفي ذلك العام أيضاً أحتفل لأول مرة في سيئون بالأول من مايو /178 ص 30 – 45/.

حـاول الحكـام السلاطين أن يسايروا الظروف المتغيرة في البلاد. فنظموا لخدمات المالـية والضـريبية، ووضـعوا ميزانـية مالية سنوية. كما تم فصل الملكية الخاصة للسـلاطين عـن ملكية السلطنة. وكحلقة ربط بين السلطان القعيطي وبين إدارته جرى تألـيف مجلـس للدولـة بمهام استشارية. ورأس الحكومة سكرتير الدولة. وفي عـام 1949م صـدر قـانون السلطة المحلية – المجالس البلدية والقروية. وفي عام 1950م صـدر قـانون جنائي مأخوذ من كتب الفقه والشريعة. اختص رئيس القضاة الشرعيين بمسائل الحقوق.

وفـي عام 1952م ظهرت المحاكم المحلية لدى هيئات السلطة المحلية لتسوية أمور الـنزاع بيـن الأهالي في مناطقهم. ومع ذلك فأن الرأي العام الراديكالي في حضرموت اعتـبر تلك الإجراءات غير كافية /114 ص 241 – 243؛ 197 ج2 ص 228 – 229، 231، 84/.

لقد أثرث الأحداث داخل البلاد وخارج حدودها بشدة أكثر في وعي سكان حضرموت. كما قضت بتعيين الهوية التقليدية (للمقارنة 141م2 ص 66/):

1- حسب الانتماء والطبقة الاجتماعية (عند القبائل – وفقاً لصلة الدم أو القبيلة).
2- حسب المكان (مواليد أحد الأودية – حضارمة).
3- حسب اللغة (يتحدثون لهجة واحدة – التحدث بالعربية، أي عرب).
4- حسب العقيدة الدينية (سني – شافعي – مسلم).

إن مفهـوم "اليمنيين" سكان حضرموت، ظل لزمن طويل مرتبطاً على الأغلب بجبلي الشـمال الغربي. ويستخدم مفهوم "عرب" كمرادف لمفهوم "الإنسان كامل الحقوق، الذي يـتحدث لغة عادية". وبهدف قبول أفكار القومية العربية وانتشارها الواسع احتاج الأمر إلـى سلسـلة مـتكاملة من الأحداث السياسية الخارجية. ويمكن أن نعتبر أهمها ثورة 1952م ضـد الملكية في مصر، والتي عززت الميول المعادية للإقطاع في اليمن. وكانت الإطاحـة بالإمامـة فـي شمال اليمن عام 1962م، قد طرحت قضية الكفاح المسلح في الجنوب. وغدت قضية الوطن اليمني الموحد تثار بحماس ليس فقط في صنعاء أو عدن، وإنمـا كذلـك فـي المـدن اساحلية لحضرموت ومناطقها الداخلية، بما في ذلك أرياف حضرموت الغربية.

شارك أعضاء رابطة عمال حضرموت، التي أسهم في تكوينها باضاوي، بحيوية في الانتفاضـات ضد المستعمرين والإقطاعيين المحليين. كما رحبوا بانطلاقة الكفاح المسلح فـي غـرب جـنوب اليمن يوم 14 أكتوبر 1964م. وأيد الكثيرون منهم الجبهة القومية وانضـموا إلـيها فيما بعد. وقوبل رهان الجبهة القومية على الدولة الموحدة والمستقلة للجـنوب العربي بسياستها المعادية للسلاطين بتأييد القبائل. وفشلت النزعات المناطقية أو الانفصـالية. وبـدأ المجتمع الجديد، الذي انتهت فيه التمايزات الطبقية، يجر الشباب الراديكالـي من كل الطبقات إلى الأحداث الثورية (وعلى وجه الخصوص الطبقات الأعلى والأدنى). وفي 16 سبتمبر 1967م خلع غالب بن عوض أخر سلاطين القعيطي، وفي 2 أكتوبر خلع السلطان حسين بن علي الكثيري.

وبدأ تعيين الهوية الذاتية التقليدي يستبدل تدريجياً بثلاث مستويات جديدة: حضرمي – يمني – عربي. وهذا التحول لم يستكمل كلياً حتى الوقت الحاضر.

الاستنتاجات

إن تصـور سـكان حضـرموت – حـاملو الثقافة السلالية المحددة – عن ماضيهم (الماضـي الحضـاري) يتصـف بتشـخيص الـتاريخ في النماذج الأسطورية، المروية والواقعـية. ولـيس عبثاً أن المصنفات النموذجية للتاريخ الحضرمي هي السيرة الذاتية (الـترجمة) أو مجموعـة تراجم. وهذه الظاهرة مرتبطة دون انفصام بالانقسام الطبقي للماضـي الحضـاري، حينما يتم تفريق العملية التاريخية الواحدة إلى عدد من الخطوط المسـتقلة، المـتعلقة بهـذه أو بـتلك مـن الطبقات الاجتماعية. ولتعزيز وإعادة إنتاج التصـورات المماثلـة تستخدم التقاليد الشفوية والكتابية (أنظر الجزء الثالث، الفصل 2، الفقرة 1)، ويغذي كل منهما الأخر بتبادل.

إن التفرد الطبيعي لحضرموت (الأراضي الساحلية، المرتفعات الجبلية وشبكة الأودية بين البحر العربي والصحراء) قد حددت إلى حد ما طابع تاريخها – التمازج الخاص للوقائع المكملة والمتفرقة: الانقسام مع الميل إلى الوحدة.

يمكن تصور تاريخ حضرموت ببساطة سلسلة غير متناهية من الاعتداءات الخارجية والحروب الداخلية والجهل. ألا أن جميع القوى الاجتماعية المتصارعة هنا قد سعت إلى السيطرة على الموانئ وطرق قوافل الجمال والأسواق والأراضي الزراعية، وإذا تبين أن تلك الغاية بعيدة المنال، فأن الصراع كان يجري على قطع منفردة من الأراضي (وحتى إلى الشعب، العين، البئر أو مجموعة أشجار). والأخير خاصة يصح بالنسبة لحضرموت الغربية – الأرياف التي تعيش على طرق القوافل الغربية، حيث جرت في المنطقة، بعد الأباضيين الذين لم يعد لهم ذكر في التقاليد المحلية، محاولة واحدة فقط (العمودي) لتأسيس دولة محلية، ومع ذلك فأن السلطان القعيطي لم يتمكن أن يضم هذه المنطقة بالكامل. وتظهر المقارنة مع حضرموت الشرقية، بيد أن حضرموت الغربية بالمقارنة معها أكثر سكاناً وأكثر ثراء، ولها روابط واسعة وقوية مع المشرق العربي والمناطق التقليدية للمهاجرين الحضارمة.

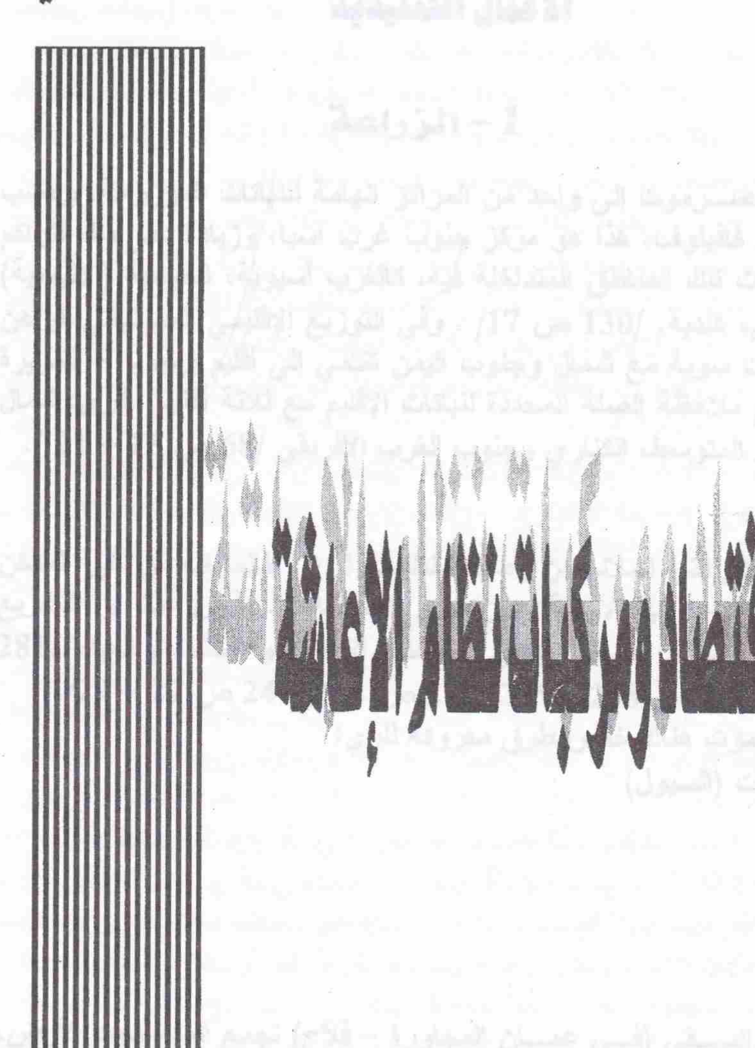
في الدولة المستقلة في جنوب اليمن ألغي التقسيم الطبقي، وفقد السلاطين وشيوخ القبائل سلطتهم. ومنع التخاطب بالنداءات المهينة، عبد، ضعيف، مسكين، وحلت محلها كلمات عامل وفلاح.

إن إلغاء التقسيم الطبقي للمجتمع قد بدأ قبل إحراز الاستقلال بعشرات السنين. فالخلاف الإرشادي – العلوي في الثلث الأول من القرن العشرين قد قوض الاحتكار الديني للسادة. وفي الأوساط التجارية الحضرمية التي تكونت في الخارج، تراجعت العلاقات الطبقية إلى المرتبة الثانية. كما إن اتجاه مركزة الحكم السلاطيني والإدارة البريطانية قد سلب الزعامات المشيخية وعدد من القبائل دورها التقليدي، ولذلك تعززت النزعات المعارضة. وبدت الحكومة وكأنها ليس بمعزل عن القومية العربية وشيوع المبادئ السياسية الراديكالية. إن كل هذا قد هيأ لانهيار النظام القديم.

حمل الزمن الحديث النجاح للعملية التكاملية. وتسارع تحديث المجتمع ويتغيير الوعي الاجتماعي. إن عملية التوحيد السلالي لسكان جنوب اليمن، وفي الوقت الراهن جميع سكان الجمهورية اليمنية، تسري كذلك على الحضارمة.

ويسهل التوحيد الاندماج السلالي للسكان (في جميع التباينات المحلية) وتجانسه اللغوي النسبي ووحدة الديانة للجنوب – (الإسلام السني بمذهبه الشافعي). إن عمليات التوحيد السلالي تخفف الانقسام الطبقي المتخلف للمجتمع ووجود النمط البدوي فيه (إلى جانب الأساس، النمط الحضرمي).

الجزء الثاني



الاقتصاد ومركبات نظام الإعاشة

الفصل الأول

الأعمال التقليدية

1 – الزراعة

تنتمي حضرموت إلى واحد من المراكز الهامة للنباتات المزروعة. وحسب تصنيف ن. إ. فافيلوف، هذا هو مركز جنوب غرب آسيا، وزيادة على ذلك تتراكم هنا تأثيرات تلك المناطق المتداخلة فيه، كالغرب آسيوية، الحبشية (الأثيوبية) والجنوب غرب هندية. /130 ص 17/ . وفي التوزيع الإقليمي الجيونباتي الراهن فأن حضرموت سوية مع شمال وجنوب اليمن تنتمي إلى أقليم إرتيريا – الجزيرة العربية، مع ملاحظة الصلة المحددة لنباتات الإقليم مع ثلاثة أقاليم أخرى: شمال البحر الأبيض المتوسط، الكناري وجنوب الغرب الأفريقي /68 ص 15 – 21 /.

الري

يبدأ الاستعراض الملائم من وصف منظومة الري، طالما إنه من غير الممكن الاشتغال بالزراعة في الأودية بدون الري الاصطناعي. وليس عبثاً أن التشريع الإسلامي يؤكد لا انفصام معنى "استخدام الأرض" و "استخدام المياه" /281 ص9، 100، 280 ص 258 – 265، 278 ص 242، 241 ص 27 – 29/.

في حضرموت هناك خمس طرق معروفة للري:

1- الفيضانات (السيول)
2- الآبار
3- الينابيع
4- الأمطار
5- القنوات

إن قناة السقي (في عمان المجاورة – فلاج) تجمع المياه تحت الأرض، وتستخدم أنفاق خطوط المياه في غيل باوزير لزراعة التبغ. وتوجد بقية الطرق المذكورة في حضرموت الغربية. والأهم منها – الري بفيضانات السيول.

يتكون الفيضان أو السيل عند سقوط الأمطار، التي تتجمع من الهضبة، مندفعة باتجاه قيعان أودية حضرموت، على شكل جريان سطحي. وقاعدة الري

بالسـيول – هـي تقسـيم مجرى السيل بمساعدة جدران لحجز المياه (سدود أو قناطر جانبية) لغرض توصيل المياه المحجوزة إلى الأرض (الرسم 1 – 2).

لـم تتغـير تقنية الري كثيراً منذ عهد ما قبل الإسلام. وتؤكد ذلك المشاهدات الميدانية لعضو البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة، عالم الآثار أ. ف. سيدوف في بلـدة ريـبون / 185 / وفي النقوش الصخرية في القرية الدوعنية تولبه (وادي ليمن)، يروى ان أحدهم وأسمه دبرون ذوعبيل، "حفر في الصخر وأوصل قناته – غيل تولبه لغرض سقي الأرض" (كتاب م . ب بيتروفسكي).

لنـنظر تقنية الري، على سبيل المثال، زراعة الهجرين (الرسم 1 و 18). تبدأ إلـى الجنوب منها في منطقة قرية غار السودان مجموعة منشآت الري الزراعي للـبلدات : غار السودان، صيلع، خريخر، الخريبه، نحوله، الجدفره، ديار الحامد، شـرج بن حترش، الهجرين، المنيظره، وهذا القسم من وادي دوعن يسمى عادة وادي الهجرين.

الـسـد الجانبـي الأول (ضمير – ضمور) (الرسم 3 – 4) – هو حائل ترابي، مـبلط بالـزلط في محلول فخاري، سوية مع البلاط الحجري (رصعه – رواصع) وهـو يخفـف ويوجـه سير السيل، ويضعف جزءاً من قوته. ثم تصب فيضانات السيل في القناة الرئيسية (الساقية – الأم) التي يقسمها الدامر ثانية إلى ساقيتين: دمـون وهـيدون. وتتشـعب الأخيرتان بدورهما إلى ثلاث قنوات لكل منهما (بـاحداد، مجفـا، عيـبه، الـتجل، السـفيل، حامش). وحول ذلك يتركز النشاط الاقتصـادي لمزارعـي الهجريـن: الجزء الغربي لمدينة (الساير القبلي) – حول منظومة مياه دمون، والجزء الشرقي (الساير الشرقي) – حول شبكة مياه السقي هيدون.

إن مخطـط الـري فـي قـرية خريخـر، الذي وضعه ب. إ. بوغور يلسكي، ومـنظومة الـري فـي مدينة عمد التي قام بدراستها م. أ. أغلا روف، يمكن أن يكـون وصـفهما متشـابهاً. وتقوم القناة الرئيسية "الأم" بتصريف المياه الى كل الأراضـي الزراعـية الكثـيرة (حجـل – حجول). ولا تمت بصلة اليها الأراضي الملاصـقة (شرج – شروج)، التي ترويها السيول من الهضاب وتعتبر أقل قيمة مـن (الحجـل). وتحمـل فـروع القناة الرئيسية (ساقية/ بدد – بدّود) الماء الى أراضـي (مطرح – مطارح) الحي أو الفرع القبلي، وهناك تتشعب الى قناتين أو ثـلاث قنوات لأرواء القطع المناسبة (جرب – جرّوب) والوحدات المملوكة (قطعة – قطـع). وعـند تـتابع تقسيم المياه، فإنها تمر من خلال أخدود مسند بالأرض (سـوم – أسوام)، ويحيط بالأرض (رسم 3 – 4 ب). وتتوحد القنوات التعويضية (الرسم 3–4 ب – ج) في خزانات المياه، التي تستقبل المياه الزائدة.

وبهدف مقاومة انجراف التربة، الخطر الأكثر تهديداً لمزارعي حضرموت، فأن منشآت حجز المياه تُلبّس بالأحجار، ويبلط قاع القنوات في الأماكن الضرورية بـ (سلقه البيدد)، هكذا أيضاً مثل التلبيس بالدامر.

تعد علامات السنة الزراعية في حضرموت "نجوم" التقويم الخاص : وتعتبر التقاليد أن عدداً منها يلائم بشكل خاص فيضانات السيول (أنظر الملحق: تقويم النجوم).

ويعتبر الري من الآبار الأسلوب الآخر الشائع في مجرى أسفل الوهاد وبشكل خاص في الوادي.

يتم الري بمساعدة منشآت رفع المياه (قرب) والمعروف في بعض نواحي الجزيرة العربية باسم ناعورة، مُرّكب، سواني ...الخ أما في سوريا والعراق فتسمى عادة "نصبه". إن منشآت القرب بشكل عام سهلة للغاية (الرسم 7). يقع في أساسها البكرة المثبتة فوق وسط البئر (العجلة)، والتي يمر عبرها حبل جلدي. يوثق أحد طرفي الحبل إلى قطعة خشبية في الدلو الجلدي الكبير، والطرف الآخر إلى السرج، المثبت على سنام البعير أو الثور. ولكي ينسكب الماء من الدلو فأن للقرب بكره ثانية أسطوانية (أصغر)، تثبت في أقصى حافة البئر. وعبر هذه البكرة يمر حبل دقيق من النخيل، يوثق من أحد الأطراف إلى برذعة الحيوان، والطرف الآخر - إلى الحلق غير المرتوق للدلو. وعندما يتحرك الحيوان في المستوى المائل فأنه يستخرج الدلو الممتلئ.وأثناء صعود الدلو إلى حافة البئر فأن الحلقوم الضيق ينكس بواسطة الحبل إلى الحوض فينسكب الماء. وهذا النوع من الري كان قد وصفه كذلك ك. لاندبرغ/ 236 ص 321/.

كان العمل من أجل حفر بئر على عمق 40 - 50 قامة (64 - 80 متراً) يتطلب أكثر من عام. ومن المعروف أنه لا يتمكن من امتلاك بئر خاصة به آلا الشخص الميسور. وفي منطقة القطن، مركز السقي بالآبار، تعززت في الفترة من الثلاثينات إلى خمسينات القرن العشرين الملكية الخاصة للأراضي، وتجمعت الطبقة المالكة بفعالية. وحسب معطيات القسم الثقافي في القطن (الذي يرأسه عبد العزيز عمار) كانت توجد عشية الاستقلال عدة أنواع من ملكية الأراضي:

أ- الأراضي السلطانية (ملكية الدولة) في منطقة العقاد، والتي أجّرت لكبار الملاك (بامطرف، باربيد، باهرمز) مقابل 12 شلناً للفدان الواحد (1000 فدان = 130.000 مطيرة مروية من مياه الآبار و 1000 من مياه السيول).

ب- أراضي الوقف - حوالي 200 فدان.

ج- الأراضي الخاصة - 14379 فداناً مروية من الآبار، و 1649 فداناً مروية من السيول. ولقد تحولت الملكية القبلية وبسرعة الى ملكية خاصة. وكانت

تتوزع حصص الأملاك لمجموعة كبار الملاك (من 20 إلى 563 فدان) – 202 شخصياً كانوا يملكون (11794 فداناً) من الأراضي. والملاك المتوسطون (15 – 20 فداناً) – 173 شخصاً، المساحة العامة (2088 فدان). والملاك الصغار – 192 شخصاً، ويملكون (614 فداناً).

كانت البئر الواحدة تروي تقريباً 35 فداناً من الأراضي الزراعية. وكانت توجد لدى 25% من الملاك جرارات كملكية خاصة أو مشتركة، ونظمت الدورات الزراعية، واستحدثت الأساليب الزراعية الجديدة.

وفي ذات الوقت بقيت في الوديان، حيث استخدم غالباً الري بالسيول، جماعية الجوار مع تقاليد التبعية المتبادلة والتعاون المشترك. إن الطابع الجماعي لأعمال منظومة الري (الذي لاوجود لها في الري من الآبار) أثناء الري من السيول والأمطار (الرسم 5) والينابيع (الرسم 6) قد جعل المساعدة ملزمة للمرضى والأشخاص المتقدمين بالسن وذلك في اعمال تصفية وتنقية السواقي من الطمى التي تتجمع في أوقات السيول، أو ترسبات الأملاح المعدنية في القنوات المفتوحة (عتم – عتُّوم)، التي تأتي من الينابيع. ومع ذلك فأن الفلاح إذا لم يحضر إلى أرضه في وقت السيل، فأنه يمكن للجيران أن يسمحوا للماء للوصول إلى ارضه، ويمكنهم أيضاً استخدام حقوقه من الماء بصورة مجانية.

وخلال السنوات العشر الأخيرة جفت في حضرموت آبار كثيرة. ويقول السكان إن المياه تحت التربة قد "ذهبت". وارتباطا بذلك فأنهم يتابعون بارتياب نشاط الاختصاصيين في استصلاح الأراضي، وأعمال حفر الآبار الأرتوازية، وكذا عمل المكنات الكهربائية التي تشفط المياه من كل الطبقات – وهل إنها لا تأخذ من الآبار الأخرى، بما لا يتعارض مع عادة استخدام المياه المشترك والمتكافئ.

بضع كلمات عن قواعد الري. ففي التقاليد اليمنية، إلى جانب الحق في استخدام المياه (الشُرب) (بضم الشين) يوجد مفهوم شِرب (بكسر الشين) "سهم"، "حصة الماء" / 278 ص 226/. وفي أثناء السقي بالسيول فأن هذه الحصة نسبية إلى حد ماء، ذلك لأنها كلياً مرتبطة بكثافة استمرارية السيول. ومثل تلك الظروف أيضاً في حالة الري بالأمطار. ففي هاتين الحالتين فأن كفاية الري تتحدد "على مرأى العين" من خلال مستوى منسوب المياه على الأرض (إلى الرسغ أو الركبه).

وفي أثناء الري من الآبار والينابيع والقنوات فأن الشرب يقاس بصرامة اكثر: عصا متزنة (عود نخيل بدون ورق – فرّ)، الساعة الشمسية (تغيير الظل عن الحجر أو الإنسان) أو بالمياه (سرعة الماء المندفع من الخزان الكبير للمياه، تسجل بوضع علامات على جداره أو بمستوى آنية خشبية أسطوانية تطفو على

سطح الماء (مّصري)، وفي الوقت الحالي فأن المقاييس التقليدية للوقت تستبدل بساعات اليد القياسية.

أثناء استخدام أنواع الري تلك توجد دورة ري، عادة مضاعف السبعة (على سبيل المثال في قرية القزة في الرافد الغربي لوادي دوعن – سبعة أيام. وفي المنطقة الجبلية – الأحجور في اليمن الشمالي – 14 يوماً / 278 ص 284/. وهذا مرتبط في كون مزروعات الحبوب الأكثر انتشاراً (الذرة) ينبغي أن تسقى مرة كل أسبوعين، والبر في مثل تلك المدة، والطماط (الذي يزرع في المزرعة الجماعية "المشهد" و "بيحان") مرة في الأسبوع ... الخ (وفي كل مكان يؤخذ الأسلوب الأمثل).

زراعة النخيل

إن زراعة نخيل التمور في المنطقة التاريخية الأثنوغرافية الشمال الأفريقية – الغرب آسيوية قد كانت العامل الحاسم لخدمة الطراز الاقتصادي – الثقافي للمزارعين الحضر في الواحات والأودية والتلال السفحية. والنخلة لا تعطي فقط الغذاء ومواد البناء وخامات اللوازم المنزلية والمصنوعات، ولكنها أيضاً توفر الظل لمزروعات الحبوب، وزراعة البطيخ والزراعة البستانية والمحاصيل الصناعية الأخرى التي تزرع تحت النخيل / 140 ص 598/.

وللنخيل قابلية لأن تثمر مرة إلى مرتين في العام دون الارتواء من السيول، ولذلك فأنها تتعلق بطوارئ البيئة بدرجة أقل من مزروعات الحبوب. وبالنسبة للحضارمة فأن امتلاك النخيل – هو أحد الشروط الثلاثة للحياة السعيدة، إلى جانب المنزل الخاص والزوجة الجيدة / 165 ص 102/.

وسكان حضرموت يلهمون النخلة ويكسبونها صفات إنسانية : وهي يمكن أن تعمر إلى مائة عام (وفي الواقع تقريباً 60 عاماً)، ومن طبيعتها الشعور بالمحبة والغيرة.ألف الشاعر عبد الرحمن بن شهاب (القرن التاسع عشر الميلادي) قصيدة عن نخيل حضرموت وعدد فيها أكثر من 70 صنفاً للتمور المحلية: "توجد أصناف كثيرة من النخيل: الأصفر، الأحمر، الأسود. وهي تذكر بأعقاب ابن آدم، أما النخلة الذكر – فالزوج الحار" (الإقتباس أنظر/ 40 ص 34/).

إن إبادة النخلة تتساوى مع القتل:

ففي زمن الحروب الداخلية كان الكزّاز – مبّيد النخلة، يصب على جذعها غاز الكيروسين وكان يعتبر أسوأ من القاتل. ويؤكدون أن أوائل الكزازين قد ظهروا في أواسط عشرينات قرنناً لعشرين في وادي دوعن / 267 ص 307 /.

يقـال إن فـي حضـرموت أكثر من 300 صنفاً من التمور، ولكن حتى ملاك النخـيل أنفسـهم فأنهم نادراً ما يسمون أكثر من درزينة من الأصناف. من بينها الحلـو جداً – سهل ، والطري – بُطيط، واللذيذ جداً – ميدع، والأفضل للحفظ – زُجاج والطبي – سرّيع وحمرا.

تنقسـم المـرحلة من الحمل إلى نضج الثمرة لدى النخلة، مثلما عند الإنسان، إلـى تسعة أشهر، وتتفرع في حضرموت الغربية إلى المراحل التالية / راجع / 179 ص 42):

1- الفخطـة – التلقيح. في يناير – فبراير يتم التلقيح الاصطناعي: حيث يُرمى اللقاح مع الأعذاق المذكرة المقطوعة على العناقيد المؤنثة المزهرة.

2- التصـريف – الاستئصال. في منتصف أبريل تخلع الفروع الزائدة والحسك الحاد على الساق.

3- التوضـيع (الترديد) – الترتيب. في أبريل – مايو يتم تثبيت عناقيد التمور، لكي لا تتعرض للكسر تحت وطأت الثقل.

4- التخبـير – الحماية. في يونيو – يوليو تُغطى عناقيد التمور الخضراء (بُسر – بسـار) بسلال ذات جانبين – خُبره (أنظر لاحقاً فقرة (3) النجارة). وفي هذا الوقت يحرسون المحصول من الطيور والقردة والناس.

5- القطـيع – القطـع. في بداية سبتمبر يتم جمع المحصول. وتشارك النساء أيضـاً في العمل. حيث يقمن بنفض التمور وفرزها من السيقان التي يقطعها الرجال.

بعـد ذلـك يتم تجفيف التمور عدة أيام تحت الشمس، ثم يغسلونـها ويشكلونـها في مساحة مستديرة، ثم يجمعونها في اكواز كبيرة – زير – أزيار (أنظر الفقرة 3 الصـناعة الفخاريـة). ومعظم تمور حضرموت العربية تنتمي إلى الصنف الملائم للحفـظ (زُجـاج).إمـا للاسـتخدام العائلي فيستهلك عادة الصنف اللذيذ والطري (صّفري).

إن إضـفاء الصـفات الإنسانية على النخيل ينعكس في المصطلحات التقليدية. فـبعض أصـناف النخيل (بصرف النظر عن الجنس الحقيقي للشجرة) تسمى أبو "أب" (علـى سبيل المثال صنف مديني) أو أو (صنف حمرا)، وشتلة النخلة "ولد"، والنخلة المزدوجة – قرين "عدد زوجي".

المصطلحات الأخرى، المتعلقة بزراعة النخيل، دونها ك. لاندبرغ ور.سرجنت/ 236 ص 307 – 311، 267 ص 317، الملاحظـة 72، 319 – 321/ وأكدتها أبحاثـنا الميدانـية فـي حضرموت الغربية : النخلة الصغيرة، التي تعطي ثماراً،

تسمى خلعة – خلوع، مقلع – مقالع (أربع سنوات أو أكثر)، النخلة الطويلة التي تـنمو مـنفردة يطلق عليها منقر – مناقر والنخلة ذات الثلاثة سيقان أو أكثر من جذر واحد تسمى – دواره.

"تشريح" النخلة يقدم في الرسم رقم 8:

1- لـبه (لـباب) – الـبرعم العلوي الذي تنمو منه الأوراق، يطلقون عليه قلب النخلة. مادة للحياكه.

2- الجسم أو الجذر أو الساق. مادة للبناء والوقود.

3- مطي (مطية) – السيقان الوسطى. مادة للحياكة والوقود.

4- قرآفه – قراريف – ربط الشماريخ (الأعذاق).

5- خيل (خيال، خول)– عذق من الأم.

6- شمروخ (شماريخ) من الأم.

7- الـتمور: (بُسـر) – أخضر، غير ناضج، (فضح) – الناضج، (قرع) – شبه ناضـج، محـل – الـتمور الناضجة (السوداء، الحمراء، الصفراء)،(مفتول) الجافة، (خطي) – الفاسدة.

8- الأشواك الحادة في الغرائس الرئيسية.

9- سـعفة (سـعف) جريد (جرايدات) – غصن مورق، غرائس السعف – مادة بـناء، ووحدة قياس – وار (أنظر المقاييس التقليدية)، مكنسة لأزالة نسيج العنكبوت.

10-كَربة، كَرب – أساس الغرسة.

11-ليف (الياف) – مادة لفتل الحبال.

12- جزم (جزوم) – النصف الأكثر غلاضة للغرسة.مادة لحصيرة النافذة، التي خلافاً لمخاوف د. سرجنت / 276 ص 320 /، لا زالت حتى اليوم شائعة في حضرموت الغربية.

13- خوصة (خوص) – أجزاء الورقة. مادة لحياكة السلال، وتستخدم لأضرام النار.

تتطلـب العـناية بالنخـيل الكثير من الجهد، وهي خطرة غالباً، فخلال موسم (يـناير– سـبتمبر) يـتم التسلق على كل نخلة من خمس إلى سبع مرات.ولهذا الغـرض يستخدم مرقد (مراقد) وهو حبل مبروم من سيور الجلد الخام مع عروة عريضـة، حيكـت مـن الياف النخيل. وبأرتداء العروة كنطاق حول الخصر ولف الجـذع بالحـبل فـأن العـامل تقريباً يصعد إلى أعلى الشجرة. ولغرض التلقيح الاصـطناعي فأن الإغداق المذكرة (أنظر الرسم في /160 ص 143/) يتم قطعها بعد تفتح الْقرَاف في يناير – فبراير ومن ثم ترمى على العناقيد المؤنثه المزهرة.

وتـــتجمع الأعـــذاق المذكـــرة في جراب يعلق على رقبة الذي يصعد على الشجرة ولجمـــع الأعـــذاق تستخدم عصا طويلة مع غصن مقطوع في نهايتها يقوم بدور الخطاف. ولقطع الشوك يستخدم مشذب أعوج – ملعب (أنظر الرسم 10 ج).

تـــتكاثر النخـــيل عـــادة بغرس عساليج جذرية، وليس بالبذور. "الأولاد"، أي الغرائس التي ليس لها أوراق بعد، تغرس في تجويف عميق وتظلل بقطع قماشية مـــع محـــيط دائـــري مـــن قطـــع سيقان النخيل (تستبدل حالياً، في الغالب، بعلب أسـطوانية مـــن الصفيح التي أفرغت من السمن أو الحليب المجفف وتطلى بالطين).ويتم سـقي الغرسات بسخاء لعدة أيام بعد غرسها، ومن ثم يقومون بسقيها كل يومين طالمـــا لـــم تظهـــر فيها البراعم العلوية التي تنمو منها الأوراق – لبَّه.ولغرض الحمايـــة مـــن الحشرات الضارة، فأنهم يقومون فيما بعد بدهن السيقان الوسطى بالزيت النباتي (أنظر الجزء 3 الفصل 2 الفقرة 3 رقم 36 ب).

فـــي حضرموت يحبون الاستناد إلى أحاديث الرسول حول أن الأقرب إلى مياه السـيول يسـتخدمها قبل الذي يليه ويسقي نخيله إلى أن يصل الماء إلى الرسغ (حجـل – أحجـال، حجـول، للمقارنة أنظر أعلاه مع الأسماء للكثير من الأرض الزراعـــية). وعـــن هذا حدثنا عبدالله سالم باجابر (أكثر من 70 عاماً) – الخبير بشـئون الري من عندل في وادي عمد، وذكر ذلك في كتابه أ. المقطري / 241 ص 29/. ومع ذلك ففي التطبيق يعتبر السقي الأفضل حينما تغمر الشجرة بالماء إلى إرتفاع متر من أساسها على الأقل في العام أو العامين.

يرتبط محصول النخلة بطريقة الري : عند السقي من الآبار – يمكن جني من الشجرة اكثر من 100 رطل (45 كجم) من التمور، وعند السقي بمياه السيول في "أواسـط" العـام – أقل من 33 رطلاً (أقل من 15 كجم). وفي وادي دوعن تعطي الـــنخلة، حسـب كـلام محدثيـنا، حوالي 22 رطلاً (9.9 كجم). والتنكة الواحدة (صـفيحة تـزن حوالـــي 30 كجم) تساوي من 10 – 15 ديناراً حسب النوعية (الأسعار هنا ولاحقاً حسب معطيات عام 1989م).

في الوقت الحاضر تظل ملاحظة انجرامس التي وضعها قبل نصف قرن مضى حـــول أن الـــتمور في حضرموت لا تدخر تقريباً، وانما يستهلك محصولها جميعه طـرياً خـلال شهرين : يونيو ويوليو، مغالاة قليلة الأهمية / 75 ص 55/. في ذات الوقـت كانـت الـــنخلة تساوي من 32 الى 80 جنيه استرليني (من حساب الجنـيه الواحـد = 12.5 تاليري) وهذا السعر قريب من قيمة العبد. وفي مطلع السـتينات هبط سعر النخلة الى 7 – 25 جنيه استرليني/ 75 ص 55، 96 – أ ص 249، 209 ص 60 – 61 / . وفـــي منتصـف الثمانينات تذبذب سعر النخلة

مــن 5، 2 ديــنار للشتلة (غرسه، مقلع) من الصنوف حمراء، حاشدي والعماني الــى 50 دينار واكثر مقابل الشجرة الكبيرة، أما الغرسة من صنف جزاز (زجاج) مدينـــي، ســريع فتقدر بـ 15 – 20 دينار، والنخلة الكبيرة تقدر بـ 150 ديناراً وأكثر.

وبالرغم من تجارب السبعينات في تجميع الأراضي في حضرموت الغربية (في ودي عمــد ووادي دوعــن) فــأن النخيل بقيت هنا ملكية خاصة (من 5 – 100 نخلة واكثر). وفي جميع الأودية الجانبية الثلاثة فأن أشجار النخيل كثيرة العدد، بشــكل خاص، في أعلى الوديان، وبالقرب من المجرى الأسفل للوديان. ولازالت باقــية علــى الأرض أكواخ النخيل (عريش – عروش)، والبيوت الطينية (دار – ديار)، والأبراج (كوت) المخصصة لحراسة إحراج النخيل (عن منظومة الحراسة – الشــراحة، أنظــر ج 3 الفصل 1 الفقرة 2، نماذج الفلكلور، المرتبطة بزراعة النخيل وردت في الجزء 3 فصل 2 فقره 3).

في عام 1922م قدر عدد النخيل في جميع حضرموت بـ 200 ألف/ 267 ص 307 /. وهــذا الرقم يعتبر قليلاً إذا ما أخذنا المعطيات الإحصائية عن النخيل في مــنطقة عمــد، والتي حصلنا عليها عام 1989م من سالم علي بن شملان، الذي عمل مستشاراً لمديرية عمد.

المكان الآهل بالسكان	إجمالي عدد السكان	عدد النخيل (بالآلاف)	المساحة المروية (في الألف مطيره)
قرن المال	550	3	21
خنفر	900	5	22
الرحب	780	4	35
منخوب	400	6	10
عنق	1000	5	27
النعير	850	3	42
حرّوبه	150	1	12
شظيه	100	4	5
عمد	1650	7.3	40
جاحز	600	6	13
حبره	300	3	15
طمحان	700	2	18
خربة باكرمان، الوجر، بامخشم	1430	6	45

مخيه، قرن المال، شرج بايتس وغيرها	900	3	13
الرباط، حالة باصليب، خميلة بايزيد ، تُرمُلُ	2350	7.5	22
الشعبه، الشرقي، الجبوب	1700	7	25
زاهر، الرضحين	750	2	6
الإجمالي	15110	74.8	371

وحسب معلوماتنا، ففي مديرية عمد يعيش ما لا يقل عن 28.2 ألف شخص، وبالتالي يكون لكل واحد من السكان أ قل من 3 نخلات (2.6) وبحدود 13 مطيره من الأراضي المروية.

المعطيات، التي تم الحصول عليها من قسم الإحصاء في مديرية دوعن (مركز عمد – 130 ألف نخلة، حريضه – 50 ألفاً، سيف – 143 ألفاً، وادي العين – 30 ألف نخلة)، من غير إحتساب النخيل الذي هلك بسبب الجفاف والذي يبلغ على أقل تقدير 40% من نخيل وادي عمد. بيد أنه على أية حال يوجد في حضرموت الغربية فقط (مديرية دوعن + مركز حوره مديرية القطن – 42 ألف نخلة) ما تعداده أكثر من 300 ألف نخلة. ومع ذلك ففي عدد من المناطق، على سبيل المثال، في وادي دوعن – من الخريخر الى الهجرين، توجد الكثير من قطع الأراضي المهملة مع أثر لزراعة النخيل.

أيضاً هناك بعض الأرقام تصف "طريقة الفرق" في حضرموت الغربية. فمن إجمالي 218735 مطيره من الأراضي المزروعة : نصيب حريضة 7435 مطيره موزعة على 55 فرقه (في كل منها من خمسة إلى ستة أشخاص)، أي بمعدل متوسط 135.2 مطيرة للفريق الواحد (حي العمال).

ونصيب قرن بن عدوان ووادي تبرعه (حي ردفان) – 54 ألف مطيرة موزعة على 50 فرقه، بمعنى 1080 مطيره للفريق الواحد.

وفي نفحون وزاهر (حي 22 يونيو) – 58.3 ألف مطيرة في 47 فرقة، اي 1240.4 مطيره للفريق .

في عندل (حي 14 مايو) – 69.03 ألف مطيرة في 46 فرقة، ي 1500.7 مطيره للفريق.

الإجمالي – 1.093 ألف شخص من العاملين الزراعيين. وتقع 15ألف مطيره في المركز في ملكية المساجد كوقف، 16 ألف مطيره تحت تصرف مشروع دراسة منظومة الري، أيضاً حوالي 16 ألف مطيره – في الاحتياط (قسم الإحصاء بمديرية دوعن 1989م).

في مركز عمد – 1440 مزارعاً في الفرق، وفي وادي العين – 720 شخصاً، وفــي مركـز حريضــة – 742 شخصاً في الفرق والفين شخص أصحاب ملكية خاصــة (الهجريــن وأسـفل مجـرى وادي دوعن)، وفي مركز صيف ثلاثة الف مزارع من ذوي الملكية الخاصة.

في مركز حوره مديرية القطن يبلغ العدد 841 مزارعاً من أصحاب الملكية الخاصة.

الإجمالــي العام في حضرموت الغربية حتى مطلع عام 1989م حوالي عشرة الآف شــخص كــانوا يعملــون فــي الزراعة، من بينهم حوالي سته الآف كانوا يعملــون في القطاع الخاص. ومع قيام الدولة اليمنية الواحدة أخذت هذه اللوحة تتغير بشدة.

النباتات الزراعية الأخرى

إن الخاصــية الأكثـر تميـزاً بالنسـبة لحضرموت الغربية هي الذرة، الدجر، الجلجل (السمسم)، وبدرجة أقل المسيبلي والبر والدخن.

وبشــكل خــاص فأن الذرة هي الأهم، وهي تعطي المحصول خلال 70 يوماً. ويمــيزون هــنا ذرة الشتاء ذات الساق القصيرة، التي تزرع في منتصف يوليو، عــن ذرة الصــيف التــي يصل ارتفاعها إلى 2.5 متراً وتزرع في العشرة الأيام الأولــى مــن شهر مارس. إن محاصيل الذرة مألوفة للتربة، بما في ذلك التربة المالحــة. وكما جرت العادة تبذر الذرة سوية مع الدجر والجلجل بصورة تناسبية 6 : 2 : 2، وفــي بعـض الأحـيان يضـاف إلـيها حصــة واحدة من الحنظل (القرعيات). أما في "وقت البرد" ي في مرحلة المطر الخريفي – الشتوي (أكتوبر – مارس) فأنهم يزرعون البر (الحنطة).

فــي حضــرموت الغربية يمكن تمييز المناطق الملائمة للزراعة . ففي وادي دوعــن هي تلك الأرضي من خميلة بايزيد إلى شظيه، ومن الرضحين إلى عنق، نفحــون، حريضــه، عــندل. وفي وادي دوعن – منطقة وادي ليسر وليمن مع الينابيع الدائمة في وادي مرح ووادي حموده (الأماكن المأهوله بالسكان الرباط، قــرحة باحمــيش، خريبه، سبيخ ،عرسمه، تولبه وغيرها)، الأراضي في الأسفل حــول الهجريــن ووادي الغبر (القزه) وفي وادي العين – العليا (حصن آل بكير، شرج الشريف، غرب) و "شروج وادي العين" في مجرى السيول السفلى للوادي، وكذلك بحران في وادي الكسر.

هنا في مراكز الري بالينابيع والآبار (وهذا يخص قبل كل شيء وادي دوعن، وبحران ووادي العين) يزرعون مختلف أنواع المزروعات منها: نباتات الخضار:

البصل، السلط، الثوم، الفجل، الباذنجان، الخيار، الطماطم، البامية، اللوبيا، النعناع والكراوية السوداء وغيرها.

والمـزروعات البسـتانية: اللـيمون الحامض (الليم)، الرمان، الموز، البطيخ (الحبحـب)، القرعـيات بمخـتلف انواعهـا، بما في ذلك القرع الأكثر إنتشاراً – الفقـوز، والبرسيم (القضب). كما توجد أشجار المانجو والباباي القليلة. ومع ذلك فـأن الزراعة الرئيسية في حضرموت الغربية هي التمور، الذرة، الدجر، الجلجل، والى درجة معينة البر.

كيفية تتابع الأعمال الزراعية وما هي الأدوات التقليدية المستخدمة في ذلك؟

إن عـدة الحـراثة الشائعة فـي حضرموت الغربية (حسب تعريف ب . ب بوغوريلسـكي، الـذي استخدم تصنيفات ي. كراسنوف)، هي المحراث ذو الناب الواحد / 145 ص 32 /، والأسم المحلي – "حلي". وهو من حيث التصنيف قريب مـن محـراث آسـيا الوسـطى، الذي يمثل حلقة متطورة بين المحراث الروسي والمحراث الأوكرني ذي المخلب الوحيد.

لقـد وصـف الباحـثون أدوات الحـراثة الحنشبية لكثير من مناطق الجزيرة العربـية: توجد مخططات هندسية بالنسبة للحج (ج. ي. د. ش) / 241 ص 55، 222 ص 33/، ولمحافظـة صعده (ج. ع. ي) / 230 ص 60 – 62 / والمناطق الوسـطى مـن اليمـن / 225 الجداول 8 – 9 /، وكذلك بالنسبة لعسير (العربية السعودية) / 222 ص 39 – 40 /.

في حضرموت الغربية يعرف نوعان من المحاريث (حلي):

أ– الكبير والثقيل (حوالي 40 كجم) تحت زوج من الثيران.

ب–الصغير والخفيف (حوالي 4 كجم)، والذي يشد بزوج من الحمير أو جمل لوحده.

أن تركيبة المحراثين متشابهة (الرسم 9 و 34).

ومثل بقية الأدوات والمعدات الزراعية المحلية المصنوعة من الأخشاب، يقوم النجار المتخصص بأعداد المحراث (حلي) : يتم تجهيز المحراث الكبير خلال يوم واحد، والمحراث الصغير خلال عدة ساعات. المواد – خشب (مّشط)، لا تؤثر فيه الـرطوبة، وتعمـل قـاعدة الأرتكاز. الجزء "ب" عادة من خشب العلب أو الأثل. واستخدم الأثل كذلك لصنع الأنبوبة الخاصة بالبذار (أنظر لاحقاً الفقرة 3).

الحـراثة الأولـى (جسم) في عمق الأرض كانت تجري بالمحراث الكبير، أو يدويـاً – بالمعـازق ذات الحد المدبب (مزحاه – مزاحي) ونموذجه (الرسم 11)، ويسـتخدم القدوم لطمر وعزق التربة، وعند تحريك التربة كبيرة الحجم تستخدم مجـرفة – معزقة ذات نصل عريض (الرسم 41). وخلال السنوات العشر الأخيرة فـأن ماكينة الحراثة (التراكتور) قد أزاحت عملياً المحراث الكبير. تم استيراد أول

ماكينة حراثة في عام 1905م من قبل المزارع هود بن أحمد السقاف من سيئون مـع مضخات الماء الميكانيكية، التي تعمل بالبنزين، والمولد الكهربائي (دينامو) والسـيارة القديمـة "فورد" ، وللاعتناء بهذه التقنية وتدريب وإعداد الميكانيكيين المحليين، أستقدم الاختصاصي الياباني هريامو، الذي اعتنق الإسلام وتزوج في سيئون/ 182 ص 10 /.

بعـد الحراثة الأولى للأرض يقومون بتسويتها بالمعاول وبلوح خشبي خاص (حريـر – حرور) وبه تتشكل الحواجز الأرضية (سوم – أسوام) على تخوم قطع الأراضـي الزراعـية.وكسـماد يسـتخدمون الدمـان – في السابق دمان الأبقار والجمال، أما الآن فيستخدمون فقط زبل الجمال. ومقاييسه تعتبر سلة كبيرة (جبل – جـبول) بطول 1.5 متر وعرض متر وحد. ولكل مساحة مقدارها مطيرة واحدة تسـتخدم سـلتان مـن الدمـان . توجد أيضاً سلال عملية مسـتديرة (مريشة – مـرايش) مخصصه لحمل ونقل التربة . إن السلال التي كانت تعمل في الأوقات القديمـة من الصفصاف قد أصبحت تصنع أكثر شيء من السطح المحيطي لأطار العجلات المطاطية للسيارات.

بعـد حـرث الأرض بالمحراث الكبير كانوا يسلقونها بمسلقة كبيرة (مخرم – مخـاريم) ذات المخالب الحديدية الستة عشر المفلحطة (كلب – كلأب) (الرسم 10 – أ) . أما عند الحراثة بالمحراث الصغير فيستخدمون المسلقة ذات الأثنى عشر سناً، ومثل هذه العملية شأنها شأن الترميم الجاري لمنظومة الري تتم عند انتظار قدوم السيول.

مباشـرة بعـد السـيل يحـرثون في ظل الرطوبة (راية) بالمحراث الصغير، ويـبذرون ثـم يسوون الحقل المحروث بألواح مصفحة بالحديد (مدفن – مدافن /مخفه – مخافي) (انظر الرسم 10 – ب) وهم يبذرون مزيجاً من البذور : ذرة دجر ، حنظل . وكانوا يحرثون على الجمل في اليوم حوالي 70 مطيرة ، اما على زوج من الحمير فحوالي 30 مطيرة .

صالح أبوبكر باسهل (حوالي 60 عاماً) – ينحدر من أسرة مشائخ عريقة من حريضـة، قـال إن جميع المزارعين كانوا يبذرون في السابق بواسطة الأنبوبة، وهـي لـم تعـد تسـتخدم حالياً، لأنهم يريدون إنجاز أعمالهم بسرعة. فبواسطة الأنـبوبة كانوا يحرثون ويبذرون 400 – 500 مطيره خلال 10 – 15 يوماً، أما فـي الوقت الحاضر فأن إنجاز مثل هذا العمل يتم خلال يوم واحد . وهم يبذرون باليدين معاً من سلة خاصة بحبوب البذار ، وفي مثل هذه الطريقة من البذار فأن البذور تستنفذ أكثر بضعفين عما كان سابقاً، حينما كانت تستخدم الأنبوبة. ويذهب فـي المطيره الواحدة مصراً من البذور . وكان المحصول الذي يجنونه مقابل ذلك

مكيال (10 مصاري "صغيرة") من المطيره الواحدة، أي عشرة أضعاف البذور. وفي الوقت الراهن حيث أصبحت كمية الدمان أقل فأنهم يحصلون على 30 او 35 مكيال من 100 مطيره (أي ثلاثة أضعاف). بيد أن محاصيل الذرة في منطقة القطن تكون أعلى بكثير. وفي الربيع يزرعون إلى جانب الذرة كثيراً من الدجر، وفي الصيف الجلجل، وذلك لأن الدجر لا يتلاءم مع حرارة الجو. وبعد موسم الحصاد تبقى الأرض للراحة لمدة عام.

إن العمل في الحراثة الأولى والثانية معظمه رجولياً، أما في البذار فتشارك النساء أيضاً. ومن ثم تلي ذلك العمليات النسائية : أول قلع للأعشاب الطفيلية الضارة (تبدأه) تتم خلال 15 يوماً بعد البذار، وثاني قلع لتلك النباتات الضارة (مخوشة) بعد شهر واحد.

وإذ ما جاء خلال هذه الفترة سيل جديد، فأن الرجال يقومون بالسلاقة ثانية (حرم)، لكي تتشبع التربة بالرطوبة أفضل ولكي لا تتصلب الطبقة العلوية للأرض. وتحصد النساء الدجر بسكينة (شفرة، شفار)، أما الذرة فيحصدها الرجال والنساء بالمنجل (شريم – شُرم، أنظر الرسم . ا ب). وتتم دراسة المحصول (مسباط) بدراسة خشبية (عود – عيدان). ثم يقومون بتصفية الحبوب في مصاف كبيرة مصنوعة من سعف النخيل (أنظر لاحقاً الفقرة 3)، بعد ذلك يقومون بالحراثة الأخيرة، وبذلك تنتهي الدورة الزراعية حتى موعد السيل الجديد.

2- تربية الحيوانات

خلافاً عن الزراعة فأن تربية الحيوانات في حضرموت تمثل دوراً ثانوياً. وهي تعيش اليوم أزمة حادة.

إن الاقتصاد التقليدي، حقيقة، لم يستطع الاستغناء عن الجمال والحمير كوسائل للنقل والجر. وكما سبق الحديث فأن الدور الرئيسي في أعمال الجر كانت تقوم به الثيران من النوع المحلي الأحدب، التي تنتشر حتى الآن في المهرة وفي سقطرى/ 160 ص 97 – 101/.وهذه الحيوانات قصيرة القامة (أنظر الرسم 31) وارتفاعها لا يتعدى المتر الواحد، وتزن حوالي 200 كجم، ويطلق الباحثون على هذا الصنف قصير القامة قزماً / 232 ص 39 /. وحسب كلام الذين تحدثوا إلينا فأن الأبقار المحدبة تعطي في اليوم ما يزيد قليلاً عن 2 كجم من اللبن. أي أن متوسط كمية الحليب المستدر سنوياً (باحتساب 280 يوماً من إفراز اللبن) تقارب 600 كجم، والتي يستنفع الإنسان بنصفها تقريباً (أنظر لاحقاً الفصل 2 الفقرة 3).

لقد تلاشت الثيران والأبقار في حضرموت الغربية من ذاكرة الجيل القديم . أثّر علــى ذلــك شحة أعشاب العلف – البرسيم و القرط أو الفصفصة (قضب)، التي تتطلــب ســقياً مستمراً. في الماضي كانت تسقى من مياه الآبار. ولكن مع ظهور مضــخات البنزيــن والمضــخات الكهربائية، وكذلك المضخات الأرتوازية، خلال العشــر الســنوات الأخــيرة، فأن مستوى مياه الآبار الجوفية قد انخفض. ولهذا الســبب جفــت بعــض الينابيع والكثير من الآبار. كما إن انعدام الأعلاف وتزاحم الجرارات الزراعية التي تستخدم الآن في كل مكان في الحراثة الأولية، قد قاد إلى بقــاء القليــل مــن الأبقار في حضرموت الغربية. ويعتقد بعض المزارعين كبار السن، انه بانعدام زبل الأبقار (الدمان)، في الوقت الراهن، فأن محصول الغلال قد انخفض إلى الثلث أما الجرارات الثقيلة فأنها تشوه تركيبة التربة أثناء الحراثة.

لقــد انخفضت إعداد الجمال مقارنة بالماضي بشكل كبير. هكذا، فقد كان يوجد لــدى قبائل بن شملان في حبب (وادي عمد) 150 جملاً لعدد 250 شخصاً. وفي الوقــت الراهن قلت الحيوانات خمس مرات (حسب حديث المقدم ناصر عبدالله بن شــملان، حوالــي 65 عامــاً). وكمــا يبدو فأن هذه النسبة يمكن قبولها في كل حضرموت الغربية، حيث حلت سيارات الحمول خلال العقود الأربعة الأخيرة محل الجمــال كقوافــل نقــل رئيسية للتجارة . امافي الثلاثينات فبلغ عدد الجمال في السلطنة القعيطية حسب التقديرات 20 ألف رأس/ 75 ص 55 /.

فــي الأعــوام 1986 – 1989م حصــلت البعثــة الســوفيتية اليمنــية المشتركة على الإحصاءات الإستبيانية التالية التي تبين تعداد الماشية في حضرموت الغربية:

اسم المكان	الأبقار	الجمال	الحمير	الأغنام الضان والشياه
وادي عمد	–	350	اكثر من 3000	18500
وادي دوعن	6	150	اكثر من 2300	9500
وادي العين	6	200	اكثــر من 300	8000
الإجمالي	12	700	اكثر من 5600	36000

إن المعطيات التي تم الحصول عليها غير مكتملة: لم يدخل في الإحصاء مركز حــوره والهضــبة العلــيا للأوديــة الرئيسية في غرب حضرموت. وعن قطعان الماشــية الكثــيرة المــتركزة في الهضاب يدل استفتاء أجرى في عام 1989 في صــوط باتــيس (مركز الطليعه)، أن 360 من السكان يقابلهم حوالي 140 جملاً وعشــرات الحمــير وحوالي ألف من الضان والشياه. إن المعلومات غير موثوقة عــن عــدد الحمــير، لأن الفكرة ذاتها حول العدد المضبوط لهذه الحيوانات تثير

الضـحك لـدى السكان المحليين، ومن المحتمل، أن الأرقام الخاصة بوادي العين منخفضة لهذا السبب.

تتميز الجمـال المحلـية ذات السنام الواحد بألوانها: إن الأكثر انتشاراً هي الصفراء "لون أصفر – رملي"، والعرقاء "لون أصفر إلى احمرار" والحمراء "لون أحمر – بني" / 215 ص 64/.

وتشـتغل عـادة فـي تربـية الجمـال القبائل شبه المترحلة في نمط حياتها الرئيسـية. فـي مواسم الجفاف ترعى الجمال في الاودية حيث تستخدم كأعلاف الأوراق والأغصـان الرفـيعة لأشـجار السمر، كرد، العلب، مشط، راخ وأشجار الحويـره .. الخ. وفي مواسم السيول فأن الجمال مثلها مثل الشياة والضان تطرد إلـى الهضـاب. امـا لقطيع الأغنام فيحفظون الخضرة الطرية والمادة الخضراء (كلف) في مخازن مجوفة تحت الأرض (نظر لاحقاً فصل 2 فقرة 1).

وفقـاً للتقالـيد، فأن رعي الجمال وحلب النوق – عمل من اختصاص الرجال، بـيد أن عملـية التنقل تغير الظروف تغييراً جذرياً: عندما يعمل الرجال في أماكن بعيدة عن أسرهم، فأن النساء يضطررن للتكيف وإجادة "العمل الرجولي". وتشهد علـى ذلك تجربة أسرة الصيعري من البدو السيبانيين من الفرع القبلي الحالكه: ففـي غـياب الزوج مبخوت بن عبدالله، الذي يعمل سائق عربة في الريدة، فأن العجـوزة بركة قد أصبحت رب الأسرة وهي تقوم بالأعمال الاقتصادية مع ابنتين يافعتين وزوجة الابن (أنظر الجزء 3 الفصل 1 الفقرة 1).

يسـتهلك حلـيب النوق طازجاً، ويُشرب خليط اللبن الرائب مع الماء (شنين). ويستخدم لحم الجمال أيضاً في الأكل وعادة يتم ذبحها قبيل رمضان.

وفـيما يخـص قطيع الأغنام، فأن معظم إعداد الماشية في حضرموت الغربية تـتكون مـن المعـز (Capra mengesi Noack)، علـى خلاف مناطق استيطان الصـيعر، الكـرب، وآل رشيد وجزيرة سقطرى، حيث يملكون الضأن / 215 ص 65، 160 ص 104/.

إن فرضـية دوستال حول أن السكان الأصليين يقومون، بشكل خاص، بتربية الماعـز / 215 ص 65 /، تسـندها ذخيرة المفردات المحلية: فـ"الشاه" لا تعني هـنا "الـنعجة" وإنما "المعز"، أما "الغنم" فيستخدم لهذه وتلك. والتيس على خلاف الجـدي (الضان) يوجد في تسميات القبائل (باتيس)، وتخاط على ثوب العروس، عذبـات مع ذيل الماعز، وهذا يعدها بالذرية الكثيرة، والماعز اكثر لذة وفائدة من الخرفان.

متوسط وزن العنزة – 25 كجم، ومتوسط الحليب في العام – حوالي 300 كجم. ويُعطى حليب الشاة بكثرة للأطفال والمرضى، ويستهلك اللحم في الأعياد وفي الموائد الأحتفالية (أنظر لاحقاً، الفصل 2 فقره 3).

يمخضون السمن في قربة جلدية (شكوه – شكاو)، إما الجُبن فيستخرج بالتبخير في قدور حجرية (بورمة – بُرم) – أنظر الرسم 36. وتعطي الضان قصيرة الذيل (الوزن المتوسط – 20 كجم) خلال موسم الحلابة حوالي 50 كجم من اللبن.

إن الوجهة الرئيسية لتربية الأغنام هي إنتاج اللحوم والجلود المستخدمة على نطاق واسع في الصناعات الجلدية (أنظر لاحقاً فقرة 3). فمن فروة الضان تصنع الملابس الفلاحية الخارجية التي يتم ارتداؤها في موسم الأمطار (أنظر لاحقاً الفصل 2 الفقرة 2). ويقص صوف الضان في بعض الأماكن بالسكينة وليس بالمقص/ 215 ص 69/.

إن الضان حساسة إلى حد كبير تجاه الرطوبة وهبوط درجة الحرارة، ويعتبر الحناء أحد أساليب العلاج التقليدي. يُخطط الوشم في وجه الماشية (تركيب بسيط من الخطوط المستطية أو المنحنية) وتستعمل كذلك كعلامات للمالك. ذلك أن قطيع الماشية، كقاعدة عامة، هو ملكية خاصة. ولزيادة كمية الحليب الذي تعطيه الشاة والنعاج يتم إطعامها عجم التمور المدقوقة (رضيح).

ولا وجود عملياً لتربية الانتقاء.وفي بعض الأحيان تستخدم آله بدائية للتيوس والخرفان. وليس هناك موسم محدد للسفاد، بيد أن ولادة الغنم الأساسية تتم في بداية الصيف.

وتربى في أرياف حضرموت أيضاً أعداد لاباس بها من الدجاج ذي الصنف القصير، ومع ذلك فأن لحوم الدجاج المستخدمة في الأكل هي في العادة مستوردة.

والى درجة ما فأن القطيع يحتفظ حتى الآن بوظيفة التكافؤ النقدي. وأسعار الماشية معروفة للجميع : التيس أو الكبش – حوالي 30 ديناراً. وتنتشر في حضرموت الغربية الجمال السحاقية (نسبة إلى مشائخ آل إسحاق) وتقدر قيمتها هكذا: سعر القعود ذي العام أو العامين 50 – 200 دينار، وسعر الذكر الفحل من ثلاث إلى أربع سنوات 250 – 350 دينار، والذكر الكبير 500 دينار، وثمن الناقة العُشراء أو الحلوب 750 دينار. ويمتلك الحضر في كل بيت تقريباً من 15 – 20 راس من الماشية، ومن 1–2 من الحمير، فيما يمتلك البدو شبه الرحل من 3–5 جمال وما لا يقل عن 60 – 80 رأس من الضان والشياه للاقتصاد المنزلي.

(3) الصناعات الحرفية

تشغيل الأخشاب:

إن النجار الماهر يلبي مختلف الطلبات – من أشغال النجارة الخشبية إلى الحفر والنقش على بوابات المداخل أو النقوش التذكارية الخشبية.

كنا قد استجوبنا الحرفيين المهرة بمختلف المستويات التقليدية. البعض منهم، مثلهم مثل أسلافهم، يعملون فقط في تلبية الطلبات، في بيوت الزبائن أصحاب الطلب، ومن موادهم، ويستخدمون الطقم التقليدي للأدوات. من هؤلاء عمر سالم سعيد باطرفي (حريضة، من المساكين الحضر، آخر الحرفيين المهرة في الأسرة، 71 عاماً) وعوض سعيد بارحوم (عمد، من الأخدام، 55 عاماً).

فيما يملك الحرفيون الآخرون للعمل مساحات خاصة، ويقومون بتجهيز المنتوجات حسب الطلبات ولغرض الأدخار (يتم ترويجها وتسويقها في الزيارات)، ويستخدمون جزئياً الأخشاب المستوردة والمعدات. منهم صالح يسلم بارحوم (جاحز، من الأخدم، 53 عاماً).

ويستخدم الحرفيون الأكثر تطوراً مكائن ثابته لتشغيل الأخشاب، تدار كهربائياً، ويوجد لهم مساعدون، وهذه هي عملياً ورش ميكانيكية صغيرة. وإلى هذه الفئة ينتمي صالح أبوبكر باسهل (حريضه، من المشائخ، حوالي 60 عاماً) وصالح سعيد باشميل (النعير، من الضعفاء، 60 عاماً).

ولغرض المقارنة استجوبنا حرفيين في الأخشاب خارج حضرموت الغربية – في القطن (صالح سالم بن دهري، من الضعفاء، 55 عاماً) وفي شبام (عاشور صالح زبير، من الضعفاء، 70 عاماً) وحرفيين في سوق الحرفيين في سيئون.

الطاقم الاعتيادي لأدوات النجارة موضح في الرسم رقم (11).

أدوات القطع:

القدوم بنوعيه: الأول المحلي (طول النصل 5، 11سم، حاشية الجزء العملي 3.4 سم، العرض الأقصى للنصل 4.1 سم، طول المقبض 33.5 سم). والثاني المستورد وهو اكبر بكثير (طول النصل 15.5 سم، وجزء الحاشية العملية حاداً، العرض الأقصى للنصل 7.2 سم، طول المقبض 34.8 سم) .

الفؤس ذات الصناعة المحلية بمختلف الأحجام (على سبيل المثال، طول النصل 8.5 سم، طول الحاشية العملية 11 سم، مقبض الفأس 57.5 سم).

مناشـير شـق مـزدوجة فـي إطارات قائمة الزوايا (طول الإطار 140 سم، الارتفاع 71 سم، طول المنجر 122 سم، العرض 5.5 سم)، النصل مستورد.
مناشـير يدويـة (مقطعة – مقاطع) بنصل طوله من 12 إلى 32 سم، ارتفاع المقبض حوالي 8 سم وطوله حوالي 11 سم، النصل مستورد.
المثقـب والأزمـيل (منقـب – مناقـب)، صناعة محلية ومستوردة بمختلف المقايـيس (طول الجزء المعدني من 6 – 15 سم، طول المقبض 12 سم، القطر حوالي 3 سم).
مثاقـب مخـتلفة (مخـدر – مخادر) معظمها صناعة، محلية، المادة الخاصة بالجـزء المعدني تستخدم عادة المسامير بمقاييس قريبة من حجم الأزميل. وإلى الوقـت الحاضر لم تختف بعد من الاستعمال آلات الخزق والثقب اليدوية المحلية (مخـدر وقوس). ويتم إعداد القوس من خشب المّشط، ووتر القوس من شريط مطـوي أو مفـتول مرتيـن من جلد الجمل. وتتواجد آلات الثقب اليدوية بأحجام مختلفة (على سبيل المثال، طول القوس 46 سم، القطع العرضي حوالي 2 سم).
فـارة بمقطـع أو مقطعين، محلية أو مستوردة الصنع، وفارة فرز (خاسر – خسور) بمختلف الأحجام.
مبارد مستوردة لتصنيع ومعالجة الخشب الخشن والدقيق.

الأدوات المساعدة:

مطـرقة خشـبية (موفله – موافيل) دائرية، مصنوعة من جذع شجرة غليظ (الطـول 32 سـم القطر 5، 6 سم، طول المقبض حوالي 8 سم، القطر 4 سم)، وكـتلة غلـيظة منجورة (الطول العام 42 سم، العرض الأقصى 10 سم، العرض الأدنى 4 سم).
مطـارق مسـتوردة مـع المسـامير (فتيق)، وزردية مدورة الفكين (كلبة – كلبات).
مسـند – قطعـتان مـن جذع خشبي مختلفتا الحجم (الطول حوالي 120 سم، القطـر حوالي 13 سم) يوضعان على الأرض ويتم توصيلهما بزاوية 45 درجة، وفـي الشق قرب الرأس يثبت جذع ساق يماثل تلك الأحجام تقريباً، وفي الزاوية الناتجة يوضع جذع الشجرة المراد نشره بمنشار طولي مزدوج (أنظر الرسم رقم 12).

الأدوات القياسية:

الفـرجار الأوروبي (بركار)، الزوايا المحلية والمستوردة، محدد قياس محلي (بكره – بكرات).

والى الوقت الحاضر لازالوا يحسبون الكثير من المقاسات بالأساليب التقليدية–بالأيادي والأصابع (أنظر، الملاحظات: المقاييس التقليدية).

ويوضع طاقم النجارة الاعتيادي في سلة صفصاف، باستثناء الأدوات الضخمة والكبيرة.

إن المعلميـن المهـرة يثمـنون عالياً الأخشاب المحلية. ويستخدم على نطاق واسـع خشب العلب الصغير، أما القديم (ما لا يقل عن 30 إلى 40 عاماً)، والذي يسـمونه "حَمـر" بسـبب لونـه الأحمر، فيخصص للأبواب الخارجية، المطرزة بالـزخارف، والهـياكل المنقوشـة (لهـج – لهوج). وتصنع الأدوات الزراعية الخشبية عادة من أخشاب (المَشط)، التي لا تتأثر بالرطوبة: وللمصنوعات الأكثر دقـة يستخدم خشب السمر. وتصل الأخشاب المستوردة من شرق أفريقيا والهند وسريلانكا وروسيا، على شكل ألواح أو عوارض بمقاسات وأحجام مختلفة.

يمكن تقسيم منتوجات المصنوعات الخشبية إلى أربعة أصناف.

أ- التراكيب الإنشائية وأجزاء المساكن:

(أنظر لاحقاً، الفصل 2 الفقرة1 والصور رقم 35، 62–63، 67–68، 72):

عمـود الاسـتناد (سـارية – سـواري)، وتـاج العمـود (كبش – كباش)، والمشـربيات، التـي تثبـت علـى الصواري الخارجة من الجزء العلوي للعمود (مغسج – مغاسج) وتخصص لحفظ لوازم الفراش (مشعبه – مشاعب).

حوامـل عارضة (قاسم – قسم) وعرضية (مكسر – مكاسر)، أبواب خارجية (سـده – سدد) وأبواب داخلية، جائز علوي للباب (عتبه – عتاب)، قوائم، عتبه (مردم – مرادم)، مغاليق على شكل صليب مع الأقفال (خيشمة – خياشيم وقلوده – قوالد).

سلم ثابت (رقاد)، درفات النوافذ (لهج – لهوج)، دواليب ورفوف.

ب- أدوات العمل المختلفة:

<u>أدوات زراعية</u>: وسائل حراثه صغيرة وكبيرة – حلي، قصبة للبذار، مسلفة كبيرة وصغيرة لسلف الأرض، الواح لتسوية التربة، نير للثيران. (أنظر أعلاه الفقرة 1، والرسم رقم 9 – 10)، "الخطاطيف" الخشبية للتمور، مقابض المنجل والمشاذب والمعازق والمعاول والفؤس ... الخ وقوائم وعوارض للآبار (تشروعه).

أدوات بناء: قوالب (مفتل – مفاتل) لخامات الطوب والآجر بمختلف الأحجام والمقاسات (أنظر لاحقاً، الفصل 2 الفقرة 1)، نقالات (رعه – رعين)، بكره (عجلة – عجلات) ...الخ.

أدوات النقل: بردعة للحمار (وكف – وكفه) مع أجنحة متناسقه (شجب – شجوب) لحمل القرب وغيرها من الأحمال المختلفة، وبردعة الجمال (قتب – قتبان) والسرج العلوي (شد – شدود) (الرسم رقم 36).

ج- لوازم البيت:

جفن، وأطباق، وأجران كبيرة وصغيرة (منحاز – مناحيز) مع مدق خشبي (قصرة – قواصر) أو حجري (منصل). ركيزة تحت الجرن (متكا – متاكي)، وعاء الطعام (مقدح – مقادح)، مجرفة – خلاطة (معصد – معاصد)، لقمة لولبة تقسيم اللحم (موقفه – مواقف) (أنظر الصور رقم 39، 40).

أراجيح (هه – هدات)، صناديق خشبية للعرائس، ... الخ.

د- أدوات الطقوس والمراسيم:

إنشاءات التأبين المختلفة – التوابيت، والواح عمودية مع النقوش (شاهد – شواهد) وصناديق لجمع الصدقات، وصناديق للسكر (حوض – حياض). وأسرَّة لغسل الأموات ونعش لحملهم.

منابر المساجد، والمحراب، وكراس لقراءة القرآن ...الخ.

لقد انخفضت تشكيلات المنتوجات الخشبية في الوقت الحاضر. وأضحت الطلبات على المواد الطقوسية نادرة جداً، كما إن دقة صنعة النقاشين على الخشب المشهورين على نطاق واسع في حضرموت باطرفي، باخشوين، باكثير، بن دهري لم يعد يتقنها إخلافهم.

لقد أخذت الأدوات المعدنية والزجاجية والبلاستيكية المستوردة تزاحم الأدوات الخشبية، ما عدا لقمة اللولبة والصحون ومحراك الخلط. وبقيت التسميات الأصطلاحية لأدوات العمل، ولكن هنا أيضاً بدأت الأدوات المعدنية تزيح المنتوجات الخشبية: يتم إعداد بكار المياه من إطارات الدراجات، و "أجنحة" براذع الحمير من الأنابيب المعدنية (بأربع عوارض بدلاً من الست الخشبية – أنظر الصورة رقم 70)، وحتى المحراث التقليدي (حلي) يتم تجميعه أحياناً من أجزاء معدنية.

يظل الطلب المستمر على تركيبات البناء الخشبية وأجزاء المسكن، وهنا لابد من الأخذ بعين الاهتمام نمو حركة العمران التي تدين بها حضرموت للمهجر.

ومـــع ذلــك فأن أسنان المفاتيح تعمل الآن من المسامير، كما يتم تجميع الأبواب الخارجية غالباً من صفائح معدنية متموجة على إطار خشبي أو من الحديد كاملاً. وظهرت العوارض الحديدية. إن مثل هذه الأجزاء غالباً يفضلها بدو الأمس، الذين يظل لديهـم مـيل واشـتياق إلـى تغيـير الأماكن، وبتفكيك الأبواب الحديدية والعـوارض، يمكن ترك هيكل السكن المؤقت المكون من اللبن الطيني، والشروع ببناء منزل جديد على بعد كيلو مترات عديدة من القديم.

لقـد أصـبح من النادر في الوقت الحاضر أن يعمل الحرفيون في بيت صاحب الطلب. فغالبيتهم يملكون مساحات خاصة (وصر – أوصار) خلف جدار طيني مع غـرفة لوسـائل العمـل وللمواد والمنتوجات الجاهزة. كما استطاع البعض منهم إقتـناء " ماكينة إيطالية " (قيمتها حوالي 400 دينار) – الماكينة مقرونة بمنشار دائري ومقشطة مع قوائم ثابتة وآلة تثقيب.

خلال عشر ساعات عمل في اليوم (من 7 صباحاً إلى 5.30 عصراً، مع نصف سـاعة اسـتراحة للغـداء) كان الحرفي يحصل على 10–15 ديناراً، وكما سبق القــول كــان يتطلــب إنجـاز المحراث الصغير من ثلاث إلى أربع ساعات عمل (والقيمة كانت تقدر من 5 – 7.5 دينار).

وكـان يتم تجهيز البوابة الخارجية من الطراز القديم (مع النقوش المنحوتة) خلال 15 – 20 يوماً، أما الصنف الجديد فخلال 3 – 4 أيام. وكان يقتضي الباب الداخلــي أو الـــنافذة ذات الدرفتين من 2 – 3 أيام. ومن الصعب على الحرفيين الفرديين منافسة منتوجات الحرفيين التعاونيين الذين ينتجون ببساطة أصناف من الخشــب المســتورد. وهاهــي بعض الأسعار (بالدينار) لعام 1989م من السوق الحرفــي في سيئون – للحرفيين التعاونيين و (بين قوسين) الفرديين: نافذة بأربع درفــات 4، 36 (50) دينار، نافذة بدرفتين 20.65 (25) دينار، باب 59.7 (65) دينار.

الحدادة

منذ الأزمنة القديمة كان الحدادون والنجارون يعملون سوية. إذ كان الحدادون يصـنعون سـنون المحـراث ويصفحون بالحديد ألواح تسوية الأرض والمجرفة الخشـبية، ويصـنعون الأسـنان المفلطحـة للمسلفة ونصال المعاول والفؤوس والمعــازق والمطــارق والمناجل والسكاكين والمناشير، وكذا مسامير الزينة ذات الرؤوس الكبيرة (قرصة – قروص) الخاصة بالأبواب الخارجية والداخلية وغيرها (الصــور رقــم 34، 41 – 42)، وحسـب روايـات كـبار السن، كان الحدادون موجوديــن تقريباً في كل قرية كبيرة في حضرموت الغربية. ولقد توفي قبل فترة

آخـر أخـلاف الحداديـن في خريخره (وادي دوعن). كما أن تدفق المصنوعات الحديديـة المجلوبة والأدوات المعدنية الأجنبية والأثاث قد الحق بالحدادة المحلية ضربة لا تعوض.

معظـم الحداديـن فـي حضرموت يحملون كنية المهنة التي تحولت إلى اسم عائلـي (الحـداد). ولازال الحـدادون متواجديـن في العرصمه (وادي دوعن). وتحضى بشهرة واسعة بعيداً خارج حدود الوادي مساميرهم الزخرفية. كما يوجد الحـدادون كذلك في البويرقات – المركز الحرفي لوادي العين، وفي حوره (وادي الكسـر). وكـذا في عدد من المناطق الأخرى في حضرموت الغربية. إن الغالبية مـنهم يـنفذون أعمـالاً غير معقدة، حيث يقومون، في الغالب، بترميم وإصلاح الأدوات المعدنية وتنفيذ مصنوعات من الصفائح.

وتلقى طلبات سكان حضرموت الغربية قبولاً خارج حدود المنطقة – في القطن (جرى الحديث مع الحداد بالوراثة محمد عبدالله بن يثرب الحداد، 62 عاماً) وفي المكلا (عوض محمد محروس، 48 عاماً، وعبدالله عمر المقداد، 60 عاماً).

محمـد بـن يثرب يعمل عادة بالطلبية في مكان مفتوح، تحت الشمس، وهو يسـتخدم فـرناً خفيفاً متنقلاً (قطره لأقصى 28 سم) ويسمى " مجمرة – مجامر" (أنظـر الرسم رقم 13). تضرم النار في فحم (سخر) من أشجار العلب والسمر أو الجـذوع، وتـنفخ الـنار بكير مصنوع من جلد الخروف وضعت في عنقه أنبوبة معدنية، أما في الجزء الخلفي فيتم تثبيت أثنتين من العصي لنفخ الهواء بالضغط. وتسـتخدم كمـواد خام نصل المعاول والمجارف والمعازق القديمة. ويقوم الحداد بصـناعة الأجـزاء الحديدية للأدوات الزراعية (فيما عدا سلاح المحراث (حلي) ونصـال السكاكين والفؤس. وأدواته التي يستخدمها هي ببساطة: سندان الزبرة (الأرتفـاع 14 سـم، المقطع العلوي 10 × 10سم والتحتي 8 × 8سم)، مطرقة وعدة شاكوشات (فتيق)، كما شات وملاقط (كلابه)، ومبارد وأزاميل ومناحت قطع (مكسر – مكاسر) ومخارز وزردية مسطحة الفكين وزردية مدورة الفكين وشفار أو مقـاطع للصفيح (مقص – امقاص) ... الخ. وجميع الأدوات، باستثناء الفرن والكماشـات والخـرامات، إنتاج مستورد. ولدى الحداد ورشته الخاصة مع فرن ثابـت مـتوقف عـن العمـل، يسـتخدم في الأساس لحفظ الوقود والمواد الخام والمنتوجات.

يعمـل الحدادون المهرة في المكلا تحت سقيفة، على مساحة 20 × 20 سم تقريـباً. توجد هنا تسعة أفران ثابتة (كير – أكيار) أسطوانية الشكل، منحوتة من الطين، وكذا منفاخ وسندان وصندوق للأدوات، وقطع المصنوعات الجاهزة. ويتم شراء الفحم من البدو، حيث تقدر قيمة الكيس الكبير من 4 –4.5 دينار.

ينتمي حدادو المكلا إلى أسرة جمبين، باعامر، بامحروس، بايعشوت، المقداد، جوبان، باحويرث. ويعتبر كل منهم مستقل بذاته حرفياً، ولدية من واحد إلى اثنين مـن المساعدين، رغم إنهم يقرون جميعاً أن لديهم معلم أول (عاقل – عقال) هو عـبدالله أحمـد جمبيـن (حوالي 80 عاماً)، وهم يحلون الكثير من القضايا بشكل جماعـي . إلى جانب ما ذكر آنفاً من أدوات الحدادة يستخدم حدادو المكلا مطرقة كبيرة (مخلعه)، وأزاميل للثقب في القطع الساخنة (مقصه – مقصات) وفي القطع الباردة (فرصة – فراص) وسندان كبير (صين)، وركيزة خاصة للثقب والتخريم.

وهـم يقدمون خدماتهم لمنطقة واسعة تمتد من المهرة إلى شبوة، بما في ذلك أيضـاً حضـرموت الداخـل، ويتجه عملهم لتلبية طلبات الزبائن وكذلك للسوق. ويستمر يوم العمل لديهم من خمس الى ست ساعات (من7½ صباحاً الى 12½ – 13½ ظهـراً)، ويكسـب الحداد خلال ذلك الوقت من 5 – 6 دنانير تقريباً. ويتم تصـنيع المعـزقة الوحدة في المتوسط خلال ساعتين ونصف الى ثلاث ساعات، وقيمتها تساوي ستة دنانير.

إن تشـكيلة منتوجاتهم متنوعة الى حد كبير: مسامير الزخرفة برؤس صغيرة الحجـم، ادوات الـنجاره، منـتوجات للصـيادين والبحارة: حربات منثنية لصيد الأسـماك (مـنذق – مناذق) صغيرة وكبيرة، والمرساة (برونصي – براوص)، ومجارف (نخيسه – نخايس) ، وأزاميل لتقليف القوارب (قلفطه) .وهلم جراً.

كـان الحدادون في حضرموت يقعون، تقريباً، في حضيض الدرجات التقليدية للأشـغال وطـبقاً لذلـك انتموا إلى الطبقات الدنيا للمجتمع. إن أبحاثنا الميدانية تتعارض مع هذا الوضع، مع أن دوستال يذكر عن حداد من تريم من طبقة القبائل (نهد) / 217 ص 98 /.

صياغة المجوهرات

إن الوضـع الاجتماعي للصاغة (صواغ – صواغين)، خلافاً للحدادين، يكاد أن يكـون الأرفـع بيـن حرفـيي ضـرموت. أن هذا العمل مشهور، والطلب على المصوغات مستمر، ولذلك يعمل الصاغة في تلبية طلبات الزبائن وكذلك للتسويق أيضاً.

كنا قد تحدثنا مع الصاغة بالوراثة في غرب حضرموت: في وادي دوعن، مع عمـر سـالم باحشـوان، حوالي 70 عاماً، وابنه أحمد البالغ من العمر 47 عاماً (الهجريـن)، وكذلـك مع سعيد محمد بن سليمان، 43 عاماً (قيدون)، وفي وادي عمـد مـع أحمد عمر باداؤود، 54 عاماً (حريضة) ومع أحمد عمر بإبرهيم، 67 عامـاً (خـنفر). وخارج حدود حضرموت الغربية أجريت أحاديث: في القطن مع

علـي محمود باحشوان، 40 عاماً، وفي شبام مع محمد عبدالله حسن، حوالي 70 عاماً.

إن الفضـه هـي المـادة التقليدية. وكانوا يستخدمون كمادة خام للمصنوعات وكقطعـة للزيـنة ووحدة للوزن "قرش فرنصه" كما كانوا يطلقون في حضرموت على تالير ماريا تيريزا، الذي صك حسب مواصفات الاتفاقية النقدية النمساوية – البافارية عام 1753م. الوزن الصافي للفضة 0474، 21 جرام من إجمالي الوزن العـام للعملة 386، 23 جرام. وقد ظلت العملة النقدية تاليري تصدر حتى الزمن الحديث (بالإشارة على ناحية الوجه لعام وفاة الإمبراطورة 1780م).وقد كانوا في الشـرق الأوسـط يثمنون العملات القديمة، مع نقش واضح على القطعة وحرفي S.F تحـت صورة ماريا تيريزا، وكذلك رسم واضح لـ "اللؤلؤ" – سبع في التاج وتسع على مشبك الكتف يساراً.كان سعر التالير في منتصف الثمانينات حوالي 5 دنانير. واستخدم الصاغة كذلك العملات الفضية الأخرى والخردة (عشير).

مـنذ ربـع قرن مضى، أخذت تنتشر من العربية السعودية وغيرها من الدول العربـية النفطـية موضـة الحلي الذهبية. وفي الوقت الراهن يتم بيعها، بل وفي بعـض الأحيان يقوم معظم الحرفيين بصياغتها، وكما جرى التأكيد أكثر من مرة في الأحاديث فأن هذه المادة ليست من تقاليد البلد.

إن جزءاً من أدوات صياغة المجوهرات تماثل أدوات الحدادة: الفرن المتحرك (مجمـره – مجامر)، المطارق، الزردية مبرومة الفكين، الزردية مسطحة الفكين، والكماشة (الرسم رقم 14). تطفو الفضة على النار (يشتري الفحم من البدو) في بوتقات فخارية (كواج – كويج) ثم تصب بعد ذلك في قوالب (مفرغ – مفاريغ)، ويـتم الحصـول علـى سـبائك ممدودة – أسياخ ومن هذه الأسياخ، وباستخدام أسـطوانة السـحب (كانت في السابق خشبية، أما الآن فحسب مواصفات الطراز الأوروبـي) يعملـون أسلاك مختلفة الأقطار، ويوصلونها من خلال الياف الطبعة. ولتصـنيع الصفائح الفضية الدقيقة يستخدم مكبس فخاري (مفتاح – مفاتيح): في جـزئه السـفلي (قـدر – قدور) يُصب المعدن ثم يضغطونه بغطاء ثقيل (راس – روس) (الرسـم رقـم 16/ ب). ويقومـون بالتلحيم بواسطة " مسدس ياباني" – مشعل حديث يعمل بالغاز، ومع ذلك لازالت باقية عملياً لدى جميع من استجوبناهم مواقـد اللحام التي تعمل بالكيروسين (سراج–سروج حق الغاز، أنظر الرسم رقم 5/14). وبصـرف الـنظر عن المظهر القديم لهذه المواقد فأنها لم تظهر إلاّ في عشرينات القرن العشرين فقط، أما قبل ذلك الوقت فقد استخدم الحرفيون لصياغة الحلـي المصابيح التي كانت توقد بالزيت النباتي. وتوزن المصوغات الجاهزة في ميازين لها ذراعين متساويين.

إن طقم الحلي في حضرموت الغربية واسع إلى حد ما.قبل كل شيء فأن هذه الحلي تشتريها أسرة العريس للعروس، وتعد أساس الممتلكات الشخصية للنساء: طوق وأنواط تعلق على الجبين (عصبة – عصابه)، وقد خرجت في الوقت الحاضر عن نطاق الاستخدام، وان احتفظ بها بعض صاغة المجوهرات. الزينة الأخرى على الجبين (خرز – خرورز، مخدره – مخادر، عثكول – عثاكيل)، وشنوف ثقيلة على الأذن مع أربعة الى ستة أقراط / 174 الصور 22، 26)، وأقراط على شكل سلسلة مزدوجة (مخلوط – مخاليط)، واقراط الأنف (لازم – لوازم)، وقلادة الصدر (لبه – لباب) / 174، الصورة 24/، والسلسلة (مسلسل – مسلسلات)، ودلايات (مرية – مرايا)، وأساور اليد (زند – زنود) / 174 الصورة 23/، المصبوبه (صب)، والمفتولة والمجوفة (فاضي)، وكذلك أساور على الزند (طيفي) وأساور للأرجل مع أجراس صغيرة (حجل – حجال) وأساور للأرجل مفتوله (سُمط – سموط) / 174 الصور 23، 26/، وأساور لأرجل الأطفال (ريسي – ريساس) واحزمة وخواتم وحلق.

وللحلي في وادي حضرموت خصوصيتها المحلية المميزة:ففي شبام لا يعرفون المصطلح الدوعني للأجراس الصغيرة المزدوجة "الناطقة" (عرق – عروق)، وفي وادي العين يلبسون حزاماً مفتولاً من الخيوط الفضية مع أجراس صغيره (حنيشة)، وفي وادي عمد توجد حمالة مزدوجة تشبك على الصدر (نسعة حق الصدر). ولا تستعمل هنا عملياً الأحجار الكريمة النفيسة، ولا حتى الصناعية، إلاّ بعض الأشياء المزخرفة بالمرجان والزجاج الأحمر أو المعجون. إن الطلب الكبير قد كان على المصنوعات الفضية، وفي الوقت الراهن على الصفائح المذهبة للأحزمة النسائية الضيقة .

من بين اشكال التفاصيل الزخرفية يتميز المّعين بمربع في الوسط (شمسي) و (نجوم)، وشكل بيضوي صغير (أبو سمكه)، والهلال. وتستخدم بفعالية الأنواط المخروطية (قباقب)، والأجراس "الناطقة" أي ذات الألسنة (قنقونه – قناقن، دبدوبه – دبادب) و "الخرساء" (عجماء).

إن مسميات الحلي الخاصة بالرجال قليلة جداً: خاتم – خواتم، وأساور على العضد والمعصم (عضاد – عضد)، وجراب للخنجر (عبدي – عوابد).

ومن بين حلي "الموضة الجديدة" الذهبية – الخواتم، الأقراط، العقود، الأنواط، الدلايات مع نماذج من العملات الذهبية، رسوم قرآنية، قلوب نماذج هلاليه وتشكيلات إسلامية ...الخ.

الصناعة الفخارية

في فترة الأبحاث الميدانية للبعثة السوفيتية - اليمنية المشتركة أجرينا أحاديث مع صانعي الفخار بالوراثة (خزاف - خزافين) في حضرموت الغربية: في وادي عمد - مع سالم عبيد بابريجه، 70 عامً (مدينة عمد)، وفي وادي دوعن - مع محمد عبدالله باهدار، حوالي 80 عاماً (صيف). وخارج حضرموت الغربية استجوبنا الحرفيين سبيت محفوظ دعيكك، 25 عماً (القطن)، وجمعان ربيع باسويد، 40 عاماً (قرية الحزم بالقرب من شبام)، وفرج عيسى الباني، اكثر من 50 عاماً (تريم).

وجميعهم ينحدرون من عائلات حرفية معروفة جيداً (طبقة الضعفاء): يشتهر الباني من تريم بعمل أشكال للحيوانات - الوعل، الجمل، الحصان (أنظر على سبيل المثال،/ 217 ص 41/)، أما أسم بابريجه فيطلق على حي كامل في عمد.

تقع الساحات الإنتاجية للفخار عادة بالقرب من البيت. جزء منها يخصص لأعداد عجينة الصلصال. ويعتبر الأبيض اللبني هو الصلصال الأفضل، الذي يتم إستخراجه من تجاويف (الى مترين) لخلايا النخيل. ويقدّر كذلك الصلصال "الجبلي" الرقائقي من المنحدرت والسفوح (نجره). تنقل المواد الخام على الحمار في سلال للحمل، ثم يصبون الماء بمقاييس فخارية (حوالي 40 لتراً) وبدقة يخلطون ثم يبنون في المساحة الأرضية المستوية. إن مكونات العجينة الطينية مرتبطة بغلاظة الصلصال: في سيف وعمد فأن خمس الكتله تتألف من زبل الحمير الجاف المسحوق مقدماً. وفي القطن والحزم فأن سلة من الطين الأحمر تخلط مع سلة مماثلة من الزبل، والى ذلك يضيفون قليلاً من النجرة، وفيها صوف الضان بغرض "التجفيف". وتمزج الكتلة بالأرجل الى أن تتجانس الأجزاء، ثم تجمع على حصيرة، وتخلط يدوياً ثم تجفف حتى صبيحة اليوم التالي.

وينتجون المواد الفخارية شبه المنجزة تحت سقيفة (عريش - عرش) - أعمدة (إطار - اطر) وأقراص - سفلى للموقد المتحرك، ويستخدمون لذلك محيطاً فخارياً بدائياً (دوار - دوارات). وفي سيف فإن تركيبته أكثر بساطة (الرسم رقم 15 - أ) ويتكون من حوض فخاري مسطح (أ) برصيف طيني قطره 40سم وسمكه 4سم (ب)، منتقلا في القاعدة الخشبية (ج)، التي لها تقويره مخروطية يوضع بها محور حنشبي مثبت وغير متحرك (د). وفي الوقت الذي يقوم صانع الفخار بتشكيل مصنوعاته، فأن المساعد (في سيف - إمرأة) يحرك الدائرة يدوياً. وفي عمد فأن للدوار محوراً حديدياً، يوصل القاعدة الخشبية الأكثر دقة (ج)

(الرسم 15 – ب) بالأساس الحجري الدائري (د)، وينتج عن ذلك إمكانية وضع الدائرة في الحركة بواسطة الأرجل واليد.

تستخدم الدائـرة فقط لتصنيع منتوجات ليست كبيرة نسبياً أو أجزاء منها. وينتج السطح الأسطواني الكبير كما في كل مكان في حضرموت بطريقة غير دائرية ومن مادة بلاستيكية لينة.

تترك المواد الأولية للإنتاج لتجف تحت الشمس، ومن ثم تحرق في تنور ذي وعائين (ميفا – ميافي) – فرن مستطيل الشكل ذو محرقة أحادية بنيران متصاعدة. ولحجرة الاحتراق كوة جانبية، وتوصّل غرفة الاحتراق بالفرن بقناة وفتحات القاع.

تستخدم كوقود أغصان النخيل الجافة. ويستمر الإحراق لمدة أربع ساعات في عمد، وثمان ساعات في سيف. ويتم تجميع المنتوجات جميعها في حجرة الإحراق (في المخزن الواحد 50 فنجاناً، 20 جره، ومن 50 – 60 قفيراً)، وتجري العملية بدون نظام، ولذلك فأن 15 – 20% من المصنوعات تصاب بالعطب.

يشارك أفراد أسرة صانع الفخار منذ سنواتهم المبكرة في العملية الإنتاجية: يجلبون الماء على الحمير (ست رحلات في اليوم، بمعدل قربتين للرحلة أي 12 قربة) وكذلك الصلصال. في الشهر الواحد يكسب الحرفي في عمد حوالي 100 دينار، وهو يعمل في الأساس للتسويق. أما أسعار منتوجاته فعلى النحو التالي:

زير كبير مع قاعدة مخروطية الشكل من 5، 2 – 3 دنانير. موقد للطباخة (تنار – تنانير) 3 دنانير، قفير للنحل (جبح – جبوح) واحد دينار (الرسم رقم 57 – 58)، حلقة للخلية (وصله – وصال) 35، 0 دينار، وقطعة مغار (مغار – مغور) 5، 0 دينار (أنظر الرسم رقم 17)، درزينة فناجين 6، 0 دينار، قدح بقائم (خزيه – خزاب) 5، 0 دينار (الرسم رقم 45)، كأس للنارجيلة (بوري – بواري) 5، 0 دينار (أنظر كذلك الرسوم رقم 44، 65، 66).

إن المنتوجات سواء من سيف أو عمد ذات طراز واحد، ولكن الأولى تثمن عالياً. وبشكل عام فأن الفخارين في جميع حضرموت يحافظون على تقاليد واحدة، على الرغم إن الأدوات المجلوبة من المعدن والزجاج والبلاستيك والخزف تقوض حرفتهم. ومع كل ذلك فلا زالت حية بفضل الطلب الدائم على الأزيار وكوارات النحل والتنورات.ومن الطريف إنهم يستخدمون لطلاء السطح الداخلي للتنور مسحوق الأواني المتحجرة (بورمه – برم) ذات النوعية الصخرية التي تحتوي على كثير من البلق (الرسم رقم 46). ويحتكر صانعو الفخار كل البرم

القديمـــة، وإذا مـــا استمر تسويق تنقيحاتهم بنفس الوتيره، فأن هذا الصنف من اللوازم سيصبح فريداً في القريب.

دباغة الجلود

قارنا المعلومات التي حصلنا عليها في عمد من الدباغ بالوراثة سعيد باخميس (70 عامـــاً، ينتمـــي إلى الأخدام)، مع معلومات عاشور عوض مكرمة من الحزم (حوالي 60 عاماً) ومع معطيات هادي على باجريبة من القطن (58 عاماً).وهكذا فأن الدباغة تقع في مرتبة متدنية للغاية في ترتيب الدرجات التقليدية للأعمال.

ســعيد باخمــيس، دباغ بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى: فهو يكشط الفرو، ويدبغ الجلد (ديم – ديمان). يقوم بشراء الماشية – الماعز والضان – من البدو. أمـــا عمليـــة ذبـــح المواشي فيقوم بها أحد أقربائه هو محفوظ باخميس (ذباح / مشـــارك)، الـــذي يحصل على رطل لحم مقابل كل خمسة رؤوس مذبوحة (الرطل الواحد من اللحم سعره دينار واحد).

يغطـــى الجلـــد المخلـــوع كخلع "الجورب" (عجم – عجام) ولفترة قصيرة في محلول ملح الطعام. ثم ينقعونه بعد ذك لمدة ثلاثة أيام في خابية طينية (مركين – مراكيـــن) بارتفـــاع 30 ســـم وقطر التاج 33 سم، حيث تضاف مساحيق أوراق "العشـــر". بعد ذلك يتركونه في خابية أخرى لمدة أربعة إلى خمسة أيام في منقوع مـــاء من أوراق القرض، التي تمتلك خاصية الدبغ. وبانتهاء الدباغة يقوم الدباغ بدهـــن الجلـــد بزيت النخيل أو السمسم (سليط)، (في الحزم – بزيت شحم الغنم) ويقـــدر سعر الجلد المدبوغ من دينار الى دينارين ونصف ، أما القربة المرتوقة مـــنه فتساوي من دينارين الى ثلاثة دنانير . ويمارس خياطة المنتوجات الجلدية في عمد غير متخصصين، "في البيوت"، من الرجال والنساء.

وحرفـــياً يقوم بإنتاج المصنوعات من الجلد حرفيون مهرة (مخزم – مخزمين) مـــن الحـــزم أو مـــن القطن. وأدواتهم ببساطة هي: سكينة، مخرز، مقصات، أبر وخيط مقطرن. ويقومون برتق القرب الكبيرة والصغيرة، وشكوه، والسطل الكبير (قـــربة – قـــرب) والســـطل الصغير (الدلو) (الرسم رقم 51)، و "القربة المعلقة" بحبال شريطية متينة، التي يستخدمها البدو (جراب – جربان)، والنطاق (نسعه – نســـع)، والحـــزام مـــع جـــراب لطلقـــات الرصاص (مسبت – مسابت)، وحقيبة للرصاص (محفظة)، وزمزمية للسمن (بطه – بطط) وأوعية لحفظ المؤن الغذائية أو الـــبخور والطيب (صمار – صمره)، وعدة الدواب، وأحذية الصندل (الرسم رقم 52 – 55).

لم يعد الحرفي باجبير من القطن يمارس دباغة الجلود، إذ يحصل على المواد من المصنع في عدن، بما في ذلك الجلود الصناعية. ان المواد الصناعية تطرد الجلود، ومعظم المسميات المذكورة سلفاً لم تعد تصنع هنا، رغم أن الحرفيين يتذكرونها، بل ويجيدون صناعتها. وبقي فقط الطلب المستمر على القرب. أما بالنسبة للأعمدة والأحزمة والأحذية والدلو فتستخدم اليوم المواد البلاستيكية.

الحياكة

تقع اكبر مراكز الحياكة (الشطف) في حضرموت خارج حدود منطقة دراستنا. ويقع أهمها بالقرب من سيئون – في مدوده، حيث أجرينا في عام 1986م أحاديث مع أحفاد الحرفيين (أصحاب الخوص): سعيد هادي بامطرف (أكثر من 70 عاماً، توفي عام 1987م) وعوض سالم عباد (حوالي 70 عاماً). وعلاوة على هاتين الأسرتين، يشتهر في مدوده الحرفيون : بخضر، باحارثة، دوبل ، فرارة ، شقلوف .وقد استكملت المعلومات في موسم 1990م.

مهنياً تمارس الحياكة في الحزم، القطن، وفي الغرب – في البويرقات. بيد أن هذه الحرفة بالنسبة لمعظم المناطق السكنية في حضرموت الغربية ليست تخصصية. وهي تزاول "في البيوت" (في مدينة عمد، على سبي المثال، أسرة بن مزاحم من الأخدام).

يعمل في الحياكة الرجال والنساء. والمواد المستخدمة في الحياكة هي سعف النخيل أو رقائقها (خوصه – خوص). ويستخدم الغالبية مواداً أولية مساعدة، يحصل عليها الحرفيون في مدوده من وادي الصيعر أو من وادي سعف بالمهرة (الاسم ذاته يدل على تخصصه). وتتم تجزئة الخوص إلى قطع صغيرة (أقل من ذراع) ومتوسطة (ذراع) وطويلة (أكبر من ذراع).

ان اكثر المنتوجات المحاكة انتشاراً هي السلة المزدوجة (خبره –خبار) لوقاية التمور الناضجة (أنظر أعلاه الفقرة1). ولأعدادها تبلل المادة الأولية لمدة يوم كامل في أزيار كبيرة، ثم تجفف، ويفككون بعد ذلك رقائق الورق (عملية التقسيم) ثم يقومون بضم (عملية مجاوزة) 10 – 14 ورقة جاهزة، والتي يتم ظفرها فيما بعد.

بعض المظفورات التي تم الحصول عليها بمثل تلك الطريقة تربط بمصراع (جناح – اجنحه)، وتعاد حياكة الدرفتين بالخوص (يوثق الحرفي العقد بالأسنان – عملية القتل)، ومن ثم تشد العقد فوق كل مثلث على الحوافي الخارجية للسلة (عملية عطور)، وتكون الأشياء جاهرة. وتكون كل سلة أصغر بقليل من سابقتها، كي يسهل وضع الوحدة داخل الأخرى ، وبمعدل مجموعتين، كل منها "عشرون"

سـلة، ويـتم ربطها كاملة في "أربعين" (قرن – قرون)، وهي التي يتم احتسابها وبيعها.

كـان بامطـرف من مدودة طوال عشر ساعات من العمل يقوم بتجهيز عشر سـلال، ومثل ذلك زوجته، أما البنت فأقل بعض الشيء: الإجمالي من 26 – 27 سلة. إن الإنتاجية في حضرموت الغربية ذاتها تقريباً – سلة واحدة في الساعة. (تفاصـيل تقنية الحياكة في وادي دوعن قام بدراستها في عام 1984م وفي عام 1990م عضو البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة ب. ب. بوغورلسكي).

أن عملـية إنتاج السلال (خبر) مرتبطة بدورة حياة الإنسان: الاستعداد للزواج (تقسـيم – تسـريح العروسة في مفرق الشعر)، والزواج (مجاوزة) وهكذا حتى المـوت "القهـري" (قتل)، وكذا الدفن (عطور – صفة خاصة من طقوس الدفن). وإذا مـا أخذنـا بعين الاعتبار التقاليد العربية القديمة لإضفاء الصفات الإنسانية على النخيل، فأن هذه التسميات كما يتضح لم تأت مصادقة.

تحظـى سـلال النقل الخاصة بالحمير (جبل –جبول) بطلبية مستمرة، ويرتق (الجبل) بطول 5، 1 متر وعمق متر واحد، من عدة أشرطة طولية مجدولة ويقوم بتجهـيزه الحرفـي خـلال يوميـن. وتستخدم على نطاق واسع مختلف صنوف الأطباق، التي يتم تنفيذها من "منحنيات" لولبية مصففة: من الطبق الدائري (تفال) ذي القطـر 90سـم والـذي يسـتخدم كسفرة للطعام، إلى الأطباق ذات الرسوم والـزخارف المنمـنمة الصـغيرة بقطر 15 – 20 سم (غطا – غطيان). وتوجد مخـتلف أنـواع الأطـباق مـع الأغطية، ومراوح يدوية لتلطيف الجو، والقبعات العريضـة (مظلـة – مظلات)، ومختلف أنوع المناخل (الرسم رقم 35، 47، 50، 86). ومـع ذلـك أصـبح الحصير (سلقه – سلق) يحاك من ألياف صناعية. كما تفصـل السـلال العملية الكبيرة (مربشه – مرابش) من مطاط إطارات السيارات، ولم تعد تنتج اكثر الحُقّ ، المستديرة والبيضاوية الأنيقة (قرطيله – قراطيل، قفه – قفف، محملة – محامل) لغرض حفظ الوثائق، والأشياء الثمينة وأدوات التجميل والبخور والأدوية والطعام (الرسم رقم 48، 49).

إن أسعار المنتوجات المحاكة ليس كبيراً:

قفـة (جـبل) سعرها واحد دينار، قبعة من 1 – 1.5 دينار، طبق صغير 0.3 دينار، مراوح بسعر 1.5 دينار مقابل حزمة من ست قطع.

ولبعض المنتوجات المحاكة (قبعات، صحون، أطباق، مراوح) زخارف هندسية مـن خطـوط النخيل، ملونة أحياناً باللون النيلي، البنفسجي، الأحمر الداكن، كما تستخدم في الوقت الحاضر الأصباغ الصناعية.

النسج

علـــى الساحل، في الشحر، لا تزال تنشط جمعية تعاونية كبيرة لأرباب النسيج (حـيك – حويـك)، كمـا *يشتغل النساجون في الوادي الرئيسي (تحدثنا مع سعيد محفـوظ ، 66 عاماً، في الحزم)،* ولكن هذه الحرفة في حضرموت الغربية اختفت مـن أمام مرأى العين. وفي العام 1985م تسنى لنا الحديث في البويرقات (وادي العين) مع النساج بالوراثة، ذي السبعين عاماً عوض عمر باكلكا – آخر الحرفيين في الأسرة، وقد توفي في الوقت الذي كان فيه كتابنا هذا قيد الطبع.

فـي حضـرموت كانـت كلمة حائك (حويك) سابقاً اسماً للدلالة على الوضع المتدنـي في درجات السلم الاجتماعي، ولذلك فأن أبناء النساجين يختارون أعمالاً أخرى: ففي سدبه (وادي الكسر) أصبح بازرقان المنحدر من أسرة حاكة ساعاتياً، وفي عمد (وادي عمد) فأن شاباً من أسرة باسالم قد أصبح معلماً. ولا تقل أهمية الأسـباب الاقتصادية : فأقمشة النسيج المغزولة في البيت، لا تقوى على منافسة الأقمشــة الصـناعية المسـتوردة مــن الهند وجنوب شرق آسيا، وعلى وجه الخصـوص المنسـوجات الرخيصـة (الصـارونغ) التـي يصنعها في أندنوسيا المهاجرون الحضارمة.

كانت آلة نسيج (محواك – محاويك) من نصيب عوض باكلكا، حصل عليها من الأب. فـي السـابق كانـت الحـياكة بالخيوط الصوفية. أما حائكنا عوض فعمل بالخـيوط القطنية، كان يشتري الغزل في سيؤن أو في المكلا، ويقوم بندفه بمشط مـن القش (مجح)، ثم يلف كل جديلتين في خيط على بكرة خاصة بالغزل (كبه – كبـب) واسـطونه خيوط النسيج المعترضة (دولاب – دواليب) والركائز (دراج – دراريج) الخاصة بلف الخيوط على بكرة اللف (قصبه – قصب)، بعد ذلك يتم على وحدة دلفنة مكوكية أفقية ومستوية طولها 6.5 متراً، إعداد قطعة النسيج بعرض حوالـي 90 سـم. وترفع خيوط قاعدة النسيج (بسطه) بدواسة (حذيه – حذى) على ناصيتين خشبيتين (نص)، وفي الحلق المتكون بمساعدة المكوك (زمار تمر خـيوط النسـيج المعترضـة. ويف النسيج الجاهز على أعمدة خشبية (مدرج – مدرج) (الرسم رقم 16).

علـى مدى عشر ساعات من العمل في اليوم كان الحائك ينسج إلى 6.5 أمتار مـن المـواد. وفـي الأعـوام الأخيرة كان باكلكا يقوم فقط بعمل مناديل الرأس النسـائية المخرمة (نقبه – نقوب)، التي كان يزينها بنفسه بالنيلة (النيل، نباتات النـيلة الرئيسـية – في حوير)، بلون أزرق – داكن على حجرة خاصة (قلبدة – قلبدات). سعر المنديل 5، 2 دينار. كما يحيك النساجون في الحزم زنانير رجالية

بسيطة من "الطرز البدوي"، ومع ذلك فأن الملابس الأصلية من الصنف المماثل يجيدون صناعتها فقط في الشحر.

وفي بعض مناطق حضرموت الغربية (على سبيل المثال، في وادي العين، لم تفقد بالكامل تقاليد إنتاج قطع النسيج الصوفية الرفيعة (بساط – بسط)، وكذلك الأغطية الصوفية (شقه – شقاق)، التي يتم إعدادها في إطار مضفور في ريدة الدين ومناطق أخرى من المرتفعات.

إنتاج زيت السمسم

كانت معصرة الزيت، التي يجرها الجمل، تجذب دائماً اهتمام الرحالة الأوروبيين / 96 – أ ص 38/. في مدينة عمد، يملك علي محمد حداد (حوالي 40 عاماً) مكبس مماثل: غليظ مغروس في أرض الحوض بوزن 36 رطلاً مع صفائح إضافية ثقيلة، وله ذراع موازنة مثبت إلى حيوان الجر (أنظر الرسم رقم 56). تكبس بذور السمسم المنظفة (إلى 300 رطل = 135 كجم) تحت الضغط، إلى أن تتكون كثافة متجانسة، ثم يضاف الماء ويتواصل العمل حتى الحصول على الرغوة. ويتم كشط العصارة (التخ) من جدران الحوض، أما ما تبقى تحت الكابس فيعطى للجمل (أنظر الملحق: الأمثال).

وخلا عشر ساعات عمل في اليوم يعصرون حوالي 70 رطلاً من السمسم (الجلجل)، يذهب منها أربعة أرطال لصالح العصار. إن الطلبية على الزيت مستمرة، إلا أن معصرة الزيت في عمد، كما أشار س. ن. سيربروف. مرتبطة بالسمسم المستورد من السودان، وغالباً تظل متوقفة بدون المواد الأولية: إذ يحصل المالك على 30 – 45 كيساً من السمسم في العام، فيما يحتاج كحد أدنى إلى 60 كيساً.

بعض الملاحظات العامة على الحرف التقليدية في حضرموت الغربية تجدها في استنتاجات هذا الفصل وعن أعمال البنائين أنظر لاحقاً، الفصل 2 الفقرة1، والخياطة الفصل 2 الفقرة.

3- المهن

تربية النحل

المعلومـات عن تربية النحل جمعها ب. ب. بوغوريلسكي في عامي 1984م و 1990م، وكـذا مؤلف هذا الكتاب في أعوام 1983م، 1985 – 1987م، 1989م، 1990م. وقـد نشر جزء من المعلومات في مقالة ب. ب. بورغوريسكي و م. أ. روديـنوف "تربـية الـنحل في وادي دوعن" (أعمال البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة، قيد الطبع).[1]

بعـد مقالـة انجرامس عـن تربية النحل في وادي دوعن، التي ظهرت في الصحافة منذ فترة قصيرة قبيل الحرب العالمية الثانية /76/، أمكن تكوين إنطباع عـن أن الوادي هو مركز هذه الصنعة. ومع ذلك فأن تربية النحل في حضرموت تمـارس مـنذ القدم وفي كل مكان. توجد في غرب حضرموت، حسب تقديراتنا، اكـثر من 12 ألف كوارة نحل (حوالي 5 آلاف في وادي دوعن، 3.5 الآلاف في وادي عمـد، ومثل هذا العدد، على الأرجح، في وادي العين، وما لا يقل عن ألف كوارة في منطقة حوره).

يمـيز مـربو الـنحل في أوقات تفتح أزهار الأشجار الرئيسية المولدة للعسل موسـمين رئيسـيين لجمـع العسل. الموسم الأول – تفتح أزهار السمر. فحسب أقـوال الشـيخ عمـر الحبشي (حوالي، 60 عاماً، قرية الغبر، بالقرب من القزه، وادي دوعن)، تستمر هذه الفترة 52 يوماً، من مطلع نجوم الجبهة (22 فبراير) وحتى نهاية نجوم العوا (14 أبريل).

الموسـم الثانـي يحل في أكتوبر – ديسمبر، حين تأخذ النحل غذائها الرئيسي مـن اشجار العلب. وعسل هذه الفترة يكون سعره غالياً: 20 – 25 دينار للرطل الواحد. أما عسل موسم السمر، الذي يسمى "مريه" أو "صيفي" فيبلغ سعره من 3 – 5 دنانير.

في الأعوام الممطرة يكون هناك موسم ثالث لجمع الشهد، من الأعشاب، يطلق علـيه "مربعـي". أمـا إذا لم تهطل الأمطار، في يوليو، فيحدث أن تتغذى النحل بعصير السكر كما يترك لها ما كانت قد جمعته هي من محصول.

ويمـيز صـنفان مـن الـنحل، المربى في حضرموت: النوع المحلي المقاوم للحـرارة (الأصـفر) أو (الأحمـر)، وكذلك المجلوب من أفريقيا (في الأساس من

---

[1] صدر الجزء الاول من أعمال البعثة السوفيتية – اليمنية المشتركة باللغة الروسية في موسكو عام 1995م تحت عنوان " حضرموت " ويشمل دراسات تاريخية وثقافية وأثنوغرافية وأثرية .(المترجم)

أرتيريا) وهو "الأسود". أما تركيب وشكل الكوارة، ونظام العناية لكلا النوعين فمتشابهة.

وعلى الرغم أن تربية النحل في حضرموت له تقاليد ضاربة في القدم/ 41 ص711/، إلا أن تقنيتها تظل بدائية. قبل كل شيء يدل على ذلك تصميم وتركيب الكورة ذاتها، التي يطلق عليها في المؤلفات "الخلية المستلقية" بسبب وضعها الأفقي / 196 ص 24/.

يعتبر شكل الخلية على هيئة قنينة هو الأكثر انتشارا في الوقت الراهن (الرسم رقم 17). وفي بعض الأحيان يمهد الفراغ إلى التويج (مغار – ميغار)، وتنتهي الخلية بشكل مخروطي ناقص (أشير إليه على الرسم رقم 17 بخط منقط).

ووفقاً للصور الفوتوغرافية من الثلاثينات والأربعينات /96 ص 133، 76 ص329/، فأن الخلايا كانت تُجهز آنذاك أيضاً على شكل أسطوانات مجوفة – وهذا الشكل ينتشر على نطاق واسع في غرب أسيا – على هيئة جذوع أشجار مجوفة، والتي لا تزال تستخدم حتى الوقت الراهن كخلايا، على سبيل المثال في عسير (العربية السعودية) 229 ص 63 – 72/.

في الماضي كانت تشيد للخلايا أقسام في سور المنزل.ومثل هذا الوضع كان يؤمن ويقي النحل من نزلات البرودة، الأمر الذي ضاعف من إنتاجيتها. وفي كثير من الأماكن في وادي عمد (على سبيل المثال في قرية الشراجه أو في نجد باتيس) لا تزال خلايا النحل حتى الآن تتشكل بالأسلوب القديم. ولكن في وادي دوعن وبسبب انتشار المبيدات الحشرية، التي تستخدم على نطاق واسع ضد الذباب والبعوض، فقد تم التخلي عن الخلايا المركبة.

في الوقت الراهن تشيد الخلايا على السطح المستوى للمنزل (فوقه مباشرة أو على حامل غير طويل)، وفي الفناء، في الأرض أو على منحدر بالقرب من نباتات صاحب النحل (الرسم 57 – 58). وأحياناً ينقلونها على سيارات النقل إلى الأودية المجاورة. كما توضع سياجات من الأغصان المشوكة غير المرتفعة بغرض حماية النحل من الطفيليات وتستخدم كموانع هامة للناس والحيوانات.

في البداية، توضع أسرة النحل في الخلية، المغطاة من قطاعها العرضي بغطاية مضفورة من سعف النخيل، تشابه الصحن ذات الحواشي العمودية المرتفعة، ومن أجل تغليظ الغطاية يلفون حولها قطعة قماش.

تشيد النحل الخلايا الشمعية، من الجدار إلى الوسط، على شكل أقراص، وفي الخلايا تضع النحلات العاملات الشهد، أما الأم (الملكة أو الملك)فتربي ذرية جديدة.

وبقـدر نمـو أسـرة النحل وامتلاء الخلية يقوم مربي النحل بتوسيعها بحلقة إضـافية (وصلة – وصال) ويطلي مكان الربط بالطين (الرسم: 17 : أ – مغار : قطـر الفـتحه 3 سم، قطر التويج 7 سم، ب – الوصلة: القطر 19.5 سم، الطول 35 سـم، السـمك 1 سـم). وعلى هذا النحو، تتكون الخلية عادة من اثنتين إلى ثلاث حلقات وتحتوي 12 قرصاً (الرسم 17 – ج).

وبغـية اسـتخراج العسـل يفتح الغطاء الجانبي للغطاية، ويتم انتزاع 2 – 4 أقـراص مـع الشـهد بالسـكينة، طالما لم يتبين القرص بالمنتوج، وبعدها تعاد الغطايـة إلـى مكانها. وخلال ستة – سبعة أعوام فأن ما يترك وراء القرص مع المنـتوج، يبدأ بالتحول إلى اللون الأسود، وحينها وبواسطة مغار بضعون علامة (معلم – معالم) من الناحية المقابلة ثم يقومون بقطع الخلايا المسودة.

يقـوم الـنحالون مرتيـن في العام بتفقد وتنظيف الخلية، ويتأكدون من عمل النحل وكيف تضع الأم الذرية الجديدة. وإذا وجدوا أن وضعية الذرية الجديدة غير جـيدة فأنهم يقطعون من الخلية القوية جزءاً من القرص بالمنتوج وينقلونه إلى الأضـعف. ولغرض التحويل يستخدم وعاء خشبي (حشو – حشا)، بمثابة تكرار لشكل الخلية.

وفـي لحظة تقسيم الأسرة (ريش) فمن المهم عدم السماح لتفكك السرب . أما عـندما تـبدأ النحل في الخلية بالأزيز، وهو ما يحدث قبل تثول النحل، فأن مربي الـنحل يعلـق بجانب الخلية سفرة، من تلك التي توجد في كل بيت، ويظل منتظراً اللحظـة التي ستحط عليه النحالة الأم بين النحلات العاملات، فيتم إصطيادها في قفـص خاص (كبل – كبول) مصنوع من حلقتين جلديتين مع فتحات في الدائرة، بقطـر 5–6سـم، والتي يدخل عبرها التبن وبطول 14 – 15 سم (الرسم 17 ج ف)، بعـد ذلك تعقف أطراف السلة المجدولة ويتم نقل السرب. وفي الأعوام غير الملائمة فأن تقسيم أسرة النحل، كقاعدة، لا يحدث.

عـند الضـرورة تسـتخدم أيضـاً خلايا صناعية. ولهذا الغرض تقطع إحدى الحلقـات مـن الخلية وتنقل إلى شجرة مجاورة على بعد واحد ونصف إلى أثنين كيلو متر، ويتم الانتظار إلى أن تضع النحل ملكة جديدة.

إن بدائـية أساليب تربية النحل في حضرموت الغربية تتجلى في الغياب الكامل لـلأدوات المتخصصة. وهي تتألف هنا من سكينة عادية، وقطعة من قماش قطني يـتم إحـراقها لإرغـام النحل على الخروج، وقطعة بسيطة للوقاية على الوجه، ومصفاة للعسل، وكذلك نقالة خشبية للنحل وقفص للملكة.

ومـن الحـرارة تغطى الخلايا بقطعة قماش عادية، و كانوا يقونها من المطر بقطعـة من الجلد. أما في الوقت الراهن، فبطبقة رقيقة من البوليثيلين. وتستخدم

أدوات مماثلة أيضاً في أقصى الجنوب الغربي لمحافظة حضرموت – في وادي حجر (منطقة يبعث) /120 ص 41 – 42/.

ويعالج النحالون في حضرموت مشاكلهم بدراية صحيحة دون الحصول على مساعدة المتخصصين، وهكذا فأن حسين عبدالله بن الشيخ أبوبكر (61عاماً، خريخر)، (الصورة 29) يقوم في موسم الحر الشديد بفتح الغطايه الخلفية للخلية في الليل، لكي يسمح لها أن تبرد قليلاً، أما في النهار فلا يسمح لمثل هذا العمل، ذلك لأن النحل تصاب بانزعاج.

إن علة فساد النسل معروفة جيداً لمربي النحل، ويوضح محدثنا إن مرض ملكة النحل يصيب بالعدوى بقية الأقارب: "... الملكة المريضة تبدأ بالحركة والاختلاط في الجوانب من مركز الخلية فتنحي جانباً بيضها، وفي النتيجة فأن اليرقات تنقلب وتموت". ولقد قام حسين بالتجربة: سحب الملكة المريضة، فربت النحل ملكة جديدة ولم يفسد النسل اكثر. وعادة ترش عائلة النحل التي تصاب بالعدوى من الأقارب بالملح، مع أن ذلك لا يفيد كثيراً.

إن الإبادة الاصطناعية لليعاسيب لا تطبق عملياً:

وحسب ملاحظة مربي النحل المحليين، فأن النحل بعد انتهاء موسم السمر وبدء الجدب بين الموسمين، تتخلص من اليعاسيب من تلقاء نفسها.

ويعتقد الحضارمة إن النحل يستطيع أن يقطع مسافة كبيرة إلى حد ما، أثناء جمع رحيق الأزهار، وإنه يبقى في الطيران حوالي ست ساعات في اليوم.وفي موسم تفتح أزهار أشجار الشبره التي تنمو حول قرية القزة، فأن النحل يطير إلى هناك من وادي العين، وتقدر هذه المسافة تقريباً بـ20 كم في اتجاه واحد فقط. وحسب كلام الشيخ عمر الحبشي، فأن الطيران الاعتيادي للنحل من بلدة قيدون إلى القزة والعودة – بالأجمال تقريباً 30 كيلو متراً.

ووفقاً لتقديرات حسين بن الشيخ أبوبكر، فأن العائلة الجيدة تعطي في العام الواحد إلى 12 – 13 قرصاً من العسل، يحتوي كل واحد منها في المتوسط على رطل ونصف من العسل، وهو ما يساوي تقريباً 7.5 كجم.

أما حسب معطيات انجرامس فأن العائلة الواحدة تعطي خلال الموسم 30 – 40 رطلاً من العسل، أي من 12 – 16 كجم/ 76 ص 32/. ومثل هذا التفاوت يمكن إيضاحه، في كون أعوام القحط 1984 – 1986م، التي قمنا خلالها بأهم أبحاثنا الميدانية، قد كانت خلافاً لأعوام الثلاثينات ، غير ملائمة للغاية بالنسبة لتربية النحل في حضرموت (عن دور العسل في التغذية، أنظر لاحقاً الفصل 2 الفقرة 3، وعن دوره في العلاج الفقرة 4).

إن تربية النحل في حضرموت موجهة إلى درجة كبيرة للسوق الخارجي، ومع ذلك فأن الطلب على العسل المحلي يستند في الأساس على المهاجرين الحضارمة، الذين يعملون في الدول النفطية في الجزيرة العربية.

كانت هناك محاولة لتصدير العسل الحضرمي إلى السوق العالمية الواسعة، لكن الخبراء في لندن اعتبروا أن البضاعة غير قادرة على المنافسة بسبب تكوينها الكيميائي/ 75 ص 53 – 54/.

ويحفظ الكثيرون من أصحاب النحل في حضرموت عن ظهر قلب ما ورد في القرآن الكريم "سورة النحل": "وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فأسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لأية لقوم يتفكرون". إن الأقتباس من القرآن يعزز التصور عن الوضع الرفيع لتربية النحل. وتؤكد جذورها الضاربة في القدم المبادئ المتطورة لنظام العرف، المرتبطة بتربية النحل.

وكما في بقية مناطق الجزيرة العربية الأخرى، فأن هذا العمل من اختصاص الرجال، وتنتقل ملكية النحل والخلايا بالوراثة، ويحدث أيضاً أن يمتلك عدد من الأخوة الأشقاء منحلاً واحداً. وعادة يكتب على بيت النحل أسم مالكه (لاسيما إذا كان موقعه بعيداً عن المنزل). إن معظم المشادات المتعلقة بتقسيم الخلية (لمن ينبغي أن يتبع الجزء المنفصل) تحل غالباً وفقاً للعادات:

إذا كان من غير الممكن رمي حجر بوزن رطل وحد (تقريباً 450 جرام) من مكان الخلية إلى الموقع الذي انتقلت إليه الخلية الوليدة حديثاً، فأن المالك في حالة الجدل يفقد حقوقه في هذا النحل. ويوجد في حضرموت "محكمو النحل" المتخصصين، الذين يقومون بحل النزاعات بين النحالين. ويحظى بشهرة كبيرة في أسفل وادي دوعن مبارك بن شملان (أكثر من 60 عاماً) والذي يعيش في وادي عمد.

كان معظم الذين استجوبناهم من المتخصصين في تربية النحل ينحدرون من الطبقة الاجتماعية "القبائل" أو بالنادر من السادة.

القنص

في كتابة المكرس للقنص في حضرموت، عبر سرجنت عن الأمل في أن تكون هذه الحرفة لا تزال باقية / 265 ص 4/. وفي الحقيقة فأن قنص الوعل الجبلي (ibex) لازال متبعاً في الواقع، كما كان منذ سالف الزمان، في مناطق كثيرة من حضرموت: في مدوده، بالقرب من سيئون، قيض لي في عام 1987م أن أجرى

حواراً مع أحد المتحدثين إلى العالم الإنجليزي – هو الشيـــخ أحمد سعيد بخضر / 265ص 43/، الـــذي كـــان فـــي زمن سرجنت يافعاً، أما الآن فقد أصبح رئيساً للحي وزعيماً (مقدم) للقنص.

فـــي شتاء 86/ 1987م جرى اصطياد وعلاً واحداً فقط في مدوده، وفي تاربه 18 وعلاً (9 منها كبيرة)، وفي دمون (تريم) 4 أوعال. ويعتبر حيواناً كبيراً، ذلك الـــذي له في كل قرن ما لا يقل عن 20 نتوأ دائرياً (عجره – عجر). يتم القنص فـــي مدوده ودمون باستخدام أحبولة الشبكة (الرسم 18)، وفي تاربه – بواسطة مطـــاردي الصيد فقط، وحسب رأي المقدم عيضة عوض بليله (حوالي 70 عاماً، قبيلـــي مـــن العوامـــر)، فإنـــه لا يوجد قنص حقيقي في غرب المنطقة (علوى): فالوعول قد أذعرتها الضباع والقردة.

ومـــع ذلـــك ففـــي مارس 1988م، أصطاد القناصة من قرية قعوضه (مديرية حـــوره)، في المرتفعات بين شعاب منوب وقعوضه وعلاً جبلياً له 64 حلقه. "إن مـــثل هذا يحدث للمرة الأولى في منطقتنا منذ عشرين عاماً، – يقول المقدم أحمد بن (حوالي 60 عاماً، قبيلي من نهد). وقد تناولت هذا الحادث الصحافة العدنية / 283، 1988/3/31م.

أهـــم مراكـــز القـــنص في حضرموت الداخل – من الشرق إلى الغرب – هي عيـــنات (حيـــث كانـــت تـــربى، في زمن ما، الكلاب المدربة على صيد الوعول)، ودمـــون التريمية، وبور، وتاربه، ومدوده، والعزفه، أما في حضرموت الغربية – قعوضه في وادي الكسر، وبضه في وادي دوعن. وتمتلك كل بلدة أراضي محددة بدقة للقنص.

وفي بور وضواحيها فأن أماكن القنص مرتبطة بـــأسر الأتقياء المدفونين في القـــرية والتي يستحق لها جزءاً من كل ضحية قنص يتم اصطيادها: جبل ذبك من أجـــل مشـــائخ الزبـــيدي (حوطة السلطان)، جبل بن حمدان – لصالح مشائخ بن محمـــد (مولـــى خـــيلة) والسادة آل علوي باعبيد (مولى سمح)، وجبل يهبر – لصالح القائمين على النظام في ضريح عُبيد الله، ابن السيد الأول أحمد بن عيسى المهاجر.

ينقســـم القناصـــة إلى مجموعات (خبره – خبر) مكونة من 5 – 20 شخصاً، الذيـــن يـــتألفون مـــن القـــبائل، والمساكين، والشائخ، بل وحتى السادة، رغم أن الأخيريـــن يستنكرون القنص. ويسمون القناصة من السادة، حتى الوقت الرهن، (حبايب) تهكماً/ 265 ص 18/.

عند الصيد بالأحبوله ينقسم المشاركون إلى مجموعات:

1- مطاردو الصيد (شن – شننه).
2- الرماة.
3- المكملون لغنيمة القنص (مكبنين).
4- "رجال الشبكة"، الذين يضعون الأحبولة عادة في باطن الجبل، لأن الوعول تحاول الفرار إلى الأسفل / 265 ص 27 – 28 /.

في الماضي كانت الأحبولة تحاك من صوف المعز، وكانت تطرز بالنيلة، أما في الوقت الراهن فأنهم يحبكونها من حبال مبرومة بيضاء، تشابه سلة الكرة الطائرة، ومقياسها هوة 1.6 × 9 متر، والطوق (بارتفاع 2.5 – 3 متر) وكان يجهز في الماضي من فروع النخيل، أما الآن فمن عيدان خشبية لها زوايا حادة ممسوحة بالفارة وبحجم أصغر.

اما إذا كان القنص غير موفقاً، فأن القناصة يتفرقون واحداً واحداً. ويعيرونهم ويتحرشون بهم. ويعتقدون إن خلل التنظيم (زام – زيوم) يمكن أن تكون بواعثه الغش والسرقة والتهرب عن أداء الصلوات والمشاجرة بدون تصالح ومخالفة الممنوعات الغذائية (أنظر لاحقاً حديث المخبر).

وفي حالة النجاح في القنص ينظم موكب احتفالي مهيب، (زف – زفوف)، فيما اذا كان الوعل "كبيراً". ويطلى القرنان في الرأس المفصولة للضحية باللون الأسود. ويرددون أغاني القنص "بني مغراه"[1] ويلعبون ويرقصون بخناجرهم، ويطلقون النار في الهواء (في مدوده يشعلون في الوقت الراهن خراطيش "العاب نارية" صينية توضع في ما سورة بندقية العاب غير حقيقية).

في تريب في العام 1987م جرى الصيد الشتوي خلال ثمانية أيام، وشارك فيه 120 من الرماه و 140 مساعداً "حملة الماء" وقد استمرت "حفلة القنص" هنا ليومين متتاليين. وفي موكب الحفل يوجد تسلسل صارم لجميع الأحياء السكنية في البلدة. ويخضع تقسيم الغنيمة لقواعد صارمة. ويقترن النجاح في قنص الوعل بالفلاح في الزراعة، أي بالمطر والسيول، كما عرض هذا بصورة مقنعة سرجنت / 265 ص 9 – 13، 76/.

الجدير بالإشارة، أن معابد لـ "أمير الوعول" كانت توجد في شرقي البحر الأبيض المتوسط "في إبل" في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وقد كانت رسوم

[1] بني مغراه: هي مفتتح قصائد القنص المتنوعة، ومغراه أسم للكلب أو الكلبة التي تتدرب على الجري للإمساك بالصيد، كما جاء في كتاب الشاطري "أدوار التاريخ الحضرمي ج2 ص 349. أما المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف فيشير إلى أن مغراه هي الحبل أو الجلد أو السلسلة التي تطوق عنق كلاب الصيد التي تلعب دوراً في اصطياد الوعول (أنظر كتاب المعلم عبد الحق ص 103، دار الحرية – بغداد 1974م (المترجم).

الوعـل إلى جانب النخـلة شائعة على الأقل منذ القـــرن 16 – 14 ق م. في أوغاريت، أما الرؤوس البرونزية للسهام مع علامة المالك (كانت قد تحولت فيما بعـد إلى رصاص للصيد) – فمنذ القرن 12 ق. م/ 214، 226 ص 241، 281، 275/.

يرتبط قنص الوعل بالمشائخ. أما السادة فيقفون ضد ذلك، وقد تحدث عن ذلك اكـثر من مرة منصب حريضة الشاب على بن أحمد العطاس، الذي أشار إلى أن آخر احـتفال مع الغناء والرقص بمناسبة التوفيق في القنص كان قد جرى آخر مرة قبل عشرين عاماً مضت.

وبضغط من سادة تريم فأن السلطان محسن الكثيري (1878 – 24/ 1925م) كـان قد أدان القنص، وعلى إثر ذلك أخذت تتلاشى تدريجياً ثقافة القنص الريفية فـي تـريم وضواحيها، ماعدا دمون/ 265 ص 93، 97/. أما في الوقت الراهن فأنـه يـتم تسجيل تفاصيل مراسيم القنص في أشرطة الفيديو. ولقد شاهدت مثل ذلـك التسـجيل في مدوده وتاربه لحفلات القنص، وتتجلى فيه بوضوح الطقوس القديمـة، التي تجسد حفلة نجاح القنص كحفلة العرس (عرس الوعل "الكبير" مع عمـوم القناصة؟). ولم تغب هذه الموضوعات عن المتابعين السابقين/ 265 ص 55/، وهـي تظهـر فـي عمل مضحك، يجرى تمثيله عن طيب خاطر للضيوف كذكرى عن النجاحات السابقة.

إن قبة قرية القزة، حيث دفن أحمد بن سالم – سلف السادة الحاليين من أبناء الشـيخ أبوبكر، تزدان بقرون الوعل، وتسمى "القبة المربعية" لأن لكل قرن أربع عجـر (للمقارنـة/ 265 ص 30، 101، الملاحظة 184/. وعن القنص في وادي دوعن تحدث حسين عبدالله بن الشيخ أبوبكر:

أن القناصـين المشـهورين، هـم مشـائخ آل العمودي من بضه، وهم أناس أثـرياء، لديهم أعمالهم في العربية السعودية. يجمع رئيس لقنص من 30 – 40 شخصـاً مع الأسلحة، والآلات الموسيقية، الطبول والمزامير (أنظر الجزء الثالث الفصل 2 الفقرة 2) والغذاء، أي الخرفان. وهم يصعدون إلى الجبال، أما أمتعتهم فتحمل على الحمير أو الجمال. ويقومون باقتفاء أثر الوعول، ويحوطون المكان، الـذي يـتواجد فيه غالباً الوعل، ثم يستترون في مكمن وراء الحجارة، بحيث لا يصـيب بعضهم بعضاً أثنا الرمي ، ويقوم أحدهم بالصراخ أو الضجيج بحيث ينفر ويحـرف الوعل الهارب إلى أسفل الجبل. وأول من يطلق الرصاص هو الرئيس، وحـتى وان سقط الوعل فأنه لا يخر صريعاً مباشرة، ولذلك فان الباقين جميعهم يسددون طلقاتهم دون انتظار النتيجة. وها هو الوعل يسقط صريعاً، ويعلن الرماة إلـى أين سدد كل واحد منهم طلقته – ويعتبر الرامي الذي صرع الوعل هو ذلك

الـذي يحدد المكان الصحيح الذي أصابته طلقة الرصاص. ويعطى للرامي الرأس والقرنيـن. وهذا يسمى معاً القشعه! هكذا يخاطبون الطفل الشجاع : ياقشعه ! أي ياجدع ! ويعطى لمجندل الوعل فخذاً واحداً كزيادة، أما بقية أجزاء الضحية فتقسم بيـن بقـية المشاركين في القنص (للمقارنة/ 265 ص 30/. وفي المساء يغني القناصون في الجبال ويرددون الأشعار احتفاء بانتهاء القنص، بصرف النظر عما إذا كان موفقاً أم لا.

عند النجاح يعودون إلى بيوتهم بالأغاني (الزامل، انظر الجزء 3 الفصل 2 الفقـرة 2–3)، أمـا عند الإخفاق فبصمت. وإذا لم يصطادوا شيئاً فأن الناس من بقـية القـبائل الأخـرى يقولـون: إقضموا [العظم] إقضموا ! لقد سقط قائدكم واستلقى.

الاستنتاجات

إن التعرف على الأشغال التقليدية للسكان في حضرموت الغربية يبين أن نظام الإمداد بالماء، هو المسألة الهامة، التي تلم شعث مثل هذه الموضوعات المهمة، كالدورة الزراعية السنوية، خصوصية الماء واستخدام الأرض، تقنية الري، وأهم التنظيمات الاجتماعية (في الأحياء) والسلطوية أي ذات الأمر والنهي.

إن منظومة الري بالسيول قد بنيت على أسس عامة، ولها آلية تنظيم ذاتية، لا تحتاج إلى سيطرة مركزية قوية (أنظر الجزء 3 الفصل 1 الفقرة 2)، خلافاً للري بواسطة الآبار في الوادي الرئيسي، الذي مهد السبيل لعلاقات الملكية الخاصة.

وانعكاسـا للتقالـيد القديمة للاستخدام المحلي للمياه، فأن مصطحات الري في حضـرموت الغربـية قريبة إلى حد ما من المصطلحات المماثلة في لحج وشمال اليمـن، ولكـنها تختلف بشكل جذري عن العمانية / 263ص 72 – 73، 280/. وبغـية تبيـين مسـتوى أصالتها لابد من البحث الميداني في حضرموت الشرقية والمهرة.

إن الاهتمام الخاص بالنسبة لعالم الأثنوغرافيا يتمثل في تربية النخيل ونظامها الزراعـي، المثبـت فـي التقالـيد المحلـية والمكتوبة (أنظر الجزء 3 الفصل 2 الفقـرة 1). ويسـمح لنا وصف زراعة النخيل في سقطرى / 160 ص 145 – 146/ بالافتراض أن تقنيتها مقتبسة من حضرموت.

كمـا أن الأدوات الزراعـية التقلـيدية فـي مـنطقة دراستنا متكيفة جيداً مع الظـروف المناخـية – الطبيعية. وينبغي أن يجري باحتراس تحسين ومضاعفة النـباتات الزراعـية دون الإخلال نهائياً بالتوازن الأيكولوجي غير المستقر. هكذا فأن ظهور مكائن الحراثة قد وضع النهاية لبقاء الثيران في حضرموت الغربية.

والـــزراعة فـــي أودية الغرب متممة فحسب لتربية الحيوانات. أن أزمة تربية الجمـــال، بسبب ظهور شاحنات الحمول، زادت من أهمية الأشغال الأخرى، وفي المقـــام الأول التنقل. وتعزز المعطيات الأثنوغرافية، الافتراض في أن المعز كان أســـاس قطيع الأغنام في حضرموت من الأصل، وبما في ذلك توقير الوعل "سلف المعـــز المنزلـــي". وتعطـــي الأبحـــاث الأثنوغرافية، التي بدأتها البعثه السوفيتية اليمنـــية المشتركة في موسم 1990م في الهضبة، الوصف العميق لتربية الماشية عند البدو.

وبمقارنـــة المـــواد في الحرف المحلية مع الروايات التي حصل عليها دوستال في تريم / 217/، يمكن الأقتناع تقريباً في التشابه الكامل في أدوات أهم العمليات الإنتاجـــية (ســـواء في التركيب اوالمصطلحات) وفي الجزء الأكبر من منتوجات حضرموت الغربية والشرقية.

لقـــد تكونت "المواصفات" الموحدة في ظروف التشتت والانقسام السياسي وفي الصـــراعات والحروب الداخلية بين القبائل. وتستوجب آلية إنتاج التقنية التقليدية للانتقال الوراثي للأساليب والخبرات – من الأب إلى الابن، ومن العم / الخال إلى إبـــن الأخ / الأخت (يقوم الرجال في جميع الصناعات الحرفية بتصنيع المنتوجات حســـب الطلب أو للتسويق: أما النساء فيلعبن دوراً خاصاً في حياكة سعف النخيل وفي الأشغال الإنتاجية "المنزلية").

يعمـــل فـــي كافـــة أنحـــاء حضرموت في أشغال الخشب ، باطرفي، الكثيري، باحشوان، والحدادون آل بن يثرب الحداد، وصاغه المجوهرات باحشوان، حسان، باضـــاوي بابإبرهيم، بن سليمان، وصانعو الفخار دعكيك وبابريجه ودباغوا الجلود باجبير وغيرهم. أما بعض الأسر – بامطرف، باسمبل وغيرهم فيشتغلون بالتجارة والمهـــن المختلفة.ويفخر الحرفيون الميسورون بأصلهم مؤكدين إنهم جاءوا إلى حضـــرموت مـــع السيد أحمد المهاجر، أما النجارون آل باطرفي فيدعون الانتماء إلى كندة.

ويرتبط التوحيد القياسي للمنتوجات الحرفية بالزيارات (زيارة الأماكن المقدسة لأضـــرحة الأولـــياء المحليين) التي تصاحبها الأسواق الدورية. وفي أثناء مواسم الـــزيارات تخفض او تلغى الضرائب، ولهذا السبب اصبحت أهم عامل لبدء تشكل الســـوق الاقتصادية الموحدة في حضرموت. وفي هذه الزيارات لا يبيع الحرفيون بضاعتهم فقط وإنما يتبادلون مع بعضهم أسرار الصنعة.

إن التوحـــيد القياسي، بالطبع، لم يحمل الطابع المطلق، وقد لامس اكثر شيء أدوات العمل، المصنوعات الفخارية، الحياكة، والقسم الأكبر من منتوجات صاغة الحلي.

وباستثناء القواعد العامة ، فأنها لم تمتد إلى الثوب النسائي الذي يمتلك عدة أشكال. ويتبين ذلك إلى حد ما من كون الخياطة لا توجد لها عشيرة متخصصة بالوراثة. ولم تظهر آلية أموية (نسبة إلى الأم) للحفاظ الثابت على التقاليد (أنظر لاحقاً الفصل2 الفقرة2).

ومن خلال وصف الأشغال التقليدية في كل مكان اتضح الوضع الثقافي والانحدار الطبقي للعاملين (أنظر الجزء 1 الفصل 2 الفقرة 1). والى درجة ما فأن السمعة العالية للحرف مرتبطة بالتقاليد المحلية التي تعود إلى ما قبل الإسلام.

لقد أضحت التقاليد القديمة للزراعة، وتربية الحيوانات، والحرف والمهن عرضة للتشويه والتغيير الشكلي في إنحاء حضرموت ابتداءً من ثلاثينات القرن العشرين، أي مع بدء العصر الأثنوغرافي الراهن. وهي تعيش في حضرموت الغربية، بشكل خاص، أزمة حادة وبعضها (على سبيل المثال خبرات النسج) قد قضي عليها في الوقت الحاضر. ومن غير الجائز أن يتريث الأثنوغرافيون في دراسة ما بقي منها.

الفصل الثاني

مركبات نظام الأعاشة

1- نظام السكن – الاسكان

هـذا الموضـوع أهتم به ك. لاندبرغ، الذي نشر نصاً باللهجة الحضرمية عن عمـل البنائين الحرفيين، مع ترجمة وتعليق اثنوغرافي – لغوي دقيق/ 236 ص 394 – 408/.

كمـا كتـب عـن البنائين المحليين هـ. انجرامس، ر.سرجنت، ودون الأخير سوية مـع بـ. دو مخطـط البرج السكني ومظهره الداخلي في وادي جردان (بالقـرب مـن حضرموت الداخل)، أما محمد بافقيه و ج. شلحود فكرسا بحثهما لبيوت شبام ذات الطوابـق المتعددة /72، 247، 213، 200/. وكتب ي. ف. كوجيـن عضو البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة دراسة عن السكن التقليدي في حضـرموت، حيث أخذ بنظر الاعتبار استعراض ف. دوستال عن الفن المعماري لجميع منطقة الجنوب العربي / 221، 144 – أ /.

فـي أثنـاء الأبحاث الميدانية للبعثة السوفيتية اليمنية المشتركة كنا قد أجرينا أحاديث مع معلمي البناء، صالح عبود بامخير من حريضه (55 عاماً)، سالم عمر باهـادي مـن عمـد (حوالـي 60 عاماً)، ومع عمال البناء من القزه، الجدفره ، الهجريـن وحوره وقورنت أحاديثهم مع المعلومات التي ثم الحصول عليها خارج حـدود حضـرموت الغربـية مـع معلمي البناء: صالح فرايع جوفه، (60 عاماً، القطـن) وسـالم عوض جميل (58 عاماً، تريم) ومع منتج الجير (النوره) أحمد عبـيد لعوج (55 عاماً، القطن) ومع قالعي الحجارة التريميين من أسرتي حريش وباسمبل.

خـلال وصـفهم لنظام السكن والإسكان في حضرموت، فأن الباحثين نادراً ما يعـيرون اهتماماً للكهوف السكنية، الملاجيء المؤقته والأماكن المجهزة للتوقف، المتواجدة في كل مكان، حيث تزاول تربية المواشي. وتستخدم هنا أساليب البناء البسيطة، وهـي أنموذج موحد لحضرموت وسقطرى (للمقارنة / 160، الرسوم 51 – 52، 64 – 65)، وكذلك، ربما، المهرة. ومع ذلك ففي الجدران المبنية من الداخـل من أحجار غير مسواه (وكذلك التقنية، مثلما في منشآت الري)، تستخدم عـوارض خشـبية (الصـورة 59)، وهـي عادية بالنسبة لمواد الخام للبناء في حضرموت.

تماثل البيوت الطينية لأودية حضرموت البيوت الحجرية للمرتفعات اليمنية وتنتمي إلى المنشآت الدفاعية القديمة – منشآت المنزل – البرج (الطرز الأول لازال باقياً في وادي ظهر)، الذي يتكون من تقسيمات واضحة عمودياً / 213 ص 5، 144 ص 73/ (أنظر الصورة 60).

في الأسفل يكون موقع الأدوات والخدمات. وإذا كان البيت يقوم على صفا فأن هذا الموقع يمكن أن يحتوي على مكان منحوت تحت الأرض في الصخر (غار – غوار) للماشية والعلف، ومخزن مع سرداب (سره – سرين) للأعلاف والغلال مع تجويف (كرس – كروس) للخضرة الطرية، ومن بين مواقع الأدوات – حضيرة (زرب – زروب)، ومستودعات (بيت، ميسمه – مياسم)، والمطبخ (مخدم– مخادم) والموقد. والى الأعلى تقطع حجرات منطقة السكن (فاضلة – فواضل)، أما أرفع شيء فتقع الشرفة (ريم – ريوم) والسطح المستوى الذي يستخدم للاستراحة.

يعد المنزل، كقاعدة، لأسرة واحدة: زوج، زوجة، أطفال، وفي بعض الأحيان كل من الأقرباء الصغار أو الطاعنين في السن. ويعمل الأبناء الراشدون كل ما بوسعهم لبناء منزل مستقل لأسرهم الجديدة. ويسري الفصل الصارم المتبع بالنسبة لزوجات الأشقاء، ولذلك فأن الحياة اليومية في البيت الواحد بالنسبة للأسرة الواحدة غير المجزأة صعبة للغاية . ولذا فأن المساكن تخطط هكذا، بحيث تستطيع المرأة اجتناب اللقاءات غير المتوقعة : الزوايا والشرفات في موقع السلالم، والأبواب الخلفية (سخوه) في الفناء الداخلي (وصر – وصار) (الرسم 61، 63).

لقد استجابت أشكال البيوت – الأبراج بصورة جيدة للمطلب الرئيسي، المتوخى من بناء المسكن في حضرموت قبل النصف الثاني من ثلاثينات القرن العشرين وهو ضمان الأمن.فالمسالك إلى المسكن في مأمن، بل وتغطى بمساحة للنيران من برج (جلب – جلوب) على السطح (الرسم 61).وكانت النتوءات البارزة فوق بوابة الدخول (تقدوم تقاديم) تسمح من خلال الفواصل في الجذوع الخشبية (مردعه – مرادع) بالكشف عند العدو والحاق الهزيمة به من الأعلى. أن التفكير الجيد في الكوة (مشواف – مشاويف)، بما في ذلك المنحنية قد سمح بإطلاق النيران الجبهوية (الأمامية) والجانبية، وكان من الصعب للغاية التغلغل أو النفاذ إلى المسكن: فبوابة الدخول عُملت أدنى من قامة الإنسان كما وضعت مرتفعة فوق الأرض (الرسم 60)، وفي الأشكال المتأخرة اكثر يكون لها أقفال، يتم التحكم بحركتها بواسطة حبل متدلي من الطابق الأعلى، دون الحاجة للنزول

إلــى الأسـفل. وإذا أقـتحم العدو الطابق الأول - الخاص بالأدوات، فأنه يضطر للحركة والعمل في الظلام: هنا لاوجود تقريباً لنوافذ أو فتحات يدخل منها الضوء.

وكان الأمان يتحقق من خلال استقلالية المعدات والممتلكات المنزلية: الماشية والعلـف واحتياطات الغذاء والماء (في أزيار، خزانات الماء - جباح، وفي بعض الأحـيان فــي الآبـار)، وحتى خلايا النحل - كل ذلك كان يدخل في إطار السور السميك للمسكن (الرسم 84).

إن السـعي لتأميـن الحمايـة قد أدى إلى احتمال التعب. فالمباني مشيدة على رابـية أو تـل أو علــى صـفا شديد الانحدار في مواقع ضيقة لا تتسم بالرحابة والفسـاحة. ومع ذلك فحتى البيوت - الأبراج كانت متلائمة جيداً، إلى حد ما، مع مـناخ حضـرموت القاسـي. وخاصية العزل الحراري لخامات الطوب المستخدم كبـيرة إلى درجة كافية، كما إن المساحة غير الكبيرة للسطح تؤمنه من التسخين اكـثر من اللازم، وكذا تقيه من الأمطار المدمرة النادرة. إن لكل حائط أو حائطين فــي كـل غرفة سكنية نافذة : الكبيرة (خلفه - خلاف، فتحه - فتاح) وهي غير مـرتفعة على مستوى الأرضية، والصغيرة (كوه - كوات) وهي في أقصى ارتفاع تحت السقف، الأمر الذي يؤمن حركة الهواء المستمرة. والى ما قبل ظهور مشن الاسـتحمام فــي المنازل (الدوش)، لم يكن شاقاً القيام بالاغتسال، من خلال صب الماء من الزير أو من المغسلة الفخارية (مصب - مصبات، أنظر الرسم 44) أما تنظيف الأرض : فيتم إخراج الماء إلى الخارج بميازيب توصيل وصب (مرعاض - مراعيض) (أنظر لرسم 61).

إلــى جانـب بـيوت الأبراج في حضرموت، وبصرف النظر عن كل النزاعات والحـروب الداخلـية، شيّدت المباني المخصصة للعبادة: المساجد ذات المنارات المميزة بأشكالها الكنتورية (الرسم 71)، وقبب الأضرحة على مثاوي الأولياء في الحوطـات (حوطة المشهد وقبة على بن حسن العطاس، أنظر الرسم 73 - 74). وشـيدت مبانــي بأشـكال مخـتلفة تمامـاً فــي المساجد على حساب التبرعات (الصـدقات) وإيـرادات ممـتلكات الوقف (الرسم 72) وتستخدم لاستقبال الغرباء ولتعليم الأطفال تلاوة القرآن الكريم. وجرى تطور البرج في اتجاهين. فمن جانب، حـافظ علــى خصوصـيته الحربـية - من برج الحراسة في الأرض إلى القلعة المحصـنة أو مجموعـة الحصـون (الرسم 84)، ومن جانب آخر تشكل نموذج المـنزل الرغـيد، بالغرف الكثيرة وأماكن الأمتعة المنزلية، والممرات والشرفات والأفنية ... الخ، حيث غلبت متطلبات الراحة على اعتبارات الأمن (الرسم 63).

وفــي مـثل هـذه البيوت بقي فقط التخطيط الرأسي واستقلالية ذاتية محددة، وتحول المسكن والمرافق التابعة له إلى وحدة متكاملة.

في الربع الأخير من القرن العشرين، بدأت تنتشر البيوت، التي تشيد بمخططات سهلة مع حيز سكني مرتفع وفسيح، وتشغل حتى الدور الأول. وعند ذلك تكون منشآت الخدمات المرفقة خارج البيت. ولم تفقد بعد تقاليد الفن المعماري القديمة، ومع ذلك فقد ظهر الخطر الحقيقي لمعايير فنون العمارة المحلية بفقدان الآثار التاريخية، لأن بنايات المواد الخام المحلية مهملة تتقوض أمام مرأى العين / 144 ص 76/.

لننظر في واحد من تلك "البيوت الجديدة"، لصاحبه حسن عبدالله بن أبوبكر، قرية خريخر (وادي دوعن) (الرسم 64).

يقع المنزل على قاعدة خشبية، وقد شيّد من الطوب المحلي. وعوارض السقف (قواسم ومكاسر)، والأبواب، والنوافذ - جميعها خشبية (أنظر أعلاه فصل 1، فقره 3): تشغيل الأخشاب)، وأعمدة خشبية في الغرف (سهم - سهوم) وأعمدة إستناد بيت الدرج (عروس - عرسان الرقاد) بخامات مجصصة.

الى يسار المدخل في الطابق الأول (الرسم 64-1) تقع ثلاثة مخازن: الأول - للعلف، والآخر - للأدوات والأشياء (وكلاهما - مهر)، والثالث (ميسمه - مياسم) - لاحتياطات الأطعمة. وعلى الدعامة (معلاق) ثلاث عصي، تؤلف مثلثاً، وتعلق بالحبال بشكل مواز للأرض، وتحفظ فيها من القطط والفئران اللحوم والأطعمة الأخرى القابلة للتلف. وهناك كذلك الرحى الحجرية (مرحا وعاله) لتحويل حبوب الذرة إلى كتلة دقيقة - عجين (الرسم 19)، ومقلاة لتحميص البن (محمس) وغير ذلك من أدوات المطبخ الأخرى. نصعد في الدرج، فندخل في حجرة، حيث تحفظ في صندوق، على أعواد خشبية ناتئة من العمود الحجري، الملابس، ومستلزمات فراش النوم والأدوات. ثم بعد ذك الحمام وحجرة السكن "على دعامتين" (أنظر لاحقاً).

تؤدي الدرج إلى الطابق الثاني (الرسم 64 - 2) إلى غرفة سكنية كبيرة، تستخدم كذلك لاستقبال الضيوف (فاضله - فواضل). وفيها عمودا إستناد (أم سهيمين) مع رؤس أعمدة خشبية (كبش - كباش). وإلى أعلى الباب (كما في كل الغرف السكنية) توجد رفوف خشبية عريضة لأغطية النوم والفرشان (مغسج - مغاسيج) وإلى يسار الباب - صوان للثياب (كانت تشيد في البيوت القديمة خزانة - عمَّاري)، وتلفزيون مع جهاز فيديو على طاولة تحتية. وفي السقف مروحة كهربائية.

وبجانب الغرفة إلى الحائط الشرقي - غرفة الحمام، وزير ماء الشرب، ومن ثم التواليت (طهارة) الذي تخرج منه البلاليع إلى الخارج (انظر الرسم 72، الأسفل إلى اليمين). وتلتصق إلى الزاوية الغربية للحائط الجنوبي غرفة صغيرة

(بـدون أعمـدة استناد) للزوجة والأطفال. وبتناسق مع (الفواضل) تقع الشرفة، ويشـغل الجـزء الأسفل منها المطبخ (مخدم – مخادم) مع فرن متحرك لأقراص الخبز (تنار – تنانير).

يـبدأ إنشـاء المـنزل من اللحظة التي يختار فيها صاحب الطلب معلم البناء المحـترم. ويـتم الاتفـاق بينهما على مقدار المبلغ الذي يمكن أنفاقه على بناء المنزل وعن كيفية الحجم الذي سيكون عليه وعدد الطوابق. وقد يستشار بناءون آخرون يستدعون لهذا الغرض، ويحدث أن يقوم أحدهم ببناء ذلك المنزل بتكاليف أقل.

توضع على الأرضية علامات موقع القاعدة، حيث تمّد الحبال المشدودة ثم يتم الحفـر – عادة إلى نصف قامة الإنسان. ويتم وضع أحجار الأساس، في تريم يتم شـراؤها مـن قالعي الحجارة جاهزة، أما في حضرموت الغربية فتستخدم غالباً وبشكل متقن الأحجار المجمعة من الجبال.

وتجـري عملـية إعداد خامات الطوب (مدر / لبن). حيث تخلط كتل الخام من الطيـن، ويضاف إلى كل تسعة أجزاء منها جزء من التبن المهروم، ويقومون بـ "فـتل" العجينة في قالب خشبي منثني (ومن هذه الحركة جاء أسم القالب: مفتل – مفـاتل). وعلـى مـدى سبع إلى عشر ساعات من العمل يقوم الشخص الواحد بتجهيز 100 – 120 قطعة من الطوب. يتم وضعها متجاورة في الساحات وتترك مدة أسبوع لتجف (الصور 20، 69 – 70).

وفـيما يلـي نقدم مختلف مقاسات وأحجام الطوب في مختلف مدن حضرموت (بالسنتيمتر):

المكان	النوع الأول	النوع الثاني	النوع الثالث	النوع الرابع	السّمك
خريخر	–	44 × 30	36 × 30	–	6 – 8
عمد	–	44 × 28	36 × 28	19 × 11	4 – 6
حريضه	28 × 48	–	–	–	5 – 6
القطن	56 × 28	44 × 22	–	–	6 – 7
تريم	53 × 50	45 × 30	40 × 25	–	5 – 6

فـي عمـد يُسـمى الطوب من النوع الثني "عبادي"، والنوع الثالث "، والنوع الثالث "مخمس"، والرابع "لبن حق خيش".

ويستخدم الأخير لأغراض الزخرفة: فمنه يشيد البرج العلوي (جلب) والحاجز (خـيش) الذي يحيط بالسطح. وتعتبر غلاظة الطوب قياسية – السمك (بنانتان أو حوالـي 5 سم)، وفي الواقع، كما تبين بوضوح من المعطيات التي حصلنا عليها، فـأن السـمك يـتأرجح من 4 الى 8 سم. يقيس البناءون ارتفاع الحائط بموفر

(موفـر – موافر) أي أن سمك خمس من الطوب مع المحلول فيما بينها تساوي حوالي 44 سم.

يستخدم الطـوب الكبـير لبناء الطابق الأول، والمتوسط ثم الأقل – للأدوار العلوية. ونظراً لمثل هذا البناء يضيق المنزل إلى الأعلى ويبدو مظهره عالياً.

ومـن أجـل الرسـوخ والمتانة وإطالة العمر فأن البناءين المجربين يقومون بطـرق كـل (موفـر) خام بأغصان (يعبور) (غير متماثلة). وكمثال نذكر البناء الشهير عوض سليمان عفيف، الذي شيد قبل قرن ونصف مضى منارة المحضار ذات الخمسين متراً في تريم.

في الوقت الراهن فأن البناء يفحص المبنى بالميزان، ولم تعد الحيطان تضيق. ويـتم خلـط المحلـول (جراق) الطين حيث، يضاف 1/ 15 من التبن المهروم. ولتلبيس الحيطان من الخارج (قشط) يستخدم مخلوط الطين مع التبن بنسبة 5: 1 . كمـا يـتم وضع الأعمدة الحجرية الدائرية (ركبه – ركب)، والخشبية (سهم – سـهوم) والأعمـدة الطينـية الملبسة (سارية – سواري)، ومع ذلك فأن غالبية الناس لا يميزون الاختلاف بين هذه المسميات.

كمـا يحـدث كذلـك مع تسمية الطوابق. ففي تريم يسمى الطابق الأول (بعد الأرض) "مربعة" (مربعات)، والثاني –قيل – قيله ، والثالث – مرواح، والرابع – جلـب (جلـوب، في سيؤن – فالق)، ثم الجلب الأول، الجلب الثاني ....الخ. ذلك لأنـه لا يشـيد فـي تريم اكثر من الطابق الرابع (الخامس). ومن هنا ينبغي أن نعـرف، أن شأن الكثير من المصطلحات العربية، متعدد المعاني، وهو يعني أيضاً البرج على السطح / 236 ص 399 /، وحجرات الدور الخامس/ 247 ص 284 /. ويسـتخدم فـي بـناء الطابق التحتي بثلاث غرف، مع مطبخ وحوش داخلي حوالي 23 ألف طوبة.

تقـاس مساحة المكان "بالأعمدة": حجرة بعمود واحد =8 × 8 أذرع(12.39م^2)، والحجـرة ذات عمودين = 12 × 8 أذرع (18.6 م^2)، والحجرة بأربعة أعمدة = 12 × 12 ذراعـاً (27.9 م^2). كانت الغرفة ذات الأعمدة الأربعة تكلف قبل نصف قرن مضى 800 تاليري[1].

ولإكسـاب المـواد الأولـية خاصية صد المياه، وكذلك لغرض تزيين السطح، وأحـياناً حـيطان البيت، يتم تلبيسها بالكلس الأبيض (النوره). وتستخرج أحجار الكلـس مـن دمون التريمية، ومشّطة وفي وادي عيديد وفي أماكن أخرى. ويتم

[1] التاليري هو الريال الفرنصة الذي كان يستخدم على نطاق واسع في مختلف المناطق اليمنية حتى عشية الثورة (المترجم).

إحـراقها فـي مواقد كبيرة (تصنيفها شبيه بالفخار) لمدة ليلة ونصف الى ليلتين (يمكـن مشـاهدة المواقد "التنانير" في منطقة القطن). يتم الحصول على المنتوج الجاهز بعد سحق الجير المستلم بواسطة هراوات خشبية. في قرية خربة باكرمان وفـي نُعير كانت تستخدم لغرض إعداد المواد الجيرية دواليب حجرية (في البلدة الأولـى – بقطـر 85 سم، السمك 25 سم، وقطر المساحة 85، 4 متراً)، والتي يجـرها البعـير فـي ميزاب دائري.وقد اشار أحمد سليمان باكرمان (حوالي 50 عامـاً)، والـذي كان جده المالك لهذه الآلة، أشار إلى أن هذا الدولاب قد استخدم لتبيـيض مسجد عـباد بمحلـول الجير قبل 30 – 40 عاماً مضت. وفي نعير اسـتخدمت العجلـة قبل عشرين عاماً تقريباً لطلاء مسجد بالجير المائي، كان قد شيد بتبرع من فيصل العطاس (محافظ حضرموت الأسبق).

خـلال يوم عمل، باستخدام الهراوة، يمكن تحضير ثلاثة إلى أربعة أكياس من النورة. أما المكائن الآلية الخاصة بسحق الكلس فتعمل ذلك بـ 10 مرات أسرع.

وتعتـبر نـورة تريم أجود الأنواع وقيمتها 2.15 دينار للبرميل الواحد (25 – 30 كجـم، او خمسة قهاول، أنظر الملحق : المقاييس التقليدية). أما برميل نورة شـبام فيسـاوي ديـناراً واحداً. وتعد نورة القطن هي الأردأ والأرخص من بين الأنواع الأخرى وذلك بسبب شوائب التراب.

يسـتلم المهني – المعلم النقود من صاحب الطلب، ويشتري كل شيء بنفسه. ويسـتأجر مـن 10 إلـى 30 عاملاً. في السابق، قبل عشرة أعوام مضت، كان المهني يحصل على 17.5 دينار في اليوم، أما العامل فيستلم 6 دنانير.وفي الوقت الحاضـر فـأن المهني يقبض 12.5 دينار و 20 مصرى من الحبوب، أما العامل فيحصل على 5 دنانير و 20 مصرى من الحبوب، وفي السابق كان المهني يوفر الغـذاء للعمال على حسابه الخاص – يومان مع اللحم ويومان مع السمك، وكان يشـتري لهم القهوة و الشاي. أما في الوقت الحاضر فلا وجود لمثل ذلك: أصبح العمـران اكـثر، ويـنفق الـناس النقود التي يحصلون عليها في المهجر ولذلك أصـبحت التسعيرة منخفضة. بيد أن قيمة البيوت في ارتفاع. ولا يقل ثمن المنزل العادي المؤلف من طابقين عن 12 ألف دينار.

ويقـبل البناءون الآخرون سوية مع صاحب الطلب العمل ويتساومون بجدية. وعـند ما يكون البيت جاهزاً، ينحرون على عتبة الباب الخارجي تيساً أو أثنين، ويعطى اللحم للبنائين.

إن تموضع البلدات والقرى في أودية حضرموت يرتبط بملائمة الري وبدواعي الأمـن. وتقـع الـبلدات في " جزيرة "وسط الوادي، على المنحدرات أو الأنجاد

(الصور 78 – 79، 80 – 81). وبالقرب من السقي بالسيول يكون الميل إلى التخطيط الطولي، تموضعاً بجانب القنوات الرئيسية (الصورة 82 – 83)، أما قرب الينابيع (أو الآبار) فأن التخطيط يكون متراص اكثر، وأحياناً دائرياً. وكثيراً ما تقع القرى عند المداخل الجانبية للشعاب، حيث تكون إمكانية السقي مضاعفة.

وفي معظم المراكز المأهولة بالسكان في حضرموت الغربية لازال باقياً طابع الحارات أوآثاره. ولننظر في بعض من تلك البلدات.

القزه

(قرية قبلية) (الصورتان 78 – 79)

في هذه القرية غير الكبيرة، الواقعة في مكان رائع وجميل، يوجد 80 منزلاً مأهولاً، والكثير من السكان يقيمون في المهجر. وتسقى نصف الأراضي الزراعية من العين الدائمة (عين شرحبيل) في شعب عامر، أو دمون (أنظر الجزء الأول الفصل 2 الفقرة 2). وقد سميت البحيرة الصغيرة (قلت الرحمة)، كما يقال، باسم جارية السادة آل بن الشيخ بوبكر، التي غرقت هنا قبل نصف قرن مضى.

كان القسم الأكثر تأثيراً من سكان القرية قبائل – اليافعيين آل البطاطي، الذين يرجعون أصلهم إلى شيخان وهم ينقسمون إلى خمسة فروع: آل محمد (الزنجبيلي)، آل قاسم، آل سالم بن يحيى، آل جبران، آل سعيد عمر (آل طالب). إن المحاولات المعروفة لسلاطين القعيطي لضم القزه، قد أدت إلى الصدامات المستمرة بين آل البطاطي وسكان قرية خريخر قبائل آل محفوظ. وتتحدث عن "الحرب" إلى درجة كافية التقاليد الشفهية المحلية.

علاوة على آل البطاطي (اكثر من 100 شخص) والسادة آل بن الشيخ أبوبكر (حوالي 10 أشخاص)، يعيش هنا آل باقادر قبائل سابقة من تميم، تحولت إلى طبقة الضعفاء، وباضاوي (ضعفاء)، تزحوا إلى هنا من الغرفة، وأعقاب العبيد – بركات والسيويد (حوالي 70 شخصاً).

تنقسم القرية إلى أربع حارات في كل منها مسجدها الخاص:

1- الشق الخبيتي (أو شق السادة). وهذه المنطقة تقع إلى الأسفل. وهي الأولى، إذا ما ذهبنا إلى القزة من وادي دوعن. سميت على شرف فرع عشيرة السادة آل بن الشيخ بوبكر، الذين يعيش معظمهم في هذه الحارة. وبالقرب منها تقع المقبرة (5)، الواقعة على "أرض قاحلة" (فرطوان) وليس لها تقسيم إلى "كبار" و "صغار" مناصفة كما في القرى المجاورة (يوضح سكان

القزه سبب ذلك الى قلة الأراضي الفرطوان، الضيــقة بين الأراضي الخصبة (6)، المخصصة قرب النخيل والمزروعات البستانية). ولقد شيدت القبة على المقـبرة على شرف أحمد بن سالم بن الشيخ أبوبكر (أنظر أعلاه، الفصل1 الفقرة 4 القنص).

2- الجـول – مـنطقة متموضعة إلى الأعلى، وهنا يقع أقدم مسجد في القرية، يعـود عمـره إلى 150 – 200 عام. وكما يؤكد السكان فقد بناه عبدالله بن على بن قاسم البطاطي. ويقع هنا أيضاً "أقدم بيت".

3- القفل.

4- الخلوف، حارة وراء الشعب.

وتشـكل المساحة العامة للأراضي المخصصة لزراعة الحبوب اكثر من 500 مطـيره. وتقـدر مزروعات النخيل بحوالي 10 ألف شجرة. وفي البساتين يزرع الكـراث، القرعـيات، البطيخ، الفجل، البصل، الثوم، الزنجبيل، الفلفل. كما يزرع الليمون الأخضر الصغير (ليم)، وتزرع أعشاب العلف.

توجد حوالي 20 خلية نحل، 300 رأس من الأغنام. ويستخدم في الزراعة 15 بعيراً و 30 حماراً.

إن دراسـة مـنظومة الـري في القزة، قد بينت بجلاء نظام توزيع واستخدام المـاء، والـذي وجد هنا في البدء، ولكن بمرور الوقت فقد تعريفه بشكل ملحوظ (وهكذا، فأن حارة الشق الخبيتي لا تستخدم الآن الجابية السابقة).

عمد

(بلدة مأهولة مع خليط من السكان)

(الصورتان 82، 83)

يشكل سكان عمد مع قريتي حبب وشظية 2.3 ألف نسمة. وهي مدينة قديمة، محاطـة بالأراضي الزراعية (40 ألف مطيره، 10 ألف نخله) ومنظومة متكاملة من القنوات (الرسم 82). وفيها حارات موضحة بدقة (جور – أجوار):

في حارة سميح ومصنعة تسكن قبائل بن شملان وحرثان بارميم (1 - 2).

في حارة العطاس (3) – السادة آل العطاس.

في حارة السادة (4 - 10) – السادة آل الحامد وأخدامهم.

في حارة آل باهادي – الحرثان (11).

في حارة آل بابريجه (12) – الحرفيون.

في حارة أسفل البلاد (المنطقة 14) - السادة بامساوى من آل الكاف.

تشغل حارات القبائل دائماً المواقع الإستراتيجية الهامة - في أطراف البلدة أو علــى المــرتفعات، المشرفة عليها. وتؤكد هذا قائمة الحارات والأفكار الأساسية للهندسة المعمارية في عمد (الصورة 82).

1- قلعة (المصنعة) للنقيب بن شملان.

2- جور الصافية.

3- قــبة صــالح بــن عــبدالله العطاس، مقبره دليج (بأسم الجبل)، دار الغرباء (المقصد) القبلي مع مسجد المفرج.

4- بيت السيد محمد بن أحمد الحامد (عشيرة بن سالم).

5- قــباب كل من: صالح بن عبدالله الحامد، عيدروس بن صالح بن عبدالله الحامد، الشيخ لحمدي المعروف بالمعلم، ومسجد الحبيب سالم.

6- بيت السيد صالح بن أحمد الحامد، المعروف بالبكري.

7- بيت السيد عبدالله الحامد، دار السعادة.

8- مسجد حسين بن محمد الحامد.

9- بيت السيد محسن عيدروس الحامد.

10- قبة السيد حسين بن محمد الحامد.

11- بيت عبيد يسلم باعبيد.

12- حارة الحرفيين بابريجه.

13- خزان الماء الأعلى لعمد.

14- مدرسة ذات ثمانية صفوف.

15- آل محمد بن شملان.

16- آل سليمان بن شملان.

17- مسجد الرباط، أقدم مسجد في المدينة.

18- المسجد الجامع.

19- منزل استقبال الغرباء (بيت الصدقة).

حصــن النقيب بن شملان (الصورة 84). لقد تسنى لعضوي البعثه السوفيتية اليمنــية المشتركة ل. ف. توغارين، و أ.ي. ريدكين التقاط صوراً تفصيلية لقلعة قبائل بن شملان (قبيلة الجعده)، حيث يديرون منها عملياً المدينة وما حولها.

عــايض فرج بن شملان (35 عاماً، عمد) أشار إلى أن القلعة شيدت فقط قبل 50 - 60 عامــاً خلت على أكتاف عبيد آل شملان. كما نحتت في جلمود صخري

بـئران بعمـق 80 و 90 كوم (128 متراً و 144 متراً)، وقد نضبت فيهما المياه مؤخراً. وكان سكان القلعة دائماً قليلاً، وحالياً يعيش هنا 45 شخصاً.

1- شيد هذا الحصن بناء ماهر من عمد لسليمان بن صالح النقيب ولأبن أخيه من الأب. وهو في الوقت الراهن بناية سكنية.
2- دار سام علي: هنا عاش والده، ويعيش الأولاد.
3- دار شيد قبل 12 عاماً خلت لشقيق سالم – مبارك.
4- مخـازن، شـيدت قـبل 40 عاماً مضت كمنزل للسكن، بناها أحمد باقرين لعبدالله سالم.
5- مـنزل تحـت التشييد لعبدالله سالم. معلم البناء عمر سالم بن شملان من قرية حبب.
6- مخزن للعلف (خزن الحشيش).
7- عنبر (وصر – أوصار) لسنابل الذرة ومساحة لفرز وتجميع الحبوب.
8- حضيرة للماعز (زرب – زروب).
9- حضيرة للحمير (وصر).
10- إلى الأعلى – زريبة للماعز (وصر)، والى الأسفل – مخزن للعلف.
11- مستودع للخضرة الطازجة.
12- مطبخ (مخدم).
13- مطبخ.
14- زريبة للماعز.
15- حـوش مفـتوح (وصر). وقبو (غار –غوار)، نحت في الصخر، ومدخله خارج سور الحصن.

الهجـرين

(بلدة مع خليط من السكان)

(الصور 1، 80، 81)

يقطنها حوالي ألفين من السكان. ومن بين 500 منزلاً فأن المأهول 425 منزلاً (أنظـر الجـزء الأول الفصل1 الفقرة 1). وتقسم الحارات (جور – أجوار) على النحو التالي (الصورة 80):

- حارة الشيخ (إلى الجنوب الشرقي من طرف الجول، في الجزء القديم من المدينة) – ويعيش هنا مشائخ بن عفيف.

- حـارة سـره (الموقع الغربي للبناء القديم) – حرثان باسلامة، بادحمان، وآل راشد.
- جول يزيد – آل يزيد اليافعيين.
- الموسطة – السادة آل الكاف.
- سرحة البار – بن عفيف وبادحمان.
- النادرة – السادة آل الكاف وأخدام بازكام.
- الشعيبة (الشمال الغربي من البناء القديم) – حرثان باخلو وباغوزا.

كـان كـبار المـلاك في الزمن الماضي هم آل يزيد اليافعيين (حوالي 1000 مطـيره). وكـانوا يـزرعون الأراضـي (جروب) خمس، إلى الغرب من المدينة (كانـت تُسقى بواسطة قناة دمون وفروعها)، والسفلى – إلى الشرق (قناة هدون وفروعها) (الرسم1).

إلــى ما قبل الاستقلال، خلال أعوام الخمسينات والستينات، كان يجتمع مجلس المديـنة بغير انتظام. والمؤلف من خمسة إلى ستة أعضاء: بن عفيف، باسلمه، بامخرمه (من المنيظره)، بن محفوظ.

المشهـد
(حوطة)

إن الطـابع المميز للبلدات والقرى يتمثل في المكان المقدس – الحوطة (أنظر الجزء الأول الفصـل 1 الفقـرة 1 و 3)، والمخصصـة لاستقبال الزوار الذين يؤمونهـا تـبركاً بهـا. وفي المشهد توجد: قباب على أضرحة الأولياء – مقصد الـزوار (الصـورة 75)، وأحـواض ضخمة – جابية – للماء، يتم تكريسها في مسـتهل الـزيارة (الصورة 73)، وخزانات لمياه الشرب (سقاية)، حيث يستطيع عشـرات العطاشـا، فـي وقت واحد، أن يرووا عطشهم (الصورة 74)، والآبار، والمسـتودعات الـتجارية للسوق، التي تشيد في أوقات الزيارة، ومنزل للحراسة وبـنايات، حيث يستطيع أحفاد مؤسس الحوطة على بن حسن العطاس أن يعيشوا بصـورة دائمـة أو طرقها خلال العام. ويعتبر إرواء عطش الإنسان أو الحيوان دائمـاً عمـلاً محبباً إلـى الله. ومـن هنا يأتي العدد الكثير للسقايات في طرق حضرموت الغربية (الصورة 33)، السقايات الخاصة بالماشية عند الآبار (الصور 31، 32).

ينتمي الفن المعماري لحضرموت الغربية إلى التقليد الحضرمي الموحد، ومع ذلك توجد في حدود المنطقة أشكال محلية. فالبيوت في وادي دوعن ووادي العين أكبر وأنصع مقارنة بمباني وادي عمد (باستثناء حريضة). إذ تحافظ الأخيرة على الوظيفة الدفاعية (كذلك كما في بعض أماكن وادي الكسر، على سبيل المثال، ديار البقري). أما مساكن عمد الاعتيادية فهي ذات أبراج مضاعفة. وفي مرتفعات وادي عمد فأن البيوت عادة غير مصبوغة، وتلون فقط في بعض الأحيان بالجص الأبيض (النورة) الحواجز العلوية "تيجان" الأبراج والأبراج على السطح (تزاوج أحياناً النورة مع اللون الأخضر أو الأزرق السماوي).

2- الأزياء

جذبت الملابس، وخاصة النسائية، اهتمام الرحالة بحضرموت. كتب فون فريده عن الملابس البنية اللون للرعويين السيبانيين (وادي عمد): كان طرف الثوب بالكاد يغطي الركبة، أما الطرف الخلفي فينزل إلى الكعبين. وفي مرتفعات الوادي كان قد شاهد ثوباً بلون أزرق فاتح مع حاشية خضراء للياقة ولأطراف الأكمام/ 106 ص 90 – 91، 111/. وفي أسافل الوادي شاهدت ميبل فرجينيا بينت نساء في فساتين، ملونة بالأخضر، مفتوحة السيقان إلى أعلى الركبة وتتدلى من الخلف. "وهي تخاط من قماش قطني أزرق غامض، ومزخرفة بتطاريز اصطناعية، وإضافات زخرفية خضراء وحمراء إن هذا هو الزي النسائي في حضرموت". وتضاف إليه قبعة عريضة من القش وقناع للوجه / 52 ص 95/.

كما أشارت دارين انجرامس إلى الثياب الخارجية الزرقاء والخضراء لنساء تريم، وإلى الأردية البيضاء للعلويات، وإلى الحجب البرتقالية التي تلبس في أوقات الصلاة/ 71 ص 19، 50، 59/. ويذكر فريد ستراك الأزياء الخضراء، والبرتقالية ذات الاخضرار في تريم، والزرقاء في شبام، والسوداء بزينة فضية وتقويرة في أطراف الثوب في الهجرين/ 96 - أ ص 190، 213/.

وإذا أضفنا إلى ذلك وصف الزي النسائي في هينن، الذي ذكره بيدرو بابيس في نهاية القرن السادس عشر (الثياب بيضاء، والوجه مغطى بحجب سوداء، كما لدى الرهبان) / 250 ص 200/، فأنه يغدو واضحاً، إن طبقات الزي الحضرمي - أمر غير هين.

ومثل هذه المحاولة قامت بها ف. أ. كراتشكوفسكايا. فقد جمعت في المقالات عن الزي النسائي في حضرموت / 148، 151/ دائرة واسعة من المعلومات الخاصة بأزياء النساء العربيات، ودراسة تطورها التاريخي في شمال العالم

العربـي، ومن ثم انتقلت تدريجياً إلى حضرموت. والى جانب المعلومات الكتابية اسـتخدمت الباحـثة مـادة تصـويرية كثيرة: رسومات وصور ف. ستارك، غ. هيفريـتس وآخرين. ومع ذلك فأن إعادة الصياغة غيابياً لم تستطع إخفاء بعض الفراغات والأخطاء.

عـن الفوارق الاجتماعية (الطبقية) السالفة في الأزياء في حضرموت الغربية كـان قد تحدث الينا كثيرون. وقبل أن نلج في هذا الموضوع، ننظر إلى الملابس الرجالـية والنسـائية وملابس الصغار، الشائعة في الوقت الحاضر في المنطقة. ويسـتند وصفنا على عشرات الأحاديث، الرسوم، الصور (أنظر الصور 21-25، 52-53، 55، 85 – 92، وكذلك / 174 الصور 15، 16 – 19، 12، 9 – 10، 20-21، 6، 28، 30 – 31/). وقـد سلمت البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة لمـتحف الأنثروبولوجـيا والاثنولوجيا طقمين من الملابس الرجالية وأحد عشر فستاناً نسائياً – من ملابس الأعياد والملابس الاعتيادية اليومية (أو.بي 6878، 6920، 6927، 6986).

لقـد قمنا في حضرموت الغربية بتقسيم ثلاثة أشكال محلية للفستان النسائي: الهجرين، عمد العليا، ضفاف الوادي.

فسـتان الهجريـن النسـائي/ 169 ص 101 – 114 / يوجد في أسفل وادي دوعن وعمد، وفي وادي العين ووادي الكسر. وحدود انتشاره إلى الشرق – بلدة العجلانـية (وادي الكسر)، والى جنوب وادي دوعن – قرية العادية، والى جنوب وادي عمد – نفحون. أما الحدود في وادي العين والى شمال المنطقة فلم تحدد.

هـذا النوع يقتضي لبس ثوب العيد الكلاسيكي (الصورة 21، 86) مع تقويره 10 – 30 سـم في أطراف الثوب. ويسمى السكان المحليون مثل هذا الثوب "ذيل" أو "الـثوب الأسـود". وخـلال السنوات العشر الأخيرة فأنهم يخيطونه من قطيفة رفـيعة مستوردة سوداء اللون. ومع ذلك ففي الثلاثينات كان الثوب الأسود يجهز مـن مـادة قطنـية ويخاط من قبل معلمي الخياطة المحليين. ويصبغ بلون أزرق غـامض (أنظر أعلاه، الفصل 1 الفقرة 3 : النسج). يحفظ نموذج قديم للثوب في متحف الأنثربولوجيا والاثنوغرافيا (أو . بي 19 – 6927).

إن تفصـيل شكل الثوب في الهجرين وعمد العليا متماثل: "كيس" بمقياس½ 1 × 1 مـتر تقريـباً بأكمـام مخاطة على شكل مثلث (الرسم 21)، وهو أقرب الى الرداء المستطيل الشكل. عباية / 151 ص 135/، الذي يتميز به البدو في شمال الجزيـرة العربـية. والـثوب الأسود العادي شحيح الزينة في طوق العنق، وفي

أطراف الأكمام وفي بعض الأحيان في طرف الثوب (في الماضي – كانت الإضافات من القماش مخاط بالفضة، أما الآن – فأشرطة ملونة).
إلى جانب الثوب يتم ارتداء منديل الرأس ذي اللون الأسود الضارب إلى الزرقة من قماش قطني مخرم (نقبه – نقاب) بمقياس 2 × 4 أذرع صغيرة (70 × 140 سم)، وكذلك قناع للوجه (برقع – براقع) من قطيفة سوداء بحد أدنى من الزينة: يتم وضع خط على درزة الأنف (الرسم 86 – 91)، وفتحة للعين تخاط بالأبيض أو الأحمر. ويربط القناع في الجزء العلوي للمنديل بشريطين من القطن بيضاء اللون (في الماضي كانت تستخدم أشرطة جلدية) (أنظر الرسم 22، 23، 91). يضاف إلى الثوب حزام رفيع بلواحق فضية اللون أو كما في الفترة الأخيرة صفائح ذهبية اللون، وتستخدم للبقاء فترة طويلة عرضة للشمس قبعة عريضة محاكه من سعف النخيل (مظلة – مظلات) أسطوانية الشكل. والى الشرق من منطقة الهجرين (في منطقة القطن) يتغير الشكل الأسطواني للقبعة / 174، الصور، 9 – 10/، وهكذا أيضاً المميزات الأخرى للزي. وفي الأماكن التي ينتشر فيها نموذج زي الهجرين فأن السكان يعتقدون، انه كلما كانت الثياب النسائية كلاسيكية، كلما تطابقت أكثر مع مفاهيم الثقافة الحضرية، أما كافة أنواع الزينة فهي "علامات البداوة" (الرسم 92).
تقتضي العادات المحلية تنقيش الثوب النسائي وبرقشته/ 174 الصور 16 – 19/ فقط في الأعياد والحفلات التي تنظم دون وجود رجال غرباء. ويتميز فستان الفرح (الثوب المطرز) الأحمر والقرمزي والأخضر والمخطط عن غيره بطابع الزينة. والأكثر قيمة هي الثياب الحريرية ذات اللون الأحمر أو المخطط والمطرزة بخيوط فضية (تكتيب). لقد حرم الإسلام لبس الحرير، ولذلك تكون للفستان بطانة قطنية، لكي لا يلامس القماش الجسم. وتحفظ ثياب الفرح بعناية وحرص، أما بعد أن تبلى الثياب لكثرة الاستعمال، فيتم انتزاع ما تبقى من قطع التطريز وتعمل منها حواشي للثياب الجديدة.
المرحلة اللاحقة – هي الثوب بمختلف الأضافات، اذ تقطع الزخارف هندسياً بتموجات والتواءات "ثعبانية"، ويخيطون على القماش الكثير من الصدف (بصبص)، والمرجان والحلق الفضية والبهارج (رعش) والأشرطة الرفيعة وحتى الأزرار. ولقد بدأت المواد الصناعية تزيح المواد الطبيعية.
وتزين ثياب العيد النسائية في حضرموت الغربية من الخلف دائماً بصورة أكثر مما في الإمام. وتحتفظ الزخرفة، كما هو جلى، بخصوصية الوقاية. وبشكل خاص دقة تقويرة العنق (تل)، والأكتاف والآباط على ثوب الزفاف الجديد.

إن الأعـدال الحريـرية التي تخاط فوقه (عكس – عكوس) مع الهيل والبخور وسـدب النباتات المولدة للعسل أو حزمة من ذيل الماعز ينبغي أن تؤمن الذرية، أمـا الأجـراس الفضية – فتطرد الأرواح الشريرة. وللوقاية من العيون الشريرة يخصـص بشـكل خـاص وشي في الظهر على شكل نجمة رباعية تخاط بخيوط فضية تسمى (قتره – قتر). ومن أمام القترة تتطابق نجمه ثمانية الأبعاد (نقطة – نقط).

نموذج عمد العليا للثوب النسائي: ينتشر من الحدود الشمالية لوادي عمد إلى نفحـون طـراز الهجرين من الثياب النسائية. ومع ذلك، توجد هنا تباينات محلية ملحوظة – زخرفة اكثر لتقويرة الرقبة، وزركشة ظهر الثوب بشريط رفيع وغير ذلك.

أمـا في جنوب نفحون فيتغير الشكل (الرسم 89 – 90). حيث يبرز على ظهر واكمـام الـثوب الأسـود الوشي بخيوط فضية (أو مرفقات من الأشرطة الدقيقة) وبـزخارف هندسـية (فرخه) ومجموعة نجوم رباعية (أمقاص). وفي عمد فأن الفرخه اكثر تعقيداً إذ تتألف من 34 نجمة ثمانية الأطراف وتنتهي بزخارف بأسم "الطـير الكبير" (الرسم 89 – 90 ،ب) . إن مقاطع هذه الزخرفة معروفه على ثياب العيد بالنسبة لصنف الهجرين، ومع ذك يمكن مصادفتها على الثياب اليومية في وادي دوعن لدى الرعاة السيبانيين فقط.

يعكـس الـثوب النسائي في عمد العليا التفاوت في السن. فالفتيات الصغيرات مـن عشـر سنوات الى سن الزواج يلبسن الثوب الأسود مع زخارف أقل. وكان يمـنع عليهـن التزين بالحنا و الكحل والتطيب بالعطر. ومن سن 12 – 14 كان عليهـن لبس القناع غير المطرز. ويكون الثوب اكثر تطريزاً عند الأم في مرحلة الإخصـاب، ولكن الزينة تختفي من الثياب مجدداً عند النساء من سن 55 – 60 عاماً.

وينتشر هذا الشكل من الثياب (بخصائص محلية) في جنوب وادي عمد وحتى جاحـز، حيـث يظهـر الثوب الخليط، الذي يجمع بين ثوب عمد العليا مع منديل الرأس ذي اللون الأصفر(جاحز) أو الاحمر (الوجر).

نمـوذج ثوب ضفاف الوادي: ابتداء من حبَره وترِّمل (وادي عمد) مع اختفاء القـناع من الوجه والحجاب، وبالنسبة لهذه الأماكن، كما هو الحال على الساحل، فأن طابع تفصيل الثياب غير مقيد.

ومـزيج الألـوان المفضل – الثوب الأخضر اللون والمنديل الوردي أو الثوب الأحمـر و المـنديل الأصفر. وفي منطقة الهجرين وعمد العليا فأن النساء يلبسن في البيت مثل تلك الثياب (غالباً بلون واحد الخضراء، الحمراء، الصفراء).

وفي موسم البرد فأن النساء في حضرموت يرتدين قمصان صوفية تحت ثياب الخروج. وتنسب إلى الثياب الداخلية السراويل القصيرة أو الطويلة، و "الفوطة" التي تخاط من السرة إلى الساق، والقميص العريض المستطيل مع تقويرة للعنق. قبل ثلاثين عاماً مضت /187 ص 45/ كانت توجد قمصان تحتانية فضفاضة الى الركبة (شلحه)، وكان الحضارمة الحضر يلبسون قمصان قصيرة، تلتصق بالصدر (كُرته). أما في الوقت الحاضر فقد أزاحت الأخيرة الصدرية، ويسمى القميص النسائي الداخلي العادي (شلحه).

حضيت الثياب الرجالية للحضارمة بمقدار أقل بكثير من الوصف من لدن الرحالة: وأقل ذكر لها يرجع الى بيدروبايس الذي كتب إن الرجال المحليين يرتدون "بصورة رديئة" /250 ص 200/. ولعل الراهب اليسوعي الأسباني لم يستحسن الرجال بأجساد شبه عارية، تأتزر التنوره (لعلها الفوطة) وتحمل البندقية.

أن نموذج الانطلاق في الملابس الرجالية في الجنوب العربي – هي الأنواع المختلفة للنطاق – قطع مستطيلة من القماش، تلف حول الرأس، حول الجسم وحول الخصر. وقد انعكس التغيير المتبادل الأولى لأجزاء الملبس في المصطلحات. وهكذا فأن (خلفه) تعني عمامة الرأس الرجالية والطوق، والشيذر – حجاب نسائي ونطاق رجالي ..الخ.

تدريجياً جرى تغيير ملابس الخصر إلى ما فوق الركبة الأكثر انتشارا في حضرموت: من الإزار القطني البدوي غير الملون (المقطب) (4 × 2 ذراع) والطانه (6× 5، 2 ذراع) إلى "السباعية" ذات الحواشي المهدبه (5× 2.5 ذراع)، والشيذر المنقش (7× 3 ذراع) مع الكفوف (ذبال) والخيط الذهبي (حضوه) وأخيراً، إلى التنوره التي تخاط بواسطة مكائن خياطة مستوردة من شرق آسيا، من حيث جاءت تسميتها أيضاً – صاروم (سارونج، تنطبق كلمة "فوطة" على الثياب الرجالية وتستخدم في حضرموت كما في عدن) (الصور 34 – 38، 60، 85).

كان البدو يلبسون مآزرهم، ويبقون سيقانهم عارية إلى الركبه وما فوقها، أما الحضر فكانوا يغطون الركبه إلى شبرين تقريباً. وفي الوقت الحاضر تتلاشى هذه الاختلافات (يغلب "الطابع الحضري")، ومع ذلك فإلى اليوم ما أن يرحل الحضرمي إلى الجبال، حتى يربط الشيذر دون قيود "على الطريقة البدوية".

إن ستر الجسم بقطعة قماش قطنية مستطيلة (ملحفه، في الماضي كانت من الصوف) او قميص قصير (مستره) قد خرج عن نطاق الاستخدام منذ عقدين إلى ثلاثة عقوت خلت. ويرتدون في الوقت الراهن القمصان المستوردة (الرسم 85).

وأحـيانـاً يعلقـون على الكتف (أو خلال الكتف) شال الرأس المنثني عدة مرات. وحزام الجلوس (حبوه – حبوات) يلبس أيضاً من خلال الكتف، وعند الجلوس يتم لـي الركبتيـن الى الصدر، ثم يلفونه حول الحقو، وهو مشهور عند الجيران في الغـرب والشـرق، ونادراً ما يوجد في حضرموت. وفي الجو البارد فأن الرجال يلفون حول الجزء العلوي من الجسم شالاً صوفياً.

كـانـت تلبس تحت النطاق سراويل (نكس) من مادة قطنية غير ملونة، وتحت القمـيص – قميص تحتاني، من القطن كذلك. أما في الوقت الحاضر فأن الملابس الداخلـية (سـراويل قصـيرة، مـايوه أو فـانلات، قمصان داخلية بدون أكمام) مستوردة.

وفـي الماضي كانت تسود عدة أنواع من شالات الرأس الرجالية والكثير من الطـرق لربط العمامة .الشالات المربعة (4 × 4 أذرع) المشهورة: غتره – غتر (للمقارنـة مع أسماء الزخارف على المنديل النسائي)، عثكول – عثاكل ... الخ. وفـي السـتينات انتشـرت بشـكل واسـع فـي جنوب اليمن الشالات الرجالية الفلسـطينية، التي أخذت تطرز على النمط المحلي بالهدب الملون والعذبات. ويتم استيرادها من العربية السعودية، إندونيسيا، اليابان، بريطانيا وبلدان أخرى.

كمـا أن الأحـزمة الجلديـة العريضة مع الأجزاء الخاصة بالطلقات (الفشك) والـنقود (سـبته – سـبات، مسـبته – مسابت) قد أزاحتها الأحزمة الخضراء المصـنوعة من الثاربولين، بجيوب إضافية ومحابس لشد الحزام ومسامير (كمر) (الرسـم 53). أمـا الأحذيـة فمـن إنـتاج مصنع عدن: نعال من رقائق المطاط (شبشـب)، وأحذيـة بلاستيكية أو من الجلد الاصطناعي ، ومع ذلك فلازال بعض صانعي الأحذية يصنعون النعالات الجلدية التقليدية، بما في ذلك أبو جحيش، ذات القطعتيـن من الجلد، والتي ينبغي أن تفزع خشخشتها الثعابين والعقارب (الرسم 52). ولا تنقسـم الأحذيـة اليومـية إلى رجالية ونسائية، ولكن في الأعياد فأن النسـاء يمكـن أن يلبسن الصنادل المزينة بالكبس والمطعمة بالجلد، أو الأحذية "الأوروبية" من الجلد اللماع.

لقـد فقد اللباس الرجالي تقريباً خصوصية التباين بين الفئات العمرية، ويمكن للطفـل مـن سن سنتين الى ثلاث سنوات ("طالما لا يعرف الكلام") أن يخرج في قمـيص، بدون سراويل داخلية، فقط بشريط (بريره)، يحيط بالخصر. أما بعد ذلك فيلبسـونه لباسـاً شعبياً مسـتورد رخيص (وهو غالباً سترات عسكرية مقلدة تايوانـية أو كوريـة جنوبـية)، ومـن سن سبع إلى عشر سنوات (حينما تتبدل الأسـنان) فأنـه ينتقل تدريجياً إلى ملابس الكبار. ولا وجود لفوارق في تسريحة الشـعر، رغـم أنـه إلى قبل نصف قرن مضى، كان توجد عادة، بمقتضاها كان

الشباب الى سن 16 عاماً يقص شعر الرأس مبقياً على ناصية (قزعه)، وكانت تعني انه لم يخضع بعد للثأر/236 ص 706/. أما في الوقت الراهن فأنهم يحلقون شعر الرأس قصيراً، ويبقون على الشنب.

وغالباً ما يطلق كبار السن لحاهم (أحياناً مدببة) وجزء من الشباب أيضاً (تنتشر على وجه الخصوص بين الشخصيات الدينية). وفي بعض الأحيان يمكن مصادفة الشعر الطويل عند البدو. وفي هذا الوسط أيضاً توجد تسريحات الشعر النسائية القديمة على شكل الكثير من الجدائل.

إن الفوارق الاجتماعية في وقتنا الحاضر ضعيفة للغاية، ويعبر عنها أيضاً في الزي الرجالي والنسائي لسكان حضرموت. ويمكن للمتأنق المعاصر في الملبس أن يحمل شال الرأس (مشده) وشيذر مصنوع يدوياً في الشحر. وتبلغ قيمة مثل هذا الرداء من 20 – 22 ديناراً مقابل 5 دنانير للصاروم العادي المستورد. كما أن ثياب الأعياد والخروج لنساء حضرموت الغربية لا تعطي لهن وضعاً اجتماعياً.

بيد أن التباينات الاجتماعية في الماضي كانت تتجلى بوضوح في الملابس (أنظر الجزء الأول فصل1، فقرة 1). فقد روى الشاعر الشعبي مبارك أحمد بن عقيل الشهير بأبو بشر (قرية غنيمة بن عقيل في وادي الكسر، توفي عام 1989م عن عمر 76 عاماً) أن السادة كانوا يعّرفون بكسائهم الأبيض الطويل (قميص – قمصان)، والصديرية، والعمامة الخضراء أو شال الرأس الأبيض. وكانت نساء هذه الطبقة يلبسن ثياب حريرية حمراء اللون، أما خارج البيت فكّن يرتدين الثوب الأسود، والقناع ومنديل الرأس. وكان المشائخ يتميزون بخناجرهم المستقيمة، وكان بمقدورهم أن يلبسوا مثل السادة أو مثل القبائل. وكان الأخيرون يرتدون الشيذر القصير، ملحفه، والشال على الشعر أو سير جلدي والخنجر المعقوف الذي لابد منه على الخصر – جنبيه (حالياً يحملها في حضرموت فقط كبار السن من القبائل).

أما ثياب القرويين – فهي الصاروم وقميص قصير وحزام وشال على الرأس وآخر على الكتف، ولا يجوز لهم حمل الخنجر ولا الجنبية ويمكنهم حمل السكين فقط. وكانت نساؤهم يلبسن الثياب الحمراء تحت قميص الخروج الأبيض وغطاء خاص للرأس – غشاوه.

وبالنسبة لفقراء الفلاحين والمستأجرين (بفتح الجيم) فكانوا يلبسون أردية متواضعة (طان – طانه)، تربط بأحزمة جلدية رفيعة مع حلق رصاصية دائرية، أما الفلاحات فكن يلبسن الثياب السوداء ومناديل الرأس بدون قناع. وكان العبيد والصبيان كذلك يرتدون (طان)، ونساء هذه الطبقة لم يكن يسترن وجوههن.

في الوقت الراهن أصبح ارتداء القناع منتشراً لدى نساء جميع الطبقات في حضرموت الغربية (باستثناء الثياب النسائية في ضفاف الوادي) وينظر إليها الكثيرون كهيبة.

لقد جرى أخذ الأحاديث مع الخياطات في حضرموت الغربية أما من خلال وسطاء (قدمت لنا المساعدة الكبيرة رشيدة أحمد حسين – الموظفة آنذاك في المركز اليمني للأبحاث والآثار والمتاحف في عدن)، أو بطريقة المراسلة، من خلال طرح الأسئلة والحصول على إجابات كتابية عليها. وكان طلب جميع الخياطات (الهجرين وغار السودان في وادي دوعن، وعمد في وادي عمد) عدم ذكر أسمائهن، لأن ذلك شأن عائلي لا يحتاج للإباحة.

وكما في الهجرين كذلك في منطقة عمد العليا (لم تدرس منطقة الضفاف لأن مركزها خارج حضرموت الغربية) فأن أدوات الخياطة واحدة: ماكينة خياطة، مقص، أبرة يدوية، خيوط حمراء وخضراء وسوداء، وأشرطة من قماش حريري – خضراء، حمراء صفراء، ومبرقشة (حمراء وخضراء ووردية ("صناعة مصرية")، وقماش قطني أسود، ومخمل أسود، وأشرطة فضية اللون (تل، "ذهب أبيض")، وخيوط فضية، ودانتلات صناعية (شلش، أبو رندا).

يجهز الثوب الأسود العادي في الهجرين خلال أسبوع وقيمته حوالي عشرة دنانير. ومدة لبسه من 6 – 12 شهراً، دون أن يتم غسله، لكي لا يتلف المخمل، لكنه يتعرض لتنظيف جاف وللتبخير بالبخور. أما الثياب الأخرى فعوضاً عن الصابون تنظف من خلال استخدام طين دسم (نجره) ومسحوق أوراق العلب أو أزهار جافة للنبات الجبلي (ختيكه)، وكان سعر الثوب الأسود في عمد نحو 15 دينار (بسبب تسويته المعقدة كثيراً)، حيث يجهز خلال 10 – 15 يوماً، أما مدة لبسه فذاتها أيضاً.

وأسعار الأقنعة – البراقع في كلا المنطقتين واحدة أيضاً = 1.5 دينار، ومنديل الرأس (نقبه) 2.25 دينار وقيمة الوشاح الزاهي (المخاط من أشرطة رفيعة) الذي يظهر من تحت الشال (علم)، 5 دينار.

يتم تجهيز ثوب العيد في عمد خلال 35 يوماً، ويساوي تقريباً 175 دينار. ولا توجد أرقام دقيقة بالنسبة للهجرين، بيد أن المدة وكذلك السعر هناك أقل بعض الشيء.

تبدأ الخياطات تعلم الحرفة من العام الثامن. ويتم خياطة الزخارف والجزئيات التكميلية يدوياً كما كان الحال في الماضي قبل ظهور مكائن الخياطة. ويجري احتساب جميع المقاسات بالأذرع والأشبار والبنان (أنظر المحلق: المقاييس التقليدية). وتوجد للعناصر الزخرفية غالباً أسماء تعبيرية: سعفه، الطير الكبير،

عيـن الشمس، خيشه ... الخ. وفي حديث حول طبيعة وأحوال المنطقة للباحث جعفر السقاف من سيؤن مع المؤلف قال، أنه من خلال زخارف الثياب الحضرمية يمكـن دراسـة تـاريخ الديانات في المنطقة: وهو يرى في عناصر الزينة أحرفاً سـبائية ورسـوماً للـثور والوعل والصقر والشمس والنحلة والشموع اليهودية المتعددة والصليب المسيحي والهلال الإسلامي ... الخ.

وإذا كانـت جمـيع الملابـس الرجالية المعاصرة مستوردة عملياً، فأن الزي النسـائي(وخاصـة الفستان) يتم تجهيزه حسب الطلب، ولا يباع في الأسواق أو الزيارات ويحافظ في أشياء كثيرة على الخصائص التقليدية القديمة. ومع كل ذلك فأنـه عرضـة للتغيير. ففي مجرى وادي دوعن خرجت من الموضة خلال الفترة الأخيره فساتين الأفراح المخططة، وحظيت الفساتين الخضراء بشهرة خاصة.

وخـلال فـترة عمـل البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة ظهر المخمل الأسود بالـزخارف "المضـغوطة" المجسمة وزينة الثياب السوداء ذات الحاشية الذهبية الدقيقة (يمكن ربط الأخيرة بالإزاحة المستمرة للفضة من قبل الذهب).

ولا وجـود لثياب الحداد الخاصة في حضرموت الغربية. ومع ذلك فأن التقاليد المحلـية تـنظر إلى الثوب الأسود العادي مع التقويرة في الأطراف كعلامة حداد، إمـا علـى شـقيق ملك عاد الذي قتله السكان المحليون، وإما على شقيق البطل الأسطوري أبو زيد الهلالي، وإما على مواطنيهم من ضحايا الوالي العباسي معن بن زايده، 114 ص 57 – 58/.

لقـد سـبق الحديث عن الزينة (الفصل 1 الفقرة 3: صياغة الحلي). ونتحدث بضع كلمات عن أدوات الزينة. وكم كان جميلاً الوصف التعبيري عن الفن البدوي مـن قبل د. فان ديرميولين: "فمنذ سن مبكرة بين الثامنة والعاشرة، تثقب الحافة الخارجية للأذن بثقوب صغيرة، ثم تعلق فيها حلقات فضية بحجم الخمسة شلنات، أو تتدلى منها سلاسل فضية صغيرة، وتبقى أذن الفتاة البائسة منجذبة إلى أسفل. وتطلـى أظافـر اليديـن والرجلين بالحناء، فتصبح أطراف الأصابع مسودة بينما راحـة اليديـن محمرة. أما الوجه واليدين والذراعين والساقين والقدمين فتمسح بالهـرد الأصـفر. وتكحل العينان، وحتى الرجال يستعملون الكحل لاعتقادهم بأنه يقوى النظر.

تخضـب النسـاء والفتـيات وجوههن ورقابهن وصدورهن وأكتافهن والجزء الأعلى من ظاهر اليد والقدم، بخطوط متشابكة، وغالباً ما يستعملون صبغة زرقاء أو سـوداء، لكـن أيضـاً يسـتخدمون الحمراء أو الخضراء. ويزيلون الحواجب وتوضـع مكانهـا خطـوط رفيعة سوداء. ويحلقون أطراف شعر الرأس في شكل دائرة ثم يدهنونها ويلصقونها مع الجمجمة" / 88 ص 24 – 25/.

كما شاهدت م. بينت صورة مماثلة قبل اكثر من ثلاثة عقود على ذلك: "... أن أجسادهن (الفتيات – المؤلف) ووجوههن تزين بالهرد ذي اللون الأصفر الفاقع، ويرسمن على هذه الخلفية خطوطاً سوداء بالكحل حول العين، أما لون الأنف الشائع فهو الأحمر، ويزدان العنق بالوشم الأخضر ..."/ 52 ص 110/.

وهذه الظاهرة كان قد أشار إليها فون فريده أيضاً / 106 ص 112، 171/.

إن تلك النقوش الصعبة التي أدهشت الرحالة، لم يعد لها وجود في الوقت الراهن. ومع ذلك فأن الهرد والزعفران (العصفر) والورس لازالت تستخدم على نطاق واسع حتى اليوم لتزيين الجسم، وكذا الحناء أو صبغة سوداء لتخطيط زخارف الزينة على الأيدي (أنظر النماذج في الرسوم 24، 25، 1 – 4)، والكحل للجفون. أما الخضاب الأخضر فأن استخدامه الآن نادراً، وفي الأساس للأغراض العلاجية. كما يوجد الوشم النسائي لدى البدويات (يصف ف. ستارك عينة منه على الوجه لدى فتيات من الهجرين) / 196 – أ ص 143 /.

تستخدم النساء والرجال في حضرموت الطيب منذ غابر الزمان للاعتناء بالجسم والثياب. وتنمو أشجار البخور في عدة أماكن في حضرموت الغربية (على سبيل المثال في وادي الغبر) ويقوم السكان بجمع وبيع البخور، الذي تتبخر به الأماكن والناس والثياب. أما في الوقت الراهن فقد انتشرت العطور وماء الكولونيا بعبوات مختلفة.

3- الطعام

خلال الخمسين عاماً الأخيرة حدث في حضرموت تغيير جذري في أنواع الطعام.

منذ القدم كانت التمور والذرة هي الغذاء الرئيسي للحضارمة، وهو ما أشار إليه أيضاً بدروبايس / 250 ص 200 /. وكان يتم تناول التمور طازجة أو على شكل معجون (تمر مفحوس)، وقد أستبدل نقيع ماء التمور باللبن الصناعي للأطفال الرضع. ومع ذلك كانت الذرة تعتبر الغذاء الرئيسي، وكانوا يسمونها كذلك (طعام). وكانت تخبز منها الأرغفة في التنور (أنظر أعلاه الفصل 1 فقرة 3 : الصناعة الفخارية) و تدخل في أي مائدة طعام. وكان يضاف إلى ذلك القليل من البر (أنظر أعلاه الفصل 1 الفقرة 1) والدجر، وثمار العلب (مسحوق الدوم الحلو – اللاذع، الذي يشتهر به بشكل خاص وادي دوعن)، ولبن الشياه (ومن النادر الأبقار). ومشتقات الألبان، وأحياناً العسل، وفي بعض الحالات الخاصة لحوم الماعز والجمل أو الخروف. وكان الطعام يطيب بزيت السمسم (الجلجل). وكانوا

يبـتاعون في ضفاف الوادي أو في سوق شبام البّن والسكر والسمك المقدد وفي الفترة الأخيرة الشاي.

كان المزارع يحصل في الموسم الملائم في المتوسط على 100 – 150 قهاول (60–100 كجـم) من الذرة وعلى 4 – 6 أزيار من التمور (كان يوضع في الزير الكبـير حوالـي 120 كجم). وكان يمكن ان تحفظ الذرة المخلوطة بالرمل الخشن لأعـوام، ولكـن فـي الغالب لم يكن ممكناً الإبقاء على الاحتياطات، وكان الغذاء بالكاد يكفي من الحصاد إلى الحصاد دون زيادة.

يمكن تم تمييز أربع وجبات تقليدية لتناول الطعام خلال اليوم:

بسـط – بسـوط (أو صباح او فطور) وهو الإفطار الخفيف بعد صلاة الصبح (أنظـر الملحق: الصلوات اليومية)، أي في حوالي الساعة الخامسة إلى الخامسة والنصـف صباحاً: قهـوة وتمـور وأحياناً رغيف من الذرة متبقي من المساء السابق.

غداء / ضحى، من الثامنة إلى التاسعة صباحاً: قهوة وأرغفة مسائية مع لبن الشياه (فتوت).

قـيال – بعـد صلاة الظهر: قهوة مع التمور وقرص خبز ويمزج المسافرون غالباً تناول طعام الغذاء والقيال بعد الثانية عشر ظهراً.

العشـاء – تناول الطعام بعد صلاة العشاء (وأحياناً قبل ذلك)، أي من الساعة الخامسـة إلى الثامنة مساءً: مصل حليب الشياه (روبه)، خبز طازج من الذرة أو دقـيق مخلـوط مـن الذرة والبر، زيت السمسم، وقهوة مع بذرات القرعيات أو البطيخ.

ومـن بين هذه المأكولات يعتبر الغذاء والعشاء وجبة مشبعة، ومن هنا ينتشر المفهوم الشائع عن وجبتي طعام الحضارمة.

أمـا اللحوم فحتى الميسورين لم يكونوا يتناولونها اكثر من مرة في الأسبوع، فـي يـوم الجمعة لا أكثر. وكانت اللحوم ضرورية مع الأطعمة في عيد الأضحى (العاشـر مـن ذي الحجة) أو في اليوم السابق له – يوم عرفه، وكذا بعد نهاية رمضان، ومطلع شهر رجب، واللحم مرغوب في وجبات الإفطار الرمضانية، وفي الزواج وعند استقبال الضيوف. ويفضل اكثر لحم الماعز الصغير و لحم الإبل، أما لحـم الضـان فيقـبل عليه الحضارمة بتحفظ، ويعتبر لحم الخروف ذي العام أو العامين خطراً على الصحة.

تذبـح الماشـية (الماعـز، الخـروف، أو في النادر، الناقة) بعد توجيه رأس الضحية إلى مكة وتلاوة "بسم الله الرحمن الرحيم" ويجب أن تفصل الرقبة دفعة واحدة بقطعها مباشرة، تحت فقرة القذال (حلصه – حلص)، وإلاّ فأن اللحم يكون

غير حلال (فايت – فيات) (للمقارنة : 236 ص 385/). وبعد أن يستكمل سيلان الدم يتم حز كعب الماعز أو الضان في أحد رجليه الخلفيتين وتعلّق الجثة مقلوبة الرأس إلى الأسفل على خطاف أو في حبل ويخلع الجلد خلال عشر دقائق. ومن ثم يعملون قطعاً في العمود الفقري، ويستأصل الوتر، ثم يفصل عظم اللوح عن عظم الكتف وتنتزع من اللحم الأحشاء الدقيقة. ومن البداية تفصل الرجل اليمنى الأمامية، أما المصارين مع محتوياتها والحوصلة الصفراوية فيستلونها ثم يرمونها جانباً. ويتم نفخ الأمعاء بالهواء "لغرض إزاحة الماء، أما الكلى والكبد والرئتين والقلب والشحوم الداخلية فيتم جمعها. وبعد تفريغ المعدة (الكرش) من محتوياتها وغسلها تقطع بشكل دقيق، وتلف الأحشاء ويتم الحصول على "حساء" ومن ثم يطهى (طعام المغضاف) كما يتم عادة طهي اللحم المفصل وتحضير المرق .ويحضر البدو اللحم المشوي، أما الحضر ففي المناسبات الاحتفالية فقط.

وفي كل مطبخ (مخدم/ معسم) كان يوجد موقد من الصلصال (الرسم65)، تنار، مطحنة يدوية ومبشرة حبوب (الرسم 19) وطقم من القدور الحجرية (برم) (الرسم 46)، مقالي حجرية، أواني معدنية (طست – طسات)، وصحاف خشبية، ملاعق، ممازج، مغارف، ألواح تقسيم، أزيار فخارية، أقداح لتبريد الماء (خزبه – خزاب)، قربة جلدية، وأنواع مختلفة من الأدوات المنزلية المجدولة من أجل حفظ الأطعمة وتقديمها للتناول (أنظر أعلاه، الفصل 1 الفقرة 3: الصناعة الفخارية، الحياكه). وفي الظروف الخاصة ولغرض إعداد موائد الأفراح كان يستدعى طباخ متخصص (عسام)، وهكذا، فأن الطباخين بالوراثة في الهجرين ينتمون إلى أسرة الخشار .

وكان طقم القهوة يتألف من مقلاة فخارية (محمس – محامس) لتحميص البن، وجرن خشبي مع مدقة، وطبق مجدول، كانت القهوة تصب عليه لكي يستطيع كل واحد من الضيوف أن يشمها ويقدرها/38 ص39/، وإبريق القهوة(دله–دلال). وفي الظهيرة كانوا يفضلون شرب قهوة الشريج، التي تحضر من نوى البن، والغنية بقشارة البن ومسحوق الزنجبيل. وكانت القهوة باللوز تقدم يوم الجمعة وفي أوقات مراسيم عقد القرآن. أما الشاي بالعسل والزنجبيل فكانوا يشربونه قبيل ليلة الزفاف الأولى. وكان الهيل يضاف أحياناً إلى القهوة.

ويؤكد الباحثون المحليون أن القهوة عرفت في حضرموت منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، أما الشاي فقد جلبه إلى البلاد في مطلع القرن العشرين حامد بن عبدالله الجنيد من تريم/38 ص35، 39/. ومع ذلك فأن الشاي أخذ يحل محل القهوة فقط في ثلاثينات قرننا العشرين، حينما ظهرت في حضرموت أصناف الشاي الرخيصة من الهند وجنوب شرق أسيا، أما القهوة فتستخدم الآن

فقط في الدوائر المنزلية. ويحتل السماور الذي حافظ على تسميته الأصلية(أو بخاري) الموقع الرئيسي في طقم الشاي. والكثير من الحضارمة يعرفون حتى أسم المدينة الروسية "تولا" التي تنتج السماور، مع أن البعض حقيقة يعتقدانها حي في بخاري.

إن تغير نموذج الطعام، قد بدأ في الثلاثينات، وانتهى في أواخر الأربعينات، عندما عانت حضرموت من القحط الشديد، وجرى على نطاق واسع استيراد المواد الغذائية. وأخذ العسل يتنحى ليحل محلة السكر، وأصبح الرز المستورد المادة الرئيسية للتغذية، ومصدر الكربوهيدرات.أما المصدر الآخر للكربوهيدرات (والبروتين) فيعتبر اليوم الفاصوليا (الفول). وظهرت الزيوت المستوردة، والملبسات والبسكويت والشيكولاتة. وفي أعوام السبعينات انتشرت في حضرموت الداخل الأسماك الطازجة والمعلبة – الصاردين، التونة، الأسقمري. أما في الماضي فكان البدو يشترون فقط الأسماك المقددة (لخم "القرش")، وفي الوقت الراهن، وبعد التغلب على الممانعة الأولية، فقد دخلت الأسماك في لائحة الغذاء اليومي للسكان المحليين.

وفي الوقت الراهن تستخدم بشكل واسع الصلصة – حلبي، بسباس، توابل ضرورية _ كراوية، فلفل أسود، زنجبيل، شمار، قرفة، قرنفل وغير ذلك. وفي المواسم يأكلون الخضراوات (باذنجان، بامية، قرعيات، الطماط – طازج أو على شكل معجون، الفجل مع الأوراق الخضراء)، والفواكه (الليم، الموز)، البطيخ، اللوز والبزرات. وبفضل الألبان المستوردة أصبحوا الآن يشربون الشاي "الأبيض" (أي مع اللبن).

والأكلات اليومية في وقتنا الحاضر هي على النحو التالي:

بَسط (من الخامسة إلى السادسة صباحاً): شاهي حلو، "أبيض" أو"أحمر"، رغيف، فول مع الصلصة.

قيال (الساعة 12 ظهراً): شاي (وفي النادر القهوة)، تمور، خبز (بر أو ذرة).

الغداء (من الواحدة والنصف إلى الثانية ظهراً): رز مع معجون الطماطم والتوابل، والسمك والشاي.

العشاء (من السابعة إلى الثامنة مساءً): شاي مع الخبز، وبرزات القرعيات والبطيخ المقلية والمملحة.

هذه هي الصورة المتوسطة. أما في الأعياد فتعد مختلف أنواع الفطائر– سمبوسة، وتقدم الحلويات المستوردة – جيلي، قشدة بالحلاوة أو الفواكه المعلبة

- فرسك، أنانـاس، وتراقـب بدقة شديدة في حضرموت الداخل المأكولات التي يحرمها الإسلام. ولا تزال باقية آداب السلوك في تناول الغذاء.

أن عـادة تدخيـن النارجيلة (رشبه) شائعة في حضرموت، كما في كل أنحاء الجزيـرة العربـية. ويستخدم في التدخين التبغ الذي يزرع في غيل باوزير. اما أوراق القـات ذات المفعـول الذي يذكر بالكوكاين فلم يكن الحضارمة يتناولونها (علـى خلاف سكان المناطق الغربية من ج.ي.د.ش وسكان ج.ع.ي)، ولكن بعد الوحدة أصبح القات منتشراً هنا أيضاً.

4- الطب الشعبي

نشـر سـرجنت مقالة قصيرة عن الطب الشعبي في حضرموت /256/: ولامس هـذا الموضـوع أيضاً ف.دوستال /217 ص 113 - 116/، ويقدم كتاب الطبيب الألمانـي ك.شـرول بعـض التصورات عن الأمراض في ج.ي.د.ش. والوسائل التقلـيدية للعـلاج /48/، وهناك كتاب جاهز للنشر عن الطب الشعبي في جزيرة سـقطرى لعضو البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة ف.س.شينكارينكو، ولكن هذا الجانـب من ثقافة الجنوب العربي بشكل عام لازال ينتظر من يقدم على دراسته. أما آخر عمل للبعثة السوفيتية اليمنية المشتركة في هذا الموضوع فأنظر/187-أ ص52-60/.

تعطـى الأهمـية الكبرى في التقاليد الحضرمية للاختيار الصحيح للغذاء. وكل طعـام يؤثر على الصحة تأثيراً خاصاً. فمرق الماعز ينقذ من تدهور السل، نزف الـدم، السخونة الأكثر من اللازم أو ضربة الحمى. والشريخ يحفز نشاط القلب. والعسـل يقـوي، أمـا مـع اللحـم فيثير الرغبة الجنسية /71 ص 38 - 39/، ويسـتخدم العسل أيضاً عند التهاب المعدة والقرحة، وأمراض الكبد والكلى، وعند الإصابة بـداء السكري، ومن أجل التئام الجروح (للمقارنة /132 ص 80 - 87/). والـتمور تقضـي علـى الحمـى. ولب القرعيات-الاسترخاء. ويعُطي الباذنجان للنفسـاء عند نزف الدم، ولمرضى النقرس، وعند الإصابة بأمراض الكلى والكبد. والبطـيخ كمدر للبول يفيد عند الإصابة بمرض الكلى والمثانة والمسالك البولية. ويصـفي الثوم الأغشية المخاطية ويعيد النشاط والانتعاش (للمقارنة /131 ص 138/).....الخ.

يحـدد المذهـب الشـافعي للسـنة، كغـيره من المذاهب الإسلامية الأخرى، وبالتفصيل مفهوم نظافة وغير نظافة الأكل وماء الشرب والجسم /16 ص 16 - 21، 27 ص 10 - 20/.

ومنذ القدم كانت في الطيوب وسيلة للطهارة والبخور، الذي يسحق ويلقي به في الماء، يقيه من النجاسة، وتقطير البخور في المجامر الفخارية ينقي الهواء في الغرف والملابس. ويستخدم المر للتطبيب، ويذر مسحوقه على الجراح. ويفيد الصبر (الصبار) في حالة التدرن الرئوي (العصارة الطازجة مع العسل والزيت النباتي)، وتعالج عصارة الصبر الجراح المتقيحة والدمامل والحروق، أما العصارة المتخثرة، التي يتم الحصول عليها عن طريق التبخير فتفيد عند الإمساك والكسل والحركات التقلصية. ومثل البخور يستخدم أيضاً زيت السمسم: يطهر به بالتدخين راس وجسم المولود الجديد قبل النوم. كما يستخدم قطران (صمغ اللك) فيكوس كبخور أو يعطي للأطفال الصغار كشراب منقوع ضد غازات المعدة.

أن الخاصية البكتيرية للجوس تستخدم لأغراض العلاج الخارجي (كمسحوق، عجينه) والداخلي (كمنقوع، شراب). ويعتبر مرق لحاء الكرد مفيداً عند الإصابة بداء السكري، وتتحدث الأقاويل أن ثمار شجرة التولق تشفي من مرض السرطان، أما منقوع لحائها فينفع للوقاية من الخزب، وآلام المفاصل وأمراض الكبد. ويقضي مسحوق (الريحان) على التهاب المعدة والعمليات الالتهابية، أما لالتئام الجروح فيذر مسحوق شجرة دم الأخوين - التي تنمو في سقطرى - على مكان الجرح. ويجنب منقوع القرمل آلام الركبة. أما الزعفران "فيجدد الكبد". وتعالج عصارة الكروياء والنعناع الدمامل وتساعد على زيادة اللبن لدى الأم المرضعة (للمقارنة/31 ص42، 43، 187-أ ص 45-55/).

وتمتلك أدوات التجميل، حسب التقاليد الشعبية، خصائص علاجية: فالكحل يقوي النظر ويقي العين من الشمس، والهرد والورس يصفيان الجسم، أما النيلة فتقي من البرد. وهذه القائمة من الممكن مواصلتها. بيد أنه من الضروري قبل ذلك مراجعة القيمة العلاجية للنباتات المحلية والتشابه الكامل للمصطلحات النباتية المحلية والعلمية.

إلى جانب العلاج بالأغذية (بما في ذلك علاج التجويع) وغير ذلك من الأساليب غير المتخصصة الأخرى للعلاج في الطب الشعبي في حضرموت يستخدم الفصد (الحجامة) والكي. وقد حظيت هاتان الطريقتان باهتمام كبير في الطب العربي التقليدي، ومما يدل على ذلك البحث الطبي للطبيب العربي الأندلسي أبي القاسم الزهراوي، القرن العاشر- مطلع القرن الحادي عشر الميلادي/25 ص 34 - 70، 200 - 216/. وكانت مدرسة سالين الطبية الأوروبية قد ورثت من العرب التطبيق العملي للمعالجة الصحية الغذائية في القرن الثاني عشر/5 ص 9 - 10، الفقرة 1 - 79، 92 - 98/. ويوجد حتى الآن في كبرى المراكز السكانية في حضرموت الغربية الحجامون الذين يمارسون الحجامة. ويتم فصد

الـدم (الفئـة العمـرية للمرض: 14 - 60 عاماً) إما للحفاظ على الصحة (عند امـتلاء الدم)، وإما بسبب المرض (الحمى، أمراض الكلى، أمراض غشاء الرئة، الـتهاب اللوز، صداع الرأس، الأستمه، السعال، التهاب العين، البواسير، الدمامل وغـير ذلك). وفي العادة يتم عمل قطع ثم يضعون المحجم لامتصاص الدم. وهذه المحـاجم هـي أوعية نحاسية أسطوانية الشكل مع طرف فوقي ومقبض، وتوجد لـدى الـبدو محـاجم من القرون، تدهن من الداخل بالزيت (وفي الوقت الحاضر بالسبرت أحيانا)، ويتم الصفد أو الكي في الهواء الطلق.

وفـي الغالـب يقوم الحجام بعمل المكوى أيضاً، وكأداة للكي يستخدم مسمار معقـوف (الرسـم 93 - أ). وقـد كان الحداد يقوم بأعداده في الماضي. أما في الوقـت الحاضر فيستخدم سلك متوسط الطول، يتم ثني نهايته، أما المقبض فتلف حوله قطعة قماش (أنظر/187 - أ ص 56 - 58/.).

ويعتـبر الكـي العـلاج الحاسم الأقصى. وقد قيض لي أثناء البحث الميداني تصحيح وزيادة مخطط نقاط الكي الذي نشره دوستال /217 ص 14/ (الرسم 26). إلا أن ممارسـة الكـي فـي حضـرموت تدفـع للموافقـة علـى ملاحظـة ف.س.شينكارينكو من أن تأثير الكي من خلال شدة وانتشار الحروق أسرع كلوما ممـا فـي العلاج الباطني /48 ص 222، الملاحظة 26/. إن التقاليد الطبية التي سجلت في بحث الزهراوي /25 ص 34 - 71/ قد حافظ على أجزاء غير كاملة مـنها فقط المعالجون في الوقت الحاضر. ومع ذلك فأن البعض منهم – المجبرين – يملكون مواهب رائعة في تجبير انحرافات ولأم كسور العظام.

أن الطـب الشـعبي يعتـبر التنفس الصحيح هاماً. ولا يجوز تنفس الهواء المتغـير أو الـبارد: إذ يقـون أنفسهم من ذلك بمناديل الرأس والشال. ومع أن الحضرمي يغطي الرأس من البرد، إلا أنه يستطيع البقاء حافياً أو بصندل صيفي. ويقال أن رجلاً وقوراً (على سبيل المثال، من مشائخ باجبير أو إسحاق) يمكنه أن يشفي من خلال تنفسه (ثقّال).

وطلـباً للعـلاج أو للحفاظ على الصحة كانت تقدم التبرعات لأضرحة الأولياء من زيت السمسم والبّن والسكر، وتقديم النذور في الزيارات. وكانت تقدر الأشكال القرآنـية كـتمائم مكتوبة بيد السيد. وفي الوقت نفسه وجدت مع ذلك شخصيات إسـلامية مشهورة ممن أدانت هذه العادات واعتبرتها خرافات ووساوس (أنظر / 187 -أ ص 58 - 60، 7 - 19، 40/).

الخلاصة

أن مجمـوع نظام الإعاشة في منطقة دراستنا عبارة عن نماذج محلية لعموم حضرموت - وبشكل أوسع - للجنوب العربي.

ومنظومة السكن - والإسكان مترابطة بجلاء وبدرجة كافية مع نظام العلاقات الأسرية - العشائرية، فالمنزل-أسرة غير منقسمة (أو في طريقها إلى الانقسام)، والحـارة - مجموعـة أسـرية ذات قـرابة، والقرية أو البلدة (عدة حارات) أو مجموعة قرى - عدة مجموعات أسرية ذات قرابة، تمثل مختلف الطبقات.

يعكـس المسـكن في حضرموت الغربية تقاليد البناء العامة المتبعة في جميع حضـرموت، وتعـود جذوره إلى المنشآة الدفاعية القديمة في الجنوب العربي - البيـت ذي الأبـراج. وفية تحدد أماكن السكن وأماكن الخدمات للاقتصاد المنزلي رأسياً، أما أشكال المساكن الحديثة فأفقياً. والمنزل بكل خدماته يمثل وحدة أسرية واقتصادية.

إن بعـض الخصائص التركيبية لمخطط المسكن ومظهره الخارجي أستوجبها التقسيم الصارم للجنس. كما ازدادت بشدة متطلبات الأمن في إطار المسكن خلال الحـروب والـنزاعات الداخلـية. والنماذج البسيطة للسكن المحلي هي الكهوف، المعـدة للـتوقف ....الـخ ، وهي تتطلب دراسة أعمق مع أخذ مادة المقارنة في سقطرى والمهرة.

كـان يحـدد موقـع الـبلدة ومخططها قبل كل شئ طابع الري: وهي تتمدد بمحـاذات القناة الرئيسية حيث الري بالسيول، والتراص أكثر(غالباً بشكل نصف قطـري) حـول العـيون أو الآبار. وتقع الكثير من القرى على المخارج الجانبية للوادي لكي تستخدم السيول الرئيسية والإضافية.

أخـذت تتلاشى تدريجياً أساليب البناء القديمة، وكذا مقدرة تكييف المسكن مع المـناخ والمنظر. وتدل على ذلك بشكل خاص الفيضانات المدمرة التي حدثت عام 1989م ، التـي هدمـت البـيوت القديمـة مع الإخلال والعبث بمنشآت الحماية والبيوت الجديدة التي شيدت على طريق السيل (خلافاً للعادة).

إن الملابـس التقلـيدية (النسـائية كقاعدة) في الجنوب العربي، هي واضح العلامـات السـلالي الواضـح، الـذي يسمح في الظروف الميدانية بوضع حدود للمـناطق. وبالنسـبة لحضرموت الغربية فأنها تتميز بشكلين محليين من الثياب النسائية، أطلقـت عليها نموذج الهجرين ونموذج عمد العليا. أما الشكل الثالث ففـي ضـفاف الوادي ويشمل الأرياف فقط من منطقة دراستنا. وقد تم التعرض لأحـد أسـباب الأشكال الكثيرة للثوب النسائي في استنتاجات الفصل السابق. أما الزخارف فقد حافظت بوضوح على الطابع التعبيري.

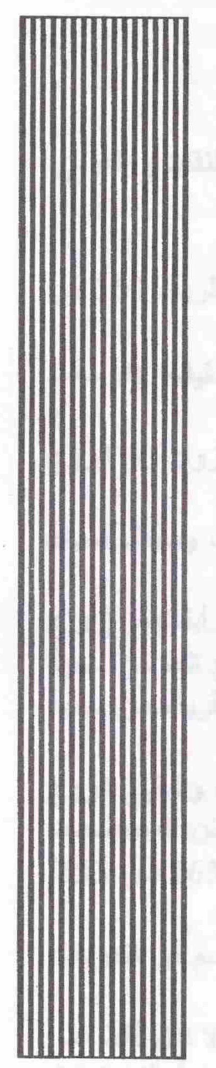
أن الطـراز الأولى للثوب النسائي في حضرموت الغربية هو الفستان الشرق أوسـطي والأرديــة المسـتطيلة التفصيل، وترجع الملابس الرجالية إلى مختلف أشـكال أردية الجنوب العربي. وقد اختفت عملياً المادة التقليدية (الصوف) للبدلة الرجالـية. وجميع العناصر تقريباً صناعية، وفي الغالب منتوجات مستوردة، ومع ذلك لم تفقد طرازها التقليدي بصرف النظر عن المقاييس الموحدة المعروفة.

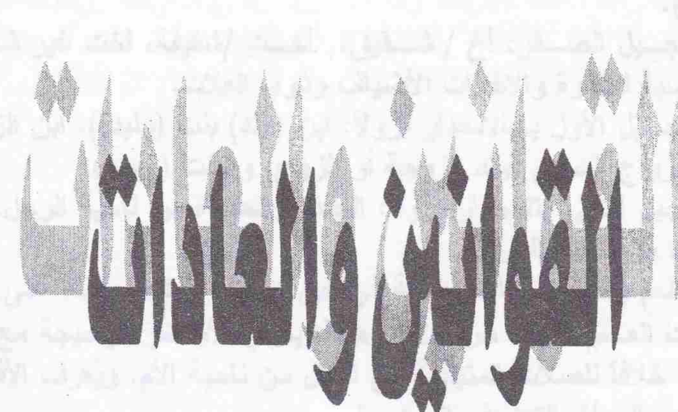
وخـلال العقدين الأخيرين فأن المميزات الاجتماعية والعُمرية للبدلة الرجالية وبدرجـة أقـل النسـائية يتم قياسها بسرعة. واستبدلت تسريحة الشعر التقليدية بالتسريحة المعاصرة. ولم تعد تستخدم أدوات الزينة القديمة على نطاق واسع كما كان الحال في الماضي. وقد أزاحت الحلي الذهبية الحلي الفضية.

وخـلال نصـف القـرن الأخـير حدث تغيير كذلك في طراز الطعام التقليدي. وأصـبح الـرز المستورد والفاصوليا والفول أساس الغذاء اليومي بدلاً عن الذرة والـتمور. وعوضاً عن البُن ومختلف مشروبات القهوة أصبحوا يشربون الشاي أكثر. واعتاد سكان حضرموت الداخل على الأسماك الطازجة والمعلبة. ومع ذلك، وكمـا كـان الحال في الماضي، ففي أكلات الأعياد تقدم اللحوم المغلية والمشوية وتتـبع هـنا بدقة آداب المائدة والنظام التقليدي للأكل ولا تؤكل الأغذية المحرمة إسلامياً.

وفـي الطـب الشـعبي في حضرموت الغربية تُعطى أهمية قصوى للأساليب العلاجـية غـير المتخصصـة المتمـثلة بالمعالجـة الغذائية، واستخدم الأعشاب والطـيوب. وفي ضؤ الطب العربي التقليدي فأن المعالجين المحليين يلجاؤون إلى فصد الدم (الحجامة) والكي، والأخير يمثل صدمة أسرع، مما في علاج الأمراض الباطنية. ويعمل مجبرو العظام ببراعة. ويسمى المنتمون إلى بعض أسر المشائخ معالجيـن بالأعشاب الطبيعية. وتوجد تصورات عن النظافة والنجاسة في الغذاء، الماء، الهواء والجسد، التي تستند إلى التقاليد الدينية.

الجزء الثالث





الفصل الأول

القيم الأخلاقية

1- القواعد المنظمة للنسب والزواج:

إن النظام المحلي لمفاهيم النسب والخاصية قريب من الطراز التقليدي العربي. وأي مصطلح تقليدي يمكن أن يكون مرادفاً للمحلي.

أقرباء الدرجة الأولى: الأب (الوالد)، الأم (الوالدة).

الجيل الثاني صعوداً: الجد، الجدة (حبابة) (للمقارنة مع السقطرية، 160 ص 209).

الجيل الصفر: أخ / شقيق، أخت /شقيقة، أخت غير شقيقة (كريمة). وبالنسبة للأخوة والأخوات الأضياف وذوي العلات.

الجيل الأول بالانحدار نزولاً: أبن (ولد) بنت (وليدة)، أبن الزوجة أو الزوج من الزواج السابق (ولد الزوجة أو الزوج) والبنت (ربيبه).

الجيل الثاني بالانحدار نزولاً: الحفيد والحفيدة من ناحية الرجل، وسبط، أسباط للحفيد من ناحية المرأة.

والعم والعمة لهما الأفضلية في حق تزويج أبنت أخيهما، على أبنائهما (زواج أبنت العم) 264، ص 629 وهذا يقوي الأواصر الوشيجة مع العم من ناحية الأب، خلافاً للصلات المتبادلة مع الخال من ناحية الأم. ويُعرف الأقرباء من ناحية الرجل والمرأة بالتعاريف المذكورة.

وزوجات الرجل في الزواج المتعدد الزوجات – حريفه، حرايف وشقيق الزوج أو الزوجة – صهر، وأخت الزوجة أو الزوج – صهرة. ولبعض المصطلحات تدرج طبقي. وهكذا فأن ربيض تعني "أقرباء من ناحية الأم"/ 263 ص 633/ ويستخدم في أوساط السادة.

وقواعد النبرة الجيدة للزوجة في وصف الزوج لا تستخدم الاسم أو التعريف، وإنما الضمير الخاص للغائب (هو).

وتفطن قوانين القرابة الأسرية منذ الولادة. وطقوس التحول لا تدل فقط على مراحل الحياة، وإنما هي كذلك علامة على المراحل الاجتماعية العامة التي تمكث وتستمر في المجتمع التقليدي من الصرخة الأولى للمولود إلى نفس الموت الأخير.

مراسيم الولادة:

كانت المرأة تضع المولود جلوساً، بعد أن ترفع ركبتيها وتتشبث بأيديها بالأرض، وتدثر بخرق غير نظيفة، لأن الاعتقاد كان أن النفاس نجاسة. وكان يقدم للنفاس قليلاً من القطران مع الماء أو زيت نباتي لكي تتم عملية الولادة بسرعة.وتستقبل القابلة (الدايه) المولود الجديد تحت ثوب الأم الناعم الملمس/71 ص 60،11 ص 57 /. وكان يتم ترديد الأذان في الأذن اليمنى للطفل الوليد بعد ذلك تصعد النساء إلى السطح، ويخبرن الجيران صارخات بالنتيجة. ويتم غسل الأم والرضيع ودهنهما بالهرد المذاب بالزيت، ويلبسان كسوة جديدة. وكان يتم بغرض خلاص الطفل نثر بذور الذرة (أحياناً بالرماد) وتدفن مع مسمار حديدي تحت عتبة بوابة الدخول على عمق ذراعين: إذا كان المولود طفلاً، فمن الخارج، وإذا كانت المولودة طفلة فمن داخل البيت، /261 ص 197 – 198/، /11 ص 63/ . وعند مدخل الغرفة وفي الغرفة ذاتها، حيث تمت الولادة، يتم كسر بيض دجاج نيء، لكي يشبع الجني معدته ويرتوي ولا يلحق الضرر أو الشر بالطفل وأمه. وكان يجفف الحبل السري ويحفظ في وعاء: يزعم أن الماء الذي يوضع فيه الحبل السري يشفي من مغص المعدة. أما الحليب فيفيد لالتهاب العين.

يُعد للمرأة النفاس حساءً لذيذاً خاصاً مع عصيدة القمح. وتتواصل مرحلة النفاس أربعين يوماً. وينبغي أن يدهن رأس وجسم المرأة والطفل كل يوم بزيت السمسم. وتغسل النفاس بالقطران وتدهن بالورس. كما تقوم القريبات والجارات بزيارات ضرورية لها. ومن أجل (تنقية الكبد) يعطون الطفل عصارة القطران، ومن إصابة العين يرسمون حرف الواو مقلوب بنتوءات أو بالكحل بين الحاجبين،/ 261 ص 201/.

ويتم اختيار الاسم حتى الوقت الراهن من خلال القرعة غالباً (تنتشل واحدة من ثلاث أوراق مع أسماء مكتوبة من قبل). وينعكس الانتماء الطبقي عند اختيار الاسم. ففي الطبقات العليا تفضل أسماء الأسلاف المعروفين. ولذلك فإن سلسلة النسب يمكن أن تبدو وكأنها تكرار لبعض الأسماء ذاتها. أما في الطبقات الدنيا فإن أشهر الأسماء : يسلم، مبارك، وبأسماء الأيام: ربيع (الأربعاء)، خميس (الخميس)، وبأسماء الأشهر: رجب، شعبان، رمضان، وقد لاحظ ر. سرجنت أن شهر صفر يعتبر قليل البخت لهذا الغرض، /261ص 202/.

مراسيم الولادة:

كانت المرأة تضع المولود جلوساً، بعد أن ترفع ركبتيها وتتشبث بأيديها بالأرض، وتدثر بخرق غير نظيفة، لأن الاعتقاد كان أن النفاس نجاسة. وكان يقدم للنفاس قليلاً من القطران مع الماء أو زيت نباتي لكي تتم عملية الولادة بسرعة.وتستقبل القابلة (الدايه) المولود الجديد تحت ثوب الأم الناعم الملمس/71 ص 60،11 ص 57 /. وكان يتم ترديد الأذان في الأذن اليمنى للطفل الوليد بعد ذلك تصعد النساء إلى السطح، ويخبرن الجيران صارخات بالنتيجة. ويتم غسل الأم والرضيع ودهنهما بالهرد المذاب بالزيت، ويلبسان كسوة جديدة. وكان يتم بغرض خلاص الطفل نثر بذور الذرة (أحياناً بالرماد) وتدفن مع مسمار حديدي تحت عتبة بوابة الدخول على عمق ذراعين: إذا كان المولود طفلاً، فمن الخارج، وإذا كانت المولودة طفلة فمن داخل البيت، /261 ص 197 – 198/، /11 ص 63/ . وعند مدخل الغرفة وفي الغرفة ذاتها، حيث تمت الولادة، يتم كسر بيض دجاج نيء، لكي يشبع الجني معدته ويرتوي ولا يلحق الضرر أو الشر بالطفل وأمه. وكان يجفف الحبل السري ويحفظ في وعاء: يزعم أن الماء الذي يوضع فيه الحبل السري يشفي من مغص المعدة. أما الحليب فيفيد لالتهاب العين.

يُعد للمرأة النفاس حساءً لذيذاً خاصاً مع عصيدة القمح. وتتواصل مرحلة النفاس أربعين يوماً. وينبغي أن يدهن رأس وجسم المرأة والطفل كل يوم بزيت السمسم. وتغسل النفاس بالقطران وتدهن بالورس. كما تقوم القريبات والجارات بزيارات ضرورية لها. ومن أجل (تنقية الكبد) يعطون الطفل عصارة القطران، ومن إصابة العين يرسمون حرف الواو مقلوب بنتوءات أو بالكحل بين الحاجبين،/ 261 ص 201/.

ويتم اختيار الاسم حتى الوقت الراهن من خلال القرعة غالباً (تنتشل واحدة من ثلاث أوراق مع أسماء مكتوبة من قبل). وينعكس الانتماء الطبقي عند اختيار الاسم. ففي الطبقات العليا تفضل أسماء الأسلاف المعروفين. ولذلك فإن سلسلة النسب يمكن أن تبدو وكأنها تكرار لبعض الأسماء ذاتها. أما في الطبقات الدنيا فإن أشهر الأسماء : يسلم، مبارك، وبأسماء الأيام: ربيع (الأربعاء)، خميس (الخميس)، وبأسماء الأشهر: رجب، شعبان، رمضان، وقد لاحظ ر. سرجنت أن شهر صفر يعتبر قليل البخت لهذا الغرض، /261ص 202/.

الختان:

في حضرموت الغربية يتم القيام بختان الطفل خلال أسبوع من الولادة (بما يتلاءم مع الشريعة). ومن النادر بعد شهر أو حتى بعد بضعة أعوام. أما البدو فيقومون بإجراء الختان في وقت أكثر تأخراً. وفي حضرموت الشرقية تتم هذه العملية للفتى بين سن 14 – 16 عاماً، وفي بعض الأحيان مباشرة قبيل الزواج. وقد أشار إلى الواقعة الأخيرة أ. سنيل (261 ص 204)، ومع ذلك ففي عام 1983م دون عبد العزيز بن عقيل الموظف في المركز اليمني للأبحاث والآثار والمتاحف سير المراسيم المماثلة لدى الحموميين الجميحة في حلفون (حضرموت الشرقية) والنصوص الشعرية التي تردد خلال ذلك (غير منشورة).

يقوم الحلاق (الحجام) أو المجبر بعملية الختان في الصباح الباكر. ويقوم المساعد بقلب من سيتم ختانه على الظهر ويفرج ما بين رجليه. فيما يدهن الحلاق أطراف الجسم بالدهن، ثم يوثقه بحبل، ويقوم بعد ذلك بعملية الختان من خلال القطع بسكينة. ويوضع في فم صاحب العملية قليلاً من العسل من أجل (إلهائه عن وقع الألم). ويوقف الدم بقطعة من القطن، ويذر على الجرح طبقة خفيفة من مسحوق دم الأخوين أو مواد أخرى ضد التعفن، ومن ثم يغمس رأس العضو بزيت السمسم الدافئ أو جوز الهند. وبعد أسبوع يرش الجرح المندمل بمسحوق الكحل الأسود، /11 ص 64/.

وفي حضرموت الغربية لا يحتفلون خصيصاً بيوم الختان. ويمكن أن توقت المائدة الاحتفالية بهذه المناسبة للأربعينية – عيد طهارة المرأة النفاس.

وفي حضرموت الغربية، كما في أنحاء البلد، يسود أيضاً ختان البنات من خلال استئصال جزئي للبظر (أزالت البظر). وتقوم القابلة بهذا العمل في العادة خلال سبعة أيام بعد الولادة. وفي ذات الوقت فإنها تقوم بخرم شحمة الأذن، وفي السابق كان يتم فتح الحاجز الأنفي. ولكي يتوقف الدم يستخدم مسحوق الهرد. وتؤكد الشخصيات الدينية المعروفة أن هذه العادة قد جاءت من النبي محمد (ص) /11 ص 65/.

طقوس الزواج:

كتب الكثير من قبل الرحالة وعلى الأخص النساء منهم عن الزواج الحضرمي. ف. ستارك: (يتم تزويج اليتيمة في سن الخامسة عشرة، رغم إن العرائس الاعتياديات يكن أصغر أيضاً. ومع ذلك ومهما كان العمر، فإن الأمور جميعها تسير من دون علم الفتيات: يتم خياطة الفستان لأبنت الأخ/ الأخت، ولا تفطن هي لما يحدث، إلا حينما يبدأون بغسل رأسها قبيل الاحتفال. ويصبغون لها

الوجـه بالـزبد وبمـزيج من الزيت والشمع والهرد، أما الأيدي والأرجل فتنقش بـاللون الأسمر الداكن، وهي تظل على مدى الأيام الثلاثة لاحتفالات الزواج تحت الغطايـه الحمـراء، التي ينتزعها الزوج من على وجهها في الليل. وفي الصباح يـترك الـزوج عشرة قروش (ريالات تاليري) على الوسادة، وبعد الليلية الثانية يـترك صـينية مـع مـنديل الرأس وعشرة ريالات (تاليري) وكومة من القرنفل والعطور والبخور، ولا شيء أكثر من ذلك /96 – أ ص109 – 110/.

قـبل الحرب العالمية الثانية كانت الزوجة حديثة القرآن في وادي دوعن تلبس الزيـنة لمـدة 40 يوماً بعد الزواج. وفي ذلك الوقت أيضاً كانت قد ظهرت الحلي الذهبية بين اللوازم الفضية.

بالنسبة للمشاهد الخارجية فإن مراسيم الزواج تنقسم إلى عدة مشاهد متفرقة، غير مترابطة فيما بينها. وهاكم أحد هذه المشاهد، كما ورد من قبل د. انجرامس (جـرت الحادثـة في بيت العريس، بالقرب من حريضة، في وادي عمد):" قرعت الطبول، وهتفت النساء غير المرئيات. كان العريس مرتدياً قميص أبيض وفوطة. وقـد جلـس هو فيما وضع طفل أمامه صينية دائرية مجدولة، يهيل عليها بعض الضـيوف مـن حفـنة بُـن (لا يقـوم الجميع بذلك – كما أوضح علوي –وإنما المدعـوون إلـى الـيوم التالـي لشـرب قهـوة الصباح. وهناك يدخل البُن في الاستخدام).

ويجلـب نفـس الطفل صينية من الصفيح وعصا يهدد بها العريس، فيقوم هو مـن جانـبه بالدفـاع عـن نفسه ويستل خنجره بسرعة. وتوضع الصينية أمام العـريس، ويكـون أبوه أول من يضع فيها النقود، وحين يلاحظ العريس الهدية، يقـوم بضرب الصينية بالخنجر، وعند ذلك يبدأ الضيوف بوضع النقود (في العادة ريـالات تالـيري ماريـا تـيريزا)، ومن ثم يقوم الطفل بإعلان أسماء من قدموا هدايـاهم مـن النقود. وكتعبير عن الشكر والعرفان بالجميل يقوم العريس بطرق الصـينية. وعـند انـتهاء ذلك القسم من المراسيم، يقوم الطفل بحمل صينية مع الحـناء المـذاب في الماء، حيث قام بغمس أصابعنا فيه ولون به أيدينا. ومن ثم جلـس الجمـيع وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث بهدوء، وفجأة قفز العريس من مقعـدة محـاولاً الهـروب، فأحاط به بعض الشباب، وأمسكوا به وهم يصرخون وأجلسـوه عنوة في المكان. لم يوضح علوي مغزى هذا الأمر. وكان ينبغي أن يلـي ذلك الرقص، لكنه لم يتم لأن الأسرة كانت في حالة حـداد " /71 ص 55 – 56/.

إن الذين تحدثوا إلينا عن مراسيم الزواج هم عبدالله بن حسن بن أحمد الكاف (51 عامـاً، الهجرين)، وأمام مسجد السقاف محمد بن علوي بن عمر العيدروس الملقب سعد (أكثر من 70 عاماً، تريم) والمنصب الأصغر لحريضه علي بن أحمد

بن حسن العطاس. وكان الاثنان الأولان كممثلين للسلطة الدينية (قضاه)، يقومان بإجـراء عقـد القرآن (مأذون، مقعد، معاقيد). ولقد تسنى لنا مشاهدة إجراءات مراسيم الزواج في مسوّرة، وبظة (وادي عمد)، الهجرين، وغار السودان (وادي دوعن) وفي عذب (وادي العين) وكذلك خارج حدود المنطقة في سيئون.

ولقـد أشـار ر.سـرجنت أيضاً إلى محاولة السلطات المحلية لتنظيم مراسيم الـزواج وتبسيطها، والشيء الرئيسي تقليل نفقاتها. ومثل تلك المحاولات قام بها في عامي 1895 – 1896م أعيان تريم، وعلي بن المنصور الكثيري عام 1934 م والمرسوم السلطاني رقم 10 لعام 1959م في المكلا. وقد حث المرسوم مجلس المديـنة ولجـنة الشئون الدينية ذات النزعة المحافظة، وهي التي رأت في البذخ بدعة أثيمة /260 ص 472 – 473، 479 – 482/. وظلت إجراءات المنع حبراً علـى ورق، وتوقـف فقط منذ ذلك الحين منح العطايا للراقصات، كما حدد الدفع النقدي /260 ص 472/.

المهـم إن إجراءً مماثلاً، لكن من موقف مناقض تماماً "الإسراف في استخدام مواد الترف – ظاهرة استعمارية، تخدم مصك الاحتكارات"، قد تقدمت به السلطات المحلـية في المحافظة الخامسة عام 1974م إلى مؤتمر اللجان الشعبية، وكان قد صـدر ملحقـاً للقـانون الحكومـي الخـاص بالـزواج (سـلمني النص م. ب. بيوتروفسـكي) "تنظـيم إجـراءات الزواج والمحافظة على العادات...." / 284 تـاريخ 1974/4/17م ص 1 – 8/ والـذي حدد بدقة الإجراءات الأدنى وحدود الإنفـاق المباح. وبصرف النظر عن اللهجة الحازمة، فإن الملحق لم يتبع مطلقاً بمـداه الكـامل لأفـي السـاحل، ولا في حضرموت الداخل. لكن هذا وغيره من الإجراءات قد أثرت في تقصير مدة بعض مراسيم الزواج وتبسيطها.

تسبق الزواج الخطبة (الخطوبة) : يحصل الأب أو وسيط الزواج، على موافقة والـدي العـروس أو ولـي أمـرها، ويتم الاتفاق على مقدار مهر الزواج، الذي سيدفعه جانب العريس. ويسلم المهر أو جزء منه (المد) في منزل العروس أثناء مراسيم قهوة الصباح (قهوة المد)، حينما يعلنون أن الفتاة مخطوبة.

يتوقف مقدار المهر على المراتب الاجتماعية وعلى مستوى صلة القرابة بين المتزوجـين (الـزواج " الأرخـص" ، هو الزواج من أبنت العم، أما الأعلى فمن خـارج حدود النسب والجماعة المحلية، ولكن بما لا يتعارض مع زواج الكفاءة، (أنظـر الجـزء الأول الفصـل 1، الفقرة 1). ومع مرور الزمن ارتفعت المقادير المطلقـة للمهـر. ففي أعوام الثلاثينات كان الخادم في شبام يدفع 60 شلناً مقابل العروسة البكر و30 شلناً مقابل المطلقة أو الثيب، وفي مطلع الستينات كانت هذه المؤشـرات تطـابق 300 و200 شـلناً، /96 – أ ص252 ، 209، ص 101/.

واستناداً إلى أ.س بوجرا، فإن السادة آل العطاس (حريضة) كانوا يدفعون 70 شلناً مقابل العروس من آل العطاس المحليين، و200 شلناً، مقابل العروس من آل العطاس الذين يعيشون خارج حريضه، و1000 شلن مقابل العروس من عائلات السادة الآخرين. وكان مشائخ باسهل يدفعون لقاء الفتاة من جماعة النسب المحلية 200 – 300 شلناً، ولقاء العروس من أسر المشائخ الأخرى 500 شلناً، ولقاء العروس من القبائل 1000 شلناً. وكان القبائل يدفعون مقابل الزواج من فتاة داخل جماعة القرابة 200 – 300 شلناً، أما من خارجها (لكن في إطار القبيلة) فيدفعون 1000 شلن، (209 ص 97، 98، 101).

في أواخر الثمانينات أظهر استفتاء قامت به في حضرموت الغربية الموظفة في المركز اليمني للأبحاث والآثار والمتاحف الهام عبدالوهاب (بين حوالي 90 رجلاً وأمراه)، أن المهر في حالة الزواج الداخلي لدى الحضر يتراوح في حدود 250 دينار (5 آلاف شلن)، والزواج من أبنت العم يصل إلى 750 دينار، أما في حالة الزواج الخارجي فمن 750 دينار إلى 2000 دينار.

وللبدو وضعاً خاصاً: فالمهر عند الزواج داخل القبيلة يمكن أن يكون 5000 دينار، من غير احتساب الإنفاق على ملابس الفرح للعروس (500 – 600 دينار). وعلى الحلي التي تعادل قيمتها سعر رطل من الذهب. ويضاف إلى هذا الإنفاق لدى الحضر والبدو الإنفاق على الزفاف (الجهاز) ومبلغ 100 دينار "المهر اللازم" وهو الحد الأقصى للمهر، وفقاً للمادة 18 من قانون الزواج في ج.ي.د.ش (49 ص 32، 186 ص 170 – 171)، وفي الواقع فإن هذا التحديد قد ضاعف المهر فقط ، ذلك لأن الحد الأقصى قد تحول إلى دفع مضاعف. وإذا كانت مسؤولية الطلاق تقع على الزوجة فإن المحكمة يمكن أن تحكم على الرجل بتعويض نقدي لا يزيد على مبلغ المهر (المادة 30)، (49 ص 33). ومهما يكن من أمر فإن الدولة لا تقر بالمهر أكثر من 100 دينار، مما يؤدي أحياناً إلى الاستهتار به من قبل الفتاة حديثة الزواج وأسرتها: كبيرة جداً وسوسة فسخ الزواج، والإمساك بنصيب الأسد من الصداق.

يقوم المأذون (العقّاد) بالتسجيل الرسمي للزواج استناداً الى القرآن الكريم، وبعد أن يضم يدي العريس والعروسة يقرأ الفاتحة. ويقوم الصبيان المحليون عادة بدعوة الأقارب والجيران إلى حفل الزواج بقولهم "أنت مطلوب" أي أنت مدعو إلى الحفل.

وفي صباح اليوم الأول يجري في منزل أهل الزوجة الحديثة حفل الاستقبال، الذي تجتمع فيه النساء ويقدمن الهدايا (طرح) للزوجة الحديثة، التي تجلس دون حراك تحت الحجاب. كما ينظم حفل يتخلله الغناء والرقص. وفي مساء ذلك اليوم

(ليلة الحنا) يتم نقش كفي وقدمي العريس بالحنا. وفي البداية يحلقون له العارضيين. الصدغين والقفاء تحت صراخ النساء، (صالق، حجير)، ولكن ليس زغاريط لأن ذلك يعتبر غير ملائم في مثل هذه الحالة.

ويقدم الحناء للضيوف المحترمين (أنظر أعلاه، نص د. أنجرامس) الذين تبرعوا بالنقود في الحفل. وتصدح الأغاني ويرتجل الشعراء الأشعار، ويرقص الضيوف مع العريس. ويقوم صاحب الزواج بالحفاظ على النظام. كما أن محاولة العريس في "الهروب" التي وصفتها الباحثة الإنجليزية، ترتبط بكلمات أغنية الزواج "فلينقش بالحنا، إذا كان لا يعترض على أن يتزين" ، والتي يفترض أن تدفع المجتمعين لأن يكونوا أكثر سخاءً (أنظر الجزء الثالث، الفقرة 3: الأغنية رقم 38).

في صباح اليوم الثاني تسرّح العروس وتغسل وتنقش بالحنا (الرسم 24)، وتزين بالأساور الذهبية (في الماضي الفضية) والأقراط وأساور الأرجل ذات الأجراس (حجول) (أنظر الجزء الثاني ، الفصل 2 الفقرة2، الفصل 1 الفقرة 3 :صياغة المجوهرات) مراسيم العقاد. وعند ذلك ينظم حفل استقبال غير كبير في منزل العروس مع القهوة والحلويات، وفي النهار الغذاء، وفي المساء، بعد الصلاة (أي بعد الساعة الثامنة مساء) يبدأ في منزل العريس الاحتفال في انتظار وصول العروس (حفلة الحراوه). وفي منتصف الليل يصل موكب العروس على وقع دقات الدفوف، والأغاني والرقصات والزغاريد. كان الغناء والرقص يتواصل في الماضي إلى الصباح، أما في الوقت الحاضر فإن الحفل المسائي يبدأ مبكراً ويستمر حوالي ثلاث ساعات.

ولقد أذان الفقيه الحضرمي المعروف علي بن أحمد سعيد باصبرين (المتوفي في ثمانينات القرن التاسع عشر الميلادي) طقوس الزواج في وادي دوعن: أغاني اللعب، ونقش يدي الفتاة بالحنا، وتقليد طريقة خطف العروس، عندما تدافع عنها الصديقات غير المتزوجات (الشردة)، والرقص المشترك للرجال والنساء (الدحيف)، والعادة التي تسمح للزوج أن يفتح جهاراً وجه الزوجة الحديثة وتقبيلها في الجبين/ 14، ل16- أ، ب /. وفي الوقت الراهن لا وجود لمثل هذه الطقوس. ومع ذلك فإن المتحمسين للشرف يستنكرون حتى اليوم رقصة (تنعوش)، التي ترقصها النساء في وادي دوعن في حلقاتهن الخاصة، حيث يقمن بضم الأيدي إلى الصدور ويهزين الرؤوس باتزان. أو عادة تغيير الثياب عدة مرات في حفلة الرقص (في بعض الأحيان يلبسن الثوب فوق الآخر وتقوم الراقصة بخلع الفستان الفوقاني أمام أعين الجميع). وفي نفس الوقت تردد الأغاني النسائية الذي نشر نماذج منها ر.سرجنت (252 ص 168).

كمـا يرقص الرجال رقصات (الدحيف)، مكونين حلقة دائرية أو نصف دائرية، بمشاركة راقصة متخصصة (مشترحه، مدرجة). والتي تدعو إلى الرقص رجلين، يسـيران معهـا سوية دورة كاملة. كما يؤدي الرجال نموذج الرقص الشبواني، الذي يسمى في حضرموت الغربية "القطني" (نسبة إلى مدينة القطن). وهذا اليوم يسـمى "يوم الصبحية" (والصبحة هي الهدية التي يقدمها الزوج للزوجة بعد ليلة الـزواج الأولـى). وفي الماضي كانت تتكرر الصبحة أيضاً في اليوم الثالث (ثاني صبحه)، أما في اليوم الرابع فيزور الزوجان الحديثان منزل أهل الزوجة، حيث يـنظم حفـل اسـتقبال، وكانـت تقـام خلال أسبوع بعد الزواج ضيافة في منزل الزوجين (نقضه)، كما تعود الزوجة خلال أسبوع إلى منزلها السابق لمدة يومين للضيافة، لكن العادة الأخير غير ملزمة.

مراسيم دفن الموتى:

يُغسل المتوفى في البيت من قبل الأقرباء أنفسهم أو من قبل المتخصصين في غسـل الأموات من طبقة الصبيان. وتوجد في المساجد قرب المقابر أماكن للغسل وتوابيـت (مغسـل – مغاسل) وذلك بغرض الاستعداد لدفن أولئك الذين لا يوجد لديهـم أقرباء. ويتم هذا العمل على حساب الصدقات والخصم من وسائل الوقف. يذر الجسد بالحناء (والمتوفية أيضاً بالهرد والورس)، ويلف في الكفن أو ببساطة فـي قطعـة قماش قطني غير ملونه، وتسد فتحات الأنف والأذنين بالقطن، وتتم الصلاة علـى الميت وقراءة القرآن الكريم، وفي نفس اليوم يحمل النعش إلى المقبرة لدفن المتوفى.

يوجـه الضريح، بحيث يتمدد المتوفى ووجهه إلى مكة، ويتم حفر القبر بقامة الإنسـان الواقـف ويداه مرفوعتان إلى الأعلى (أي بحدود مترين)، مع مثبت من الأسـفل، يقـاس طولـه بغصـن من النخيل، يغرز فيما بعد في التربة المكومة. ويغطـي فـوق الضريح بطبقة من الحصي البيضاوية الشكل أو بأحجار مستوية كبيرة، فيما تنثر على الجزء الأوسط أحجار صغيرة (الرسم 77).

ويوضـع على ضريح الرجل نصبان، عند الرأس والقدم، وعلى ضريح المرأة ثلاثـة أنصبه (الزائدة في الوسط)، الرسم (76)، أما إذا توفيت المرأة وهي في حالة الوضع فمن خمسة إلى ستة أنصاب. وقد لاحظ نفس تلك الخصوصية عضو البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة ي.أ. ريزوان في المهرة وشبوة.

وغالبـية أعـداد القـبور ليس لها نقوش، عدا أضرحة السادة والمشائخ أو الأتقـياء المشـهورين (الرسم 75). يوضع على الأخير نصب حجري مع النقش (شـاهدة) بعـد ستة إلى ثمانية أشهر من الدفن، حينما يكون الضريح قد ترسب. ويدفن البدو موتاهم في مقابر عند الحضر، في الغالب على تخوم الحوطات (جمع

حوطه). وهكذا، فعلى بعد 350 متراً إلى الشمال الغربي من مجموعة قباب المشهد سجل مالا يقل عن 34 ضريحاً لرجال ونساء من البدو. وتقع المقبرة على أرض غير صالحة للزراعة (فرطوان، أنظر الجزء الثاني الفصل 1 الفقرة1: القزة....)، وعادة يوجد فيها نصف للكبار ونصف للصغار (يدفن في الجزء الأخير الأطفال الذين "لم تتبدل أسنانهم بعد"). ولا يوجد أي اهتمام بالقبور. وفي أثناء الزيارات يحضرون أغصاناً خضراء وتوضع على الحجر. وبعد أربعين عاماً يمكن أن يدفن في القبر القديم ميت جديد (نبش).

يستمر الحداد في حضرموت الغربية بعد الجنازة لمدة عشرة أيام. تنظم في الثلاثة الأيام الأولى مراسيم التعازي: بعد صلاة العشاء، وبعد ان تقام الصلاة على الغائب، تنظم مأدبة عشاء (يتم تحضيرها كصدقة إلى منزل المتوفي، حيث يحرم إشعال النيران) وتتكون من لحوم الماعز المغلي والرز وأرغفة الخبر والتمور والقهوة. كما يقوم ثلاثة من الأشخاص المحترمين (وفي النادر خمسة) بتلاوة القرآن الكريم (ختم – خواتيم). ولا وجود هنا لثياب خاصة بالحداد. كما يتم تغطية المرآة وشاشة التلفزيون، وعلى مدى نصف عام يتم الكف عن اللهو والرقص...الخ.

وتعطي القوانين الطقسية لدورة الحياة الشكل المكمل للعلاقة بالأقرباء والأنساب بالمصاهرة والجيران والغرباء. وهذه القوانين ثابتة إلى حد ما ومن ناحية تنصاع للترتيب بصورة ضعيفة. وعن بعض المميزات الأخرى لنظام القرابة الأسرية تقدم تصوراً المعالجة الإحصائية للمواد الاستبيانية.

فمن الاستفتاء الذي قامت به إلهام عبد الوهاب في الهجرين (وادي دوعن) اتضح أن أكثر أشكال الزواج انتشاراً هنا، هو الزواج الداخلي (حوالي 60% ممن شملهم الاستفتاء)، والعدد المتوسط للأطفال في الأسرة أربعة (التقدير التمهيدي، خمسة إلى ستة)، والتباين مرتبط بالفتوة النسبية لغالبية الذين شملهم الاستفتاء. إن أحكام المادة الخامسة من قانون الزواج لعام 1974م. (49 ص 30) التي حدد بمقتضاها السن الأدنى للزواج بـ18عاماً للرجل و16 عاماً للمرأة، تطبق في الأساس، ومع ذلك توجد إستثناءات (عروس ذات 15 أو 14 عاماً).ومتوسط عمر التزوج لدى الرجال غالباً أعلى من الحد الأدنى (في بعض الأحيان إلى سبع – عشر سنوات) بسبب السفر وضرورة جمع الأموال للمهر (سبق الحديث عن مقدار المهر).

أن المعطيات الهامة قد حصل عليها س. ن. سريبروف والمؤلف عند المعالجة الاختيارية لمواد الاستمارة، التي وضعها قسم التعليم في مديرية دوعن

عـام 1984م، وقـد شـملت العينات ثلاثة مراكز، عمد وحريضة والضليعة، أي أراضي وادي عمد.ونستخلص أربعة نماذج للأسرة:

1- الأسرة المنفصلة: الزوج ، الزوجة، والأطفال إن وجدوا

2- الأسرة غير المنفصلة:

أ- الزوج، الزوجة، الأبناء المتزوجون من ذريتهم.

ب- أسر الأخوة المتزوجين، الذين يقدمون بالتدابير الاقتصادية المشتركة.

3- الأسرة غير المكتملة: الأسرة التي يغيب عنها على الأقل أحد الأزواج.

4- الأسرة المختلطة: أي أسرة من النماذج المذكورة، والتي يعيش فيها أقرباء من جهة الرجل أو المرأة.

فـيما يلـي نـورد معلومات عن توزيع الاقتصاد المنزلي وفقاً لنماذج الأسر (بالنسبة المؤية):

نموذج الأسرة	مركز عمد	مركز حريضة	مركز الضليعة	الإجمالي
المنفصلة	53.1	32.3	56.5	50.7
غير المنفصلة	10.8	24.9	17.4	15.4
غير المكتملة	21.9	35.0	11.6	20.7
المختلطة	14.2	7.8	14.5	13.2

أن النسبة الكبيرة للأسر المنفصلة في جميع المراكز الثلاثة (50.7) تدل على العملـية الحـيوية لفرز الأسر الجديدة من مجموعات الأسرة غير المنفصلة (في الدائـرة المغلقة: المنفصلة – الأبوية الموحدة – الأخوية الموحدة – المنفصلة). وبالنسـبة للأسر الجديدة في وادي دوعن تباع في العام بحدود 650 قطعة أرض لأغراض التعمير. أن تشكيـل الاسر غيـر المكتملة (20.7) والمختـلطه (13.2) يرتبط في كثير من الأحوال بهجرة وسفر السكان القادرين على العمل.

ويوجـد ارتباط واضح بين مقدار الاقتصاد المنزلي ونموذج الزواج سواء في داخـل مجموعـة القرابة الأسرية أو في سواها. وتبين المعلومات الآتية توزيع الاقتصاد المنزلي حسب نوع الزواج:

مقدار الاقتصاد المنزلي	داخل الجماعة الأسرية المتقاربة	خارج الجماعة الأسرية المتقاربة	الإجمالي
إلى 3 أشخاص	48(45.3%)	58 (54.7%)	106 (100%)
من 4 – 7 أشخاص	328 (48.8%)	344(51.2%)	672 (100%)
أكثر من 7 أشخاص	137 (35.9%)	245 (64.1%)	382 (100%)
الإجمالي	137 (35.9%)	647 (55.8%)	1160(100%)

أن النسبة العامة للزواج داخل الجماعات الأسرية المتقاربة أقل بعض الشيء عن نسبة الزواج خارج المجموعة، ولكن بتناسب قياسي. ويمكن أن نستنتج أن الاتجاه إلى الزواج الداخلي قد انعكس بجلاء في وادي عمد إلى درجة كافية. والاختلاف كبير جداً في الزواج داخل الجماعات الأسرية المتقاربة وخارجها وبشكل خاص في الأسر الكبيرة التي يزيد عدد أعضائها عن سبعة أشخاص: 35.9% مقابل 64.1%. وهذه الظاهرة تحتاج إلى الإيضاح. أما في المراكز فلم تظهر اختلافات خاصة، على الرغم أن مركز عمد الزراعي لا يماثل مركز حريضه بمركزه المدني المتطور، والاثنان يختلفان عن مركز الضليعه، الذي تستوطنه قبائل المرتفعات.

أن مستوى الزواج في حضرموت الغربية مرتفع إلى درجة كافية (نحو 90 %). ومحلية الزواج – قانون، رغم أن الخروج عنه لا يعتبر نادراً: قبائل الغرب (على سبيل المثال، الصيعر، العواثبة) وبشكل خاص قبائل الشرق (الحموم، المناهل) يستقرون غالباً بين أنسابهم بالمصاهرة بهدف تثبيت ادعاءاتهم على جزء من أراضيهم القبلية (أنظر الجزء الأول الفصل 1، الفقرة 3).

وتوضح المعطيات الاستبيانية لعام 1984م (شملت نحو 10% من سكان المحافظة) خصوصية التركيب العمري للجنسين في مديرية دوعن. ونورد أدناه المعلومات عن تركيب الجنسين لسكان مديرية دوعن (في كل ألف شخص):

العمر بالسنة	الرجال	النساء	الإجمالي	النسبة لجميع السكان
1 –11	11.4	11.1	22.5	32.0
12 – 20	7.0	8.7	15.7	22.4
21 – 40	6.1	8.0	14.1	20.1
41 – 49	1.8	2.3	4.1	5.8
أكثر من 50	5.6	8.2	13.8	19.7
الإجمالي	31.9	38.3	70.2	100

أن أغلبية النساء في أكثر الفئات العمرية نشاطاً يرجع سببه إلى التنقل في حضرموت الغربية.

وفي النهاية، فإن الحقيقة الأخيرة بدت وكأنها غير مرتبطة مباشرة بالقوانين المنظمة للنسب والزواج. وإنما تبين ارتباط السكان بالآليات التقليدية العامة للجميع. وبصرف النظر عن الحملة قريبة العهد للقضاء على الأمية، فإن 58.1% من السكان بين سن12 – 40 عاماً لا يستطيعون القراءة والكتابة (الرجال 23.8 % والنساء 84.2%).

2- القوانين المنظمة للملكية والإدارة

كان مفهوم المال في حضرموت تقريباً يلحق بصورة استثنائية بالأرض، قطعة الأرض المـزروعة، حيث تنمو النخيل أو تزرع الذرة وغيرها من المزروعات الأخرى. وملكية الأرض يمكن أن تكـون مشتركة (أراضي الوحدة القبلية الصغيرة) أوخاصـة. وقـد سجل ملاك الأراضي الخاصة في قوائم المساحات التفصيلية الخاصـة. كما وجدت كذلك (ولا زالت حتى اليوم) الأراضي العامة – المباح، التـي تستغل لرعي الماشية، وادخار الوقود وهي في الغاية المثلى تتبع الجميـع، ولكـنها في الواقع تخصص لمجموعة قبائل. عدا ذلك، وكما في جميع العالم الإسلامي، وجدت أراضي الوقف.

إن الحق في الأراضي والماء مرتبط ارتباطاً وثيقاً، ومن الصعب فصل أحدهما عـن الآخـر. وهكـذا فإن الحق في الماء لا يمكن تقديمه في شكل مهر الزواج، اوإهدائه والتصدق به أو الإيصاء به. ويملك جميع المسلمين حقوقاً متساوية في المـاء. ولا يوجد مالك للماء، باستثناء تلك الحالات، عندما يحفر شخص ما بئراً علـى أرضـه (لكنه لا يستطيع منع الظمآن) او أن يملأ جرة أو قربة بالماء من المصدر العام.

وكـأن يسـرى أيضـاً حق الاستخلاف (الشفعة) لأولئك الذين يزاولون عملياً الاستخدام المشترك للماء من المصادر المحددة (ينبوع ، بئر، قناة) والتي كانت تتطلـب العمل المستمر للحفاظ عليها أو لتحسينها. وبكلمات أخرى، إذا ما برزت ضرورة لبيع قطعة الأرض الزراعية، فينبغي في بداية الأمر عرضها على أعضاء الجماعات الأسرية القريبة أو الجيران في مجموعة السقي (حق الجوار).

وتـنعكس الصلة بين استخدام الماء واستخدام الأرض كذلك في "إحياء الأرض الميـتة" (أحياء الموات)، حينما تدخل في الدورة الزراعية الأراضي التي لا تعود ملكيـتها لأحـد ولـم تفلح من قبل. ويتم "الأحياء" فقط على تلك الأراضي التي لا تسـتخدم كمراعي ولا تجاور القرى. ويرتبط "أحياء الأرض الميتة" بالعثور على مصدر للماء في تلك الأراضي أو حفر بئر. وتشمل العملية حراثة ومساواة قطعة الأرض، وقطـع الأشجار وإنشاء السور وشق ومد القنوات وإقامة العلامات التي تبين حدود قطعة الأرض.

إن مـبدأ الدخول الحر إلى الماء يقع في أساس العادة، التي تمنع عند تنظيف القـناة أن تحشى ضغتها بالأتربة المستخرجة أو التي تفرض ترك "الأرض حمى" حول مصدر الماء/278 ص 9-15، 241 ص 230 – 254/.

أن الفقه الذي مكن من تنظيم المعايير الاجتماعية للأوضاع الأخلاقية العقائدية العامة للشريعة /186 ص55/، لم يضع قواعد واضحة لاستخدام الماء في ضوء

الإسلام /278 ص 226/. ولذلك تقدر عالياً في حضرموت فتاوى العلامة الشافعي المرموق أبن حجر الهيثمي (توفي عام 1566م)، الذي حل هذه الدائرة من المسائل، مستنداً إلى الفكر السليم وإلى العادة المتبعة. ويفهم بالعادة الممارسة المتكررة، التي أتبعت في حياة ما لا يقل عن جيلين، دون أن يكون فيها أي انقطاع (241 ص92). وهكذا، إذا قضت العادة أن يحتفظ الشخص بالماء في قطعته الخاصة، دون التقاسم مع الآخرين، فإن أبن حجر أعتبر أنه من الضروري تقدير حصته انطلاقاً من حاجة الأرض، ونوعية المزروعات والوقت من السنة.

إذا كانت قد أهملت واحدة من قطعتي أرض، ينمو فيها النخيل، وترويان من قناة واحدة، فإن مستوى الأرض فوقها يرتفع بسبب الرواسب، أما القطعة الأخرى فأصبح يعوزها الماء، فكيف ينبغي أن يتصرف صاحب قطعة الأرض الأخرى؟ أجاب أبن حجر: لا ينبغي استدعاء مالك الأرض المهجورة لكي يخفض مستوى الأرض، وللمالك الآخر كامل الحق في القيام بذلك بدلاً عنه. ولكن إذا رتب المالك الأول قطعته فإن التتابع في السقي ينبغي أن يستعاد.

ومن كانت قطعة أرضه أقرب إلى الماء فإنه أول من يحصل على حصته، طالما أنه لم يحصل على استحقاقه، وأشار الفقيه، أنه يستطيع ضبط الماء كيفما كان: بحاجز من الطين، يحجز السيل كله، أو بحواجز من الأشجار أو أغصان النخيل، تسمح لجزء من الماء. وإذا كانت العادة تقضي بذلك فإنه يحق للمالك أن يتصرف هكذا.

وعلى السؤال، هل يستطيع أحد الملاك أن يسقي جزءاً من أرضه، إذا كان الملاك الآخرون المشتركون معه لا يجيزون له ذلك، خوفاً من الأضرار، يؤكد أبن حجر: طالما أن الإنسان يتصرف مع ملكيته كما تقضي العادة، فإن عمله مسموح به وهو غير ملزم بأن يدفع مقابل الضرر المحتمل /241 ص35 – 37/.

وفي حضرموت الغربية كانت الحوادث المماثلة تحل من قبل الأعيان الملمين بالعادات. وفي مجرى وادي عمد يتمتع مشائخ باجابر بنفوذ خاص. ويمكن أن تكون العادة مسؤولة عن الملتقيات الرئيسية للسقي، ولكن كالمعتاد تم تقسيم هاتين الوظيفيتين الاجتماعيتين (كما عرفت، قبل المجموعة الاثنوغرافية في البعثة السوفيتية اليمنية المشتركة ولم تتم دراستها خصيصاً).

كما كان المدبر لأعمال السقي يسمى "خيّال – خيلة" (الخيال – الملاحظة عن بعد، والمخيلة – إمارات المطر، الغيوم، المطر [236 ص568 – 569]). ومهمته الرئيسية الرقابة لحالة القناة الرئيسية للسقي (الساقية الأم – أو بساطة الأم) وتحديد الأضرار التي كانت تلحق بمنشآت الري بسبب الفيضانات (أنظر الجزء الثاني الفصل1 الفقرة 1). صالح أبو بكر باسهل (حوالي 60 عاماً، حريضة) قال:"في اليوم الذي كان يأتي فيه السيل، فإن الخيّال يراقب الوادي والشعاب –

فيما إذا وجدت أي أضرار. وإذا لم توجد، فإنه يقول: (حَوّل الله ، ما عندك تغيير). وإذا وجدت فإنه ملزم بتقييم الدمار وإلزام ملاك الأراضي بإزالته. وكان الخيّال ينتخب من قبل الجماعة، وكذلك مساعديه، الذين كان أحدهم يأخذ السجلات ويدون أسماء ملاك الأراضي وحدود ممتلكاتهم. وكان المساعدون يعتنون بتفرعات القناة الرئيسية، وكقاعدة، كانوا مهتمين شخصياً بضبط ودقة شبكة تصريف المياه، الخاصة بالري وبقطعهم.

كان الخيال يقوم بمهمته مجاناً. وكان يشرف على الأموال التي يتم جمعها من أقساط مالكي الأراضي بالتناسب مع حجم قطع أراضيهم. وكان المالك يستطيع العمل بنفسه، أو أن يدفع (عبر الخيال) خدمات العمال المأجورين (فارق السوق). وكانت التبرعات على شكل صدقة تتم جماعياً مقابل المعوزين والعاجزين.

في كثير من الأماكن كان الخيال ينتخب من ممثلي الحرثان – المزارعون الأصليون: بادحمان (وادي دوعن)، باحليوه، باحسين، باحويرث وغيرهم (وادي عمد)، وفي نفحون كان الخيال السيد عمر بن محمد بن أحمد العطاس، وفي عندل – عبدالله سالم باجبير، وفي حريضه – مشائخ باسهل، السادة آل العطاس وآخرون .وكان الخيال يتحمل المسؤولية شخصياً أمام الجماعة، وفي حالة الضرورة كان يعزل عن منصبة. وفي عام 1990م كانت تقوم بمهتمة هيئة جماعية – اللجنة الزراعية، المسؤولة فقط أمام الهيئات الأعلى.

إن الخيال – من أهم الأدوار الاجتماعية، التي ظهرت في الجماعة المتجاورة للمزارعين في حضرموت الغربية بهدف التنظيم الذاتي. وهي خاصية لمناطق السقي بالفيضانات، التي تستدعي من المزارعين التعاون المشترك بصورة دائمة. وليس مصادفة أن تطورت بسرعة في مناطق السقي عن طريق الآبار ملكية الأراضي الخاصة الكبيرة والمتوسطة إلى الشرق من منطقة دراستنا، أما الملكية العامة فقد تفككت عملياً، ولم تسجل وظيفة الخيّال.

إن التبعية المتبادلة بين المزارعين قد تعززت بسبب التجزئة المستمرة لحصص الأرض في الماضي، والتي تقتضيها عادة الوراثة. لقد كرسها القرآن الكريم (4 ، 8) ، وكانت قد ظهرت منذ زمن طويل قبل الإسلام وتصاغ هكذا: يملك الوريث حصة في كل قسم من الإرث. وبمقتضى الأرض فإن هذا يعني أن الورثة المتساوين في الحقوق يحصلون على حصص متساوية في كل قطعة من الأراضي الموروثة. وفي الأطراف الأخرى للوطن العربي، على سبيل المثال في السهل السوري، أدت هذه العادة إلى تجزئه الأرض بإفراط فائق، مما أعاق تطور الاقتصاد الزراعي. وفي مناطق السقي بالسيول في حضرموت (أو في مرتفعات اليمن ولبنان) فإن المواقع المشتتة لقطع الأراضي، التي تؤول ملكيتها لمالك واحد، قد أرغمت على التقيد الصارم بعادة استخدام المياه : من كل بد قبل أن

يصل المـاء إلى قطعة الأرض التالية، ينبغي أن يمر من خلال أرض الجار(وقد ورد الكثير فـي معالجـات أبن حجر عن الحوادث المرتبطة بذلك). وكانت آلية التنظيم تتحقق في الواقع بدون أي جهاز قوة، والتي حل محلها الاهتمام بالمنفعة المتبادلة. وقـد أشـار أ. بورجـا إلـى الكيفية التي جرى فيها مثـل ذلك في حريضـة/ 209 ص 57/. إن تجزئة قطع الأراضي (بالطبع، إلى درجة معقولة) لـدى المـلاك الزراعيين قد ساعد أيضاً على تعقيد الدورة الزراعية، الانتقال من نظـام دورتين متكاملتين، إلى الثلاث المتكاملة. ولقد أبقت اتجاهات التجزئة على حق الاستخلاف وتنظيم الحارات: تجزأت القطع في إطار المطرح الواحد.

أخذت الضرائب على الأرض تجبى في حضرموت الغربية بصورة أكثر أو أقل انـتظاماً فقط في أربعينات قرننا. أما قبل ذلك فحملت طابعاً عرضياً، وكانت تشابه أكثر الأتاوة أو الغرامة. وبالنسبة للكثير من القبائل فإن الفكرة ذاتها حول إمكانية فرض ضريبة عليهم تبدو مهينة.

إلـى جانب العمل من أجل الهيئات الاجتماعية (خيال، منصب، صدقة)، وكذلك الأعمـال الاجتماعية التي تحافظ على صفات "المساعدة" ، فإن الجموع الأساسية مـن السـكان المزارعين الحضر قد ظلت موضوعاً للاستغلال الاقتصادي من قبل القـبائل. وفي هذا الخصوص فإن الدليل الأكبر هو نظام حراسة محاصيل النخيل (الشراحة) الذي كرس له ر. سرجنت مقالة خاصة /267/.

وفي القرن الخامس عشر الميلادي أطلق على الشراحة "عادة حضرمـوت" /267 ص 308/. وكانـت القبائل المسلحة تأخذ من الملاك مقابل حراسة التمور الناضـجة ثماراً هي الخمس من العناقيد والعشر من الحبوب وعيدان الذرة. هذه المعلومات أكدها محدثنا محسن مبارك بن دُف من قبائل بن ماضي في وادي عمد (50 عاماً، طمحان).

وفي الخريبة والرباط (وادي دوعن) كان المزارعون يدفعون "مقابل الحراسة" للسيبان المراشدة ، قثم والسموح، وقد أشتكوا من فرض ضرائب ثلاثية :للدولة، وللقـبائل ، وللحراس من الفلاحين /267 ص311/. وكانت الحراسة الفلاحيه أو الحمايـة بالعصـي (سـلاح الضـعفاء)، تقـابل بالحراسـة القبلية "غير العادلة والاسـتبدادية". وفـي الرسالة التي كتبت بالشعر المسجوع (مقامة) يصور السيد طاهـر بن الحسين بن طاهر العلوي (مطلع القرن التاسع عشر) وبجلاء غطرسة وكـبرياء القبيلي الذي يعتبر أفراد قبيلته "رجال الدم" أما الفلاحين فــ "رجال زبل (فـرث)"، يتنحنح بصوت عال، ويتمخط بإصبعين، ويلبس أردية قصيرة وشريطاً أسـود من الصوف، على الرأس، يهين رب البيت، وأسرته والخدم، يأكل ويوزع المحصـول المحمـي، يجلـس متكئاً على عصا، واضعاً رجله اليمنى على ركبته

اليسرى، ولأي سبب يلامس السبابة بين الحاجبين وطرف الأنف، ويقسم بالوجه (الشرف) /267 ص 313 – 314، 318 – 320/.

ويمكن أن نرى في الشراحة المرحلة الأولية لتحول الأملاك الزراعية الخاصة إلى أرض محمية نسبياً /139 ص18/. وتتطابق حتى المفاهيم الإغريقية Pronoia والإيرانية Timar والعربية شراحة "الرعاية".

وهذه العملية لم ترتق كثيراً، ذلك لأن نظام الشراحة القسري، كما ذكره أنجرامس، قد تساوي بعادة الحظر في الانتفاع (رفقة، خرج)، التي تفرضها القبائل لوحدها على ممتلكات الحرثان أو المساكين، الواقعين تحت اضطهاد فرع قبلي آخر/273/. وإذا كان القبائل لا يقومون بمسؤولياتهم أمام ممثلي طبقاتهم، فإن الأخيرة كانت تستطيع دون اللجؤ إلى حكم، الإعلان عن منع بعض الأعمال للمتهمين تحت الوصاية: المستأجر لم يكن يملك الحق في أخذ الماء من البئر أو الجابية، البناءون في تشييد العمارة، والقوافل في اجتياز أراضي الجماعة القبلية الأولى...الخ. وكان الحظر الذي يفرض على الملكية الخاصة لأبناء المساكين يختص بحوانيتهم ومستودعات البضائع والمدينة بشكل عام. وبعد مرور بعض الوقت كان يمكن أن يلغى الحظر، ويحل الخلاف عن طريق وساطة السادة والمشائخ والمحاكم القبلية، وفي بعض الأحيان كان يؤدي إلى الاصطدام الحربي بين القبائل. وكان يعلن عن فرض وإلغاء الحظر ممثل مفوض من القبائل في مكان عام: "في الأول صلوا عليه، أي النبي صلى الله عليه وسلم وثانياً صلوا عليه، وثالثاً صلوا عليه! اسمعوا أحسن ! فلان أبن فلان ينادي البلد محظورة (البلد مرفوقة)" /273 ص 98/.

قام الممثلون الأمناء للقبائل (الدلال – الدلالين) بوظائف هامة غير مباشرة في اقتصاد حضرموت. ولم يسمح الاعتزاز القبلي للقبائل بالاشتغال في التجارة: كان القبيلي يمكن أن يكون جمّالاً أو أن يحرس القوافل، أما تجارة السوق فكان يقوم بها الدلالون. فقد كانوا يبتاعون الماشية من البدو ويشترون البضائع الضرورية للقبائل. الدلال السابق عبدالله سالم صعمر (حوالي 60 عاماً، حريضة) قال، أن عائلتهم – نصير – معروفة جيداً في كل أنحاء حضرموت، وقد جاءت إلى حريضة قبل نصف قرن خلي وحصلت على اسم صعمر. وكانت الأسواق الهامة في حضرموت الغربية هي قعوضة في وادي الكسر، وشبام في الوادي الرئيسي، والخريبة (التي يسميها هو دوعن) في وادي دوعن. وقد عمل صعمر مع قبائل الجعدة ونهد، وكان يحصل على ريال واحد كعمولة مقابل مائة ريال / تالير ماريا تريزا، ومقابل بيع الجمل 2%. وفي القطن برز الوسطاء آل باخميس. وكانت تأتي من الشمال البضائع، مثل القطن، الحصائر، زيت السمسم، العلف، الماشية. ومن المكلا كان يصل الشاهي، اللبن، السكر، الملابس. وكانت القوافل تسير إلى

الساحل من حريضة وعناق (وادي عمد). وقد وصل تعداد القافلة الأخيرة إلى 150 جملاً، وكان يعود ثلثها لقبائل بن شملان، الذين كانوا يأخذون مقابل حمولة الجمل الواحد - بهار (نحو 300 جنية) 25-60 ريال تالير ماريا تريزا. وكان يقوم بحماية القوافل ممثلو قبيلة السيبان، التي كان يمر في أراضيها الجزء الأكبر من الطرق. ويذكر بعض المتحدثين أنه عند تسوية حساب الدلالين كانت تستخدم الحوالات (صك - صكوك).

أن الأهمية الكبيرة بالنسبة للحياة الاقتصادية في حضرموت الغربية كانت تمثلها الزيارات، التي تصاحبها الأسواق (أنظر الجزء الأول الفصل1، الفقرة3 والجزء الثاني ، الفصل1، الاستخلاصات). وهاكم قائمة بالأهم منها، عندما كانت تتوقف الحروب والنزاعات الأهلية وتتنقل القوافل بالبضائع بأمان في البلاد:

1- نفحون (ضريح عمر بن حسين العطاس): 17 شعبان.
2- المشهد (علي بن حسن العطاس): 12 ربيع الأول).
3- قيدون (السيد بن عيسى العمودي): الجمعة الأخيرة من رجب.
4- صيف (شيخان بن أحمد): 10 ربيع الآخر.
5- بظة (معروف باجمال): 19 ذو الحجة.
6- العرسمة (عبدالله بن علوي مقيبل): الجمعة الثانية من رجب.
7- القرين (عمر بن عبد الرحمن البار):12 ربيع الأول.
8- الرباط (دحمان بن شيخان): 17 ربيع الآخر.
9- بالقرب من الرباط (أحمد بن عبدالقادر باعشن): 17 محرم.
10- بالقرب من معبر شتنته (عمر بن عبدالله باراس): اليوم الأول لنجم الدلو= الأول من أكتوبر.

الحرفيون، الذين يأتون إلى الزيارات مع منتوجاتهم، كانت لديهم إمكانية منتظمة للتعرف على بضائع زملائهم، ومناقشة قضايا المهنة، وفي بعض الأحيان وضع خط عام نسبياً للأسعار واستلام المواد الخام الأولية......الخ.

يذكر ك. لاندبرغ أنه حينما كان البائع والمشتري لا يرغبان في الإعلان عن قيمة الصفقة، فإنها كانت تتم "تحت الشال" أو "تحت الستار" (في عدن " الصفقة بالأيدي"/ 236 ص 333 - 336/: يقوم الدلال بضم يدي الزبائن تحت الشال، وتتم الصفقة بالأصابع- الإصبع الواحدة تعني وحدات (عشرات ، مئات): ونصف الإصبع - 0.5 ، والسلامية - 0.25 .

وكانت للوسيط أو السمسار علاقات واسعة ومعرفة وسيعة. وكان يتوقف في منزله القادمون بغرض التجارة. وكان الدلال يعتبر شخصية لا يعتدى عليها،

وكانــت إيماءته - تلويحة الثياب - توقف القتال. مع ذلك فإنه من حيث الوضع الاجتماعي كان ينتمي إلى فئات المجتمع الدنيا.

3- القوانين الإنسانية:

في المجتمعات التقليدية لا يمكن دائماً رسم حدود واضحة بين القيم الأخلاقية، الموجهــة إلــى عضو الجماعة الاجتماعية أو الفرد. والدين الإسلامي يتوجه إلى شخصــية كــل عضــو في جماعة المسلمين (الأمة) مقدراً أفعاله في هذه الحياة ويعده عليها الثواب بعد الموت.

وخلافــاً للســلوك الخارجــي الذي ينظمه الفقه، فإن مسائل العقيدة، واخلاق وضــمير المسلم قد رسمتها الشريعة، أي القرآن والسنة /186 ص 55/، والتي يمكن أن يضاف إليهما مفهوما الاجتهاد والقياس.

تسود في حضرموت القوانين الإسلامية كأحكام للمذهب الشافعي. ومن ميزته أكثر ممــا لــدى أي اتجــاه ديني آخر للسنة، غياب النموذج الواحد : حتى أن مؤســس المذهب محمد بن إدريس الشافعي قد أفصح في كثير من المسائل بآراء متضاربة /242 ص 4/. وغرست المدرسة بذرة مبدأين منطقيين:

1- استخلاص الأسس الشرعية (تخريج الوجوه)
2- الاجتهاد المطلق.

وفــي الجنوب العربي كان لها تأثيرها على المنظومة المتطورة للعرف والعادة /241 ص 6/. وكــان تأثــير العــرف الخاص محدداً جغرافياً واجتماعياً، أي أنه بالنسبة لحضرموت ولكل من طبقاتها على انفراد قد أقرت التقاليد الخاصة، ورغم أنــه لــم تستحسنها جميع الشخصيات الدينية، إلا أنه لم يلاحظ تضارب جاد بين فــروض الديــن وأحكــام العرف. وهذا لم يمنع الصوفيين والفقهاء، المحافظين والعصريين من اتهام نظرائهم باستمرار بالانحراف عن الإسلام الصحيح.

إن منظومة القيم الأخلاقية للحضارمة، قد بنيت على أسس، هي عامة بالنسبة للشــرق الأوسط، وقد كتبت عن ذلك بمقتضى الأخلاق العربية والسلوك الرمــزي [172، 174 ص 129 - 138] وبالنسبة لجنوب الجزيرة العربية فهي:

1- المروة (عنها أنظر /206 ص 71/.
2- القبولة
3- الدين، أي :

أ- خصوصــية الــرجل الحقيقــي (المروءة، رحابة الصدر، الشهامة، الجود، الاعتزاز بالذات، الأفضلية).

ب- الـولاء للقبـيلة (لمبادئ التعاون المتبادل والتبعية المتبادلة، والشرف الاجتماعي والقبلي)

ج- نظـام السلوك، الحائز على التقدير الديني. وكثير من أوضاع كل واحد من المبادئ الثلاثة تتعارض مع أحكام المبدأين الآخرين. وهنا يجري سردها تصـاعدياً: قواعـد من أجل الشخصية، إرشادات لعضو الجماعات الأسرية، العشائرية، فرائض للمؤمن من الجماعة الإسلامية، يتحمل مسؤولية تبعاتها شخصـياً. وبصرف النظر عن تحديد سلوك الشخصية في المجتمع التقليدي، فإن الأمر في نهاية المطاف مرتبط بالإنسان نفسه، وأي طريق يختار وكيف يتصرف وما هو المبدأ الذي يفضله.

وقـد تحدثـت مقالـة ب. ب بوغوريسـكي عـن بعض السلوكيات الدارجة للحضارمة (165). اماعن الفلكلور الشعري والرقص والغناء والكثير من القواعد التنظيمية والإنسانية فيتحدث الفصل القادم.

استخلاصات

أن العقـيدة أو الـنظرة للعالم، كما للترابط الكلي للحياة المتنوعة، تتشكل لدى الشخصـية مـنذ الطفولـة اماقي العملية الاجتماعية. وتنعكس القوانين المنظمة للنسب والزواج في المنظومة الحضرمية لمفاهيم النسب والسمات، التي تعبر عن نظام صلات النسب. والمنظومة المحلية أقرب إلى التقليدية العربية، لكنها حافظت على بعض المصطلحات العربية الجنوبية، على سبيل المثال واد (ولد).

وقد تعرضت مراسيم التحول للتوحيد الإسلامي في حضرموت الغربية أكثر مما فـي الشـرقية. والصـراع الـذي خاضه المحافظون والمجددون العصريون ضد الطقوس المكلفة والزائدة، قد بسط بعض العادات (خاصة الزواج) مبقياً في بعض الحالات إلى حد ما فقط على الحدود الدنيا للمراسيم الثابتة.

إن تحلـيل المعلومـات الاسـتبيانية يبين أنه بالنسبة لحضرموت، كما للوطن العربي، يتميز الزواج الداخلي وضمن ذلك غير قليل من الزواج الخارجي. وتؤكد المعطـيات المحلـية عن الأسر الأخوية الموحدة فرضية المؤلف عن أنه في هذا الشـكل مـن الأسـر ينبغي تتبع منابع أصل الزواج الخارجي. إن النسبة العالية للأسر المنفصلة (50.7%). كما أن تشكيل الأسر غير المكتملة (20.7%) يوضح الهجـرة الكبيرة للرجال القادرين على العمل، وهو ما ينعكس أيضاً على التركيب الجنسـي للسكان. وبالنسبة للكثير من الأسر (أكثر من سبعة أشخاص) فإن نسبة الـزواج داخـل جماعـة القرابة الأسرية كبيرة بشكل خاص (64.1%). ويعتبر الزواج الداخلي قاعدة، والاستثناء منه يرتبط بادعاءات البعل في أراضي الانسباء بالمصاهرة. ومرة أخرى تؤكد معالجة المعلومات الاستبيانية عدم صلاحية تناقض

أشكال الأسرة المنفصلة وغير المنفصلة، لأن ذلك كله مراحل مختلفة فقط للدورة الواحدة (الأسرة المنفصلة – الأبوية الموحدة – الأخوية الموحدة – المنفصلة).

إن القوانين المنظمة للملكية في حضرموت قد أسست على الترابط الذي لا ينفصم بين الأرض واستخدام المياه (كما في جميع الوطن العربي) والأدوار الخاصة للري بواسطة السيول، الذي يسمح بتنظيم العلاقات داخل الجماعة المتجاورة دون آلية قوة. وارتباطاً بذلك تبرز الوظائف الاجتماعية الخصوصية لحضرموت الغربية: الملم بالعادات ومنظم أعمال السقي (الخيَّال). أن الاحتياطات المائية المحدودة في غرب حضرموت وانعدام المواد الإضافية الدائمة قد جعلت دور الخيّال محايد سياسياً فهو لا يستطيع أن يغير نظام السقي، ويقوم بالتثبت فقط إلى أي مدى يوافق التطبيق العادة . والهيئة البيروقراطية عديمة الجدوى (اللجنة الزراعية)، ليست مسؤولة أمام المزارعين، وليس بمقدورها أن تحل محل الخيّال. وفي خارج المنطقة فإن الدور الاجتماعي المماثل للسقي بالسيول لم يظهر (على سبيل المثال، في القطن، حيث يسود السقي بالآبار).

كما أن اتجاه التكامل للجماعة المتجاورة قد جابهته القوة المركزية النابذة للأنظمة القبلية. ونظام الحماية بالقوة (الشراحة) المفروض على المزارعين من قبل القبائل، يمكن أن يحول الملكيات الخاصة للأرض إلى أراضي محفوظة نسبياً، وقد حالت دون ذلك وبعض العادات المحلية الأخرى (على سبيل المثال، الرفقة) الإجراءات التي وضعتها الإدارة البريطانية لنهاية العملية.

لقد رفعت الأسواق والتجارة أثناء الزيارات من مستوى بضاعة الاقتصاد الحضرمي. وكانت العلاقات الاقتصادية للقبائل (ولكل المجتمع)، في كثير من الأحوال، تحت إشراف الوسطاء – الدلالين – بين القبائل وسكان التجمعات الحرفية – التجارية.

إن مظاهر نظام الإنتاج الاجتماعي في حضرموت الغربية قد ذاب بدرجة كبيرة في الجوانب التنظيمية أو أجزاء منها بصورة غير كافية.

وما يميز العربية الجنوبية أن المنظومة المتطورة للعرف والعادات تتقايس في حضرموت مع المذهب الشافعي للإسلام. وقد قامت على أسس المبادئ العامة للشرق الأوسط، وهي تشكل مع التصحيح بالنسبة لمنطقتنا هكذا:

1- المروه 2- القبولة 3- الدين

الفصل الثاني

النقل وإعادة الإنتاج

التراث الروحي : النقل وإعادة الإنتاج

1- التقاليد الشفوية والمكتوبة

سبق الحديث عن ترابط التقاليد الشفوية والمكتوبة. وبالنسبة للحضارمة، حيث يشكل المتعلمون بينهم أقلية، فقد كانت التقاليد الشفوية هي الآلية الرئيسية لنقل وإعادة إنتاج الإرث الروحي، ومع ذلك فإنها لا تنفصل في الواقع عن المكتوبة. ومن الجلي تأثيرهما المتبادل في علم تدوين التاريخ، وعلم الفقه (اقتران التشريع الفقهي والعرف غير المقنن). وفي كثير من الجوانب القياسية الاجتماعية للثقافة (الجزء الثالث الفصل1 الفقرة 1-2). وتعود منابع ذلك التأثير المتبادل على الأرجح، إلى ذلك الزمن عندما كانت الكلمة الشفوية للإلهام والأنصاف تحتاج إلى صيغة ثابتة لحفظها كتابياً. وليس عبثاً أن المعاملات المتفق عليها حتى في الوسط البدوي في حضرموت تثبت ليس فقط شفوياً وإنما أيضاً بصورة مكتوبة " بينهم وصر ووثائق" (بينهم اتفاق كتابي).

والتجسيد لكلا التقليدين هو الشاعر الحضرمي. ويوجد أسلوبان لنظم الشعر: أدبي (حكمي) وشعبي (حميني)، أي مكتوب وشفوي، شعبي. وفي الواقع فإن أي شاعر في حضرموت، أتجه إلى الأسلوب الحكمي، لم يكتب بلغة أدبية نظيفة، واستخدم تراكيب الكلام وأشكال القواعد المبسطة الأقرب إلى اللهجة المحلية. وعلى وجه التقريب فإن جميع الشعراء المحليين قد زاوجوا في إبداعاتهم كلا الأسلوبين، ارتباطاً بالنوع. وقد حدد عبدالله بن محمد بن حامد السقاف، مؤلف "تاريخ الشعراء الحضارمة"، مهمته فقط بالشعر الأدبي، ولم يهتم تقريباً بالشعر الشعبي "بسبب ضيق محليته" /181م 1 ص 3/.

ينبغي أن يمتلك الشاعر موهبة البداهة (الارتجال)، والرد ببساطة على هجمات انداده في الحالة الشعرية، ويجب أن تكون ذاكرته واسعة ومدربه. وعلى أن تتواءم جميع سمات التقليد الشفوية هذه مع خبرات الكلمة المكتوبة. وحتى وأن كان الشاعر غير متعلماً، ففي اللقاءات الشعرية (جلسة ،سمر) يوجد دائماً الكاتب والملقن، الذي يلقن المغني النص الذي نظمه الشاعر للتو. وفي أثناء الارتجال يتعاظم للغاية الثقل النوعي للكليشة، الإطناب، الاستشهادات الواضحة والغامضة.

النص المرتجل المسموع، إما أن يلقيه المؤلف أو باسم المؤلف (الراوي، المغني). ومثل هذا النص يبنى دائماً مع الأخذ بالحسبان نتيجة المباغتة. وينبغي أن يضحك المستمعون للنكته، ويستحسنون بصوت عال الموعظة الأخلاقية، وتخمين جوقة الغناء للإمساك بالقافية.

2- الوظيفة الاجتماعية للشاعر

خلافاً للأدوار الاجتماعية، التي تمتلك في حضرموت رباطاً طبقياً واضحاً(الدلال، العازف على الآلات الموسيقية، الراقصة المشترحة)، فإن الشعراء يتواجدون في جميع الفئات الاجتماعية التقليدية من الأدنى إلى الأعلى.
يقدر الشاعر، بقدر ما تكون موهبته كبيرة ويوجد "الشاعر العظيم" ويوجد ببساطة "شاعر" كما أن هناك كذلك "شويعر". ويسمى نفسه تصغيراً ذلك الذي يقرض الشعر من حين إلى حين. وفي حضرموت لم يوضع حد وبصورة نهائية للعادة التي بموجبها تتحدث من خلال الشاعر أصوات- أما للشياطين (القرآن الكريم26: 221 – 224/ أو "الروح الأمين" القرآن الكريم 26: 193، 227). ولازال الشاعر يتنبأ ،أي أنه يعرف الماضي والحاضر [(166 ص 47 – 48، 33 ص 149].
أن مصدر الإلهام لقول الشعر، يتجسد في التقاليد العربية الجنوبية على هيئة الحليلة، آلهة الشعر المحلية. وزوجها المتجسد بالهاجس. واليه بالذات تتم الاستشهادات المألوفة في الأشعار الحضرمية: " يا هاجسي عهدي إلا بك بدى " (أنظر لاحقاء الفقرة3، رقم 3/31).
وكلا شخصيتي الإلهام تعتبران "شيطان الشعر" أما ما يتعلق بـ"الروح الأمين" فإن العادات لا تتحدث عنها. والكلمات التي يلقيها الشاعر تكون أحياناً مبهمة من حيث الفكرة، وغريبة من حيث الشكل، لكن لابد من إعطاء اهتمام لها، لأنها قد تحتوي على الفال. والفال هو موهبة وضوح الرؤية التي يتضمنها الشعر. ويمكن أن يمتلكها الشاعر بدرجة كبيرة أو صغيرة، وزيادة على ذلك فإن الفال يمكن أن يكون "جيداً" (التنبؤ بالسعادة والنجاح) و "سيئاً" (تكهنات غير مناسبة). وكانوا يتخوفون من الشعراء ذوي "الفال السيئ" ويتزلفون إليهم، ويمقتونهم كذلك. وكان المنقص واحد من الشعراء في حضرموت الغربية الذين تنبأوا بالحوادث غير السعيدة (الفقرة 3 الرقم 24).
ينبغي أن تمتلك كل جماعة قرابة أسرية شاعرها. ولا يمكن الاستغناء عنه في طقوس دورة الحياة (أنظر أعلاه، الفصل1 الفقرة1). وفي الزواج يستدعي عدد

من الشعراء، وخلال مبارياتهم ينتظر كل واحد من شاعره الكلمات الأكثر حدة وسرعة البديهة. ويمكن طلب الأشعار الجانبية، وأن كان هذا الأمر غير مريح دائماً.

وإلى اليوم لا زالت حية تقاليد الزامل وهو نص شعري قصير ومسجوع، يؤلف بمناسبة حدث خاص وتردده المجموعة بنغم (أنظر لاحقاً الفقرة3 الأرقام 19، 25، 26، 27، 35 – 37). وكان الشاعر ينظم الأغاني الخاصة بالزواج (الشبواني) القنص، أناشيد استسقاء المطر والعمل (على سبيل المثال، أناشيد النوره) (الفقرة3، 14).

وتؤدى الأغاني في الغالب بدون مصاحبة الآلات الموسيقية أو على أنغام المزمار (ناي مزدوج) ، المدروف (ناي بخمس فتحات)، ودف كبير وصغير، والطبول – الأفقي الكبير (حجير – حواجير) والأفقي المتوسط (مروس – مراوس)، والعمودي الصغير (مصدع – مصادع، مطرق – مطارق)، ويستخدم كذلك صنف الطبل العربي الفخاري الرنان، الدربوجة (إيقاع) (أنظر الرسم 27).

يبد أن مركز الفن الموسيقي يقع خارج حضرموت الغربية في سيئون والحوطة، وغيرهما من مدن الوادي الرئيسي، حيث يزدهر نوع الدان: يغني المنشدون الكلمات ذاتها التي يرتجلها الشعراء. والدان المشهور وجداني وعاطفي وساخر. وقد كرست لهذا الفن وللمبدعين فيه سعيد مبارك مرزوق ومستور حامد مؤلفات الباحثين المحليين /37، 26/.

وللشعر النسائي دوره الكبير في حضرموت. وفي الغرب تشتهر الشاعرة فاطمة العمودي، التي عاشت نحو أربعة قرون خلت في وادي عمد /183 ص 86/ وقد أعطى جعفر السقاف شعر المرأة مكانة هامة في دراسته عن الغناء والرقص الفلكلوري في حضرموت /183 ص14 – 15، 85 – 123/.

إن وظيفة الشاعر هي حفظ ونقل التقاليد: القيم الأخلاقية (فن الموعظة – النصائح). والمعارف المكتنزة (قصائد الفهرس)، والاعتزاز بالشعور القبلي والاجتماعي (فن الفخر "عزوة" وفن الهجاء). (أنظر لاحقاً نماذج هذه الفنون، عدا قصائد الفهرس، الفقر3).

والشاعر محفز ومنظم للخلافات الاجتماعية . وكانت معرفة أهم الأشكال الشعرية الرئيسية ومهارات الإبداع الشعري ضرورية للنجاح في تحقيق الكثير من الأدوار الاجتماعية.

3- نماذج من الفلكلور الشعري*

1- أبو عامر

رقم (1)	
1-	قال أبو عامر رفيع النفس ماجي للربيع
2-	ماجي مرة صاحب ولا خون الأمانة في الوضيع
3-	والله ثم والله ورب العرش واللي حل البقيع[1]
4-	إنها تلاوجنا وإني كما ون الوجيع
5-	لا طاعت الحرمة فالرجال يغلب ما يطيع

رقم (2)	
1-	قال أبو عامر في أني ما بيدي تمنيت شر
2-	ألا نهار الصلخبي[2] ياريت بو عامر حضر
3-	يحضر بكدر الرأس[3] والآرمح ما قرى بشر

رقم (3)	
1-	يقول أبو عامر خيار العلم قولت ما دريت
2-	أن شفت شيء ما قول شي
3-	وأن حد حكا لي ما حكيت

رقم (4)	
1-	يقول أبو عامر ناشدتوني ولا عندي صفات
2-	ما ينقطع رزق حي
3-	سوى من تجدد كفنه ومات

---

*التزمت في ترجمة النصوص الفلوكلورية كما وردت تعابيرها بالرموز الصوتية باللغة الانجليزية وهي التي استند عليها المؤلف (المترجم)

[1] كنية المدينة المنورة، أي أن الشاعر يقسم بالنبي محمد (ص).

[2] معركة عند قرية في وادي الكسر حيث قتل أحد أقرباء الشاعر.

[3] استعارة ثابتة لمقبض الجنبية.

رقم (5)	
يقول أبو عامر من العواء إلى السماك[1]	-1
ما تسمع الداعي من المناك[2]	-2

الشرح:

ينسب هذا الشعر إلى الشاعر الأسطوري أبو عامر، الذي ينحدر حسب التقاليد المحلية من قبيلة بني هلال، ويسمى موطنه هينن (وادي الكسر)، ويعتقد أنه عاش منذ أكثر من ألف عام خلت، وكقاعدة عامة لا يورد المهتمون بالأدب العربي أية معلومات عن السيرة الذاتية لهذا الشاعر [252 ص 373، 175 ص 38]. ولذلك فإن الإشارات النادرة عن المسائل الحياتية (النص رقم 2) تستحق الاهتمام. النص رقم (3) مشهور جداً في حضرموت. والنص رقم (4) موعظة أبي عامر ترتبط بإحدى الهيصميات (نهاية القرن 18م)، التي أوصت بأرضها بالقرب من شبام "لأولئك الذين انقطعت بهم سبل الحياة". وقد ضمت قطعة أرض الهيصمية إلى المقبرة التي تقع غرب المدينة. والنص رقم (5) أحد الأبيات الزراعية الكثيرة التي يُدعى مؤلفها أبو عامر، الحميد ولد منصور (أنظر لاحقاً) أو الشاعر علي بن زايد شمال اليمن [3 ص 19 – 21].

2- الحميد ولد منصور

رقم (6)	
قال الحميد ولد منصور ما في الكسل شي نفاعه	-1
إن الكسل يورث الهم والجوع في كل ساعة	-2
بداع في أثنين حراج وعبد ملوي ذراعه	-3
وإلا جمالات تهدر فجعتها كل ساعة	-4
وإلا لقى فرقة الضان الأ سمن كبش باعه	-5
وإلا لقي حرمه أصيلة تجوعه في الشباعه	-6
وتقول هذا لذحين وذاك يقعد لساعة	-7

---

[1] يقصد بداية موسم الحر 2-14 أبريل (عواء) 15 – 17 أبريل (سماك).

[2] مناك: عقدة الري (أنظر الجزء الثاني الفصل الأول الفقرة 1).

رقم (7)	
1-	قال الحميد ولد منصور الفقر ضياع لنساب
2-	أمسيت من فقر ليلة زاني وسارق وكذاب
رقم (8)	
1-	قال الحميد ولد منصور شو بور لهلي محله
2-	غادرت لاقرية الرداع من شأن قومي مذلة
رقم (9)	
1-	قال الحميد ولد منصور يا ماطري من كناني
2-	سلمت من حيث أنا خيف وقتلت من حيث أماني
رقم (10)*	
1-	قال الحميد ولد منصور الموت في غرغري دار
2-	بعدي كيف تلقون في الضيف والصهر والجار
3-	للضيف نذبح ونقدح نلقي من حيث يختار
4-	والصهر منا ولينا قسيم في المال والدار
5-	والجار يخطى علينا ليس نخطي عل الجار

التعليق

من النصوص الخمسة التي أوردناها ثلاثة منها (أرقام 10.9.6) تتشابه للغاية مع أشعار علي بن زايد من شمال اليمن/3 ص66/: رقم (6) تتطابق جزئياً

---

*يروي هذا المقطع بطريقة مختلفة بعض الشيء على النحو التالي:

1- يقول الحميد ولد منصور الموت في مسمعي دار
2- وكيف تلقون بعدي بالضيف والصهر والجار
3- الجار لا اخطأ علينا فليس نخطي على الجار
4- وللضيف نذبح ونقدح والصهر له قسم في الدار

وقافية مشتركة مع الرقم 164[1] (وفقاً لمؤلف أ. أغاريشيف) والرقم (9) قريب من الرقم 88[2]، والرقم (10) يتقارب مع رقم 155[3]/3 ص89 ،120، 77، 108، 87، 21، 24/. والنص رقم (7) حيث التأكيد أن الفقر يؤدي إلى فقدان الشرف، يتجاوب مع الأبيات التي يتجادل فيها الحميد مع علي ابن زايد، مصراً على أن المال خير من الجاه /3 ص 85/.

وتصور التقاليد اليمنية الشمالية الحميد ابن منصور (الحميد ولد منصور) كمعاصر ومنافس لعلي ابن زايد، وتذكر مكان وفاته قرية المغرب، الواقعة إلى الشمال من صنعاء. كتب أغاريشيف: يذكر اسم ابن منصور مراراً في الأشعار وكأنه كما يدعون شخصية موجودة في الواقع. وقد روى المتحدثون أن الحميد ابن منصور كان صديقاً لعلي بن زايد وشاعراً أيضاً. وقد خاض الصديقان جدلاً لا نهاية له. وإحدى الرباعيات (رقم 103)" رثاء في وفاة الحميد ابن منصور" /3 ص 21 – 22/. ويعتقد جامع الأشعار أنهما عاشا ،على الأرجح ،في النصف الأول من القرن السادي عشر الميلادي/3 ص 41/.

وفي التقاليد الحضرمية لاوجود لرأي موحد عن زمن حياة وأصل الحميد ولد منصور/252 ص 50/. وفي هذا الصدد يقول علي بن أحمد العطاس أن الشاعر ينتمي إلى بني سهل أو بني سعد من بني هلال، الذين اشتهروا منذ القدم بشعرائهم، وقد عاش في القرن الرابع عشر الميلادي، فيما يؤكد بوبشر أن الشاعر كان من عشيرة باجُرى، وكان زمن حياته أواسط القرن الثامن عشر الميلادي. ومن النص رقم (8) يمكن الاستنتاج أن بور في حضرموت كانت موطن الشاعر.ويجمع المتحدثون على أن تلك هي (بور الشرقية) أي القرية الواقعة في الوادي الرئيسي بين مدينتي تريم وسيئون. وفيما بعد أنتقل الشاعر إلى رداع في شمال اليمن، من جراء إذلال الأقرباء. وعن أسباب هذا الإذلال تورد

---

[1] لتعميم الفائدة أورد نصوص علي ابن زايد :ما يجير الفقر جابر/ غير البقر والزراعة وإلا الجمال ذي تسافر تقبل بكل البضاعة/ والآمرة من قبيلي/ فيها الورع والقناعة/ تدبر الوقت كله – كأنه معاها وداعه / تجيعنا حين نشبع /والشبع وقت المجاعة.

[2] يقول علي بن زايد: يا حيرتي من زماني /أمنت من حيث ما أخاف /وخفت من حيث أماني.

[3] يقول علي بن زايد:

كيف شرعكم يا أهل عمار	في الصهر والخال والجار
للصهر ميزه ومقـــدار	والخـــال في عالي الدار
والجار يخطـــى علينا	وليس نخطي على الجـار
ولو قتل خيرة العـــول	وخير العــــول جسّار

(المترجم)

إيماءات في النص رقم (9)(للمقارنة، أغارشيف، رقم88، 21)*: يعتقد المتحدثون أن الباعث لذلك هو حمل أبنة الشاعر غير المتزوجة. ولا يزيد عدد النتاجات المنسوبة إلى الحميد أو المتبقية في التقاليد الشفوية في حضرموت الغربية عن بضع عشرات من الأشعار القصيرة.

والحميد أبن منصور أكثر شهرة في شمال اليمن، من علي بن زايد في حضرموت: لم يستطيع أحد من الذين تحدثوا إلينا أن يتلو من الذاكرة أشعار الأخير، ولم يكن حتى أسمه معروفاً للغالبية. وبصرف النظر عن ذلك فإن أشعار الحميد وعلي بن زايد تتمتع بوحدة ملحوظة وترتقي على الأرجح إلى مصدر عام. ويظل السؤال مطروحاً حول صفتهما الجوهرية. وكما يحدث دائماً في شعر الجنوب العربي، كلما كانت الأشعار الشفوية شائعة أكثر كلما كانت شخصية مؤلفها الشكلي نسبية أكثر ورابطة النصوص أكثر ضعفاً بالنسبة إلى الشخصية المحددة. وعلى أية حال فإن "ثنائية التأليف" للنماذج المشهورة من التقاليد الشعرية الشفوية الواردة أعلاه، تؤكد مرة أخرى وجود روابط ثقافية قوية بين حضرموت وشمال اليمن.

وقد طرح أدباء وكتاب اليمن المشكلة حول نسب أشعار الحميد (علي بن زايد) [19ص73 – 84]، وأشار عبدالله البردوني أن كلا الشاعرين كحقيقة قد وجدا موضحاً أن الثنائية المتماثلة في إبداعهما من أخطاء الناقلين [1ص14].

3- علي بن حسن العطاس

رقم (11)

(قصيدة رقم 1)

يا معرب الصوت مثل الصوت صوتك مليح	1
نغمتك حلوة ونطقك من لسانك فصيح	
والصوت لا طابق المعنا دوا للجريح	
وأن ما توافق غدا مثل العسل في سفيح	
ما حبّنا للغنا وذي دوامة ذليح	5
أذكر به أذكار فيها أفكار معنى رويح	

*رقم 88 سبق إيراد النص أما رقم 21 فيقول:

حامي حميد أبن منصور
يحتاج من الناس حامي (المترجم).

	يوم الندا من قدا المبدأ لنا بالصريح
	ما همنا بهجة الدنيا الغرور القبيح
	ذي ما تساوى جملها للبعوضة جنيح
10	والزين والشين كلن من جفاها يصيح
	ومن غبطه لقيته قيم يضبح ضبيح
	على المزاهد مجاهد مثل شاه الرضيح
	وتاليتها محاشر والمحاشر تسبيح
	والمال قد مال وأهله في المقابر سبيح
15	ما هي على شيئ ولا من يتجرها ربيح
	فقل لمن خل في قولي بعنقه مشيح
	أين الذي ثور الغيوار ذي هو فسيح
	بناه بالجص والياجور ينقح نقيح
	وألقا مباني قوية في قواها رقيح
20	تحيّر القلب لقلب حين فيها يميح
	يا حصن ريبون خبرنا بعلم الصحيح
	هات اعطنا علم سكانك لقلبي يريح
	قال اعتلانا من السكان كم من صبيح
	وقوم نذاخ ما هو في المعاني شحيح
25	أهل السلب والنسب والديولة والنقيح
	والخيل والرجل صيح الحرب دوبه يصيح
	وكم حسينة جمال الزين فيها وضيح
	اعيانها تقتل الناظر ويسمى طريح
	من طيبها المسك والكافور ينفح نفيح
30	وعادنا اعلمك ياسيّد عليّ بالصحيح
	عن عاد ذي عادوا الله وأدبروا بالنصيح
	كفروا بنعمته وأهلكم بصرصر وريح
	وأرسل عليهم رياح النار تلفح لفيح
	قامت عليهم قيامة في غبيها تفيح
35	راحوا فجا قط ما واحد قبر في ضريح
	في وقت قادم يعيد العد فيه سبيح
	من قبل صالح وموسى والخضر والمسيح

ذا علمهم قد شرحنا لك بيانه شريح	
وأنظر إلى اثارهم ذي ما عليهم مديح	
من سوح سدبة إلى الهجرين فيها تسيح	40
كم ذا تفاصيل في المغنى وكم ذا قديح	
زغرت عليّ القوافي موجها له لديح	
من بحر طامى على سيفه جواهر جديح	
تذكير للمعتبر والمذكر والسنيح	
والسر مكنون ياساجي النظر مايبيح	45

رقم (12)

(قصيدة رقم 2)

يا ناس من سار في ريبون شاف العجب	1
فيها مباني قوية من نظرها اشتغب	
وأكثر إليها النظر واربع وثلث وغب	
والحاصل أنه يحيرك أمرهم في طرب	
على الحجر يقطعونه مثل قطع الكرب	5
حكّمه بانيهم الصانع وفيه الشلب	
أما نقش فيه وإلا قط وإلا كتب	
حقيق ذولاك ما يقتلهم إلا غضب	
كم سرت في الأرض ماشي مثلهم في الترب	
وظني أنها مدينة الأرض في ذا الجنب	10
شبام شارع ودونه سوقها والخبب	
أن يبرها عشرة أذرع ذي حفرها نقب	
وحصنها حيد شامخ في وسطها انتصب	
قلبي وحل كيف مبناه القوى اخترب	
سبحانه رب البرايا خير مالك ورب	15
سبحانه المبدي المعدم ومحي التراب	
قد صب مخلوق من بزقه بقدرته صب	
والآن أنا مفتكر عندي بوادي شغب	
قلبي يخاطب لسان الحال حلو الحطب	
وينشد أنشاد منها من نجب	20
ويعتني في عناها من تقرب وحب	

يا حصن ريبون خبرنا بعلم العرب	
وهات لي من عجايب وقسّهم ذي عزب	
ذي خيموا فيك يوم الديولة والطنب	
وكيف حاذقهم الشيبة ومن كان شب	25
وراعي السرج والشاوي ومولا القتب	
واهل القناصات ذي هم يتبعون الغنب	
واهل الحراثات بالثيران صفر العصب	
كم رأس فيهم بعيد النو ما هو ذنب	
يسخا بماله ويرقا عاليات الرتب	30
والبيض ذي كنهن بين المباني قلب	
ملاح لوصاف ما يوجد كما هن ولب	
غوالي الوصل كم عاشق تلف وانقطب	
كيف الخبر في هليكتهم وكيف السبب	
قال أنهم عمروا الدنيا بطول الرغب	35
وفاش فيها خصيب الخصب والخير شب	
وجاهم الناصح الداعي إلى الله ولب	
عصوه وأقصوه وألقوا فيه فعل العطب	
عاقبهم الله بصرصر قطعتهم خبب	
كم حصن عالي تدامر فوقهم وانتكب	40
صلم البنا كامل القوة وفيه الورب	
كم كابدوا في حكم بينانها من نصب	
أمست خرابة كما ربّك كتب	
من شافها في ظلال الليل منها هرب	
كم ذا عبرات في الدنيا وكم ذا عجب	45

التعليق:

السـيد علي بن حسن بن عبدالله بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن العطاس (1122هـــ/ 1710م - 1172هـــ/ 1758م)، مؤسـس الحوطـة المقدسة إلى الشـمال مـن وادي دوعـن، ومعروف كشاعر [252 ص 65]. وكنت في العام 1983م قـد سـمعت قصـيدتيه، التي تصفان أطلال وخرائب ريبون القديمة، من خلفــه علي بن أحمد بن حسن العطاس منصب حريضة في وادي عمد، أي القائم

علـــى رعايـــة الحوطة، التي شيدها هناك في مطلع القرن السابع عشر جدٌّ الجد عمـــر بن عبد الرحمن. وكانت النصوص قد قورنت بالمخطوطات المحفوظة لدى أسرة المنصب [8،ل، 5 – 9] (النسخة رقم 1302/ 84 – 1885م).

وتفسيراً للشعر عن الزيارة للمشهد تحدث منصب حريضة والقائم على حوطة المشـــهد ذاتـــه – علي بن عبدالله العطاس (العمر – أكثر من 70 عاماً)، وكانت الأحاديـــث مع الأخير قد تواصلت خلال موسم 1985م. وقدم لنا المساعدة الكبيرة عـــند ترجمة قصائد مؤسس المشهد، وبشكل عام عند جمع مواد التقاليد الشعرية فـــي حضـــرموت الغربية، عبد العزيز جعفر بن عقيل ، باحث في المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف.

مـــن الوهلـــة الأولـــى فإن كلا القصيدتين المكرستين لريبون تقليديتان تماماً. وبغـــض الـــنظر عن اللهجة المحلية، فإنهما ينتميان إلى التقاليد الأدبية المكتوبة ويـــتطرقان لموضـــوع معروف جيداً في الشعر العربي، التفكير بعدم جدوى حياة الدنـــيا الباطلة، التي تبدو لعابر السبيل من خلال مناظر خرائب البنايات الضخمة فـــي الأزمنة الغابرة. ومع ذلك فإن شاعرنا، وبعيداً عن التمارين الأدبية الشكلية، يتتبع هدفاً محدداً.

إن أوصاف أطلال المدينة على قلتها الملحوظة (القصيدة الأولى: الأسطر 17– 19، 39 – 40، القصـــيدة الثانية: الأسطر 1 – 14، 40 – 44).تشير إلى حجم البـــئر في الأذرع (2: 22) والتخوم التقريبية لمجموعة البلدات الريفية من سدبة (قـــرية إلـــى الجـــنوب الشرقي لوادي الكسر، سميت على خارطه فون ويسمان "الـــبلد")، إلى الهجرين (بلدة كبيرة إلى الجنوب من سدبة في وادي دوعـــــــن (1: 40). ويذكر في الشعر الغيوار (1: 17) الجبل القريب من المشهد – ويعتبر هنا مرادفاً لريبون.

وتـــتحدث القصيدتان كثيراً عن التركيب الاجتماعي للسكان في ريبون (1: 23 – 29، 22.2 – 23)، وذلـــك بمفاهـــيم معروفة لمعاصري الشاعر. الغريب بعض الشـــيئ لأول وهلة، الشعر عن القناصين (27.2) وربما لإيضاح الطريقة القديمة للقنص: مطاردة الظباء حتى تضعف وتستلقي على الأرض (265 ص 2).

وفـــي تصـــويره العواقب الوخيمة التي تلحق بأولئك الذين يخالفون إرادة الله، يتجه مؤسس المشهد بوضوح إلى سكان البلدات المجاورة. وينبغي أن تقي أطلال المديـــنة الزاهـــرة فـــي الزمـــن الغابر، الواقعة بجانب الحوطة الجديدة، السكان المحليـــين من وساوس الإخلال بوضعها المقدس. وتخدم القصيدتان ذلك الهدف: أعطاء الشكل القديم مضموناً جديداً.

واستناداً إلى القصص الأسرية قال منصب حريضة: " وجه أهل علي بن حسن إلـيه سؤالاً: لماذا تريد ان تسكن في المشهد رغم أنه لا حياة فيه؟ فأجاب : أنني مثل نبي الله جدي إبراهيم (إذ قال) : ربي انني نزلت بوادٍ غير ذي زرع".

رقم (13)

وقال بعد أنني ما أسست هذا المكان إلاّ لخمس خصال
1- سقي العطاشا وسله للمنقطعين.
2- وأمان الخائفين والعون للمحسنين.
3- والعون للمسلمين.

رقم (14)

وقال:
1- علي بن حسين حوط الغيوار وأمسى المزار.
2- وأمسيت يالجاهي جنة بعد ما كنت نار.
3- حلوك لخيار والقوا في في عروضك ديار.
4- والحوض والسقاية حيث كان المغار.
5- والسوق تدخله البضائع بالبخار.

رقم (15):

وأضـاف علـي ابـن عبدالله العطاس قائلاً: كل عام كان علي بن حسن يقرأ الدعـاء فـي يوم مولد محمد (ﷺ). وقد أعطى لكل قبيلة مكاناً في المشهد، وأخذ هذا يزدهر وقال حول ذلك:
1- وقفة الخير كم للناس فيها مجاني.
2- حد يجيها وحد من عمان.
3- تجتمع فيها الأولياء.
4- وأهل الكتب والمغاني.

رقم (16):

وأيضاً:

1- مشهد علي بحره يلاطم
2- يا بخت من زار مبانيه
3- زوار من صنعاء ومأرب
4- واتهشلت كم من مطيه.

يواصل منصب حريضة حديثه: "تبدأ الزيارة في المشهد في الثاني عشر من ربيع الأول وتتواصل لمدة أربعة أيام، إلى الخامس عشر منه. وخلال عشرين يوماً قبل الزيارة يتم البدء بملء خزانات المياه. وفور بدء الزيارة يُفتح الماء ويتبركون به. ويتلو المنصب من القرآن الكريم سورة (يس) وشعراً عن إخلاف الرسول (ﷺ) مع بركة عمر بن عبد الرحمن. وفي يوم الثالث عشر يقام الاحتفال المهيب في المشهد بركوب الخيل. وتدخل كل قبيلة بنظام محدد إلى المشهد. ويسري خلال هذه الفترة السلام بين القبائل. وبغرض التجارة يأتون من أراضي (قبيلة) العوالق ومن صنعاء. وكان يجتمع هناك إلى نحو ألفي جمل. وتستمر الزيارة أربعة أيام، وأما الأماسي فأوقات حرة: أن تريد الصلاة أو تريد الرقص. ويقال "للراقص نصيب كما للعابد". وكان الموكب السامي يتألف من ثلاثة عشر حصاناً، ولكل مجموعة من السادة أعلام وألوان خاصة.

ولقد كتب الكثير عن زيارة المشهد في المؤلفات الأوربية /209 ص 28 – 30/. وإذا كانت هذه الاحتفالات في الماضي تبرز بوضوح التقسيم الاجتماعي التقليدي، الذي ميز حضرموت القديمة، فإن الزيارة تجري في الوقت الراهن بتواضع جم دون وضع حدود بين الجماعات التقليدية. ويكون المشهد أيضاً غير مأهول تقريباً في الفترة الفاصلة بين الزيارات.

5- بوعلي سالم بن جبران

رقم (17):

1-	يقول بن جبران: ذا القفل[1] سدك وعاد الدار
2-	والبعد قربنا ميوحه
3-	والقبوله ما طعمها إلا قار
4-	ماشي مصلح من جبوحه

[1]– القفل : احدى حارات القزه (الجزء الثاني الفصل 2 الفقرة 1)

رقم (18):

-1	اليوم يوم العيد
-2	عيد عند من
-3	يوم المخالص باتقع
-4	فوق التفال
-5	ولعاد باتكلم ولا باقول شيئ
-6	لما تشوف الشهر في القبله هلال

التعليق:

المؤلف – شاعر من قبيلة البطاطي، مشهور في القزة (الرافد الغربي لوادي دوعن)، عاش "قبل أكثر من مئه عام خلت". والكلام عن الخصومة القبلية (يستخدم هنا بهذا المعنى "قبوله" ويمكن أن يعني في سياق الأحاديث الأخرى الاعتزاز القبلي، أنظر الجزء الثالث الفصل1 الفقرة 3) يتكرر غالباً في حضرموت الغربية، وهذا إطناب. والمرارة – مرادف للموت. والنص رقم (18) كما يوضح المتحدثون نظم حينما استدعى الشاعر إلى زفاف، ولم تكن لديه النقود لشراء هدية للعريس، والبيت الخامس – صيغة دائمة.

5- غانم الحكيمي

رقم (19):

هذه قصيدة غانم الحكيمي، وغانم الحكيمي ماله جد ولا له صلة لابنهد ولا بآل كثير ولا بيافع ولا له شيء بالقبيلة ولا بآل مرة الجعدي ولا بسيبان ما سوى قبيلي لحالة عامد ميح وسألوه أنت من فين في الزامل فقال:

-1	أنا الحكيمي بن سبأ بن سام
-2	وننسب لنوح بن شالح
-3	ما نكسب الآ من علوق الشام
-4	سارح وضاوي ومحله ميح

رقم (20):

أ- يقول غانم الحكيمي:

1-	يا منيظرة مني خذي لش ما سمح
2-	ماشي من الشجري تقاديم العزيز
3-	ما سوى المنقص في زيارش بايتي
4-	والحاس والدرديل والبرد الهزيز

ب- ورد سالم سعيد بلفخر

1-	يا غانم إن قدمت شيئ باتلحقه
2-	ماشي سوى منك تنافيح المزيز
3-	شيباننا قد خبروا شيبانكم
4-	ما بيننا إلا صناعة لإنجليز

التعليق

أن أشعار غانم الحكيمي الذي كان "قبيلة لوحده" وعاش في ميح (هكذا تسمى القرية في الرافد الغربي لوادي دوعن، وتحمل نفس الاسم أيضاً) وهي مشهورة جيداً في حضرموت الغربية. ويوجد شعر النسب إلى سبأ وسام ونوح في مؤلف لاندبرغر/ 236 ص 461، الملاحظة رقم 2/. والأوصاف المهمة لأنواع السلاح (رقم19 السطر 3، ورقم (20) ب السطر 4) وقد تم إيراد نموذجين فقط من الآثار الكثيرة التي كتبها غانم.

6-القانص

رقم (21)

في وقت بناء الحصن الذي في رأس جبل قعوضه قالوا مادام نبني إلا ما تجيب قصيدة يا قانص وقال:

1-	جرّوا حصا جبلي لحصن أهل السلب
2-	لاجل المعلم با يحكم ساسه
3-	الميد لا ثارت نشور الفتن
4-	تسمع كما نقيح الطوس من رأسه

التعليق

عــاش الشاعر، الملقب بالقانص، أي قانص الصيد علي محمد بن عجاج من النهديين، في مطلع قرننا العشرين في خور القانص (وادي الكسر)، ويتردد شعره حتى اليوم. وقد قرض الشعر على شرف السادة آل العطاس، وقصائد في القنص.

7- المنقص

رقم (22):

مــن أقوال المنقص شاعر بن عجران صاحب خريخر بالهجرين وخريخر يقال له الجحي الزوير[1] وقال:

1-	عامد بالجحي الزوير مانا بحد
2-	ملقي مراتيج السماء في عرضها
3-	لسفل ولعلى وهو مولى الموسطة[2]
4-	وصلي السنّه وصلي فرضها

رقم (23):

وبعد أصبحوا العوائب عليهم على خريخر ودخلوا الوجر[3] وهجم العواجر عند المغـرب مــا خلاهم بن عجران يخرجون انكسروا ومنهم ميه وخمسين العوابث وبعد دخلوا المصلحين بينهم وخرجوا العوابث وقال المنقص:

1-	با جور[4] صبح بالحديد الضيق
2-	ما يحسب أن الوجر معبر الصراط[5]
3-	أنا مع اللي ينحزون الصيعري
4-	ويرعضون السيل في أيام القناط

---

[1] الجحي الزوير – ليس خريخر، وإنما جزء من قرية تحوله بين الهجرين وخريخر.
[2] الموسطة حارة بجانب الجحي الزوير.
[3] الحدود القبلية لبني محفوظ.
[4] قائد المهاجمين.
[5]جسر في الجنة.

رقم (24):

واحد من العمودي كان بطال ويبطل عليهم وقال بانجرب وبا نرسل قصيدة للمنقص وأن شي خبر وفال حقه وأرسل واحد تحت دار المنقص مع أقوال:

1-	يا نوب زنجي عامد الحيد لبرق
2-	ترعى عطوف الناس بالغصبي
3-	لا نالوا المعلم ولا هو لي فرق
4-	عامر عرك من فوقهم محبي

المنقص فهم القصيدة وقال:

1-	الطير لخضر بايجيب بالميده
2-	والدّار والعاث تجيبة بالدوام
3-	لا ميل ما تمشي جبوحه حالية
4-	الباطل ماله تاليه هو والحرام

التعليق

أن لقب الشاعر المنقص (تصغير النقاص) مرتبط بـ "فاله السلبي" والقدرة على التنبؤ بالنحس (النص رقم 24). وبن عجران - فرع قبيلة بني محفوظ، وليس هناك أية معلومات أخرى عن الشاعر.

8- الوزير المحضار والقبائل

رقم (25):

عندما قام حسين بن حامد المحضار وزير الدولة القعيطية بالصلح ما بين قبائل روضان (من نهد)، الذين كانوا في حرب، وقد استقبلوه بالزامل، وقال المحضار:

- أ -

1-	اليوم يوم السعد والبخت القوي
2-	اليوم يوم الخضر والياس[1] حوم بالجناح
3-	إذا صلح رأي الحكم هو الحكم
4-	كل ما تعوج بايردونه سماح

[1] من ذوي الكرامات لدى المسلمين.

– ب –

وقال شاعر من بن ثابت - علي بن صالح بن مُقيزح:

1-	حيا وسهلا بالرفيع المنزلة
2-	اللي قد تعلى ظهر بنت حصانها
3-	دعوى الحكم ما بايقع شيئ سدها
4-	لا سارت البُزّل على قتبانها

– ج –

وقال:

1-	حيا وسهلا ولد علوي
2-	ما صعيب إلا اللي تقوله
3-	باب قالوا تقفل
4-	والخير فتحنا قفوله

– د –

وقال:

1-	واجب على الصاحب يراعي صاحبه
2-	وإلا المخوة قد قلدنا بابها
3-	يوم الحمى[1] طلعت على كف القديم
4-	أنا تكفا شرها وأسبابها

رقم(26):

وقع زامل في القزة. آل محفوظ من الهجرين (بالضبط، من خريخر) يطالبون القزة. وأهل القزة من آل البطاطي دافعوا. وقال واحد من آل البطاطي:

– أ –

1-	أغفر لجدي اللي لقى لي منزله
2-	لقى لي حيث العوُل يطرح له عيال
3-	لقى في كل منيعة عالية
4-	باروتها من فوقها ملقي ظلال

[1] بداية النزاع، الذي ينبغي أن يضع الحكماء حلول مشتركة له.

– ب –

وقال السيد حسين المحضار وزير القعيطي:

1-	يا كافر اسلم جاك سيدنا علي
2-	هذاك با يقرأ لكم قصص تميم
3-	احنا السفينه من طلع فيها نجي
4-	ومن يخالف يبقى للنار الجحيم

رقم (27):

وقـع زامـل بين قبائل روضان. ودخل شيخ كبير في السن، عوض باشميل شاعر من وادي رخية وقال:

1-	الأرض رشنت نارها من شقها
2-	والهطل تحت الجزل والكزاز قيم
3-	عسى كريم الوجه يبرد حرها
4-	تؤخذ ثمان أيام في رحمة وديم

التعليق:

حـول النشـاط السلمي للوزير المحضار، الذي بلغ ذروته في عشرينات قرننا [175 ص 31]، وعـن الصـراع من أجل القزة، (أنظر الجزء الثاني، الفصل 2، الفقـرة 3) والتذكـير بمصـير قبيلة تميم (رقم 26 – ب/2) والتهديد، كأنتفاضة القـبائل كانـت الإدارة السلاطينية تواجهه بالقوة. وفي الزامل رقم (27) لشاعر وادي رخـية (إلى الغرب من حضرموت الغربية) يجري الحديث عن إبادة النخيل بغاز "الكيروسين" (النص27 / 2).

9- سيد باموسى

رقم (28):

سيد باموسى قال:

1-	لاجيت با ماري صحابي
2-	ماشي معي بيرق وقبة
3-	إحنا على دين الشريعة
4-	والكافر إلا باوربه

10- الشبير بايعشوت ونظراوه

رقم (29):

الشـبير بـا يعشوت طلع خوه إلى جاوه وحصل عنده ضيافة وقال إن محلب بصيص خير من ذا كله وقال (الشبير):

1-	ماردك من أراضيك إلى باتعهد
2-	عينك الله عالغبّة وعا الجول السود
3-	جول كفري حصاه مجهمد
4-	باتصل لارض بايجونك
5-	حد عمامة على رأسه وحد رأسه أكرد
6-	يا عذابك إلا أمسى وزيد عاده أبرد
7-	يغبطونك على شاتك وعاشد
8-	والمره نافشه وإلا شعرها معقد
9-	أمنّا البارة كل من سرح منها رد
10-	فيها السفرجل وفيها العيش بارد مبرّد
11-	والسرج راشنه في كل قلبي توقد

رقم (30):

رسل أحمد بن علي بن جنيد قصيدة لشبير من صولة

1-	الجنيد طلبتك يا قوي
2-	يا مالك الملك سالك يا متين
3-	تغفر ذنوبي وتمحا زلتي
4-	وتصلح أعمالنا دنيا ودين
5-	وألفي صلاتي على ذكر البني
6-	المصطفى لي شفيع للمحسنين
7-	وبعد قم يالمعنى شدّ لي
8-	في ظهر صاهل من المربط سنين
9-	محجل أربع في الصندل ربي
10-	تسمع صميمه يزقل بالصمين

11-	سرح من الصولة الصبح الجلي
12-	من قبل ما الفجر في المشرق يبين
13-	واعبر مرفص وحذرك تلتهي
14-	خذ لك من الشاذلي فنجان صين
15-	أقصد لشربون ما مثله بني
16-	كسب أجاويد يظهر كل حين
17-	توك بخطي لسالم معتني
18-	أبو مبارك كنان الهادفين
19-	تلحقه في البيت جالس محتبي
20-	يميّل الهم لا فوقك عكين
21-	نباك تخرج لأرضك معتني
22-	من حيث بها أهلك ساكنين
23-	أهل السنن والمعافر والحلي
24-	وأهل المرابيل حلوات الشنين
25-	إلا ازحمت خيرها ما يحتصي
26-	ما هي زكيكة ولا شرج العنين
27-	التمر ما جود فيها والجني
28-	أحلى من الرز واللحم السمين
29-	والشرح فيها لمن قلبه سلي
30-	يعجبك حل المغاني والزفين
31-	يحضره كم من مهفهف عيطلي
32-	منسع الجعد حي ذاك الجبين

<u>رقم (31)</u>:

الجواب من شبير

1-	اليعاشتّان نسبي ونهدان أخوتي
2-	لانا ولا هم من أصلي منكرين
3-	يا هاجسي عهدي إلا بك بدي
4-	خلي التعيطاش من عطن العطين

-5	جوب على شيخ أحمد بن علي
-6	اللي متوج بتاج العارفين
-7	ذكرت عرشان مالي لا زكي
-8	يملي جميع المياسم والسرين
-9	في ضمر باضمرة الحيد القفي
-10	ما حنا على عكرها متحسفين
-11	نفلة من أعلى ونفلة من قني
-12	والبرد يخرج عليهم بنين
-13	طول النظر ما توافق مكتسي
-14	محنة وعاد أهلها متكبرين
-15	شرقي شنع ما تعارض نومسي
-16	زعزع جفيرة ارفعوا يا طارقين

التعليق

الشاعر سالم أبو مبارك الشبير بايعشوت من رمله اليعاشيت. ويذكره سرجنت، الذي أورد مقاطع من شعره/ 252 ص 79 - 80/. وإحدى قصائده نشرها جعفر السقاف، /183 ص 79 - 80/. وفي بيئة الشبير نُظمت أفضل نماذج شعر المهاجرين الحضارمة التي يجمعها حب الوطن، والسخرية من أسباب فقره، والإعجاب أمام الطبيعة الخلابة لجاوه. سولا وتشريبون - مركز الهجرة الحضرمية. ويذكر "جني الشعر" الهاجس (رقم31 / 3)، والقرى الحضرمية وجبل شنع - منطقة سكن قبائل المهنا من نهد.

ويشبه النداء "أرفعوا يا طارفين" بفيضان البدو المتوحشين.

المناظرات الشرعية في الشعر

رقم (32):

كان واحد ظالم في وراثة وذهب إلى حكم في قعوضه

- أ -

قال المدعي:

-1	باقول عند الله وعندك يا حكم
-2	حكم الدعاوي وأعطنا فتوى
-3	وسط هالك جاتنا من ميت
-4	لا له دعيه كيف باينسى

- ب -

قال المجوب:

-1	باقول عند الله وعندك يا حكم
-2	حكم الدعاوي وأعطنا فتوى
-3	هذا فقير اطرق بطن متقدم
-4	لا له دعيه كيف له ينسى

- ج -

قال الحكم:

-1	عالمدعي شاهد تقي ومصلي
-2	يقرأ حروف الفاتحة بتلى
-3	وأن قد عدم عالمجوب يحلف
-4	لا له دعيه عندنا ليرى

رقم (33):

-أ-

قال واحد للشيخ:

1-	يا شيخ تفتي على المذاهب الأربعة
2-	أو الشاعر إلا ببطن وادي حضرموت
3-	هات لي خبر في بنت عذراء موفية
4-	حبلى وعالميلاد شفها باتموت

- ب -

جواب الشيخ

1-	أفتى على المذاهب الأربعة
2-	لا تجعل أني با أصطرط لك في بطن حوت
3-	الطير لي يسرح على باب الوكل
4-	ينظر من البيضة وهي تغذي ربوت

التعليق:

النص رقم (32) نموذج للفلكلور الغني المرتبط بحكم قعوضة [252 ص 22-33] (انظر رقم 34). والنص رقم (33) ينتمي إلى فن الألغاز، التي يطرحها "الشاعر الحقيقي" الذي يمتلك الفال. الشيخ أحمد بن علي باوزير عاش كما يؤكد المتحدثون قبل أكثر من مئة عام خلت.

12- بويشر والحكم علي

رقم (34):

الحكم علي بن ثابت كان شاعر ويقصد (ينظم القصائد)، وتقاصد هو وأبو بشر.

(أ) وقال الحكم:

1-	بوبشر قولوا له تعقل
2-	يسني على بير عقيله[1]
3-	أقنع ولقى له عُقالي[2]
4-	وقال شو أنا بن عقيل

[1] لتقتنع الجماعة الأسرية – العشائرية بعملها الخاص ولا تعتدي على السياسية الأعلى.

[2] حبل من الصوف في أعلى عمامة الرأس، في حضرموت – جزء من هيئة جيش البادية الذي كان يخدم فيه بو بشر.

(ب) وقال بوبشر:

1-	رهطان[1] عاده ماتدول
2-	للي فيه الأسواس الدويلة
3-	إحنا من أول لي دوالي
4-	من قبل يظهر بن دويل[2]

(ج) قال الحكم:

1-	ياكم مثيلك قد تزول
2-	ومننا جاء الزوالي
3-	عادك تبيت في زويلة
4-	كل يوم تمسي في زويل

(د) قال بو بشر:

1-	لنته علينا باتطاول
2-	باعطيك لدقام الطوالي
3-	أكواتنا فوق الطوالي
4-	من قبل يخلق بن طويل[3]

(هـ) وبعد قلب الحكم وقال:

1-	بو بشر قالوا لي شرد
2-	شاف الخلايق شاردة
3-	ما حسب أن عاد الحكم
4-	بايتبع الناس الشريد

[1] يدخل ضمنهم بن ثابت.

[2] -3 ألقاب الشاعر.

(و) قال بو بشر:

1-	مكواك[1] قالوا لي برد
2-	وناحسبتك ماتجيك البارده
3-	ولعاد جتنا أخبار في وسط البريد

(ز) قال الحكم:

1-	شف حدنا يا خير حد
2-	كل من يقارب حدنا
3-	عليّ أعطي الحاده
4-	باطرح مخالبها على ضلع الحديد

(ح) قال بوبشر:

1-	كلا على المورد ورد
2-	شف ذي قبائل يقطعون الوارده
3-	أم الصمرمر جاك
4-	ما بين الحناجر والوريد

(ط) وبعد قلب الحكم وقال:

1-	بو بشر يا ريتك مقدم[2]
2-	عندك مصائب مية قامه
3-	العز عاده ما تقوم
4-	في السوق ما يجلب بقيم

(ي) قال بو بشر:

1-	في المدرسة ناشفنا تعلم
2-	الميد ما يجيب العلامة
3-	وبعضهم لي ما تعلم
4-	الله بالأمه عليم

---

[1] قضيب أو مسمار للعلاج بالكي

[2] زعيم قبلي

(ك) وبعد قلب الحكم وقال:

1-	يس بسم الله[1]
2-	بانقرأ حروف ألم ترى[2]
3-	كل ما جرى في الأرض
4-	يا بو بشر عينك باترى

التعليق:

بوبشـــر مـــبارك سالم بن عقيل (1913 – 1989) نهدي من غنيمة بن عقيل في وادي الكســـر، شـــاعر شـــعبي . حدثـــت المـــناظرة الشعرية في ستينات القرن العشـــرين، حيث دافع بوبشر عن فكرة وحدة الدولة اليمنية، فيما دعى الحكم بن ثابـــت إلـــى انفصال النهديين. وعلى الأرجح أن هذا أحد النماذج الأخيرة للفلكلور الشعري، المرتبط بأحكام النهديين قبل الاستقلال.

13- نماذج من الزامل

رقم (35):

1-	حضرموت إلا ليافع
2-	في الخطوط المسطرّة
3-	كم من ولد بيده فرنجي
4-	روم غالي شمبره

رقم (36):

- أ -

نـــداء

1-	نا المرشدي نا الموت عزائيل
2-	نا الظلم في يوم القيامة
3-	نا القبولة باروتها والميل
4-	ورصاص ما منه سلامة

---

[1] إشارة إلى سورة يس في القرآن الكريم

[2] مستهل سورة الفيل من القرآن الكريم التي تصور غضب الله.

- ب -

نــداء

1-	نا لحلكي جهال ما أقدر كيل
2-	وألقيت في رأسك فدامه
3-	نا غصن ولد الفحل وأنت الخيل
4-	والزيت في مطيك علامة

رقم (37):

1-	ولا نهاب القبيلي
2-	ولا نحسب حسابه
3-	نخاف إلا اللي في السماء
4-	إلا تمطور السحابة

التعليق

النص رقم 35: زامل يعكس ادعاءات اليافعين في حضرموت كلها، وقد أورد أكثر من مرة، الرقم 2/35 تركيب التقاليد الشفوية والكتابية (أنظر أعلاه، الفقر1) الرقم 4/35 سلاح ثمين يُصنع من الذهب.

النص رقم 36 قاله الشاعر باصرة (سيبان) قبل نصف قرن مضى، حسب كلام الراوي علي سليمان بقشان السيباني، رعوي يبلغ السبعين عاماً. ويتجلى بوضوح الارتباط بين فنون الفخر والهجاء.

تغطى عنا قيد التمور الناضجة بزيت نباتي من الحشرات الضارة (أنظر الجزء الثاني الفصل1 الفقرة1: زراعة النخيل).

النص رقم 37: زامل الضعفاء من الجفيري (وادي دوعن) مبنى حسب الكليشة القبلية، لكنه موجه ضد القبائل.

(14) الأغاني

رقم (38):

1-	حنوا له غلب ما يتحنا
2-	ياطير يالخضر فين ممساك الليلة
3-	أنا ممساي عند أهلي
4-	وأنت ممساك في السيلة

رقم (39):

1-	يوم الخواطر صافية
2-	جزّع ملا فنجان صين

رقم (40):

1-	يا وعل حامل ميه
2-	في الدقم بايقنصوك
3-	والصقر بايشل أبوك

رقم (41):

1-	حيمد الخشر ربيته
2-	وأنا رجعت مرثى
3-	لا سقط قصركم
4-	على حيمد الخشر يبنى

رقم (42):

1-	صباح الخير ي زاوية
2-	يا أم المنارة
3-	على الهجرين لا غابت
4-	من كل إشارة

رقم (43):

1-	يا مروح دناك الليل
2-	والشمس غابت
3-	عاد نحنا إلا طربنا
4-	والملابيج طابت

التعليق:

تنتمي جميع هذه الأناشيد إلى المغاني، أي التي تؤدى بمصاحبة المزمار أو الناي ذي الخمس فتحات (المدروف)، خلافاً عن الأغنية التي تؤدى بمصاحبة العود أو الآلات الوترية الأخرى (ليست الأغنية خاصية لحضرموت الغربية ، رغم أنها تغنى في الفترة الأخيرة أحياناً في حريضة).

الأغاني رقم (38 – 41) عرّفها الرواة كأغاني حناء أو أغاني زواج (أنظر أعلاه الفصل 1 الفقرة 1). وبأنتهائها تتبع الحوكة (الترجيع الحسن للهتاف) حيّا، حيّا... الخ .

النص رقم 40 مثال لفن التنقل :من أغاني القنص إلى أغاني الزواج (وهذا مرتبط على الأرجح ، بتقليد أسلوب فرحة الزواج بنجاح القنص، (أنظر الجزء الثاني، الفصل1 الفقرة4: القنص). النص رقم 41: حيمد الخشر (1910 – 1980م) طباخ من الهجرين. أوضح حفيده يسلم علي الخشر (23 عاماً) أن الأغنية ألفت قبل 45 عاماً خلت عندما تفوق حيمد الخشر على معلمه في فن إعداد موائد الأفراح.

النص رقم 42 نشيد استدعاء المطر، تذكره الخيال السابق في الهجرين (أنظر أعلاه الفصل1، الفقرة2). والزاوية في هذه الحالة ليست صعومة وإنما مسجد.

النص رقم 43 أنشودة النورة (أنظر الجزء الثاني الفصل 2 الفقرة 1): ينشدها العمال بأتساق عندما يضربون الهروات بقطع حجر الكلس. ويؤديها الفنان المعاصر أبوبكر سالم بلفقيه. وقد استخدمت الكليشة التقليدية.

الاستنتاجات

أن التقاليد الشفوية والكتابية لحضرموت الغربية، كمثل المنطقة جميعها، ذات ارتباط متبادل. وهي تكمل بعضها البعض، ولا وجود للقطبية بينهما، والتي وجدت على سبيل المثال في الثقافة الأوربية في العصر الحديث. ومنذ القدم ترسخت في حضرموت عملياً في الكتابة الصيغ الشفوية والكليشات، وليس مصادفة أن يستوعب السكان المحليون الوسائل التقنية للتسجيل - جهاز الفيديو وجهاز التسجيل - بهدف تسجيل فلكلورهم. ويلعب الشاعر الدور الأساسي في جمع صيغتي التقاليد: ينتمي إلى التقاليد المكتوبة الأسلوب الأدبي (الحكمي) وإلى الاسلوب الشفوي الأدب العامي (الحميني).ولا يوجد الأسلوبان بصورة صرفة البتة، وحتى النماذج "الحرة" للشعر الحميني ذاتها غالباً مادونت.

وفي حضرموت تسود اعتقادات تعود إلى ما قبل الإسلام، عن أن قوى خارقة للطبيعة تتحدث من خلال الشعراء وأن الشاعر يرى أسرار الماضي والمستقبل. (الشاعر - متنبي). ويمكن أن تكون موهبة الاستبصار - الفال - "جيدة" (بمعنى التنبؤ بالأحداث السعيدة: السيول، المحصول الوفير، الصفقة الموفقة....الخ. ويمكن أن تكون "سيئة" التكهن بالجفاف، الموت ، الحرب، المجاعة). وحسب مستوى الموهبة ينقسم الشعراء إلى كبار وشعراء ببساطة و"شويعر" وفي أدنى الجميع يقع راوي الشعر الذي لا يملك الفال.

وصفة الشاعر رفيعة لكنها تحتاج إلى التوطيد المستمر وينبغي أن يثبت الارتجال ومباريات الشعراء ، أن شيطان او جني أو جنية الشعراء (الهاجس، الهليلة) لم تغادرهم. وللتخفيف من المخاطر التي قد تنجم من أصوات الإلهام، فإن الشعراء غالباً يضفون الصبغة الإسلامية على بدايات ونهايات إنتاجهم الشعري.

يؤدي الشاعر في حضرموت وظائف اجتماعية هامة - في الأجواء الاحتفالية وأثناء صياغة وتسوية النزاعات، وفي نقل وحفظ القيم الأخلاقية. وفي الشعر يوجد تقريباً العنصر الاجتماعي دائماً، والذي تجاهله ر.سرجنت، حسب اعترافه الشخصي [252 ص10] . وخلافاً عن كثير من الأدوار الاجتماعية (على سبيل المثال، الراقصات، المغنون، الموسيقيون، الذين ينتمون كقاعدة إلى قاع المجتمع) فإن وظيفة الشاعر ليس لها ارتباط بأي من الطبقات الاجتماعية. كما أن التمييز الجنسي بين الرجل والمرأة قد استوجب الشعر النسائي في الحياة، والذي يخدم جمهوره الخاص.

وللفلكلور الشفوي في حضرموت الغربية ، بطابعة الريفي، مصاحبة موسيقية ضئيلة إلى حد ما. وتقع مراكز تأثير الدان الغنائي الحضرمي (حيث اللحن كأنما

يولد بداهة الارتجال) خارج منطقة حضرموت الغربية - في سيئون وغيرها من المدن الأخرى في الوادي الرئيسي . والأشعار - خاصية لابد منها في مواكب الرقص (الزف)، التي تعكس بصرامة ووضوح التركيب الطبقي لحضرموت القديمة.

إن نماذج الفلكلور الشعري بما في ذلك النصوص التي ألفها الشعراء الحقيقيون أو الاسطوريون، تنتمي جميعها إلى الأسلوب العامي باستثناء قصائد علي بن حسن العطاس، التي تتموضع على التخوم بين الحميني والحكمي، ومع ذلك فإن التقاليد المحلية تنسبها إلى الأسلوب الأدبي (الكتابي). وتطرح في الأشعار المناظرات، الألغاز، النداءات القبلية، أغاني الزواج، وأناشيد استدعاء المطر والعمل.

وفي الفلكلور الشعري لحضرموت الغربية آثار ملحوظة للتأثير الأندنوسي (والهندي والشرق أفريقي بدرجة أقل) في مفردات اللغة ومجموع المواضيع. ولكنها مع ذلك مرتبطة بالدرجة الأولى بالإرث الروحي اليمني والعربي العام. والشعر الحضرمي موضوعي، وتتجسد فيه مدارك الحضارمة. وهذا ما يجعله مصدراً أثنوغرافياً ثقافياً نفسياً.

الخاتمة:

وهكذا تمت محاولة وصف الثقافة السلالية لسكان حضرموت الغربية على الأقل خصائصها تلك التي تعتبر من وجهة نظر المؤلف الأكثر جوهرية.

وعند معالجة مسألة مماثلة يصطدم الباحث بالتباين بين طابع الموضوع الموصوف وطريقة التدوين. ويذكر التعرف على الثقافة السلالية، بتماسكها وترتيبها بالطواف في المحيط حيث لا بداية ولا نهاية ، وحيث توجد المسالك الكثيرة التي لا تحصى، والخطوط المباشرة تتلوى والحركة في اتجاه واحد تقود إلى نقطة البدء.

ليس من الضروري تكرار النتائج الهامة للبحث، المصاغة في الاستخلاصات الرئيسية. وفي مجرى العمل تأكد برهان اختيار حضرموت الغربية كمنطقة تاريخية أثنوغرافية. وهذه هي المحيط الريفي حيث تعرض الأساس الثقافي في الجنوب العربي للتأثير الإسلامي الموحد. بيد أن الانقطاع الحاد للتقاليد السلالية الثقافية، كما يبدو لم يحدث. وفي العصر الإسلامي بقيت (في شكل متحول بعض الشئ) الأسس السابقة لدرجات المقامات الاجتماعية، والمنظومة المكونة للمؤسسات الاجتماعية والأعمال التقليدية، ونظام الإعاشة والقوانين المنظمة. كما أن آلية التنظيم الذاتي، المتعلقة بالري بواسطة السيول، قد حُددت بشكل

أوسـع في المثل الشعبي "دولة حضرموت الرحمة" حيث الرحمة مرادف لفيضان السيول.

إن انـتقاء نماذج الثوب النسائي لحضرموت الغربية قد سمح بدرجة كافية في تحديـد مـنطقة الدراسة بشكل واضح. وغدا من الجلي أن المحلية ليست ظاهرة عامة، لكنها مطلقاً ليست مضموناً وحيداً للثقافة السلالية. كما أن دراسة الحرف، الطعـام، الطقـوس، والفلكلور الشعري والغنائي والرقص قد أقنع أن حضرموت الغربية مرتبطة دون انفصام بالأجزاء الأخرى للبلد - بمدن وقرى وبلدات الوادي الرئيسـي والساحل وشرق حضرموت. وتعكس المنطقة الأخيرة (وكذا الأرياف)، كمـا فـي المرأة، بعض خصائص الغرب لكنها أقرب أكثر إلى المجموعة الثقافية المهرية السقطرية.

وتسير الدراسات اللاحقة في اتجاهين "شامل" و "مركز" كما أن توسيع مساحة البحـث (بمـا في ذلك الهضاب) تعطي إمكانية وصف الثقافة السلالية لحضرموت كلهـا. ويبين الأعداد المتعمق للموضوعات المذكورة المادة الاثنوغرافية الثمينة، ويؤكـد أو يدحـض الفرضـيات العلمـية والاسـتنتاجات الأولية. إن توحيد كلا الاتجاهيـن فعـال علـى وجـه الخصـوص في إطار مشروع الأطلس التاريخي الاثنوغرافي لحضرموت.

وتـرتـبط حيوية الأطلس التاريخي الاثنوغرافي لحضرموت بالأنجراف الجامح للـثقافة العربـية الجنوبية التقليدية، التي تحتاج إلى التسجيل السريع. إن التعبير الزمانـي والمكانـي للمـادة الاثنوغرافـية المصنفة والتصورات المحلية لأشكال ومجموعـات الظواهـر الاثنوغرافـية تتيح معرفة وإبراز بجلاء الصلات العميقة للعوامـل الاجتماعـية - الاقتصادية، الاثنو ثقافية، اللغوية والطبيعية. وبوسائل رسم الخرائط التاريخية الاثنوغرافية فقط يمكن إبراز المساحات الثقافية المتبقية، أي تحديـد مسـتوى محـدد للحفـاظ علـيها في الاثنوغرافيا المعاصرة لتقاليد الحضارات القديمة للجنوب العربي.

ووفقـاً للقواعـد المحددة في علم الخرائط الاثنوغرافية فإن الأطلس التاريخي الاثنوغرافـي لحضـرموت ينبغـي أن يمـثل بحد ذاته منظومة متكاملة للخرائط المقابلـة، التـي تـرافقها النصـوص التفسيرية المفصلة والدراسات والأبحاث المعلوماتية والجداول والمواد المصورة.

إن الدراسـة الاثنوغرافية المنظمة لحضرموت تشتمل على البحث العلمي في شـبكة نقـاط الارتكـاز. ويفترض أيضاً بمعونة المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثـار والمـتاحف تكويـن شبكة مراسلين في الأماكن، والاستفتاء في برنامج واحد، (جزء من البرنامج الإحصاء والوصف الأولي لقرى ومدن اليمن الجنوبي).

وضمن المراسلين يدخل المعلمون، التلاميذ الكبار، الموظفون الإداريون، المولعون بالكتب، الشعراء وغيرهم من الملمين بالتقاليد الشفوية. وكذا رسم خطة للاختيار اللاحق والتحليل النقدي للموضوعات الثقافية المعينة الموجودة، بما في ذلك أعمال المؤلفين المحليين. ويجب أن تحيط الدراسة العلمية وأعمال المراسلين بكل حضرموت الداخل من الغرب إلى الشرق، وكذلك الساحل أيضاً. ويصاحب هذا العمل القيام بالأبحاث العلمية لموضوعات منفردة عن حضرموت الوسطى، الشرقية والساحل.

وسوية مع المتخصصين في البعثة السوفيتية - اليمنية المشتركة التي تعنى بدراسة سقطرى والمهرة، والزملاء اليمنيين والأوربيين والأمريكيين والجهود المشتركة تُبتدع أثنوغرافيا العربية الجنوبية.

الملحــق

التقويم النجمي

يتكون عـام المـزارع من أربعة من مواسم. وتشكل النجوم نقطة الاهتداء للتقويم النجمي، الذي وُصف أكثر من مرة في المؤلفات العلمية/ 255، 278 ص 554 – 576/. وعددهـا كلهـا 28. ومدة كل نجم 13 يوماً، ماعدا الأخير، الذي يستمر 14 يوماً.

وعلى هذا النحو تكون الحصيلة عام شمسي كامل اي 365 يوماً.

الـنجم الأول – الهنعة – "يبدأ" في الأول من يناير. والنجم الأخير – الهقعه – وينتهـي وقـته فـي 31ديسمبر. ويبدأ الربيع بالضبط، وفقاً للمراجع والمعطيات الاستبيانية، في اليوم السادس لنجم الهقعة (23 ديسمبر) ويتواصل 89 يوماً.

موسـم الصيف – في اليوم الثالث لنجم الصرفة (22 مارس)، واستمراريته 94 يوماً.

الخريف في اليوم السادس لنجم الشول (24 يونيو) ويستمر 93 يوماً.

موسم الشتاء يبتدئ في ثامن أيام نجم فرغ (25 سبتمبر) ويتواصل 89 يوماً.

وترتـبط تسمية كل نجم من النجوم بشئ ما من التدابير العلمية الموسمية. وعلى وجـه التقريب يمكن أن نجد في كل مسجد في حضرموت جدول حائط مع تحويل التقويم النجمي إلى "حساب الأيام بالتقويم الميلادي".

كـل وقت العام بأستثناء الشتاء، له فترة (أو فترات)، عندما يهطل المطر في العـادة وهي تسمى حميمة. وهكذا تبدأ حميمة الربيع في 22 فبراير وتستمر إلى نهايـة مـارس. ووفقـاً للـتقويم فإن هذا الوقت يتحدد بالنجوم :الجبهة، زبرة والصـرفه وفـي وقت الصيف تتميز حميمتان :الأولى من 22 أبريل وحتى نهاية أبريل، حينما في السماء – العوا والسماك، وهو ما يعتبر في حقيقة الأمر امتداداً للوقت الربيعي، والثانية من 6 يونيو وحتى مطلع يوليو بنجمي القلب والشول.

وفـي الزمن الخريفي تسقط أمطار محتملة في نهاية يوليو وتتواصل حتى 22 أعسطس، متطابقة مع نجمي مرزم وسهيل /255 ص 435/. والأوقات الأكثر تحديداً لهطـول الأمطـار المحتملة يوردها الصبان، والتي يربط بدايتها بنجمي سماك وسهيل أي بما يتوافق مع 15 أبريل و10 أغسطس /179 ص 19 – 22/.

الدورة السنوية

الربيع						الصيف					
يناير		فبراير		مارس		أبريل		مايو		يونيو	
1	[1]1	1	6	1	8	2	[8]1	1	4	1	9
2	2	2	7	2	9	3	2	2	5	2	10
3	3	3	8	3	10	4	3	3	6	3	11
4	4	4	9	4	11	5	4	4	7	4	12
5	5	5	10	5	12	6	5	5	8	5	13
6	6	6	11	6	13	7	6	6	9	6	[13]1
7	7	7	12	7	[6]1	8	7	7	10	7	2
8	8	8	13	8	2	9	8	8	11	8	3
9	9	9	[4]1	9	3	10	9	9	12	9	4
10	10	10	2	10	4	11	10	10	13	10	5
11	11	11	3	11	5	12	11	11	[11]1	11	6
12	12	12	4	12	6	13	12	12	2	12	7
13	13	13	5	13	7	14	13	13	3	13	8
14	[2]1	14	6	14	8	15	[9]1	14	4	14	9
15	2	15	7	15	9	16	2	15	5	15	10
16	3	16	8	16	10	17	3	16	6	16	11
17	4	17	9	17	11	18	4	17	7	17	12
18	5	18	10	18	12	19	5	18	8	18	13
19	6	19	11	19	13	20	6	19	9	19	[14]1
20	7	20	12	20	[7]1	21	7	20	10	20	2
21	8	21	13	21	2	22	8	21	11	21	3
22	9	22	[5]1	22	3	23	9	22	12	22	4
23	10	23	2	23	4	24	10	23	13	23	5
24	11	24	3	24	5	25	11	24	[12]1	24	6
25	12	25	4	25	6	26	12	25	2	25	7
26	13	26	5	26	7	27	13	26	3	26	8
27	[3]1	27	6	27	8	28	[10]1	27	4	27	9
28	2	28	7	28	9	29	2	28	5	28	10
29	3			29	10	30	3	29	6	29	11
30	4			30	11			30	7	30	12
31	5			31	12			31	8	1	13
				1	13						

الشتاء						الخريف					
ديسمبر		نوفمبر		أكتوبر		سبتمبر		أغسطس		يوليو	
10	1	6	1	[22] 1	1	10	1	5	1	[15] 1	1
11	2	7	2	2	2	11	2	6	2	2	2
12	3	8	3	3	3	12	3	7	3	3	3
13	4	9	4	4	4	13	4	8	4	4	4
[27] 1	5	10	5	5	5	[20] 1	5	9	5	5	5
2	6	11	6	6	6	2	6	10	6	6	6
3	7	12	7	7	7	3	7	11	7	7	7
4	8	13	8	8	8	4	8	12	8	8	8
5	9	[25] 1	9	9	9	5	9	13	9	9	9
6	10	2	10	10	10	6	10	[18] 1	10	10	10
7	11	3	11	11	11	7	11	2	11	11	11
8	12	4	12	12	12	8	12	3	12	12	12
9	13	5	13	13	13	9	13	4	13	13	13
10	14	6	14	[23] 1	14	10	14	5	14	[16] 1	14
11	15	7	15	2	15	11	15	6	15	2	15
12	16	8	16	3	16	12	16	7	16	3	16
13	17	9	17	4	17	13	17	8	17	4	17
[28] 1	18	10	18	5	18	[21] 1	18	9	18	5	18
2	19	11	19	6	19	2	19	10	19	6	19
3	20	12	20	7	20	3	20	11	20	7	20
4	21	13	21	8	21	4	21	12	21	8	21
5	22	[26] 1	22	9	22	5	22	13	22	9	22
6	23	2	23	10	23	6	23	[19] 1	23	10	23
7	24	3	24	11	24	7	24	2	24	11	24
8	25	4	25	12	25	8	25	3	25	12	25
9	26	5	26	13	26	9	26	4	26	13	26
10	27	6	27	[24] 1	27	10	27	5	27	[17] 1	27
11	28	7	28	2	28	11	28	6	28	2	28
12	29	8	29	3	29	12	29	7	29	3	29
13	30	9	30	4	30	13	30	8	30	4	30
14	31			5	31			9	31		31

1- الهنعة 2- ذراع 3- نصره 4- الطرف 5- الجبهة 6- زبره 7- الصرفة
8- العواء 9- السماك 10- غفر 11- الزُبان 12- الإكليل 13- القلب 14- الشول
15- النعايم 16- البلدة 17- المرزم 18- سهيل 19- باعريق 20- سعد (الخبا)
21- فرغ 22- الدلو 23- الحوت 24- نطح 25- البطين 26- الثرياء
27- بركان 28- الهقعة

- المصدر : /255/.

الدورة اليومية

تـتألف السـاعات العربـية للـيوم من مجموعتين "نهارية" (7 – 18 ساعة) و"ليليّة" (19–6 ساعات).

المجموعة النهارية			المجموعة الليلية	
	ساعة اليوم	الساعة العربية	ساعة اليوم	الساعة العربية
1- الصبح أو الفجر			4- المغرب (النهاية)	
صبح	7	1	19	1
	8	2	5- الليل	
	9	3	20	2
ضحى	10	4	21	3
	11	5	22	4
2- الظهر			23	5
	12	6	0	6
	13	7	1	7
	14	8	2	8
3- العصر			3	9
	15	9	1- الصبح أو الفجر	
	16	10	4	10
	17	11	5	11 غبش، فجر
4- المغرب (أفول الشمس)			6	12
	18	12		

الصلوات اليومية

1- صلاة الفجر
2- صلاة الظهر
3- صلاة العصر
4- صلاة المغرب
5- صلاة العشاء
6- صلاة التراويح (في شهر رمضان)

المقاييس التقليدية

وحدات الكتلة

1- قفلة (قفله – قفول) = 2 – 2.3 غ
2- تولة (توله – توالي) = 11.7 غ
3- أوقية (أوقية – أواقي) = 29.25 غ
4- رطل (رطل – أرطال) = 16 أوقية
5- فراسلة (فراسلة – فراسل) = 20 رطل
6- مَـنْ (مَن – أمنية) = 28 رطل (في وادي عمد)
7- بهـار (بهـار – بهـره) = 300 رطل (عادة حمولة جمل من 120 – 130 كجم).

وحدات السعة

1- مُصرى (مُصرى – مصاري) = 14 أوقية (الصاع = 2 مصاري)
2- شطر (شطر – شطار) = 0.5 مصري
قرص (قرص – أقراص)
3- مكـيال (مكـيال – مكايـيل) في غرب حضرموت = 8 مصاري وفي القطن وشبام وسيئون = 10 مصاري
4- قهول (قهول – قهاول) = 12 مصاري
5- كيس (كيس – أكياس) = 9 مكاييل

وحدات الطول الخاصة

1- بُنَّة (بنة – بناين) – بعرض الأبهام (حوالي 2 سم)
2- صاع (صاع – صاعات) – بعرض أصبعين (حوالي 4 – 5 سم)
3- فـتر (فـتر – فـترات) – شبر صغير: المسافة القصوى بين طرفي الإبهام والسبابة (حوالي 18 سم).
4- شـبر (شـبر – أشـبار) – المسافة القصوى بين طرفي الإبهام والخنصر (حوالي 24 سم).
5- ذراع (ذراع – أذرعه) = حوالي 36 سم.
ذراع قيدون حوالي 45 سم
6- بـاع (بـاع – باعات) من طرف الأنف إلى نهاية أصابع اليد اليمنى ممدودة جانباً (حوالي 108 سم).

7- قامــة (قامــة – قامات): المسافة القصوى بين طرفي امتداد اليدين (حوالي 185 سم).

8- وار (وار – وارات) = 7 أذرع فيدونية الأربع (حوالي 304 سم).

وحدات الطول الخاصة

1- مُفـر (مفر= موفير) مقياس الارتفاع يساوي خمسة قوالب من الطوب وإذا أعتبرناها وحدة واحدة: (5 × 7) + (5 × 4) تتساوى حوالي 55 سم.

2- الطابق الأول في المنزل (قصر أرضي) = 9 موفير، حوالي 4.95 م

وحدات المساحة

1- سهم (سهم – اسهام) حوالي 7.3 متر مربع

2- مطيره (مطيره – مطر) = 18.7 – 39.7 متر مربع

3- فدان (فدان – فدادين)

أمثال شعبية

1- من قلت رجاله تمشيخ

2- الشيخ شيخ والسيد أيش من طشه؟

3- لا وين تبغي ياشارد بحران

4- جمال تعصر وجمال توكل التخ

5- دولة حضرموت الرحمة

التعبير بالرموز الصوتية للنصوص باللغة الانجليزية

(انظر الترجمة العربية في الجزء 3 الفصل 2 الفقرة 3)

1. men qillet rijālu tamasheh
2. sheh sheh wa-s-seyid eysh min tasha?
3. lawēn tibghī yā sharid bahrān?
4. jimāl ta'sar wa jimāl tōkul et-tōh
5. dōla hadramūt er-rahma

I. № 1. 1. qāl bū 'āmer rafī' en-nefs mā əjī li-r-rabī'
2. lā jī marrət ṣāheb wa lā hun el-amāne fī-l-wadī'
3. wa llā thum wa llā wa rabb el-'arsh wa llī hall el-baqī'
4. inhā təlāwijnā wa ənā wannī kamā wann el-wajī'
5. lā ṭā'ət əl-hurma fa-r-rijāl yighlib mā yatī'

№ 2. 1. yiqūl bū 'āmer fə'innī ma bidə temennēt sharr
2. illā nahār es-selbebī yā rēt bū 'āmer hadar
3. yihdur bə-kerd er-rās wallā-rumeh llī maghri bə-sharr

№ 3. 1. yiqūl bū 'āmer heyār el-'ilm in qālət mā darēt
2. 'in shuft shī mā qult shī
3. wa 'in hadd hakā lī mā hakēt

№ 4. 1. yiqūl bū 'āmer nashidtūnī wa lā 'endī sifāt
2. mā yinqati' rizəq heyy
3. siwā men tejadded kifāne wa māt

№ 5. 1. yiqūl bū 'āmer min el-'awā ila-s-simāk
2. mā tisma' əd-dā'ī men al-manāk

II. № 6. 1. qāl el-hemēd waləd manṣūr mā fī-l-kasál shi nafā'a
2. inni-l-kasál yirith el-hamm wa-l-jō' fī kulli sā'a
3. bədda' fī thnēn hurrāj wa 'abd melwī dirā'a
4. w-illā jəmālan tahādir faja'thā kulli sā'a
5. w-illā leqe firqet dān illā smen kebesh bā'a
6. w-illā leqe hurmet asīle tajī'nā fī-sh-shebā'a
7. wa təqūl hazā li-delhīn wa zāk yuq'ud li-sā'a

№ 7. 1. qāl el-hemēd waləd manṣūr al-faqr ḍiyā'-l-insāb
2. amsēt min faqr lēle zānī wa sāriq wa kaddāb

№ 8. 1. qāl el-hemēd waləd manṣūr shū bōr lə-ahlī məhalle
2. ghādart lā qarēt er-radā' min shān qōmī mədalle

№ 9. 1. qāl el-hemēd waləd manṣūr yā matrī min kenānī
2. iselimt min hēs ənā hēf wa qetilt min hēs amānī

№ 10. 1. qāl el-hemēd waləd manṣūr al-mōt fī ghurghurī dār
2. ba'di kēf təlqūn fi-d-dēf wa-ṣehr wa-l-jār
3. ad-dēf nizbah wa niqdah nilqī min hēs yihtār
4. wa-ṣ-ṣehr minnā w-ilēnā qasīm fī-l-māl wa-d-dār
5. wa-l-jār yihtī 'alēnā lēs nihtī 'alā-l-jār

III. № 11—12 в арабской графике см. в конце параграфа.

№ 13. wa qāl bi-hadd 'innanī mā asast hazā-l-makān illā li-hams hisāl
1. saqey el-'ātishīn wa sila-l-munqatīn

2. wa amān al-ḫā'ifīn wa-l-'aūn li-l-muḥsinīn
3. wa-l-'aūn li-l-muslimīn

Nº 14. 1. 'ali bin ḥasan ḥuwwaṭ el-ghaywār wa amsa l-mazār
2. wa amsēt yā l-jahī janna ba'd mā kunt an-nār
3. ḥalluk li-ḫiyār wa leqū fī 'urūdak diyār
4. wa-l-ḫōḍ wa-s-seqāya ḫēs kān el-maghār
5. wa-s-sūq tadḫulū l-badā'i' bi-l-bihār

Nº 15. 1. waqfat el-ḫeyr kām li-n-nās fīhā majā'ī
2. ḥadd yijīhā wa ḥadd min 'umān
3. tijtami' fīhā l-awliyā'
4. wa ahl el-kutub wa-l-majānī

Nº 16. 1. meshhed 'alī bahra yilāṭim
2. yā baḫt men zāra mabnīya
3. zuwwār min ṣan'ā wa mārib
4. wa təhāshalat kām min maṭīya

IV. Nº 17. 1. yiqūl bin jebrān dā-l-qufl saddak wa 'ād ed-dār
2. wa-l-bu'd qarabnā miyūhu
3. wa-l-qabwala mā ta'amhā əllā qār
4. mā shī muṣallaḥ min jubūḥū

Nº 18. 1. al-yōm yōm el-'īd
2. 'īdī 'end mīn
3. yōm el-məḫāliṣ bātiqa'
4. fōq et-tifāl
5. wa lā 'ād batakallam wa lā baqūl shī
6. lammā təshūf esh-shahr fī qiblat hilāl

V. Nº 19. haze qaṣīde le ghānem al-ḥakīmī wa ghānem al-ḥakīmī mā lū jadd wa lā lū ṣila lā bə-nahd wa lā bə-āl kətīr wa lā bə-yāfi' wa lā lū shī be-l-qubəl wa lā be-l-murra al-ja'de wa lā bə-sebān masuwā qabīle lə-ḥāla 'āmed mīḫ wa sālō ent min fēn fi-z-zāmel fa-qāl
1. anā-l-ḥakīmī bin sabā bin sām
2. wa nunsib lā nūḫ bin shelīḫ
3. mā nkassub ellā min 'ulūq ash-shām
4. sarreḥ wa ḍōwī wa məhalla mīḫ

Nº 20. a: yiqūl ghānem al-ḥakīmī
1. yā mneẓara minnī ḫudī līsh mā samaḥ
2. mā shī min esh-shughrī taqādīm el-'azīz
3. mā siwā el-mənaqqas fī ziyāresh bāyitī
4. wa-l-ḥās wa-d-dardīl wa-l-bard el-hazīz

б: wa radd sālem sa'īd bālfahr
1. yā ghānem 'in qaddamt shī bātilhaqū
2. mā shī siwā minnak tanāfīh el-mazīz
3. shebānā qid ḫabbarū shebānkum
4. mā benanā ellā ṣanā'a el-inglīz

VI. Nº 21. fī waqt binā-l-ḥuṣən ellī fī rās jebel qa'ūda qālū mā dām nibnē illā mā yijib qaṣīde yā qāneṣ wa qāl
1. jurrū ḥaṣā jebelī lə ḥuṣən ahl es-saláb
2. lə-ajəl al-mə'allem bāyuḥakkam sāse

3. el-mēid lā thāret nəshūr al-fitne
4. tismā' kamā naqeḥ et-təwas mən rāse

VII. № 22. min aqwāl el-munqeṣ shā'ir bin 'ajrān ṣāḥeb ḫurēhar bi-l-hajarēn wa ḫurēhar yeqāl lu al-jaḥī z-zūer qāl
1. 'āmed bi-l-jaḥī z-zūer mā nā bi-ḥad
2. melqi marātīj as-samā fī 'arḍəhā
3. lə-asfel wa lə-a'lā wa hū mōlā-l-musṭa
4. wa ṣallī-s-sinne wa ṣallī farḍəhā

№ 23. wa ba'd aṣbaḥū l-'awābithe 'alēhum 'alā ḫurēhar wa daḫalū l-wajr wa həjūhum āl 'ajrān 'end al-maghrib ma ḫalāhum bin 'ajrān yaḫrujūn ənkasserū wa minhum mīya wa ḫamsīn al-'awābithe wa ba'd daḫalū l-muṣliḥīn bēnhum wa ḫarrajū-l-'awābithe wa qāl al-munqeṣ
1. bā jūr ṣabbeḥ bi-l-ḥudūd ad-ḏēqe
2. mā yaḥseb in al-wajr ma'bār aṣ-ṣirāṭ
3. anā ma' llī yanḥazūn eṣ-ṣe'rī
4. wa yar'aḍūn as-sēl fī yām al-qināṭ

№ 24. wāḥed min āl al-'amūdī kān baṭṭāle wa yubṭil 'alēhum wa qāl bānjorrab wa bānirsil qaṣīde lā munqeṣ wa in shī ḫabar wa fāl ḥaqqo wa arsal wāḥed taḥət dār al-munqeṣ ma' aqwāl
1. yā nōb zinjī 'āmed el-ḥēd el-bəráq
2. tir'ā 'uṭūf en-nās bi-l-ghuṣbīye
3. lā nālū l-ma'līm wa lā hū lī faráq
4. 'āmed 'aráq min fōqəhum maḥjīye

al-munqeṣ fahhem el-qaṣīde wa qāl
1. aṭ-ṭēr al-aḫḍar bā yajībe bi-l-medā
2. wa-ḏ-ḏarr wa-l-'athe tejību bi-d-dawām
3. lā mēl ma ṭimshī jubūḥa ḥāliya
4. el-buṭl mā lu ṭālīu hūwa-l-harám

VIII. № 25. fī waqt ḥusēn bin ḥamad al-miḥḍār wazīr ad-dōla l-qu'eṭīya jā bā yiṣleḥ mā bēn qabā'el rōdān wa kānū fī-l-ḥarb wa daḫalū bīhə fī zāmel wa qāl al-miḥḍār

a: 1. al-yōm yōm es-se'īd wa-l-baḫt el-qawī
2. al-yōm yōm el-ḫiḍər wa-l-ilyās ḥəwwam bi-l-jenāḥ
3. izā ṣalaḥ rāy el-ḥəkám hūwe wa-l-ḥəkám
4. kull min ta'wej bā yarīdūn samāḥ

б: qāl ash-shā'ir min bin thābet 'alī bin ṣāleḥ bin muqēraḥ
1. ḥāyā wa sahlan bi-rafī' el-minzeḥ
2. llī qid ta'ālā ḍaher bint ḥiṣānhā
3. da'wā el-ḥəkám mā bā yeqa' shī sedəhā
4. lā ṣāret el-buzal 'alā qutbānhā

c: wa qāl
1. ḥāyā wa sahlan waled 'alōwī
2. mā sā'ib illā llī teqūle
3. bāb el-balā qālū ətqeffel
4. wa-l-ḫēr fattaḥnā qufūle

ð: wa qāl
1. wājeb 'alā ṣ-ṣāḥeb yirā'ī ṣāḥebu
2. w-illā l-meḥuwa qid qalledna babhā
3. yōm el-ḥima til'it 'alā keff el-qədém
4. anā təkāfa sherr hā wa asbābhā

№ 26. waq'a zāmel fī-l-quzé āl maḥfūẓ min el-hajarēn wa yuṭāleb al-quzé wa ahl al-quzé min al el-baṭāṭī ghalbū

a: wa qāl wāḥed al-baṭāṭī

1. aghfir li-jaddī llī leqā lī menzile
2. leqā lə-ḥēs al-'ūl yuṭraḥ lu 'ēyāl
3. leqā fī kille manī'a 'āliya
4. bārūthā min fōqā melqī ḍelāl

б: qāl es-seyid ḥusēn al-mihḍār wazīr ḥaqq al-qu'ēṭī

1. yā kāfir islem jāk seyidnā 'alī
2. hazāk bā yaqra'u ləkum qiṣaṣ temīm
3. iḥnā s-safīna min ṭla' fīhā yinjī
4. wa min ḫalaf yibqā ilā-n-nār al-jaḥīm

№ 27. waq'a zāmel mā bēn al-qəbel 'end rōḍān daḫal esh-shēba 'ōd bā shemēl shā'ir min wādī raḫya wa qāl

1. al-arḍ rishnet nārhā min shaqqəhā
2. wa-l-haṭl taḥt al-jazl wa-l-kazzāz qēm
3. 'asā kerīm al-wejh yebrid ḥarrā
4. tōḫuz themānā yām fī raḥma wa dēm

№ 28. seyid bā músāwa qāl

1. lā jīt bā mārī ṣəḥābī
2. mā shī ma'ī bēraq wa qubba
3. iḥnā 'alā dīn ash-sharī'a
4. wa-l-kāfir ellā bi-ūrūbba

№ 29–31 в арабской графике см. в конце параграфа.

№ 32. kān wāḥed ẓālem fī warasu wa zahab ilā ḥakəm fī qa'ūdə

a: qāl al-mud'ī

1. bā qūl 'end allā wa 'endak yā ḥəkám
2. ḥukm ad-da'āwī wa i'ṭənā fatwā
3. waṣat ḥālek jātnā min mēit
4. haze-l-'arab wa llā lā waddāhā

б: qāl al-məjōwab

1. bā qūl 'end allā wa 'endak yā həkám
2. ḥilm ad-da'āwī wa i'ṭənā fatwā
3. haze faqīr 'aṭraq baṭan mətaqaddem
4. lā lu da'īye kēf lu yinsā

c: qāl al-ḥəkám

1. 'ā-l-mid'ī shāhed teqī wa meṣallī
2. yiqra' ḥurūf el-fāteḥa betlā
3. wa in qid 'idim 'alā-l-məjōwab yiḥlef
4. lā lu da'īye 'endenā lə-arā

33. *a:* 1. yā shēḫ tiftī 'alā-l-mazāheb əl-arba'
2. aw əsh-shā'ir illā bə-baṭn wādī ḥaḍramūt
3. hāt lī ḫabar fī bint 'azrā mōfīya
4. ḥibla wa 'ā əl-mīlād shufhā bā temūt

б: 1. aftī 'alā-l-mazāheb əl-arba'
2. la tij'al inni bāṣteraṭ lak fī baṭn hūt
3. aṭ-ṭēr llī yisraḥ 'alā bāb el-wakál
4. yindur mən el-bēḍa wa hīya tighdī rəbūt

XII. № 34. al-ḥəkám ʿalī bin thābet kān shāʿir wa yeqṣid wa taqāṣed hū wa bū besher

(I) wa qāl al-ḥəkám
1. bū besher qulū lu teʿaqqal
2. yisni ʿalā bīre ʿaqlie
3. aqnaḥ wa leqā lu ʿuqālī
4. wa qāl shū anā bin ʿaqīl

(II) wa qāl bū besher
1. raḥtān ʿād mā tedawwal
2. llī fīh el-aswās ad-dawīle
3. ehnā mən awwal lī duwālī
4. min qabəl yezhar bin dawīl

(III) qāl al-ḥəkám
1. yā kam mathīlak qid tezawwal
2. wa minenā jā ez-zuwālī
3. ʿādek tebayet fī zawīle
4. kull yōm timsī fī zawīl

(IV) qāl bū besher
1. lā entā ʿalēnā bā tatawwal
2. bā aʿṭīk el-adqām eṭ-ṭuwālī
3. akwāt nā fōqa tawīle
4. min qabl yuhlaq bin ṭawīl

(V) wa baʿd qeleb al-ḥəkam wa qāl
1. bū besher qālū lī sharad
2. shāf al-halāʾeq shārede
3. mā ḥaseb in ʿād el-ḥəkám
4. bā yutbaʿ ən-nās esh-sherīd

(VI) qāl bū besher
1. mikwāk qālū lī barad
2. wa ənā ḥasibtek mā tijīk al-bāride
3. wa lā ʿād jatnā aḫbār fī waṣt al-barīd

(VII) qāl al-ḥəkám
1. shuf ḥaddənā yā ḫēr ḥadd
2. kull min yuqārib ḥaddənā
3. ʿaley aʿṭīu l-ḥādde
4. bā eṭraḥ mā ḥaliʿhā ʿalā dulūʿ el-ḥadīd

(VIII) qāl bū besher
1. kull ʿalā l-mōred warad
2. shuf dī qabāʾil yuqteʿūn al-wārede
3. umm as-semarmar jāk
4. mā bēn al-ḥanājer wa-l-warīd

(IX) wa baʿd qeleb al-ḥəkám wa qāl
1. bū besher yā rēṭak məqaddam
2. ʿendak maṣāʾib mīeṭ qāma
3. al-ʿizz ʿād ma təqawwam
4. fi-s-sūq mā yijleb bi-qīm

(X) qāl bū besher
1. fi-l-madrese yā shufnā taʿallam
2. el-mēyd mā ejīb bi-l-ʿalāme
3. wa baʿdəhum llī mā təʿallam

4. allā bi-l-umma ʻalīm
(XI) wa baʻd qeleb al-ḥəkám wə qāl
1. bā sīn bisme llā
2. bā niqrā' ḥurūf alam tarā
3. kull mā jarā fī-l-arḍə
4. yā bū besher ʻēnak bā terā

XIII. № 35. 1. ḥaḍramūt illā li yāfiʻ
2. fī-l-ḥuṭūṭ al-musaṭṭera
3. kam min walad bə-yedu faranjī
4. rūm ghālī shambara

№ 36. *a:* 1. nā əl-murshidī nā əl-mōt ʻezrā'īl
2. nā əẓ-ẓulm fī yōm el-qiyāma
3. nā əl-qabwala bārūthā wa-l-mīl
4. wa raṣaṣ mā minnu salāma

б: 1. nā əl-laḥlakī juhhāl mā qədar kīl
2. wa əlqēt fī rāsak fedāme
3. nā ghuṣn waləd el-faḫl wa ənta əl-ḫīl
4. wa əz-zeyt fī maṭyak ʻalāme

№ 37. 1. wa lā nehāb el-qabīli
2. wa lā naḥsub ḥəsābe
3. nəḫāf ellā llī fī-s-samā
4. əllā tamṭur əshābe

XIV. № 38. 1. ḥannōlu ghalib mā yiḥanna
2. yā-ṭ-ṭēr yā-l-aḥḍar fēn memsāk el-lēla
3. ənā memsāy ʻend ahlī
4. wa əntə memsāk fī-s-sēla//wallā ḫaw walla ḫaw wīi

№ 39. 1. yōm el-ḫawāṭir ṣāfiya
2. jizzaʻ malī fenjān ṣīn

№ 40. 1. yā waʻəl ḥāmil mīh
2. fī-d-duqm bā yiqnaṣūk
3. wa-ṣ-ṣaqr bā yeshīl abūk//wallā ḫaw...

№ 41. 1. ḥēmid el-ḫasher rabbētu
2. wa ənā rejaʻt mirthá
3. lā ṣaqaṭ qaṣrəkum
4 ʻalā ḥēmid el-ḫasher yibnā

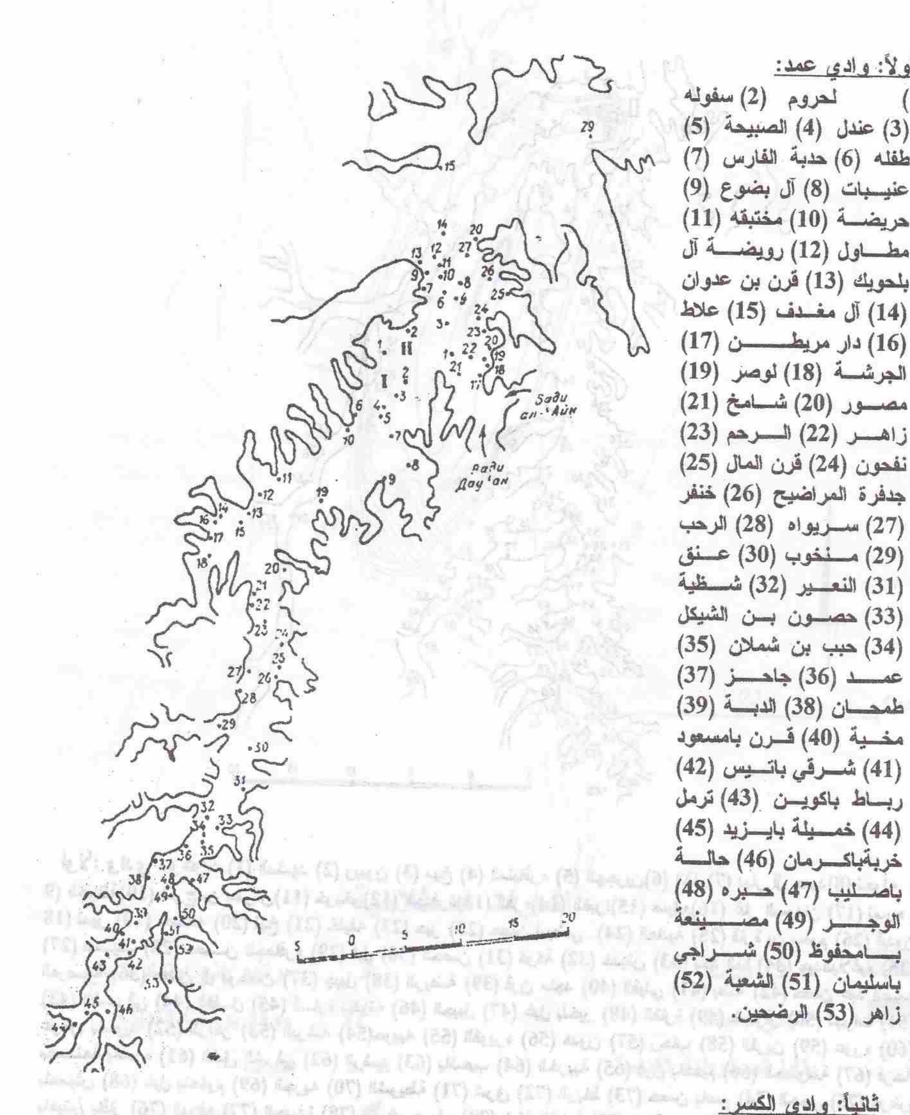
№ 42. 1. ṣabāḥ el-ḫēr yā zāwiya
2. yā umm el-manāra
3. ʻalā əl-hajrēn lā ghabbā
4. min kull ishāra

№ 43. 1. yā mrūḥ dināk el-lēl
2. wa-sh-shams ghābet
3. ʻād neḥna ellā ṭərebnā
4. wa-l-malābīj ṭābet



ملحق الرسوم والصور

خارطة رقم (1): منطقة البحث، وادي عمد وغرب وادي الكسر:



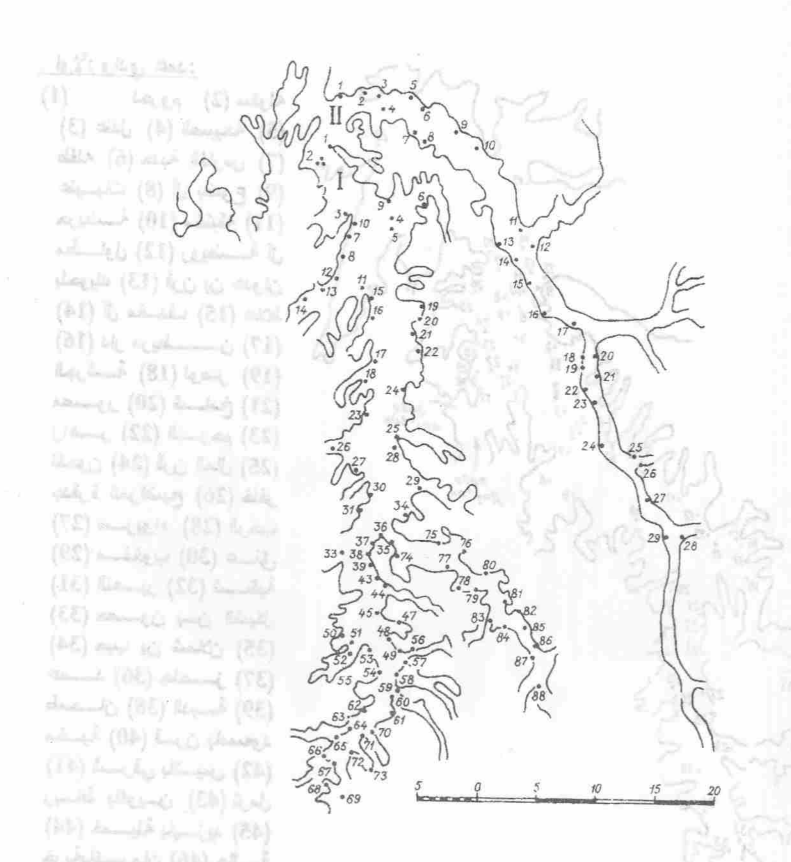
اولاً: وادي عمد:

(1) لحروم (2) سفوله (3) عندل (4) الصبيحة (5) طفله (6) حدبة الفارس (7) عنيبات (8) آل بضوع (9) حريضة (10) مختبقه (11) مطاول (12) رويضة آل بلحويك (13) قرن بن عدوان (14) آل مغدف (15) علاط (16) دار مريطن (17) الجرشة (18) لوصر (19) مصور (20) شامخ (21) زاهر (22) الرحم (23) نفحون (24) قرن المال (25) جدفرة المراضيح (26) خنفر (27) سريواه (28) الرحب (29) منخوب (30) عنق (31) النعير (32) شظية (33) حصون بن الشيكل (34) حبب بن شملان (35) عمد (36) جاحز (37) طمحان (38) الدبة (39) مخية (40) قرن بامسعود (41) شرقي باتيس (42) رباط باكوين (43) ترمل (44) خميلة بايزيد (45) خربةباكرمان (46) حالة باصليب (47) حبره (48) الوجر (49) مصينعة بامحفوظ (50) شراجي باسليمان (51) الشعبة (52) زاهر (53) الرضحين.

ثانياً: وادي الكسر:

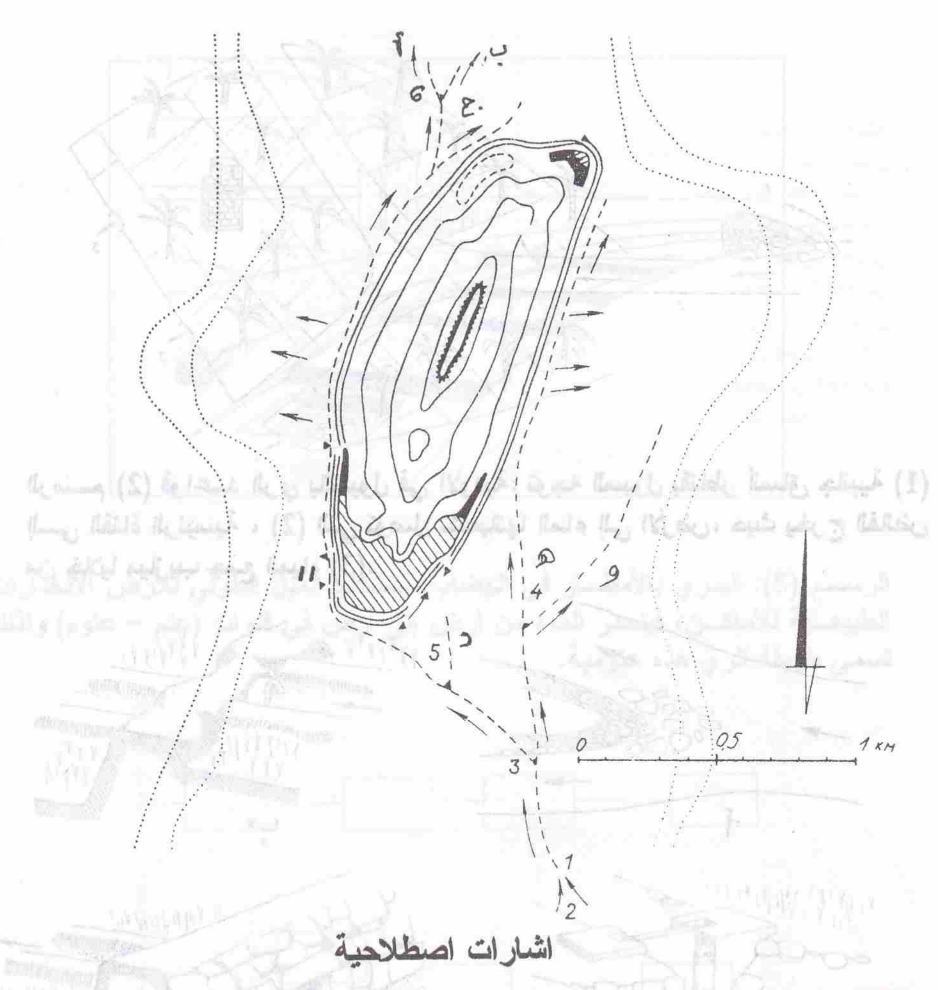
(1) ديار بن سليمان (2) لحماس (3) بحران بن ثابت (4) حوطة الخويمل (5) شراح (6) المنيف (7) القفل (8) ديار البقري (9) قشاشه (10) القارة (11) شريوف (12) الظاهره (13) قعوضة (14) المنبعث (15) هينن (16) القبضين (17) الروضة (18) كرعن (19) عرض بوزيد (20) سدبه (21) الفدح (22) لقران (23) حوره (24) عرض آل مخاشن (25) باسويد (26) النقعة (27) غنيمة آل عقيل (28) العجلانية (29) القرطه.

خارطة رقم (2) منطقة البحث، وادي دوعن ووا دي العين:

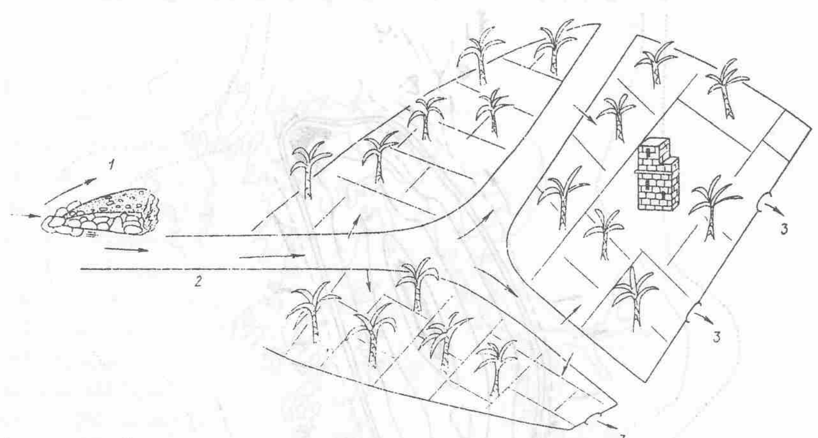


أولاً: وادي دوعن: (1) المشهد (2) ريبون (3) ميخ (4) المنيظره (5) الهجرين(6) القاو(7) ديار آل حميد(8) نحوله (9) الحوطة(10) شرج بن حترش(11) خريخر(12) الجدفرة(13) القزه(14) الغبرا(15) صيلع(16) غار السودان (17) نسره (18) نمير (19) مصنعه (20) لبخ (21) خليفه (22) حبر (23) حصن لبيضي (24) العادية (25) قارة بن سلوم (26) قيدون (27) صيف (28) حصن الجعافره (29) فيل (30) الحصن (31) كوكة (32) خديش (33) بلاد الما (34) حيدالبلاغيم (35) العرصمة (36) حصن آل بوحسن (37) جبيل (38) الريضة (39) قرن ماجد (40) القبلي (41) بضه (42) حصن عبد الصمد (43) الشرقي (44) القفل (45) قارة باكونه (46) الجبيل (47) غيل بلخير (48) القارة (49) خسوفر (50) لجرات (51) عرض باسويد (52) الزاهر (53) البرشه (54)حويبه (55) القويره (56) هدون (57) رحاب (58) القرين (59) عوره (60) مصنعة باصره (61) الشق الشرقي (62) الرشيد (63) باشعيب (64) الخريبة (65) قرن باحكيم (66) الحسوسة (67) قرحة باحميش (68) غيل باحكوم (69) الجربه (70) الشويطة (71) شرق (72) الرباط (73) حصن باصم (74) الجحي (75) عرض باهيتم/ باقار (76) الدوفه (77) الجديدة (78) سبيخ، جريف (79) خيلة القبلية (80) خيلة الشرقية (81) المحصن (82) ظري (83) حصن باسعد (84) توليه (85) حوفه (86) حيد الجزيل (87) خليف باعبود (88) حرف مره.

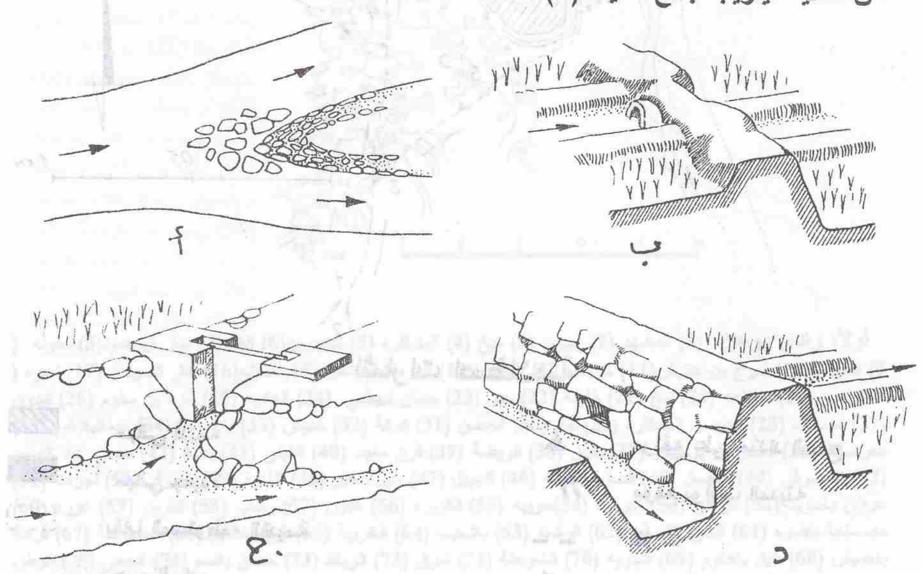
ثانياً: وادي العين: (1) عذب (2) مروح (3) لقلات (4) السفيل (5) تبقول (6) جعيبوره (7) البويرقات (8) حصن باصباح (9) حصن الكراديس (10) جريبات (11) حلة بن حمدين (12) منهب (13) منيزه (14) الباطنه (15) الجبية (16) الهشم (17) حريه (18) القاهرة (19) بامقعين (20) المرافي (21) تبيس (22) غبر (23) سماح (24) صيق باعبود (25)لبيه (26) شرج الشريف (27) حصن آل بكير (28) الغيضة السفلى (29) الغيضة العليا.



رسم (1) مدينة الهجرين ،الطبوغرافيا والري:1- قنطرة جانبية (دامر) 2- رصيف بالزلط 3-6- تقسيم المياه ، قنوات التصريف : من قناة دمون : أ- باحداد، ب- مجفى ج- عيبه. ومن قناة هيدون : د – التجل. هـ – السفل ، و- حميش



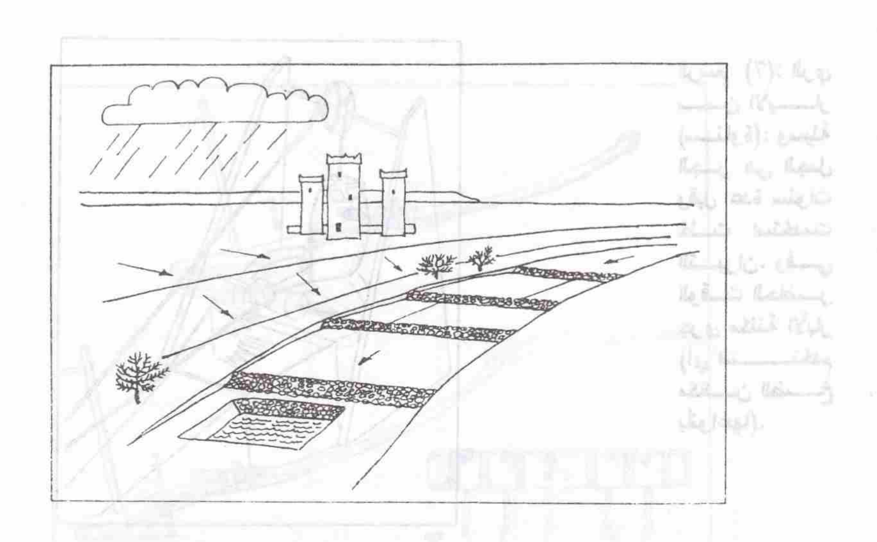
الرسـم (2) قواعـد الري بالسيول في الأودية: توجه السيول بقناطر أنساق جانبية (1) إلـى القناة الرئيسية ، (2) التي توصل تشعباتها الماء إلى الأرض، حيث يخرج الفائض من خلايا ميازيب جمع المياه (3).



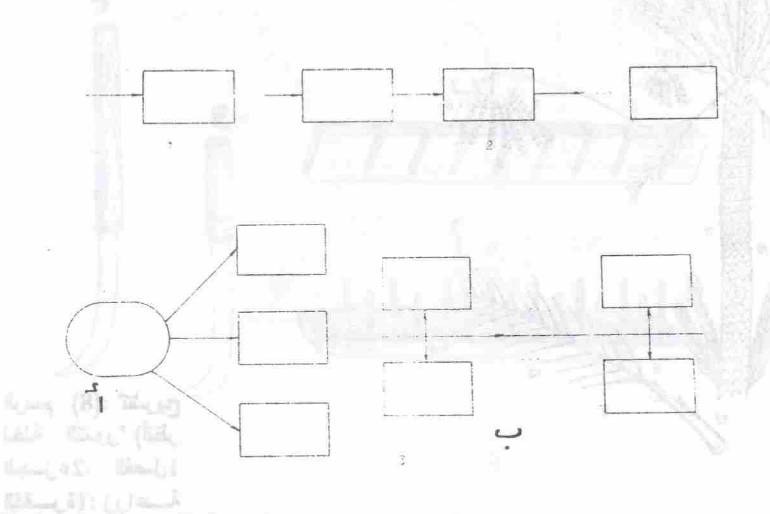
الرسم (3) و(4): عقد التكنيك المائية أثناء الري بالسيول في الأودية:

أ- قناطر أنساق جانبية (دامر) ب- قناطر (سطحية أو جوفية) لحجز المياه (مناكي)

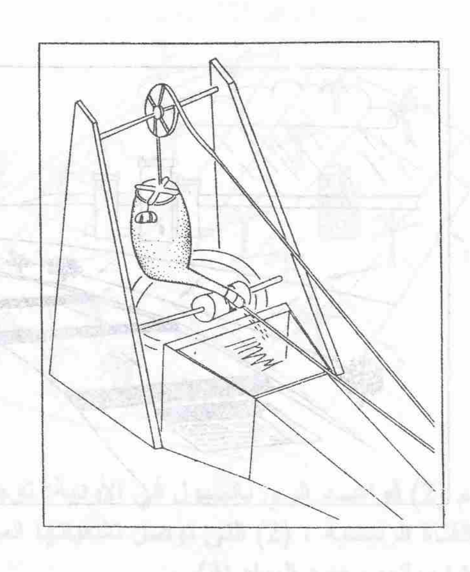
ج- قناة موازنة مفتوحة (بد) د- قناة موازنة مغلقة بمنافذ خاصة مع الشفاطة (حرّة).



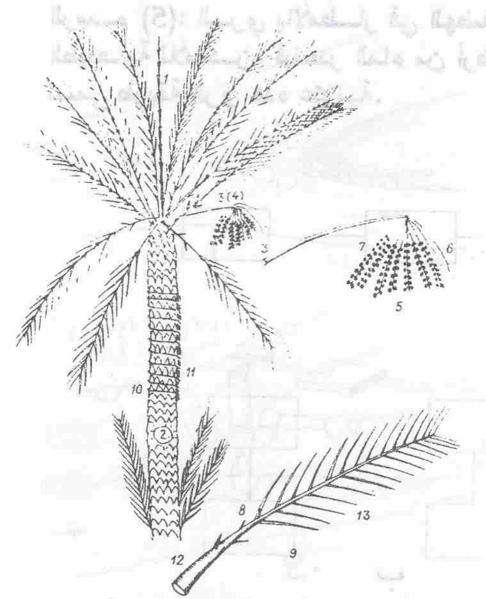
الرسم (5): الـري بالأمطـار في الهضاب: يستخدم الميل الطولي للأرض الانحدارات الطبيعـية للأماكـن، فينحدر الماء من أرض إلى أرض في قنوات (عتم – عتوم) ولذلك تسمى طريقة الري هذه عتومية.



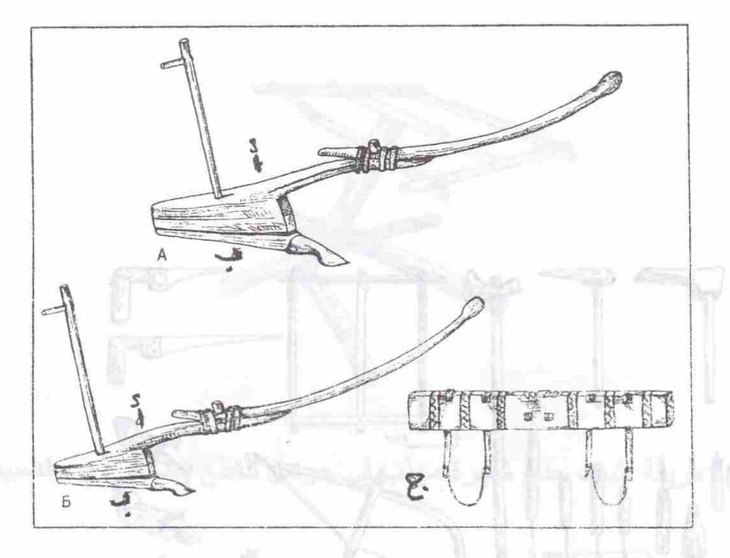
الرسم (6): طريقة توزيع الماء في الأرض: 1- مباشرة 2- متتابعة 3- أ، ب – متوازية.



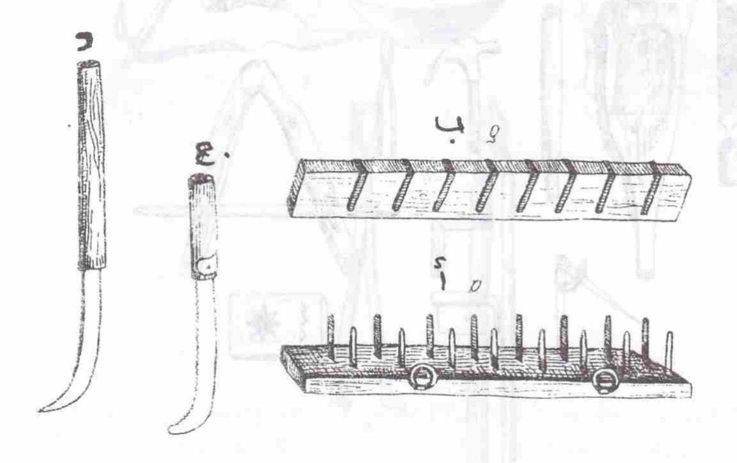
الرسم (7): الري من الآبار (سناوة): وسيلة الجر هي الجمل وقبل عدة سنوات خلت استخدمت الثيران، وفي الوقت الحاضر جرى مكننة الآبار (أي استخدم مكائن الضخ بأنواعها).



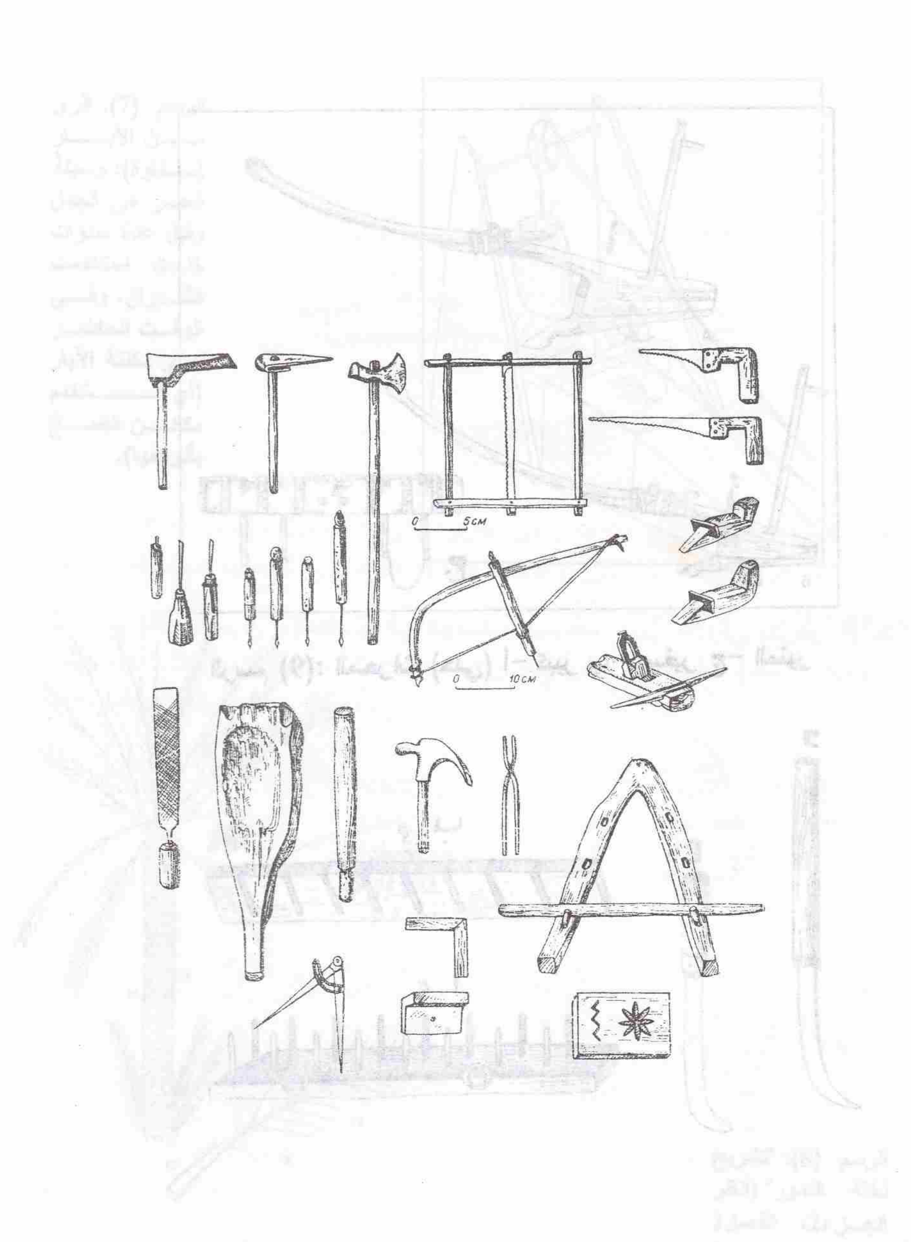
الرسم (8): "تشريح نخلة التمور" (أنظر الجزء2، الفصل1 الفقرة1: زراعة النخيل) حسب رسم ب.أ. بوغوريلسكي.



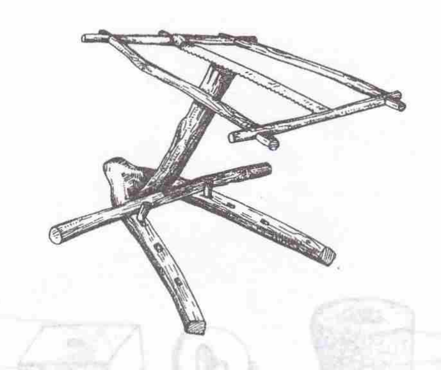
الرسم (9): المحراث (حلي) أ- كبير ب- صغير ج- المنير



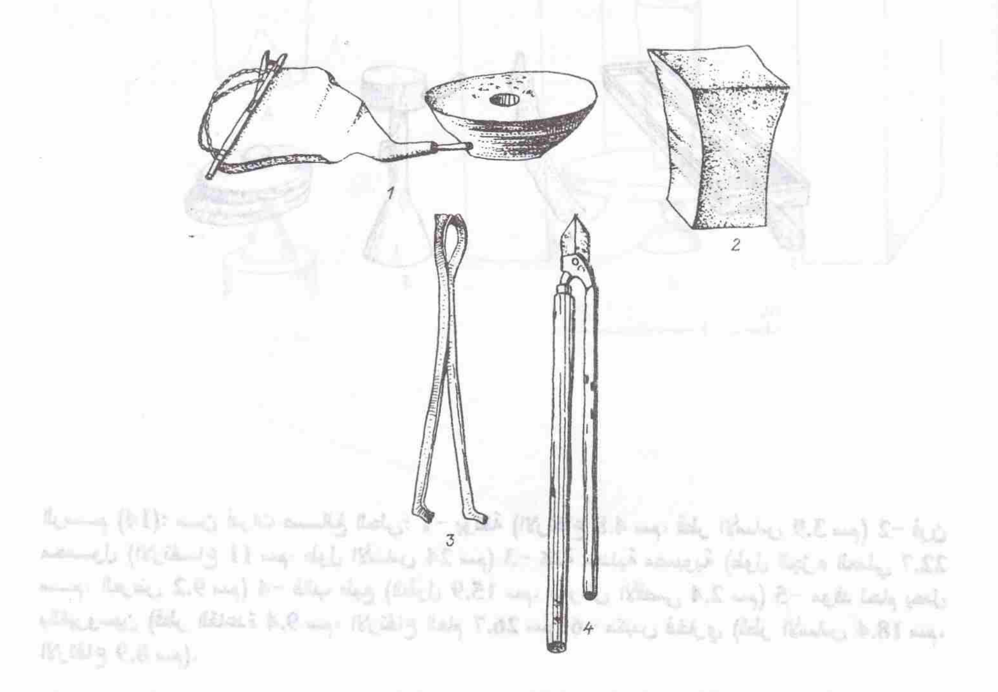
الرسم (10): أدوات زراعية: أ- مسلفة كبيرة ب- لوح لتسوية الأرض ج- المنجل (الشريم) د- مشذب.



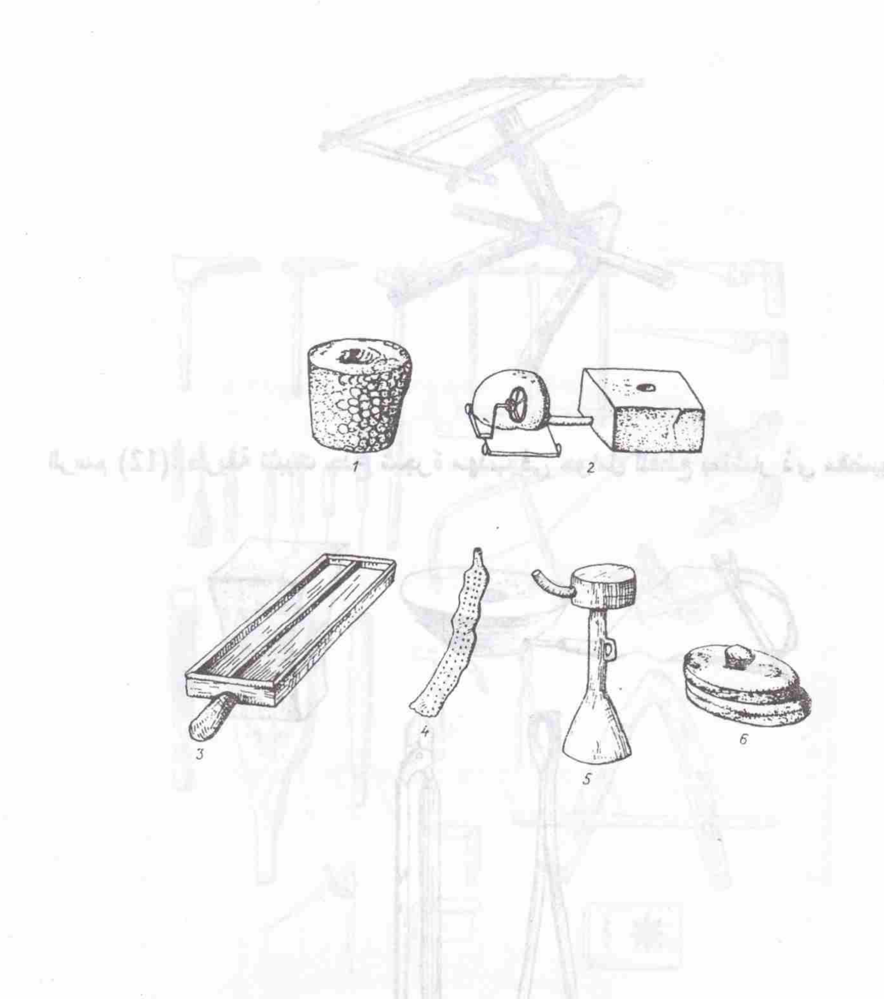
الرسم (11): أدوات النجارة



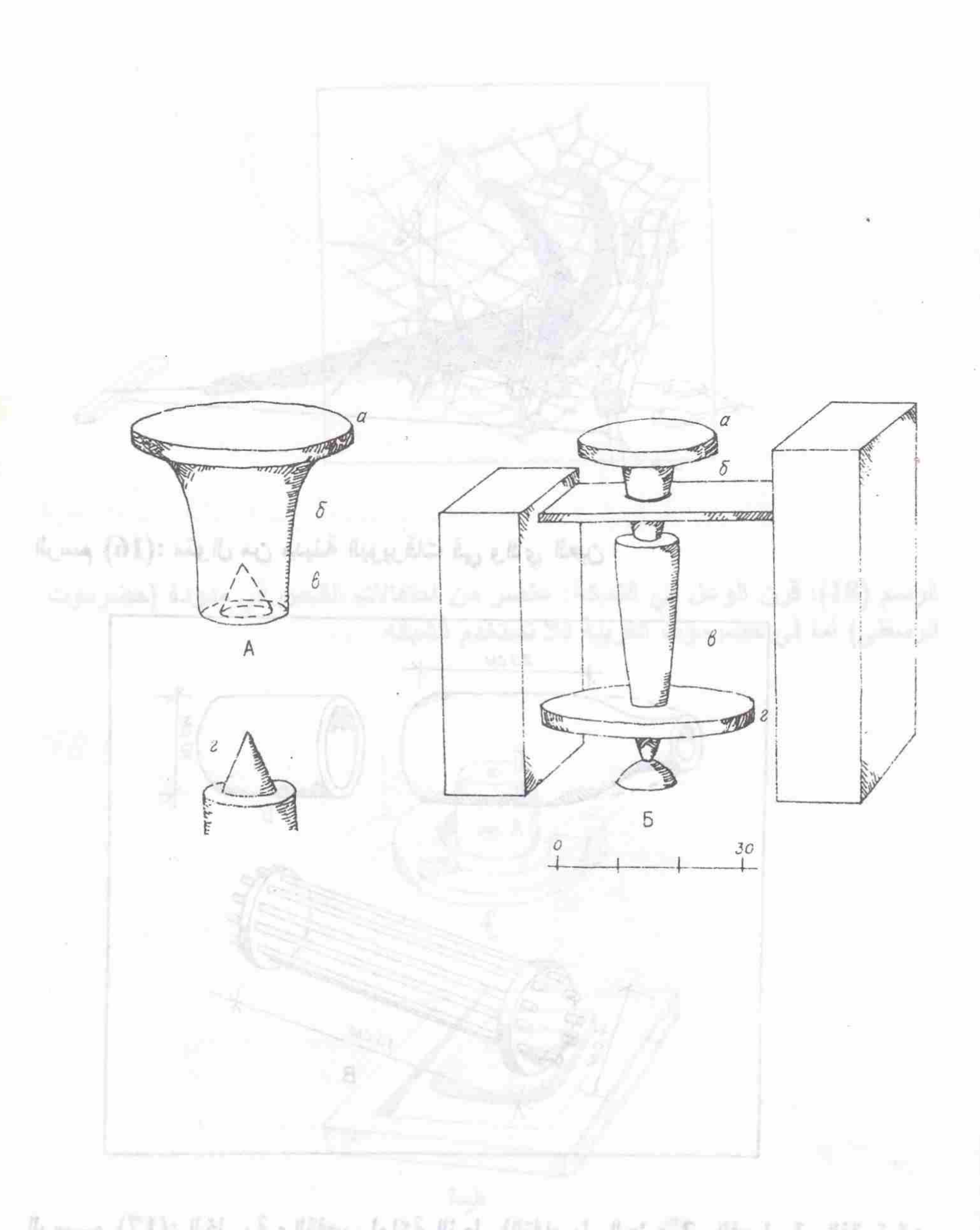
الرسم (12): طريقة تثبيت جذع شجرة مهذب في حوامل للقطع بمنشار ذي مقضبين.



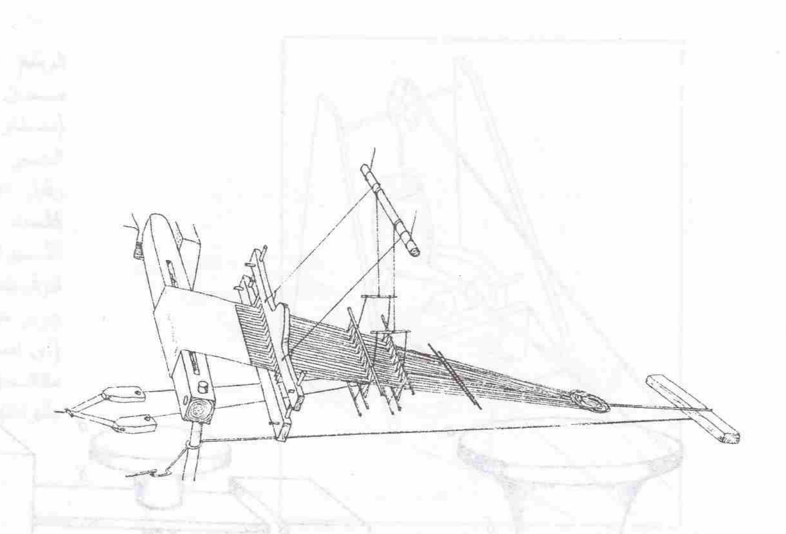
الرسم (13): أدوات الحداد: 1- كير محمول 2- السندان 3- ملقط 4- قاطعة للصفائح



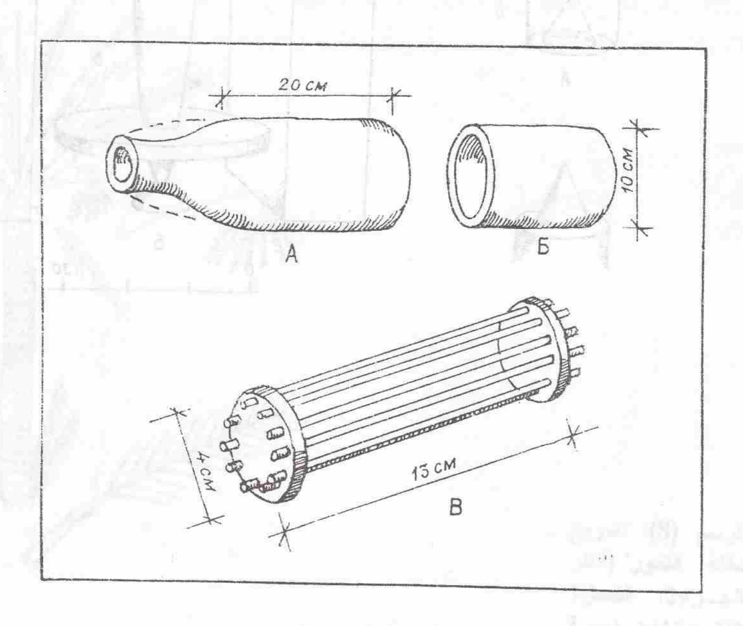
الرســم (14): مــن أدوات صــائغ الحلي: 1- بوتقة (الارتفاع 4.8 سم، قطر الأساس 3.9 سم) 2- فرن محمــول (الارتفــاع 11 سم، طول الأساس 24 سم) 3- كتلة معدنية مصبوبة (طول الجزء العملي 22.7 ســم، العرض 9.2 سم) 4- قالب طبع (الطول 15.9 سم، العرض الأقصى 2.4 سم) 5- موقد لحام يعمل بالكيروسين (قطر القاعدة 9.4 سم، الارتفاع العام 26.7 سم) 6- مكبس فخاري (قطر الأساس 18.4 سم، الارتفاع 8.9 سم).



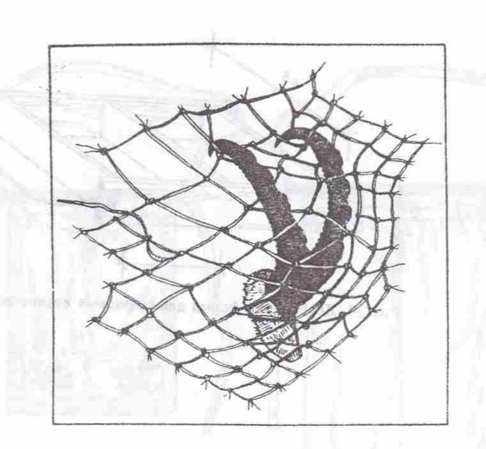
الرسـم (15): أدوات إنـتاج المصنوعات الفخارية: أ- في صيف ب- في عمد (أنظر التفاصيل، الجزء 2، الفصل 1، الفقرة 3، الصناعة الفخارية).



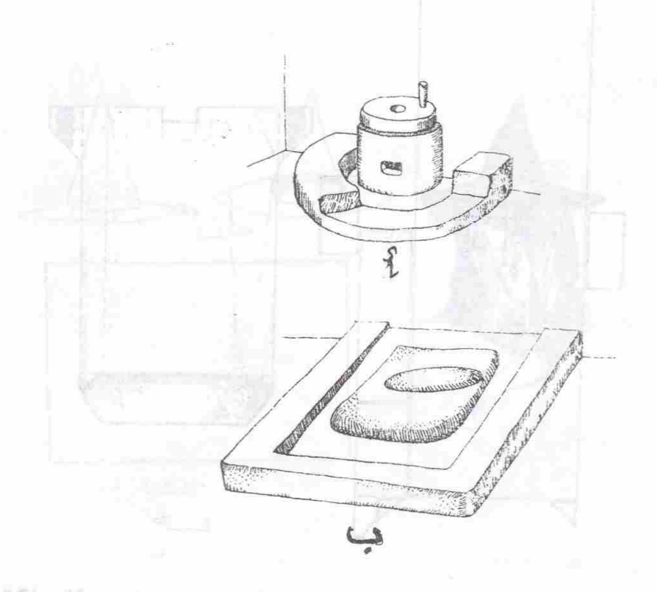
الرسم (16): منوال من مدينة البويرقات في وادي العين



الرسم (17): الخلية والقفص لملكة النحل (التفاصيل الجزء 2، الفصل 1، الفقرة 4: تربية النحل).



الرسم (18): قرن الوعل في الشبكة: عنصر من احتفالات القنص في مدودة (حضرموت الوسطى) أما في حضرموت الغربية فلا تستخدم الشبكة



الرسم (19): أ- رحى يدوية ب- مطحنة حبوب حجرية (في المطبخ الاعتيادي)

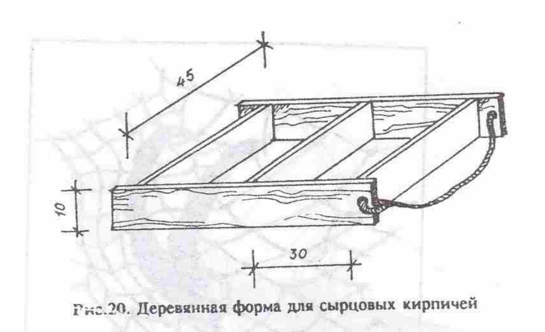
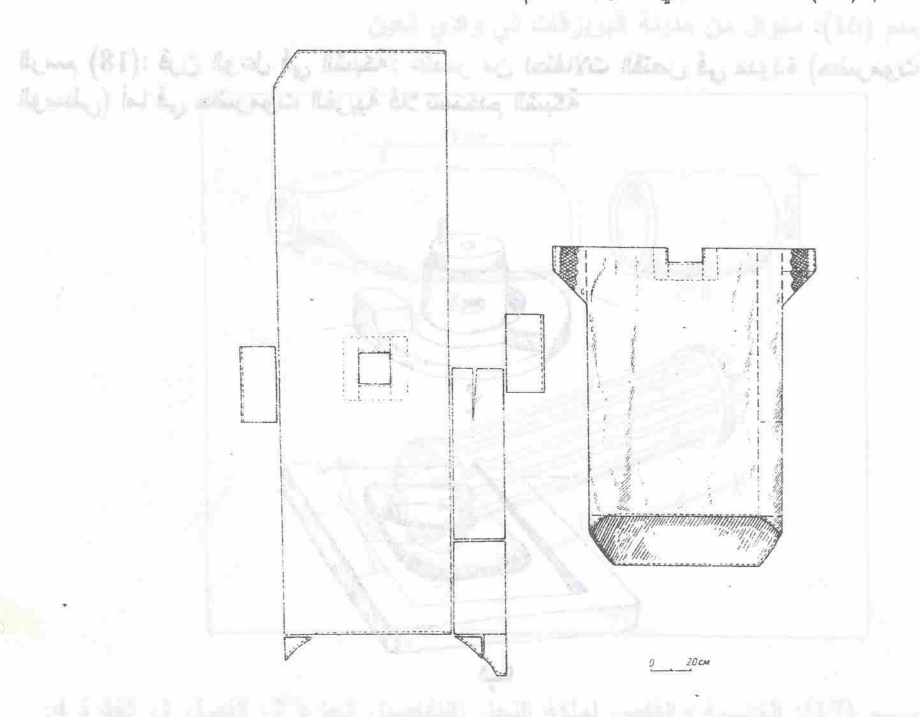
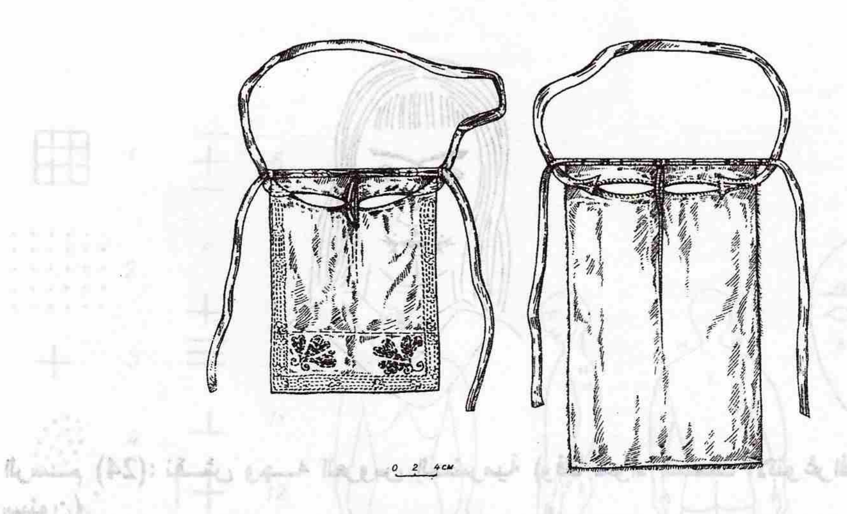


Рис.20. Деревянная форма для сырцовых кирпичей

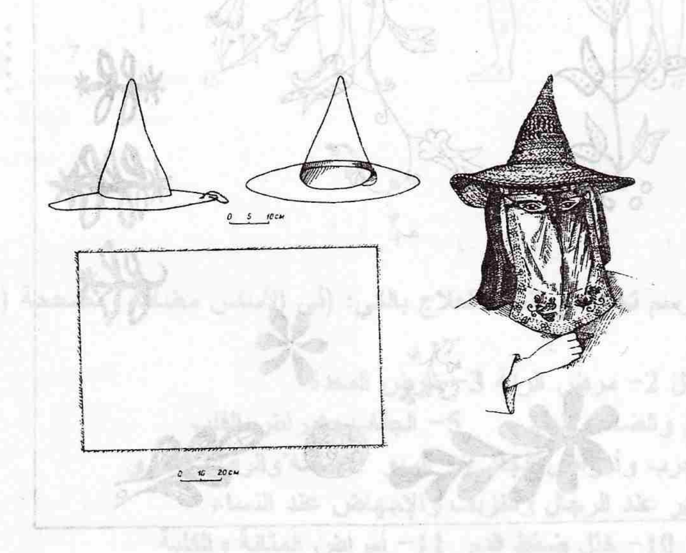
الرسم (20) : قالب خشبي للطوب الخام



الرسم (21): الثوب النسائي اليومي، نموذج الهجرين: التفصيل والمظهر الخارجي



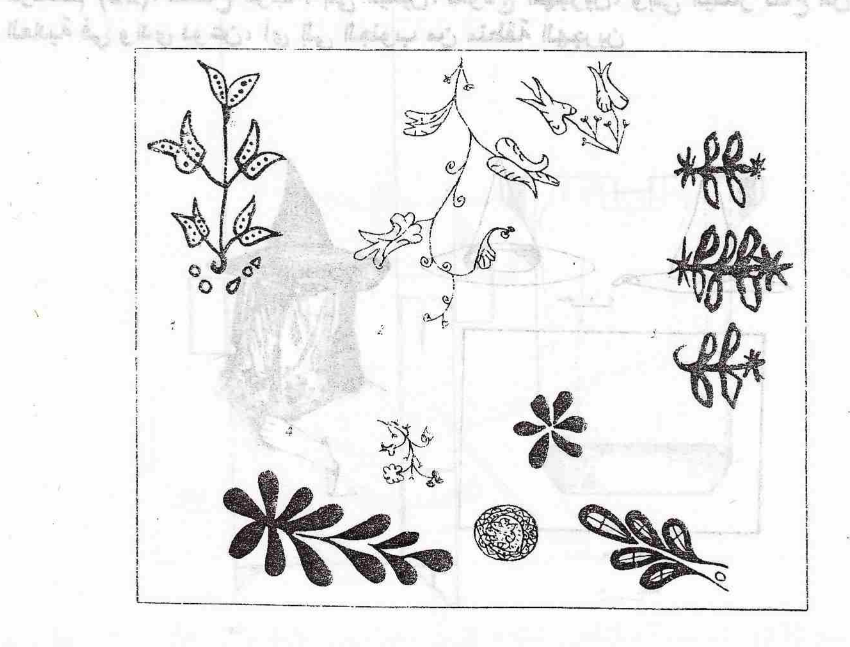
الرســـم (22): قـــناع الوجه: إلى اليمين: نموذج الهجرين، وإلى اليسار قناع من قرية العادية في وادي دوعن، أي إلى الجنوب من منطقة الهجرين



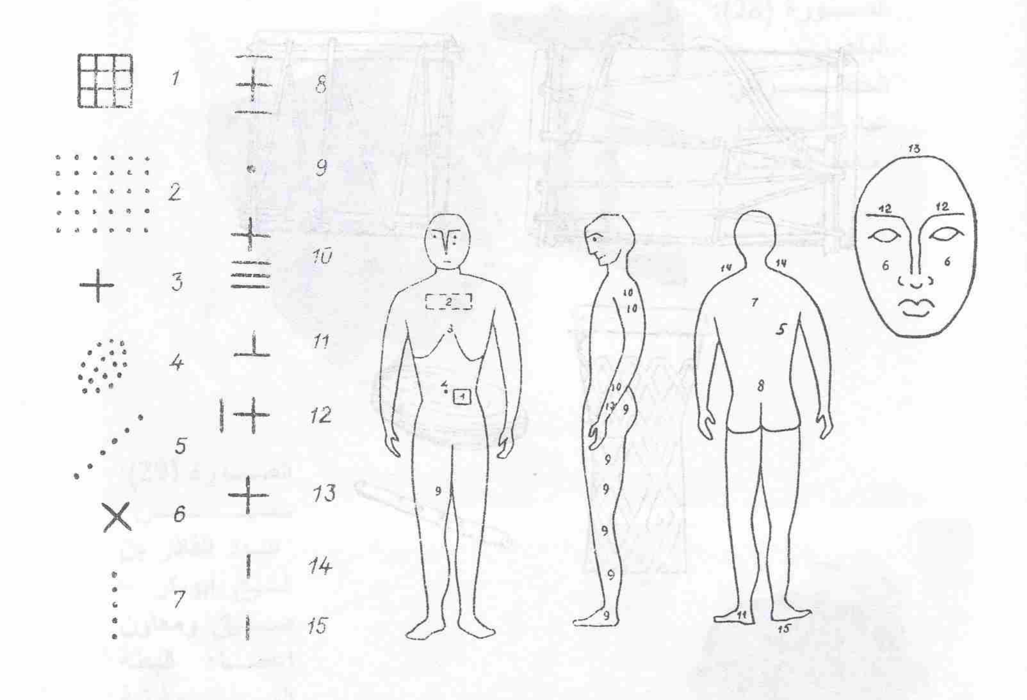
الرســم (23): قـــبعة محاكـــة مـــن ســـعف النخـــيل، وقناع الوجه مع منديل الرأس.



الرسم (24): نقش وجه العروس الحضرمية (وفقاً لمواد المتحف الاثنوغرافي في سيئون).



الرسم (25): نماذج لنقش أيادي النساء بالحناء (1 – 4) من الهجرين في وادي دوعن.



الرسـم (26): رسم تخطيطي لنقاط العلاج بالكي: (في الأساس مضافة ومصححة (271 ص 114):

1- مرض الطحال 2- مرض الرئة 3- مرض المعدة

4-مرض الغثيان والضعف العام 5- الجنُاب وأمراض القلب

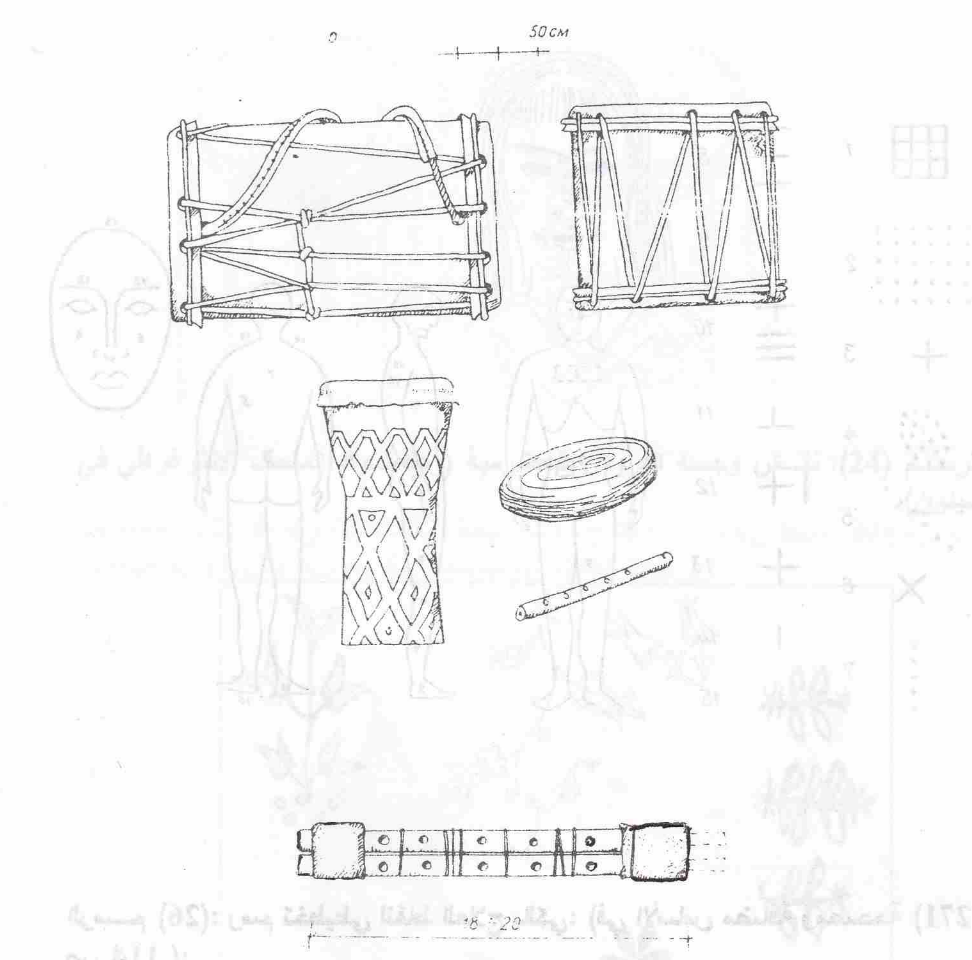
6- الجدري والجرب وأمراض الجلد 7- الربو "الأستمه"والرض الفقري

8- أمراض الظهر عند الرجال والنزيف والإجهاض عند النساء

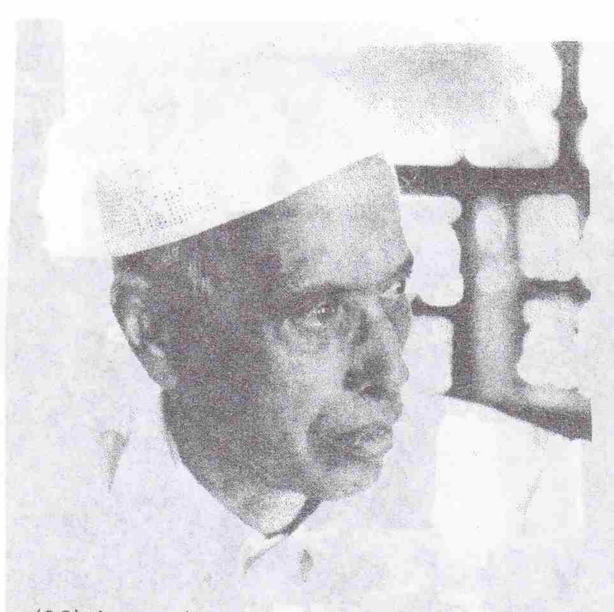
9- الروماتيزم 10- خلل ضغط الدم 11- أمراض المثانة والكلية

12- الإفراز الصديدي من العين 13- أمراض الحلق الشديدة

14- آلام العضد 15- التقيؤ



الرسم (27): الآلات الموسيقية الشائعة في حضرموت الغربية (من اليسار إلى اليمين): الطبل العريض الكبير، الطبل المتوسط، الطبل الفخاري بمرنان واحد، طبل صغير مقطوع من الخشب، الناي، وإلى الأسفل المزمار. الدفوف أنظر الرسم (68).



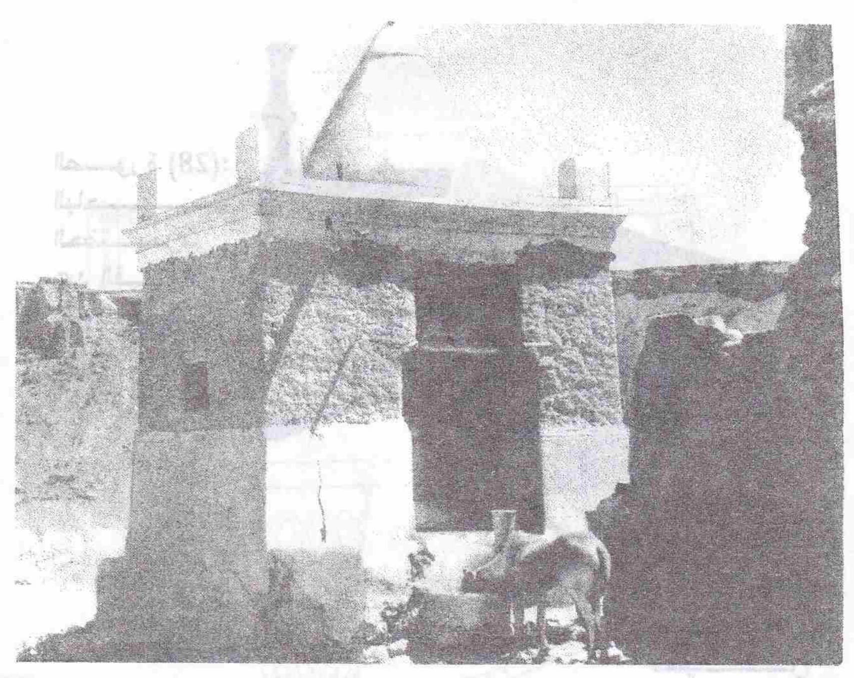
الصورة (28): الباحث الحضرمي عبد القادر محمد الصبان

الصورة (29): حسين عبد القادر بن الشيخ أبوبكر – صديق ومعاون أعضاء البعثة السوفيتية اليمنية.

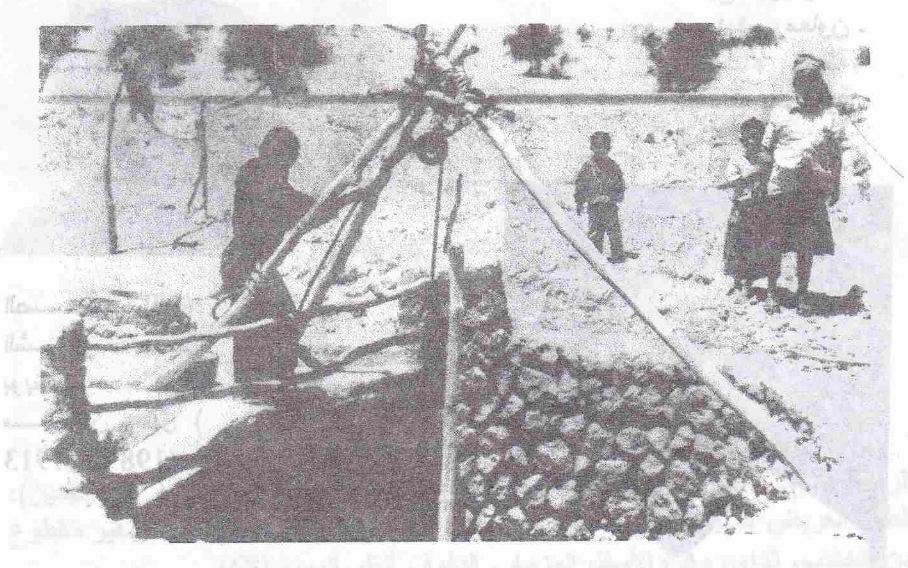




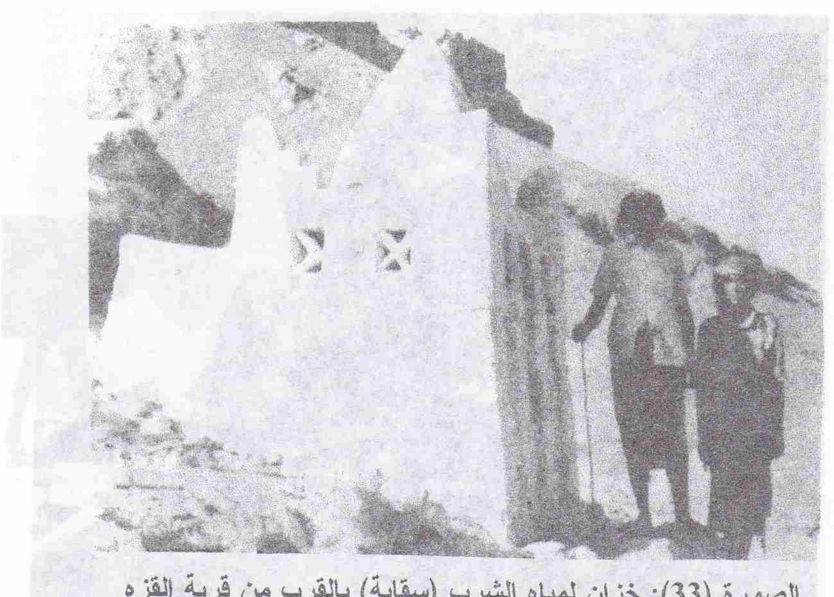
الصورة (30): الشاعر الشعبي بوبشر: مبارك سالم بن عقيل (1913 - 1989)



الصورة (31): بئر قرب مسقاه للماشية – بقرة قصيرة القامة.



الصورة (32): بئر مع إداة رفع على هيئة ثلاث أرجل



الصورة (33): خزان لمياه الشرب (سقاية) بالقرب من قرية القزه



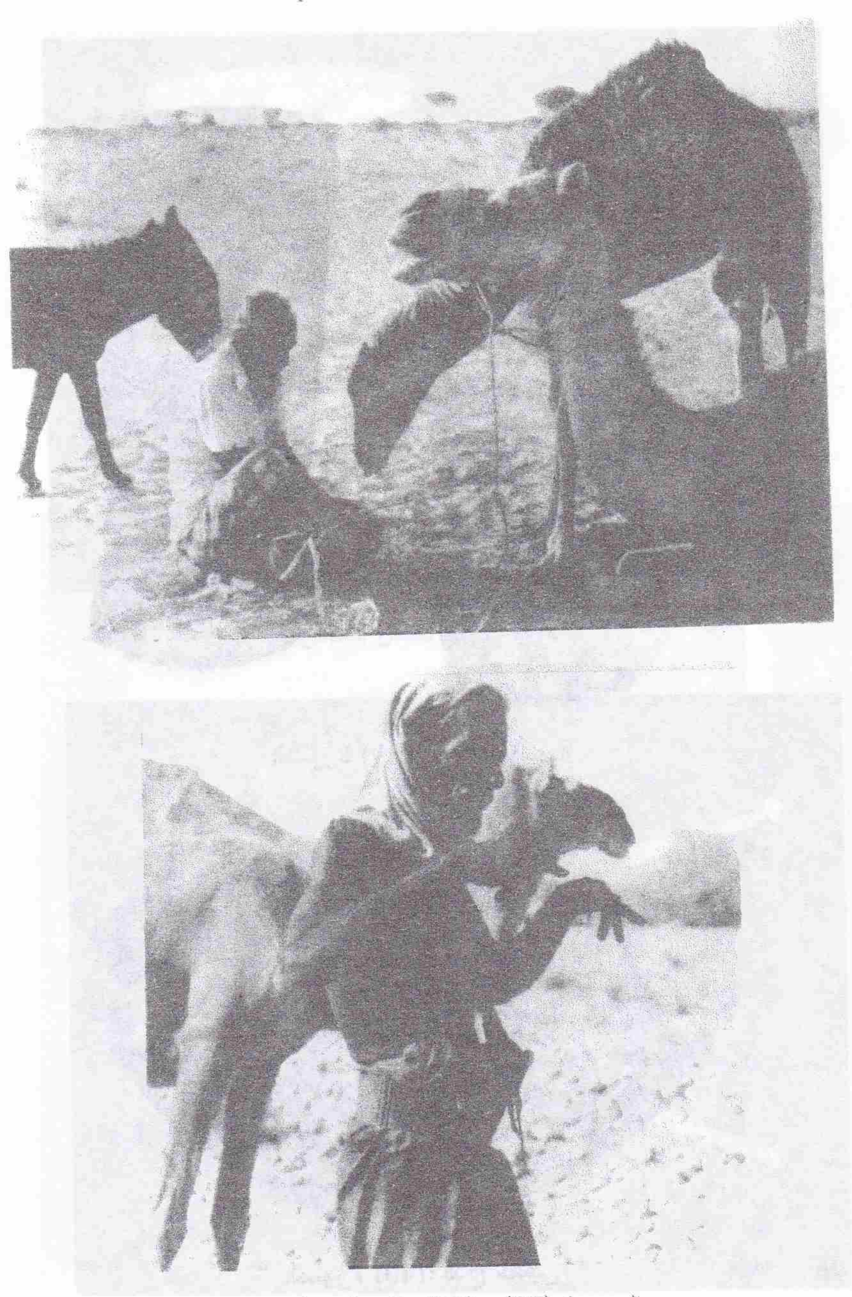
الصورة (34): المحراث الخشبي والنير



الصورة (35): نجار وبجانبه نافذة خشبية بدرفتين وإلى اليسار سلة أدوات النجارة.



الصورة (36): برذعة مع "الأجنحة" الخشبية التقليدية (للمقارنة الصورة 70).



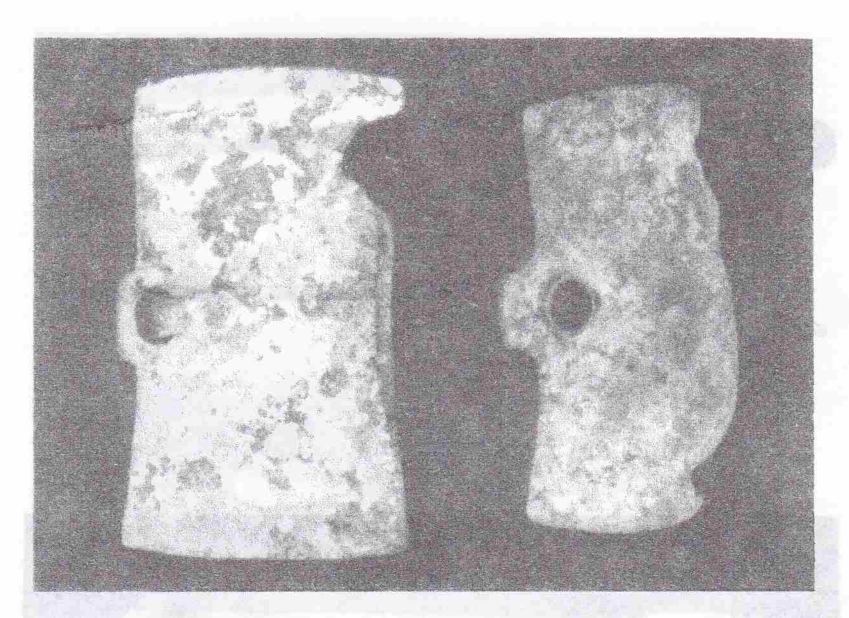
الصورة (37) و(38): الجمال والناس



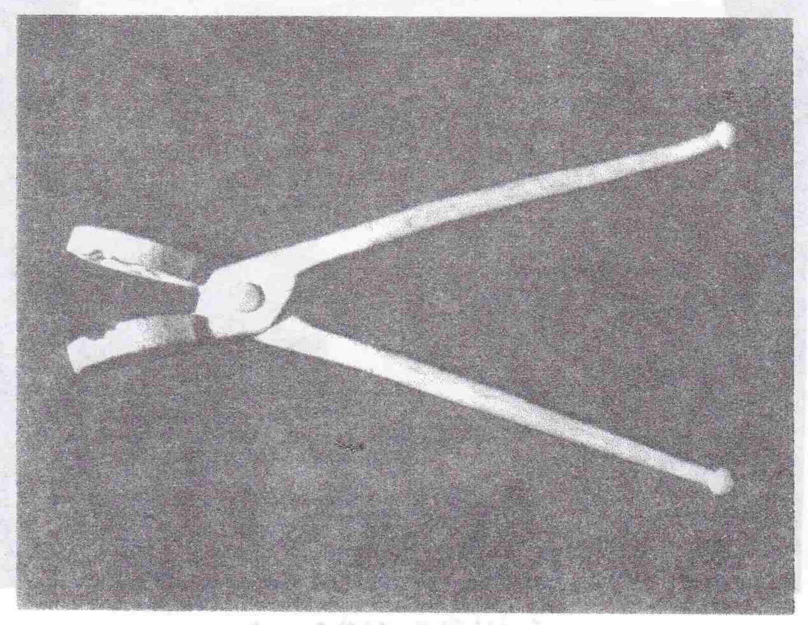
الصورة (39): أجران خشبية



الصورة (40): قدح خشبي



صورة (41): نصال المجارف



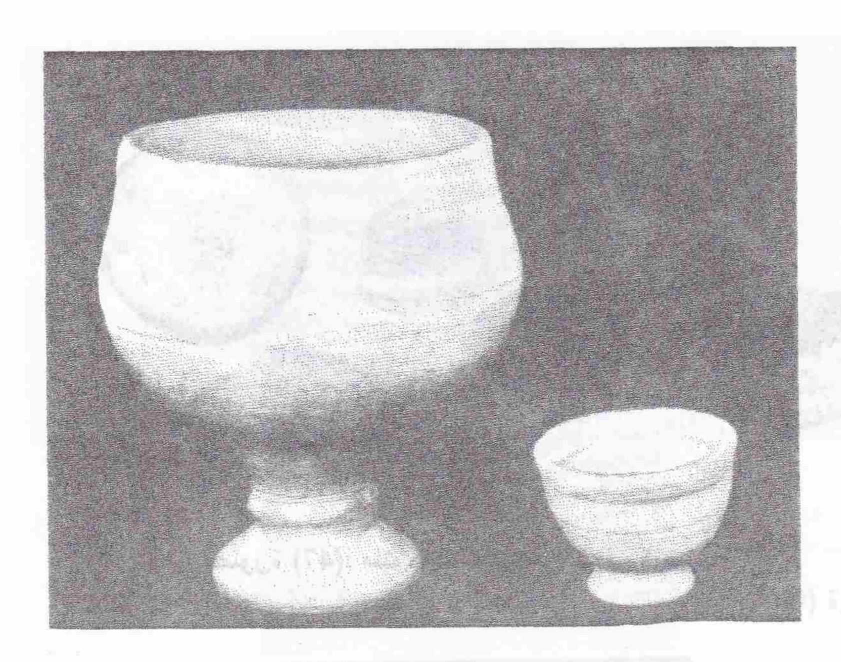
الصورة (42) مسبك للرصاص



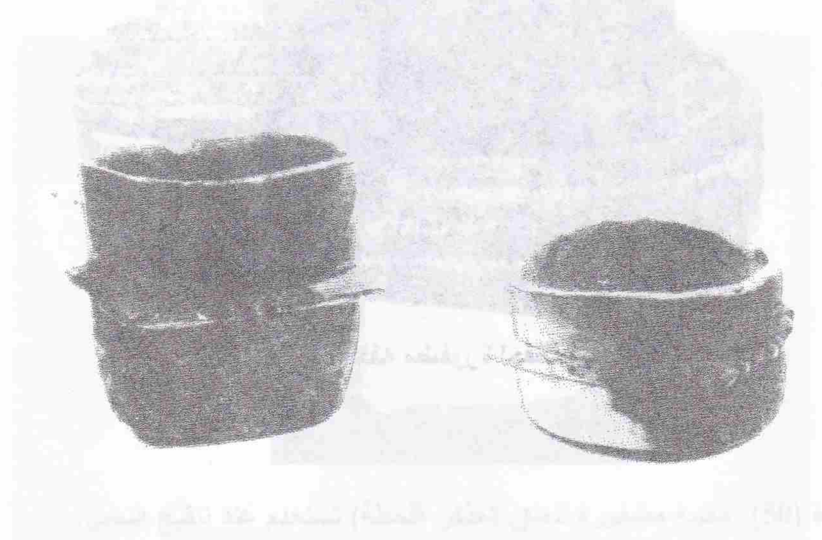
الصورة (43) بنادق المسكيت ذات الفتيلة



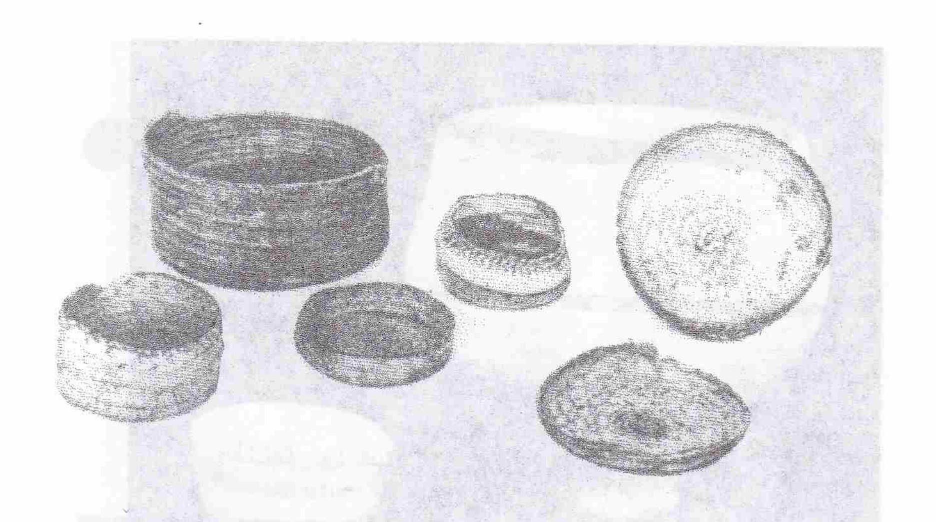
الصورة (44) مغسلة فخارية.



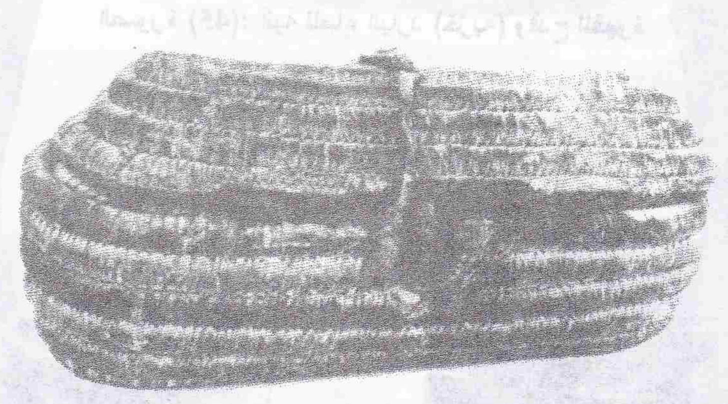
الصورة (45): آنية للماء البارد (خزبه) وقدح للقهوة



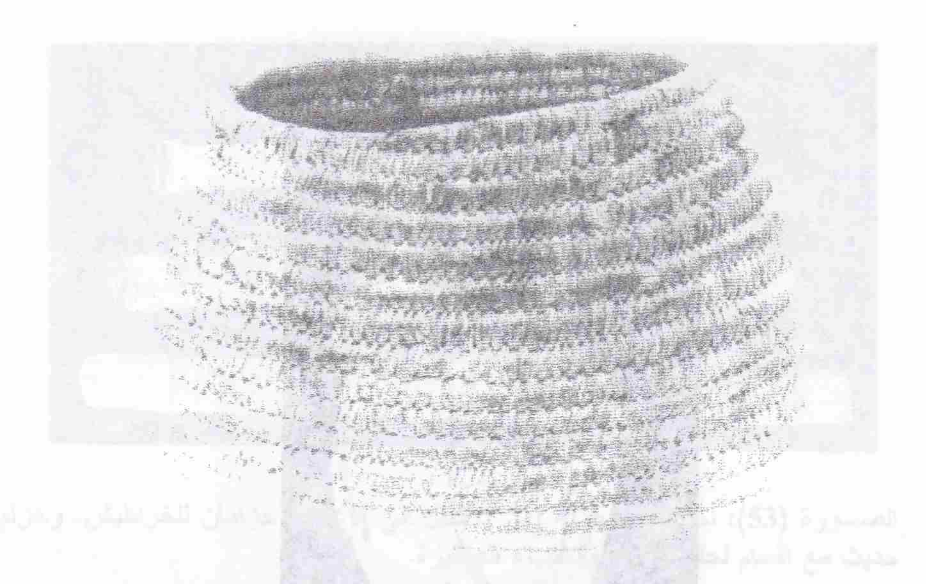
الصورة (46): قدور حجرية (بُرمة - بُرم)



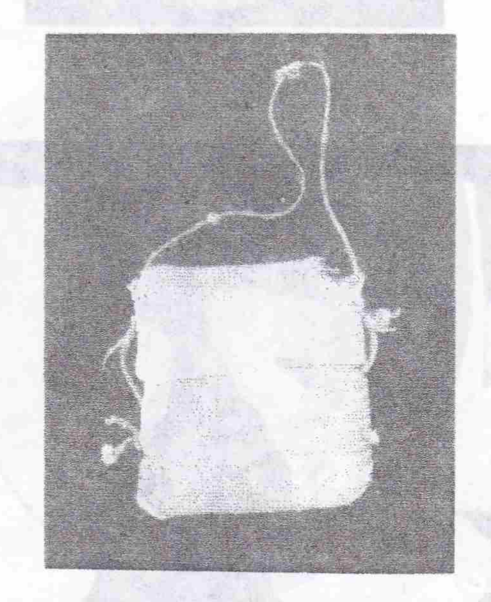
الصورة (47): منتوجات محاكه من سعف النخيل



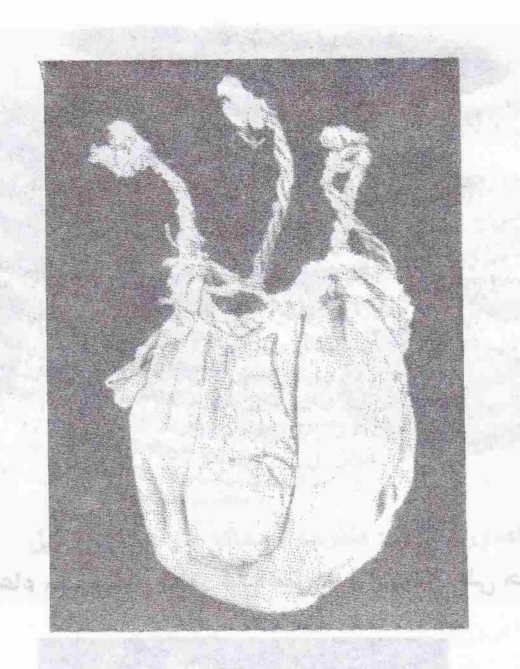
الصورة (48): حقه مضفورة لحفظ الوثائق



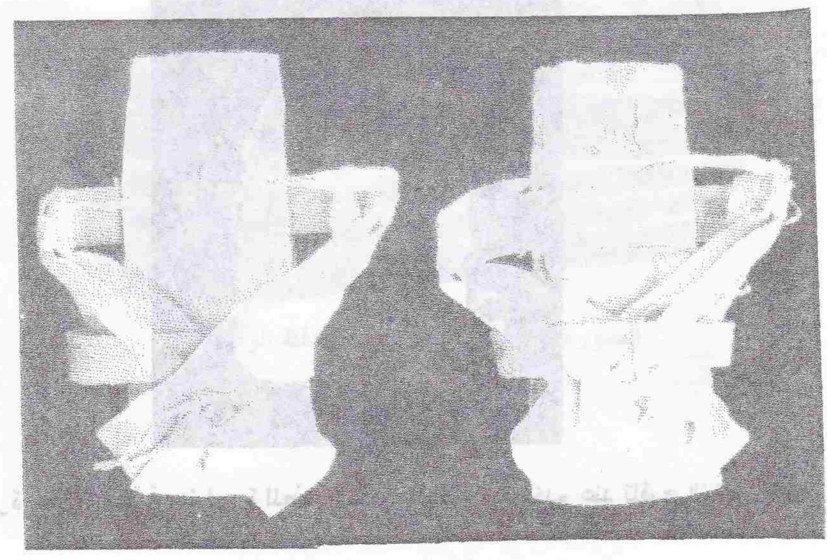
الصورة (49): وعاء مُحاك كبير تعلق عادة مثل هذه الأوعية على حبل إلى السقف



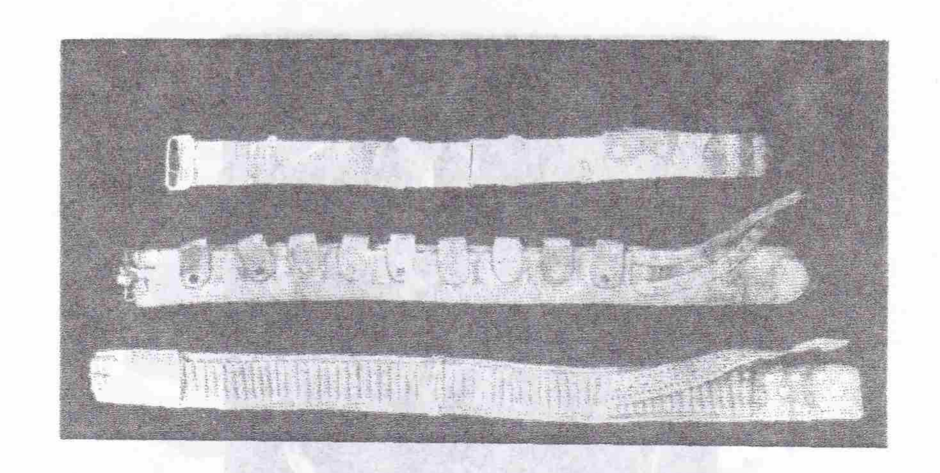
الصورة (50): حقيبة مضفورة للعذق المذكر (فُخطة) تستخدم عند تلقيح النخيل.



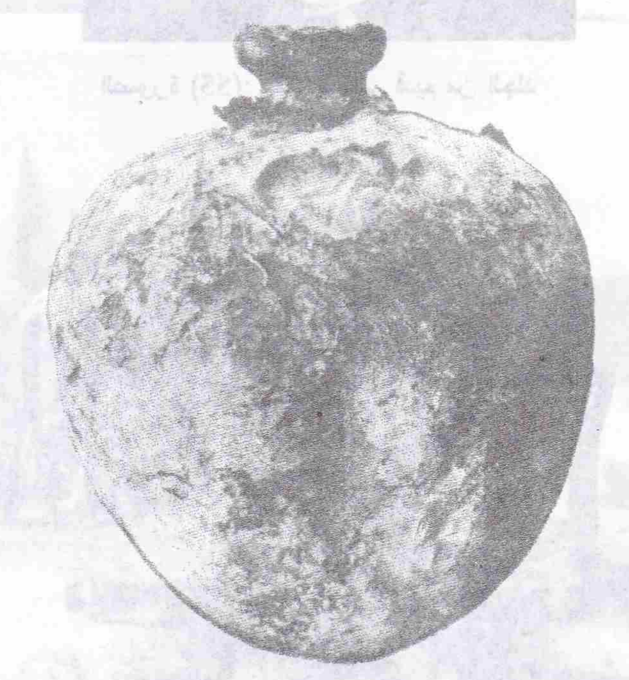
الصورة (51) دلو من الجلد



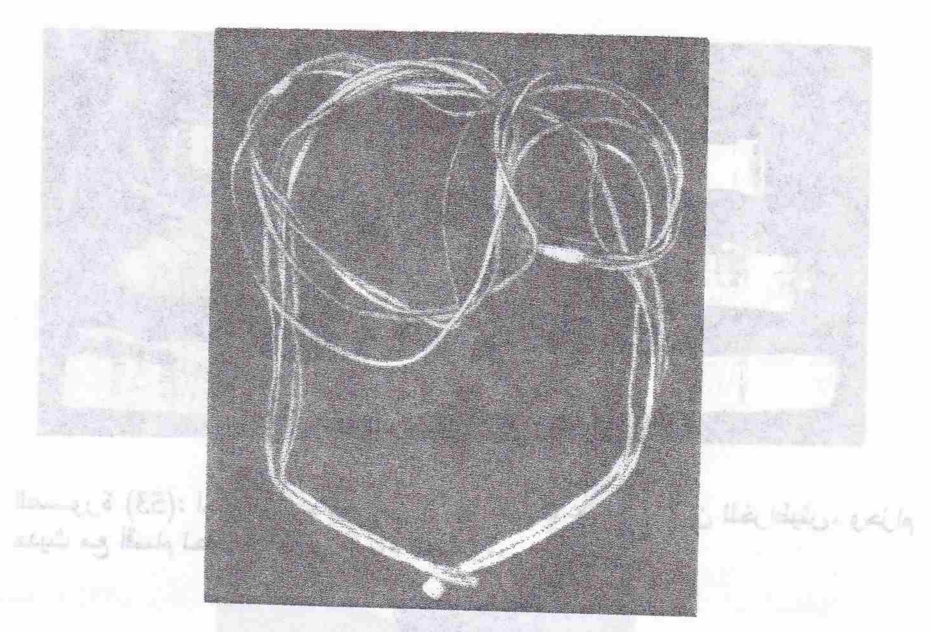
الصورة (52): نعال أبو جحيش



الصــورة (53): أحــزمة رجالية (من الأسفل إلى الأعلى): حزامان للخراطيش، وحزام حديث مع أقسام لحفظ النقود والأشياء الصغيرة.



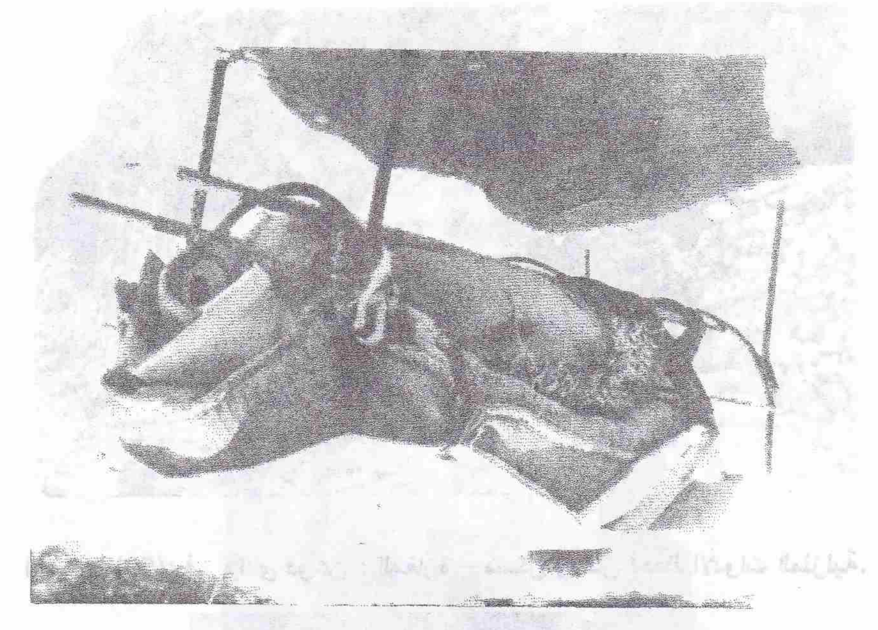
الصورة (54): قنبلة : وعاء جلدي للبارود والرصاص



الصورة (55): نطاق نسائي قديم من الجلد

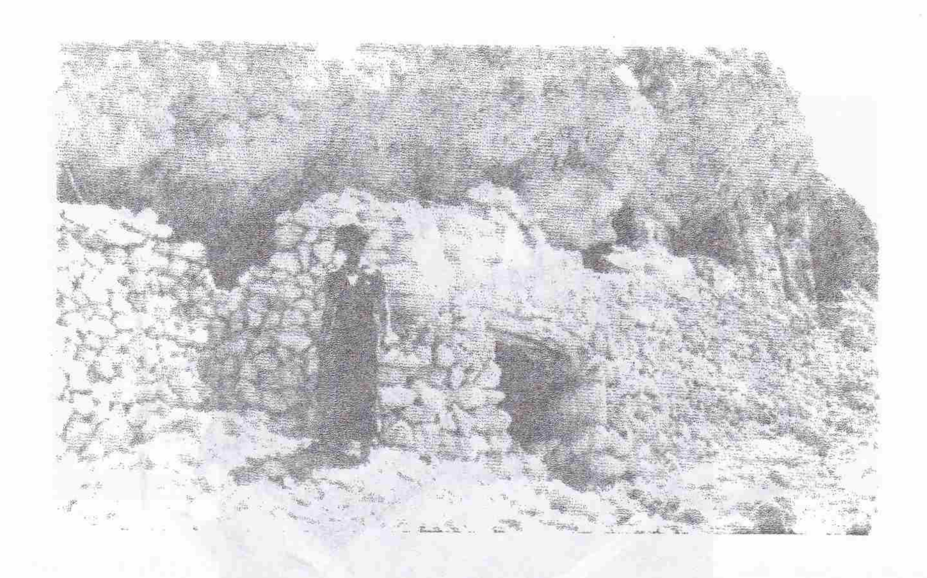


الصورة (56): معصرة زيت السمسم





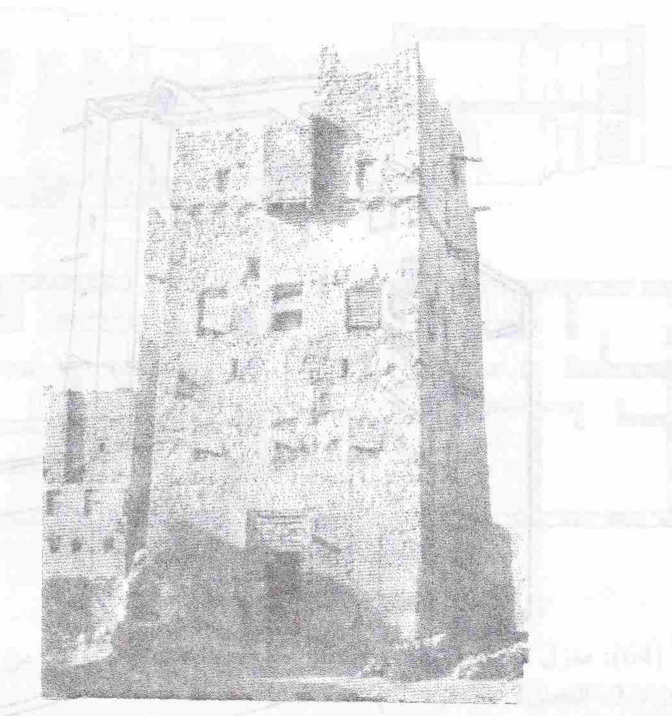
الصورتان (57-58) خلايا النحل



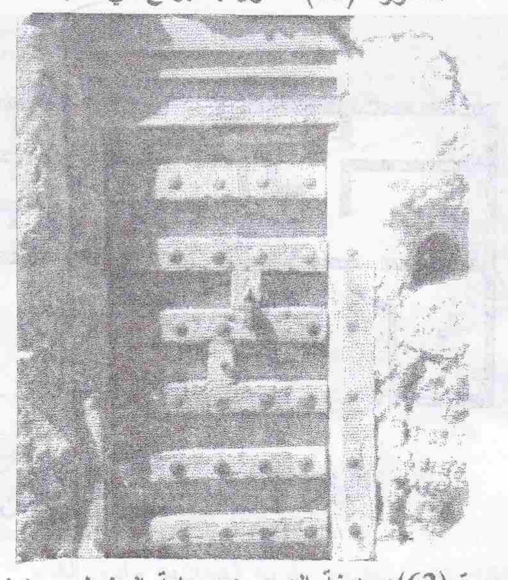
الصورة (59): في وادي دوعن : المغارة – مسكن ومكان لحفظ الأدوات المنزلية.



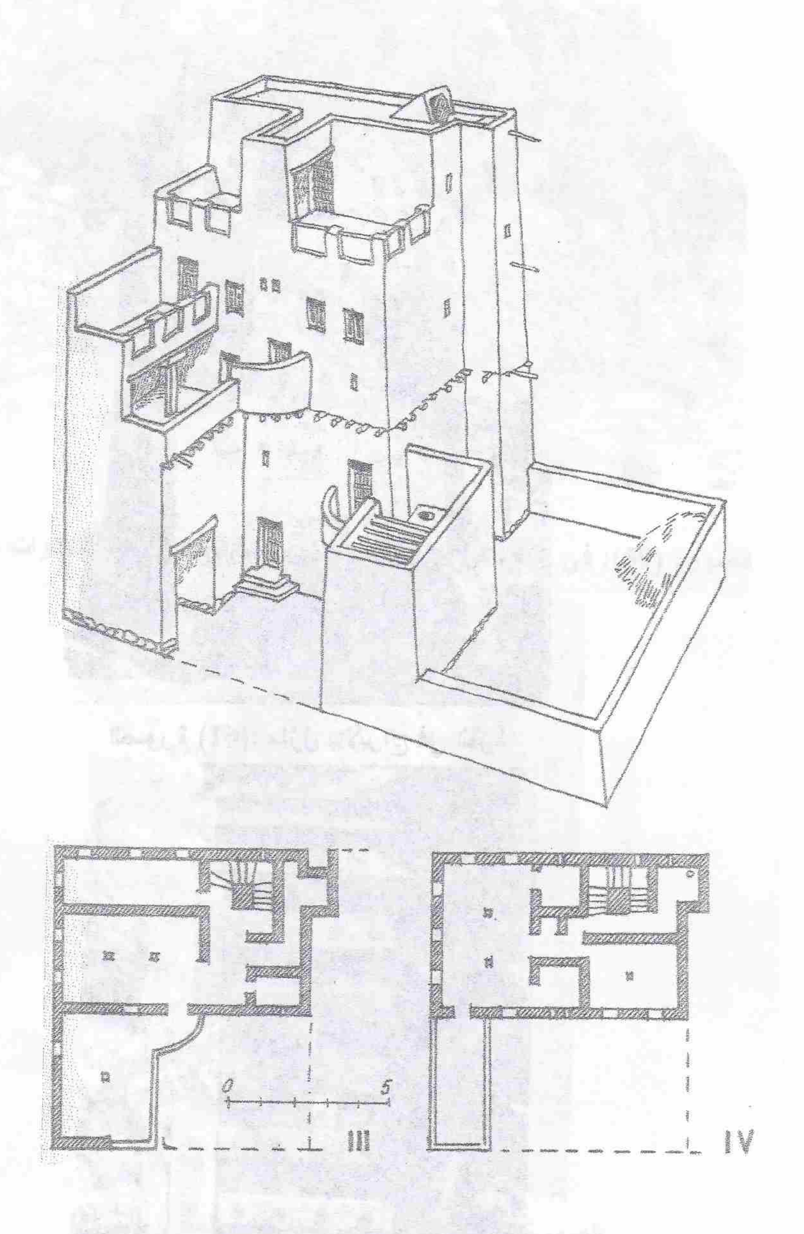
الصورة (60): وادي دُهرُ عند بوابة المنزل (البرج)



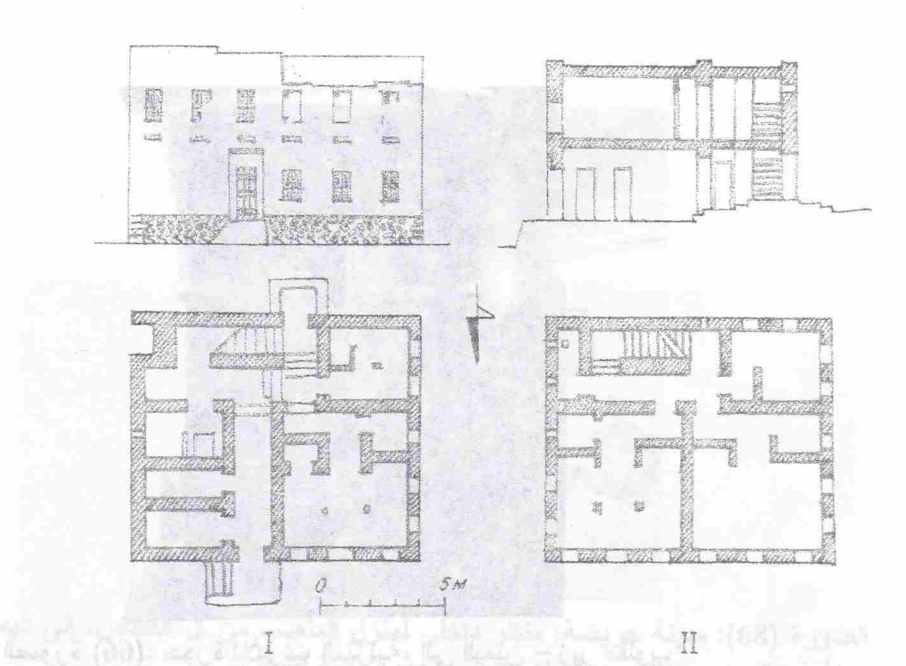
الصورة (61): منزل بالأبراج في القزة



الصورة (62): مدينة الهجرين: بوابة الدخول - بزخارفها



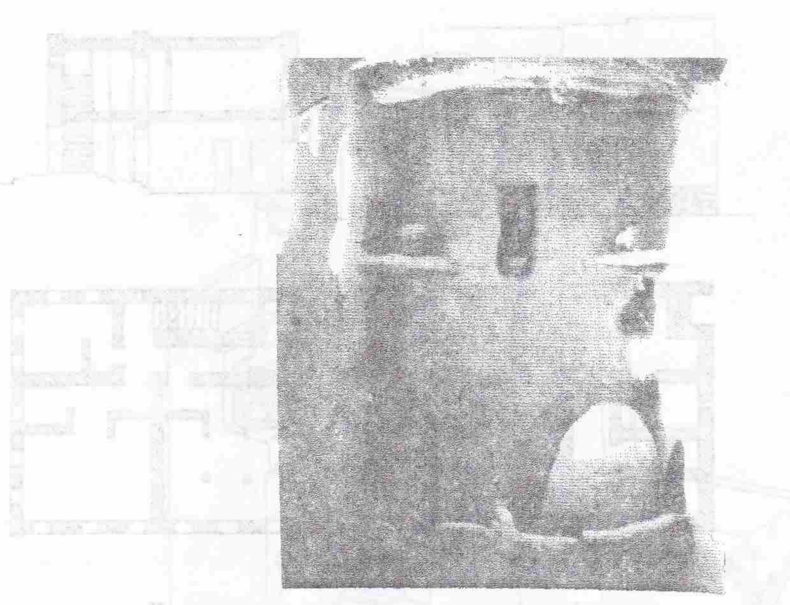
الصورة (63): الهجرين: مسكن – عزبة



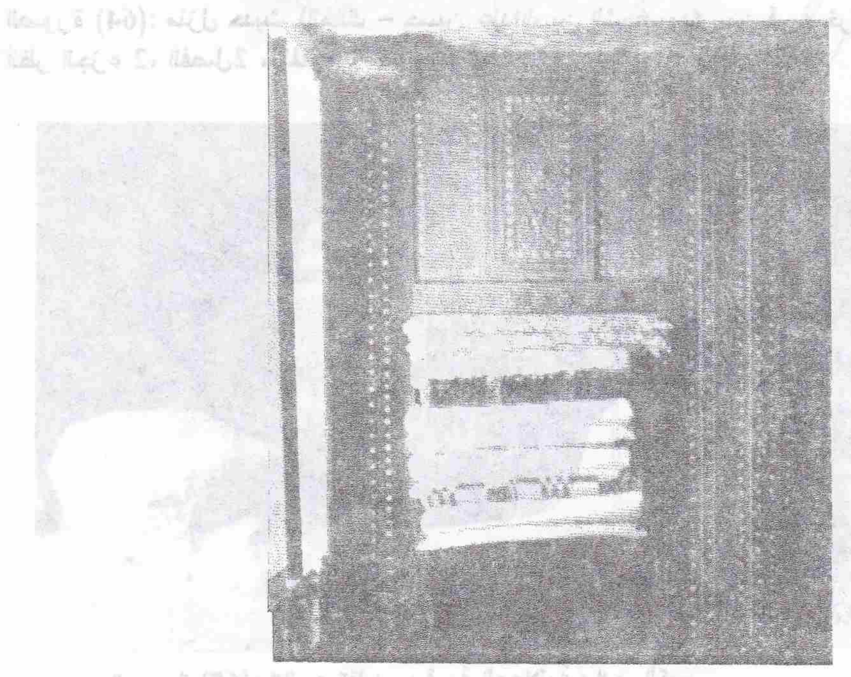
الصورة (64): منزل حديث (المالك – حسين عبدالله بن الشيخ بوبكر من قرية خريخر، أنظر الجزء 2، الفصل2 ، الفقرة 1).



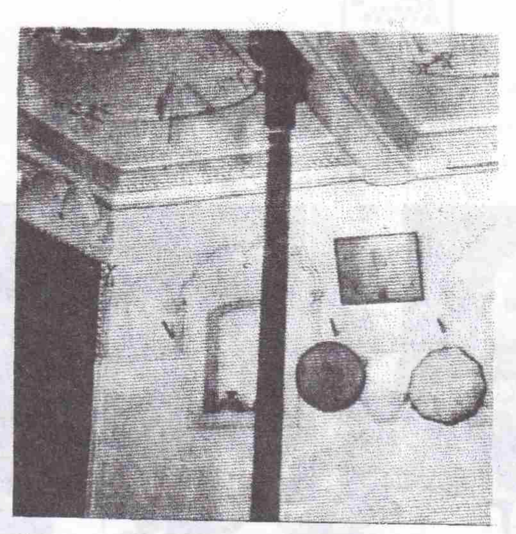
الصورة (65): كانون تقليدي: قرية العجلانية وادي الكسر



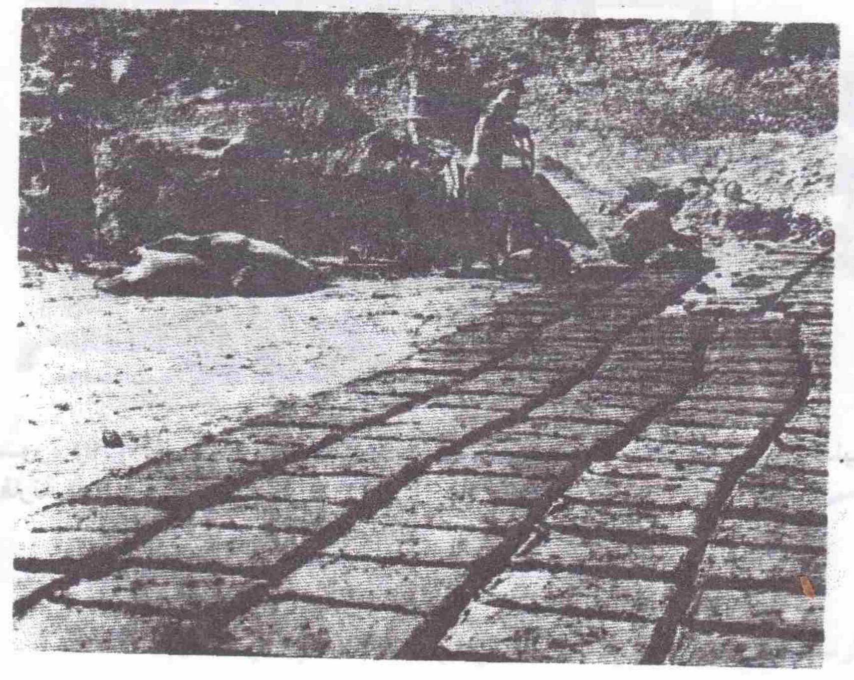
الصورة (66): حجرة للأدوات المنزلية، إلى اليمين – زير مقلوب



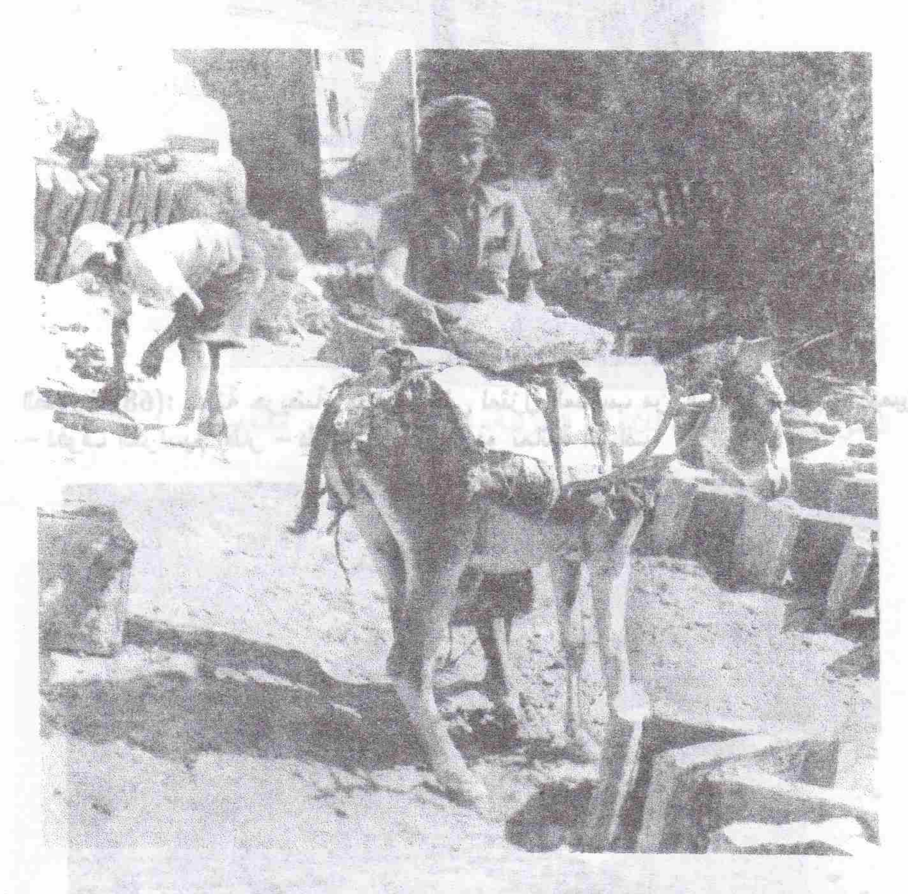
الصورة (67): منظر داخلي لمسكن في وادي دوعن: دولاب منقوش ومستلزمات فراش النوم.



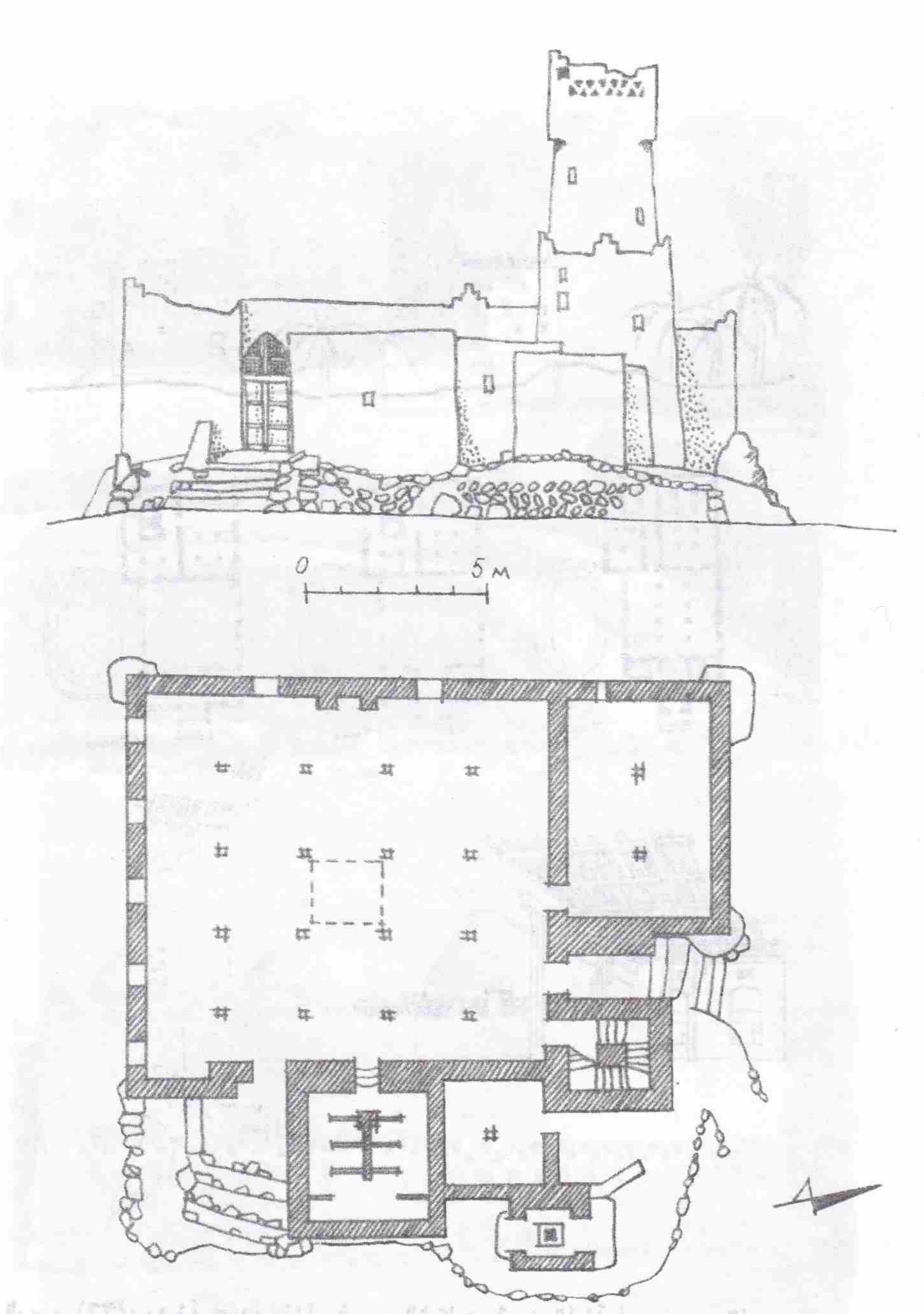
الصورة (68): مدينة حريضة: منظر داخلي لمنزل المنصب من آل العطاس. إلى اليمين - دفوف المراسيم (طار - طيران): دائري وذو ثمانية أطراف.



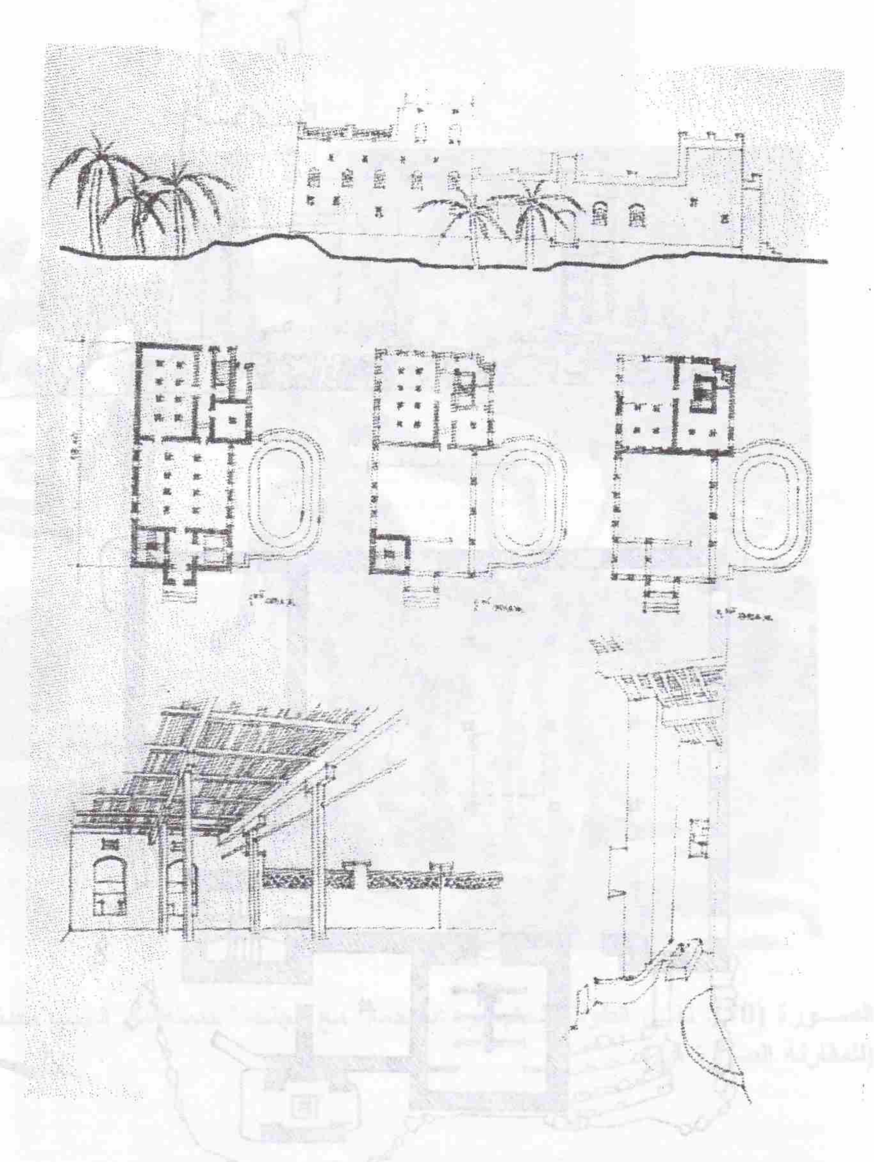
الصورة (69): تحضير الطوب



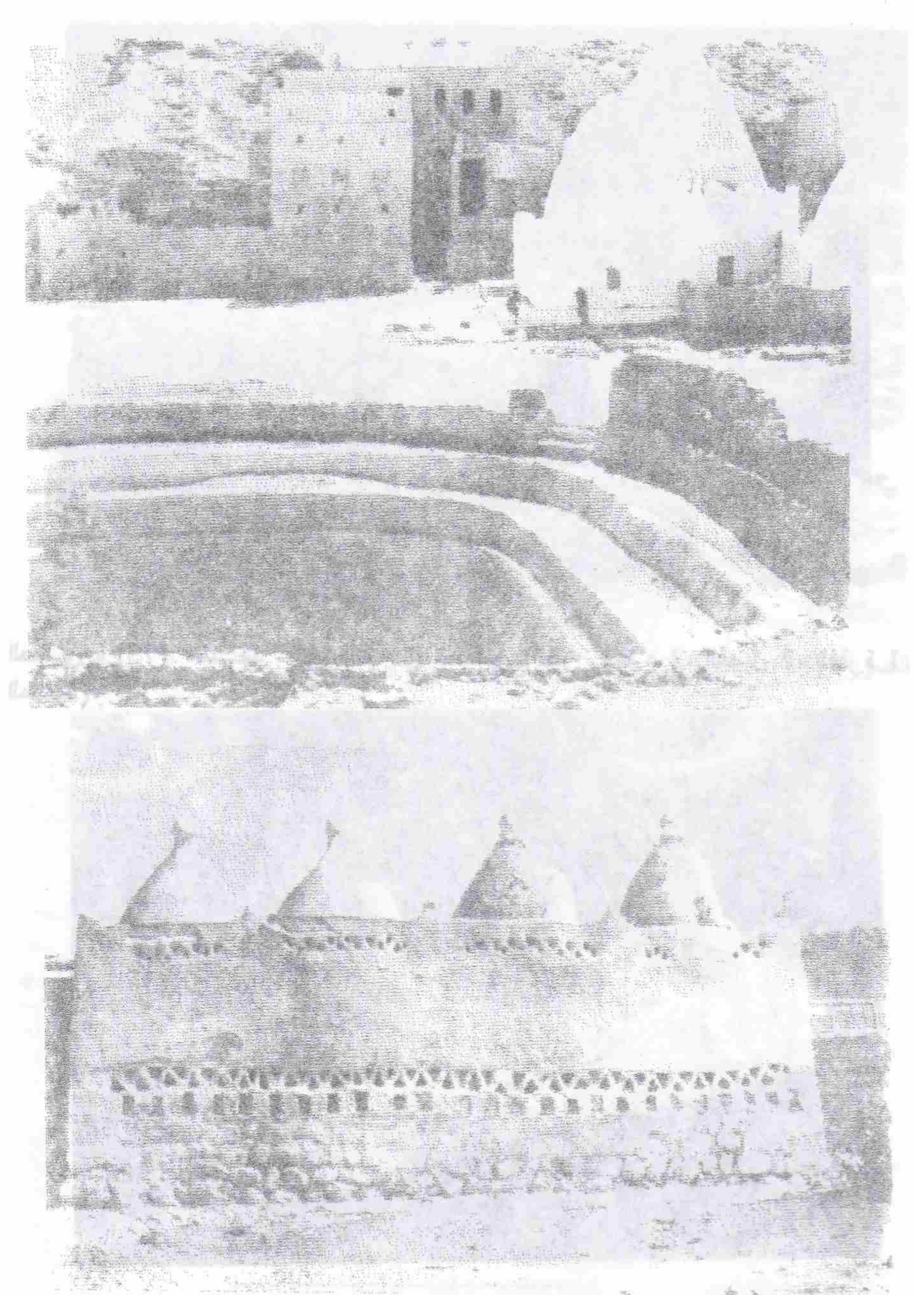
الصورة (70): نقل الطوب الخام. بردغة حمار مع "أجنحة" حديثة من أنابيب معدنية (للمقارنة الصورة 36).



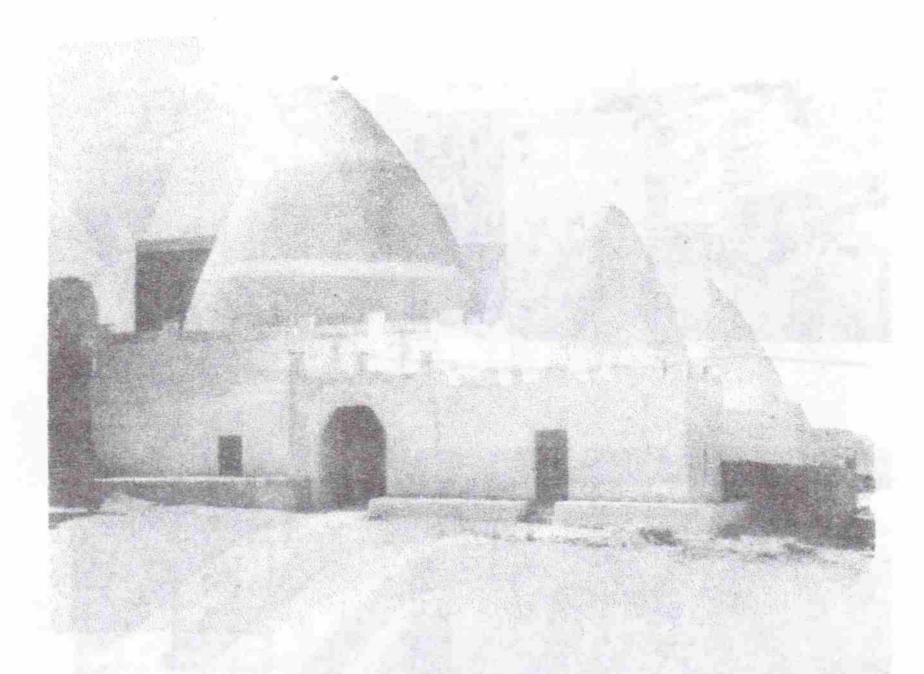
الرسم (71): مسجد علي حسن بارباع في قرية سدبة (وادي الكسر).



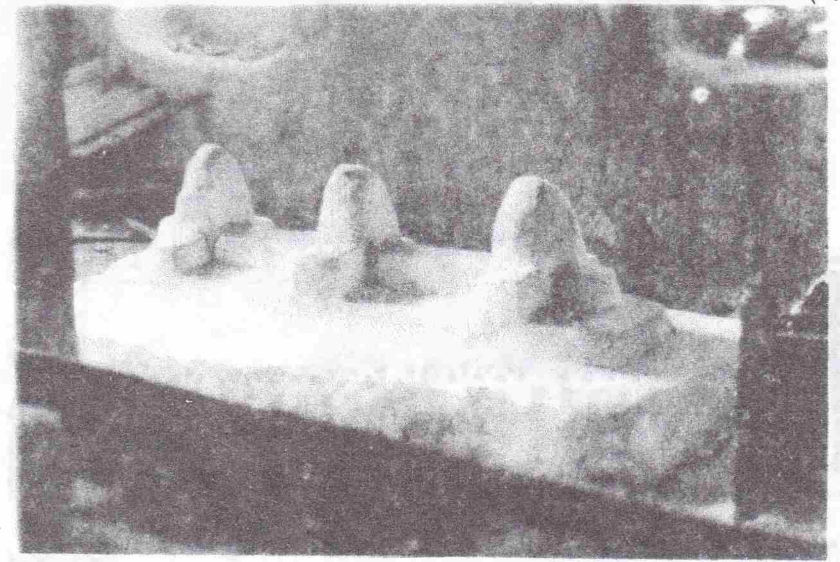
الرسم (72): مدينة عمد: منزل غريب الشكل: مقصد القبلة في مسجد الفرج.



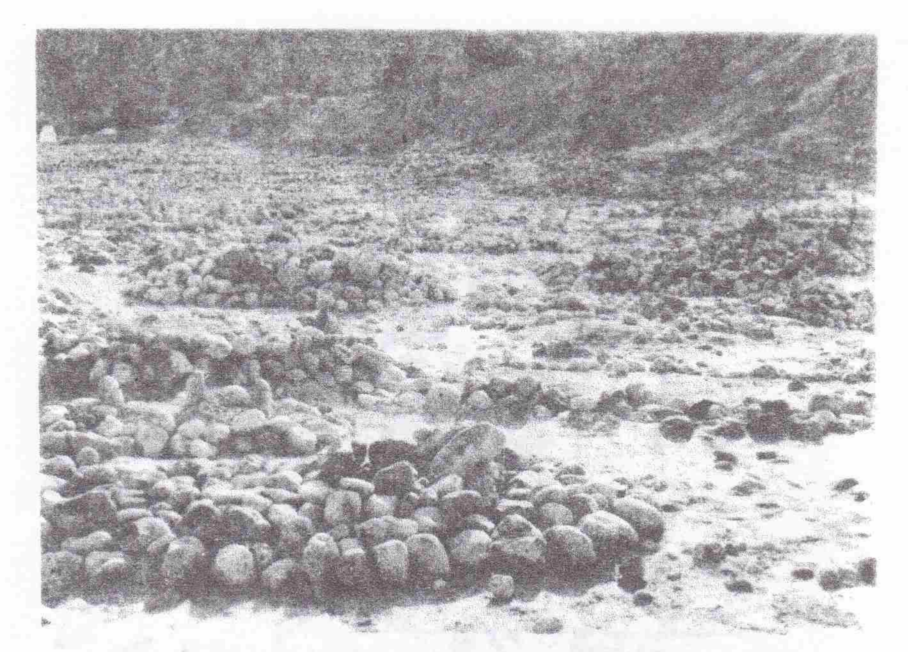
الصـــورتان (73-74): مشهد علي في وادي دوعن: خزان مياه الري (جابية)، وخزان مياه الشرب (سقاية).



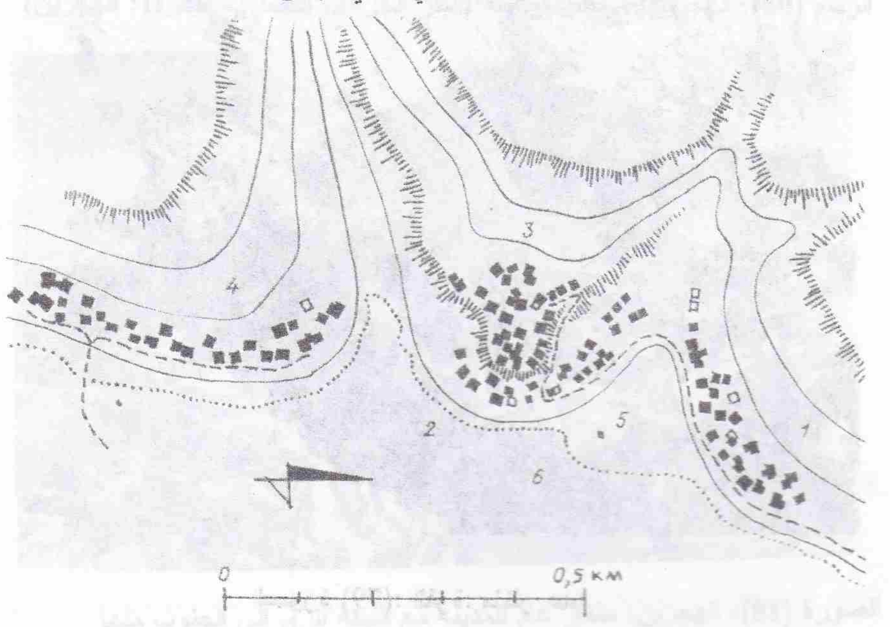
الصورة (75): مشهد علي: قبة آل العطاس (أنظر الجزء 2، الفصل 2، الفقرة 1، المشهد).



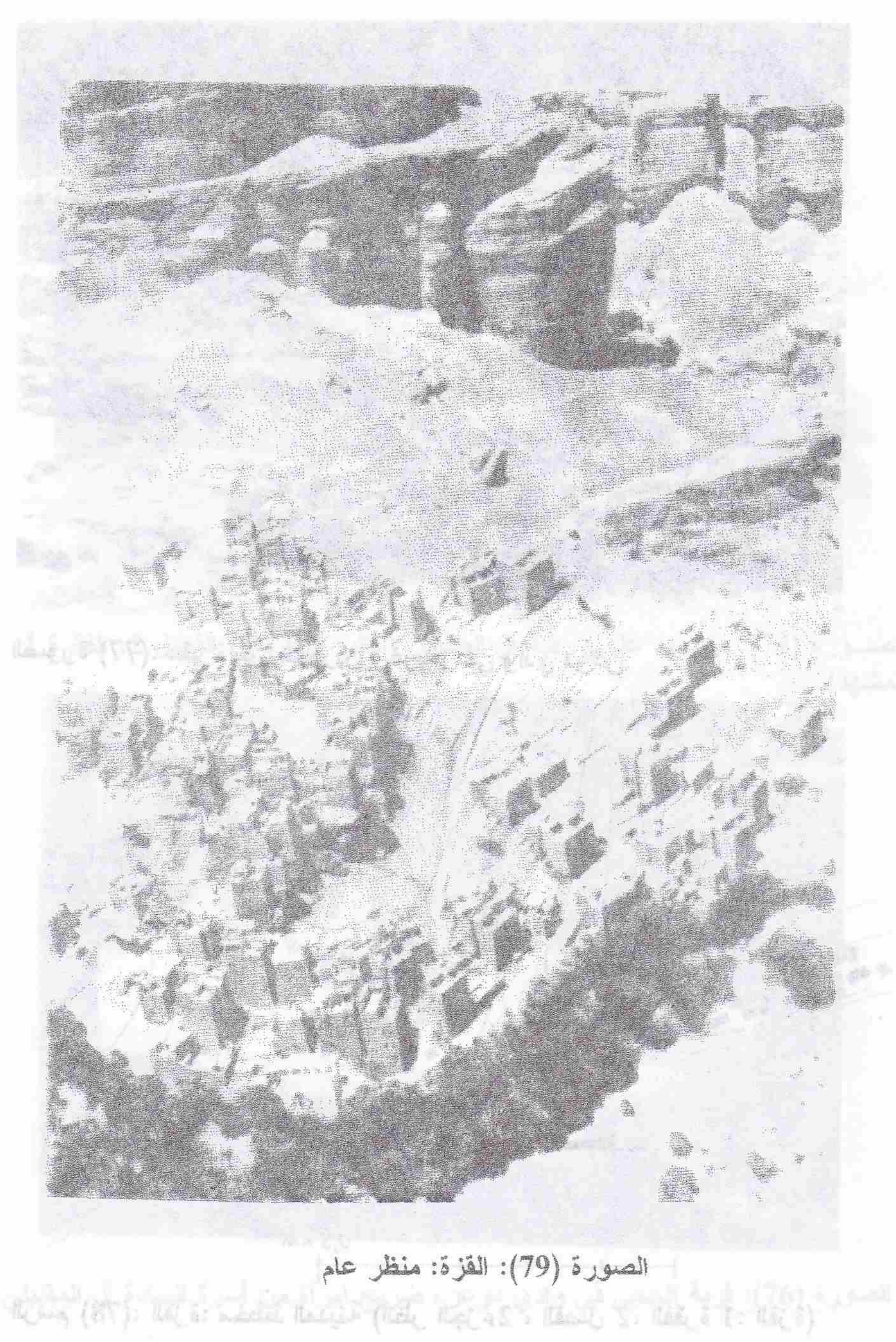
الصورة (76): قرية الجحي في وادي دوعن، ضريح امرأة من أسرة السادة آل المقيبلي



الصورة (77): مقبرة بين الهجرين وخريخر في وادي دوعن

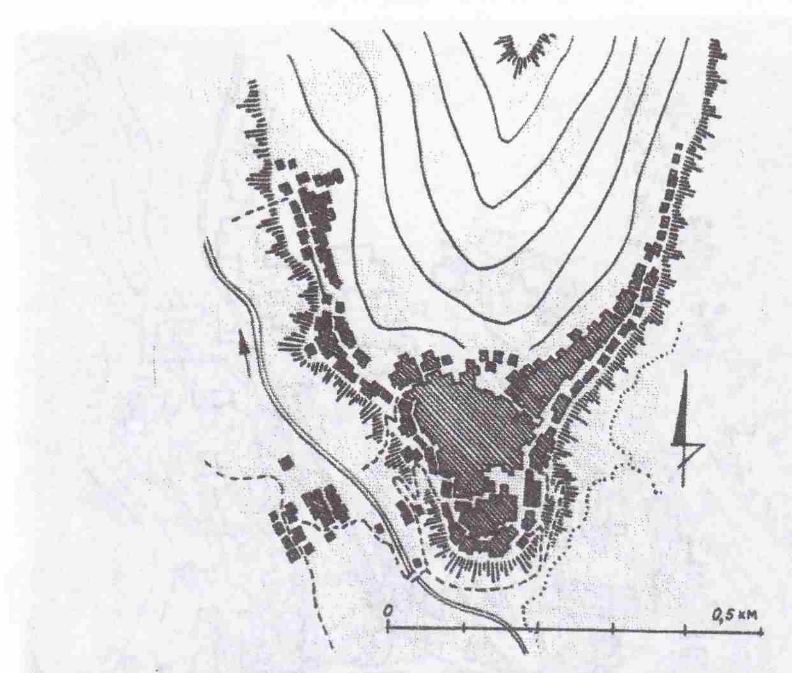


الرسم (78): القزة: مخطط المدينة (أنظر الجزء2 ، الفصل 2، الفقرة 1: القزة)

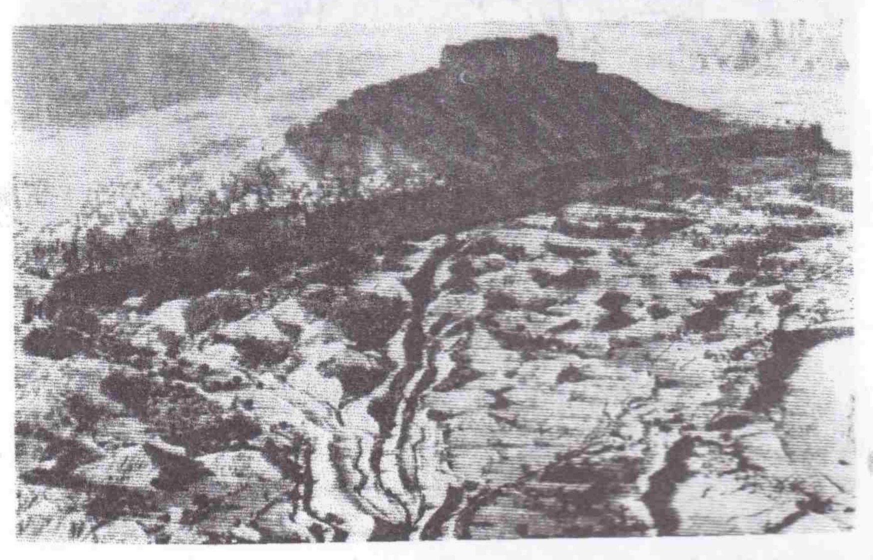


الصورة (79): القزة: منظر عام

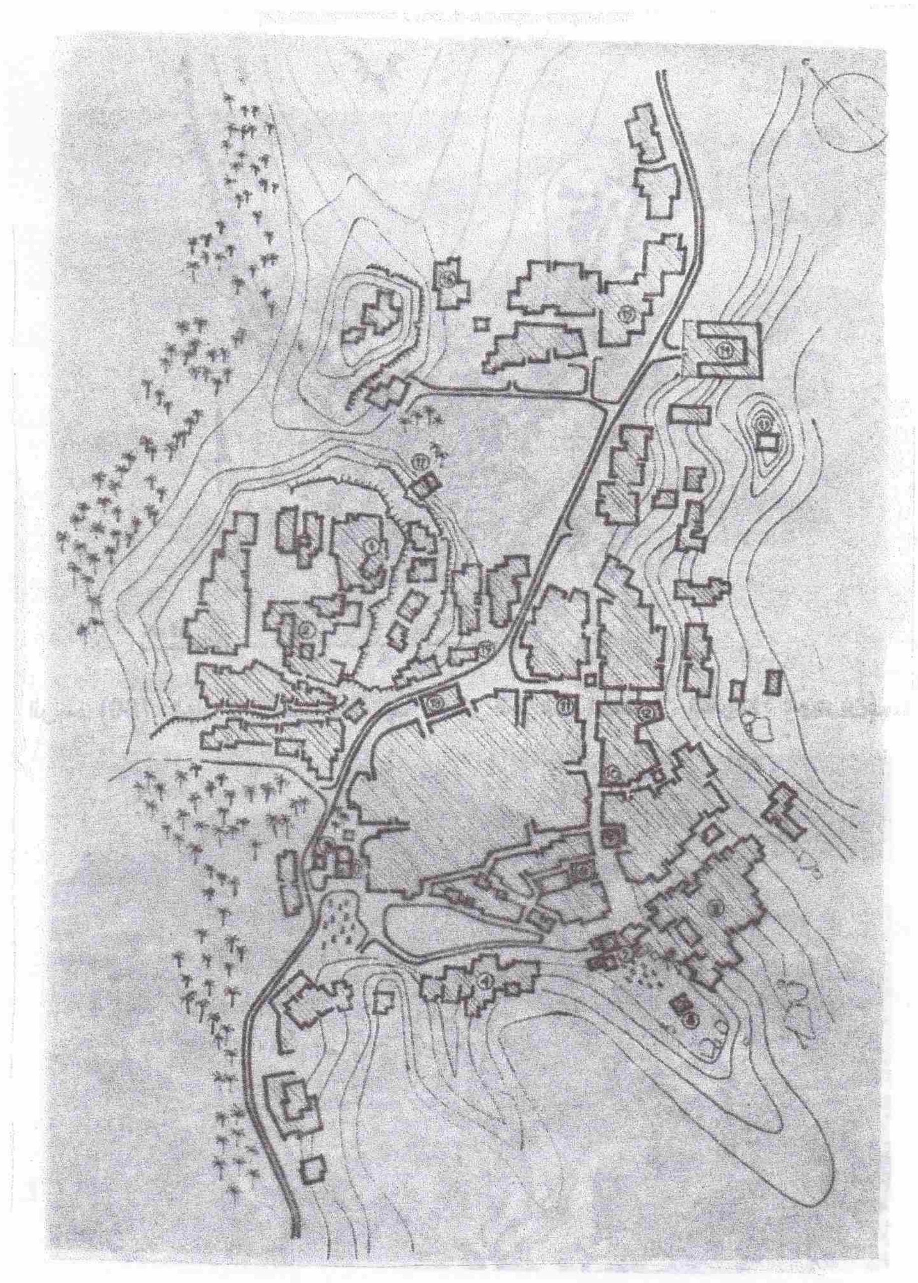
الصورة (79): الهجرين: منظر عام للمدينة مع شبكة الري إلى الجنوب منها



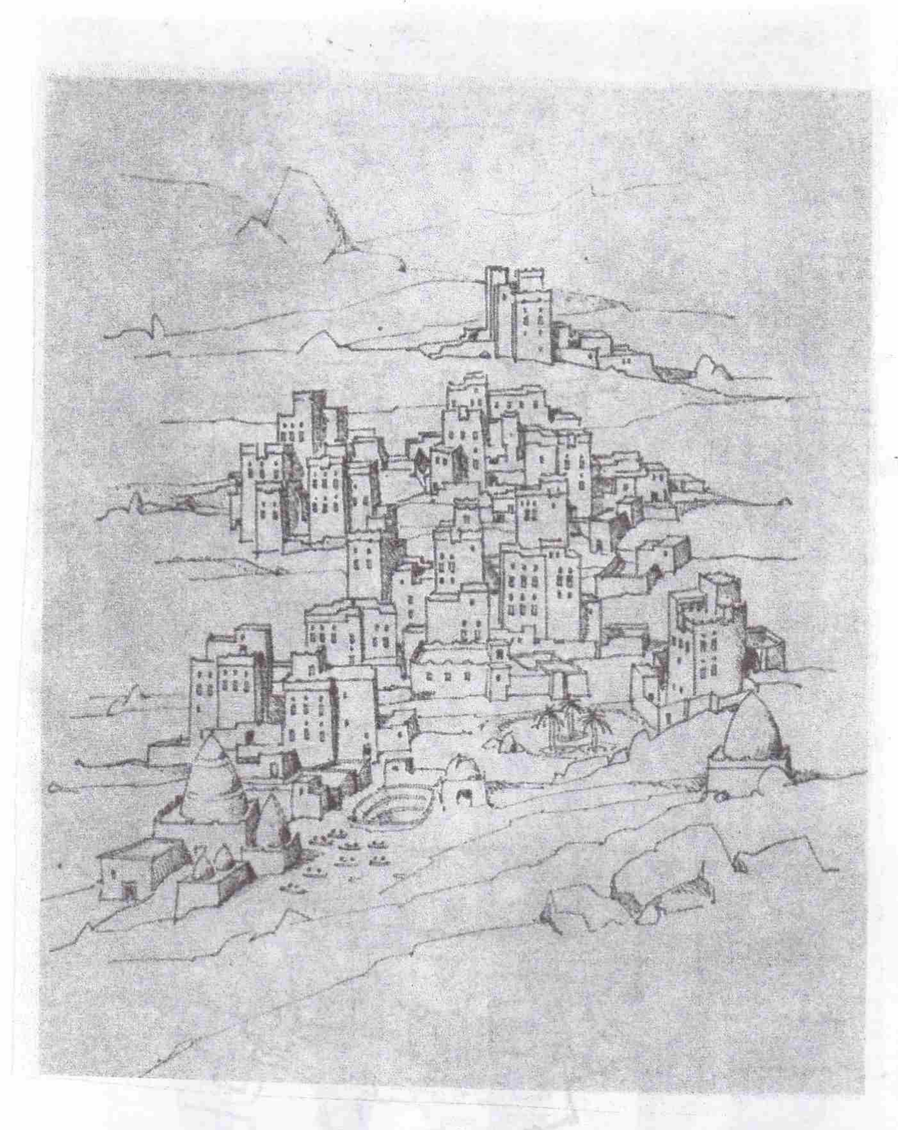
الرسم (80): الهجرين: مخطط المدينة (أنظر الجزء2، الفصل2، الفقرة1: الهجرين)



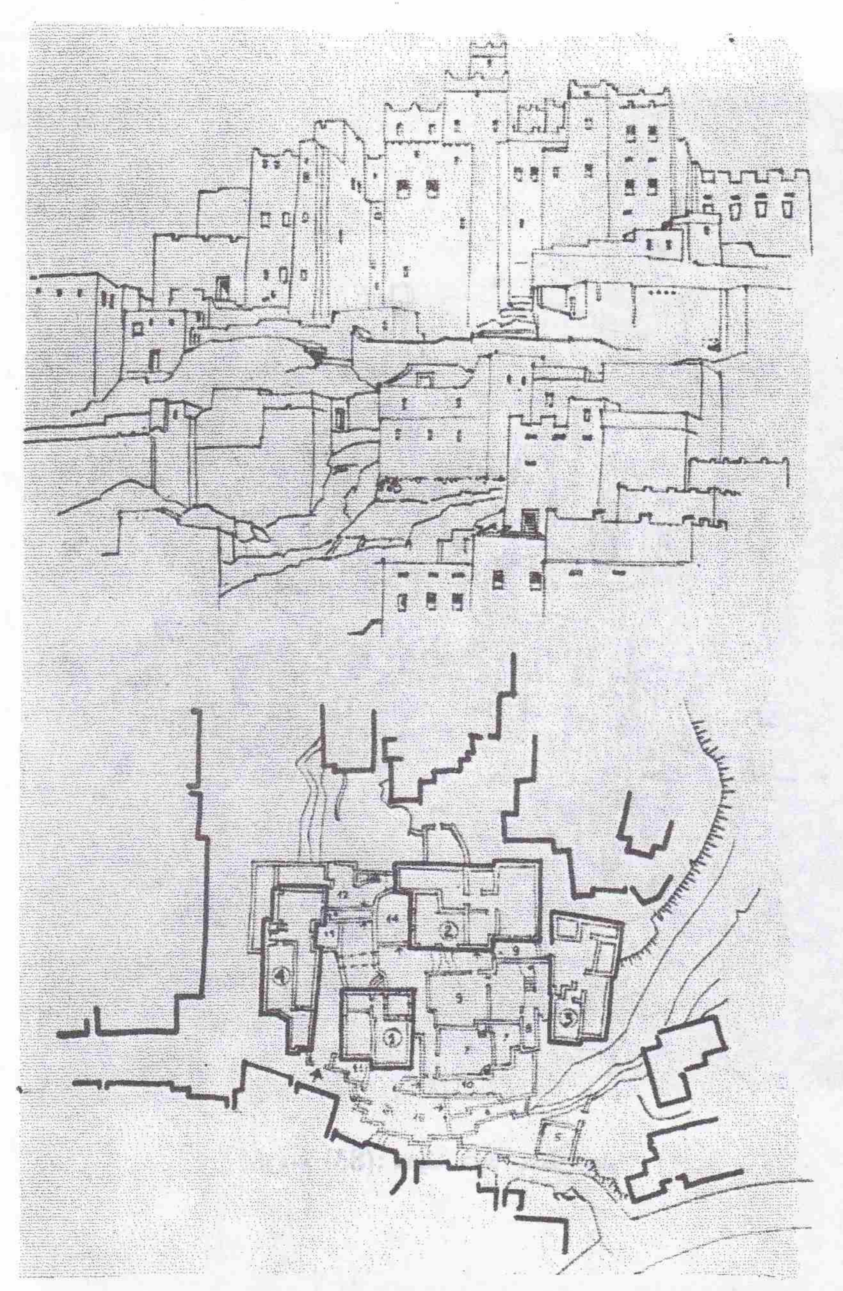
الصورة (81): الهجرين: منظر عام للمدينة مع شبكة الري إلى الجنوب منها



الرسم (82): مدينة عمد: مخطط (أنظر التفاصيل الجزء 2، الفصل 2، الفقرة 1: عمد)



الرسم (83): مدينة عمد: منظر عام



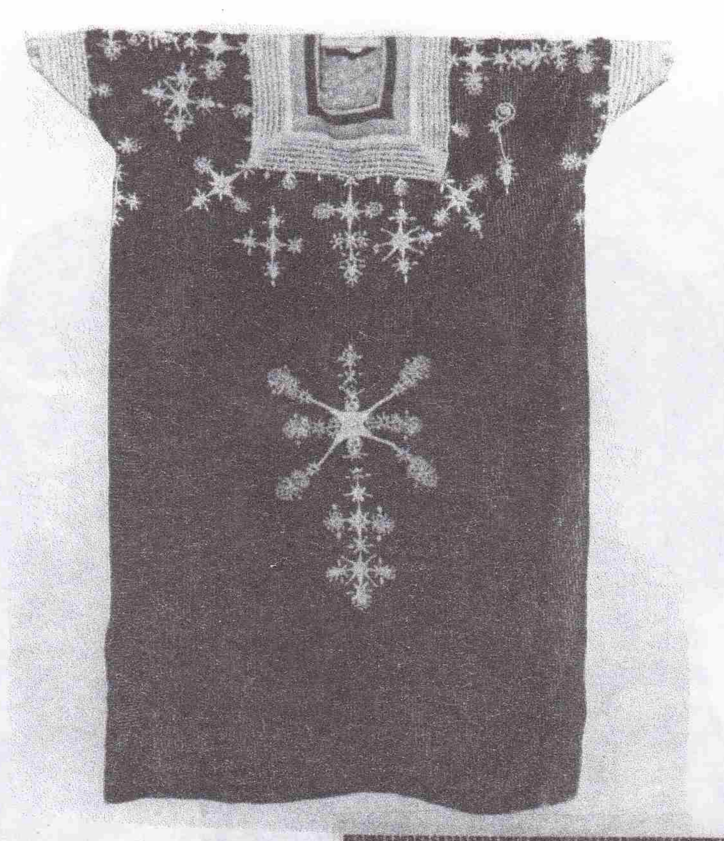
الرسم (84): قلعة (المصنعة) قبيلة بن شملان في مدينة عمد: رسم ومخطط (أنظر التفاصيل الجزء2 الفصل2 الفقرة1: عمد).

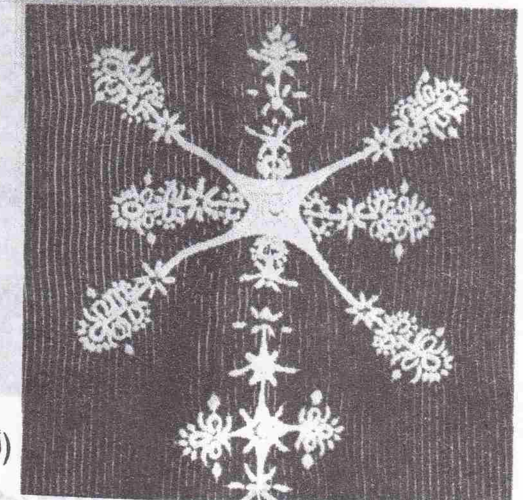


الصـــورة (85): الملابـــس التقليدية للرجال من طبقة القبائل. وتظهر الجنبية من وراء الحزام، ولدى أحدهما شريط يُلبس عبر الكتف لغرض الجلوس.

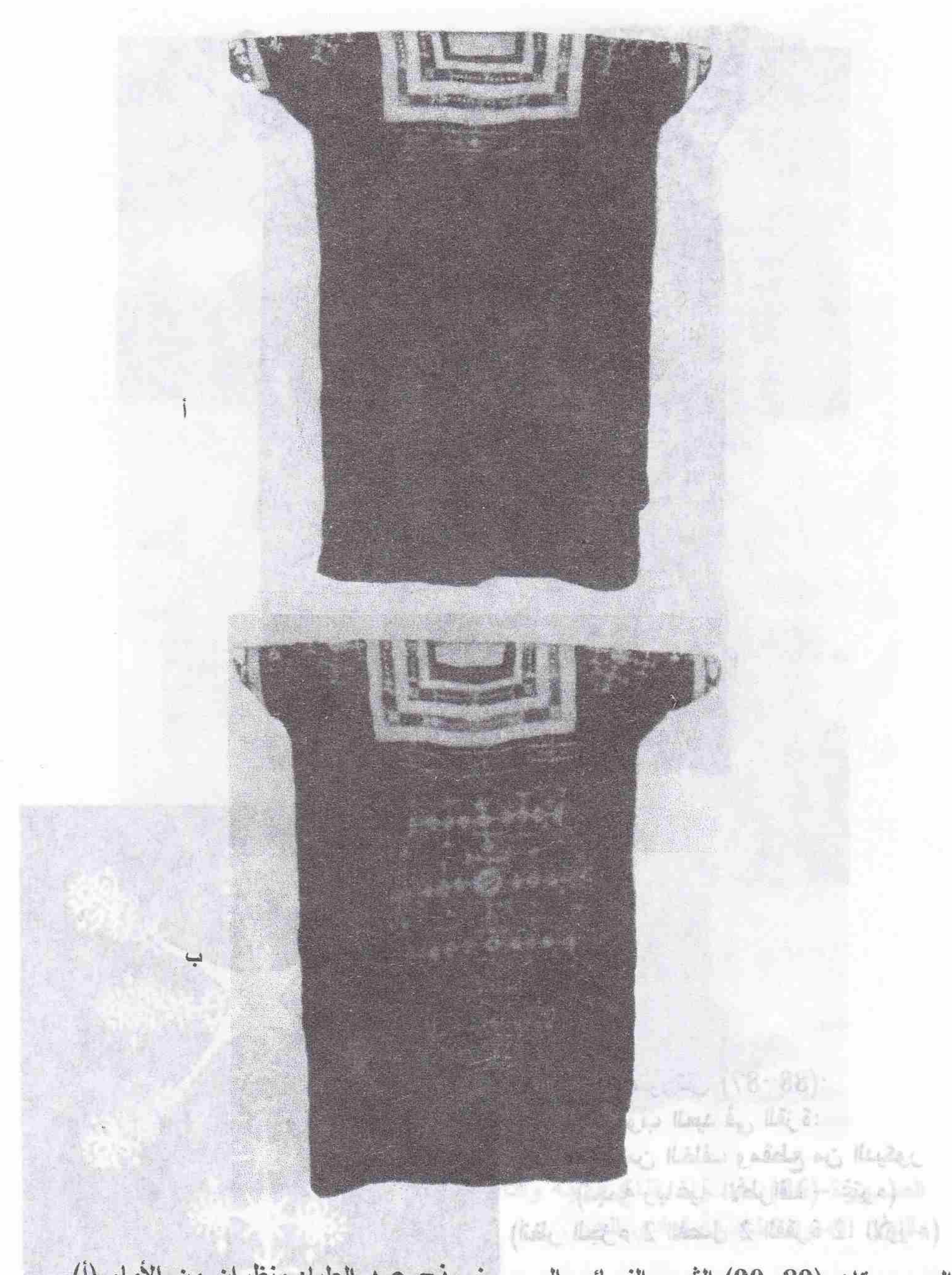


الصـــورة (86): امـــرأة بقناع الوجه وفتاة بقبعة. الحزام فضي وحاشية القبعة وأعلاها باللون الاسود كخاصية لوادي العين.





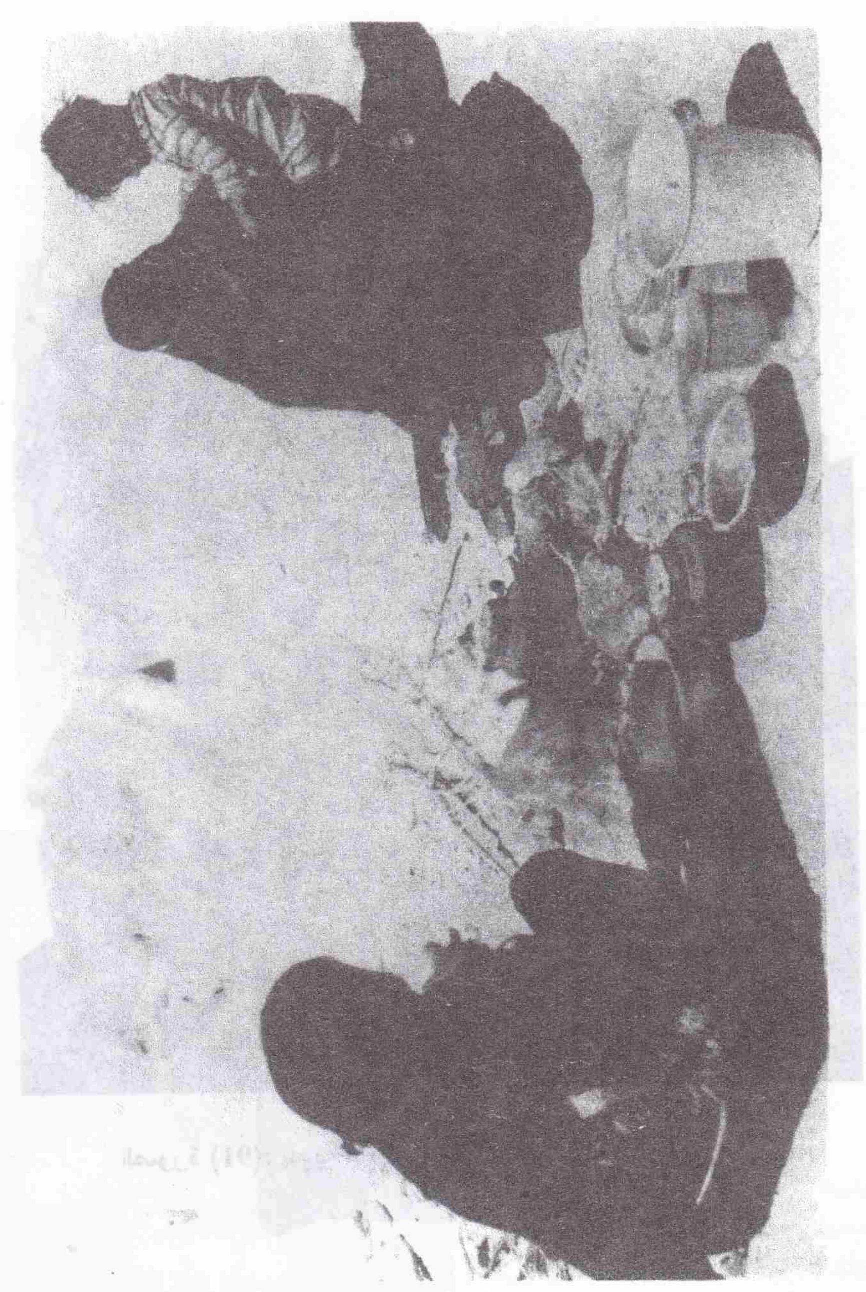
الصورتان (87-88):
ثوب العيد في القزة:
منظر من الخلف ومقطع من الديكور
(نجمة رباعية الأطراف - غتره)
(أنظر الجزء 2 الفصل 2 الفقرة 2: الأزياء)



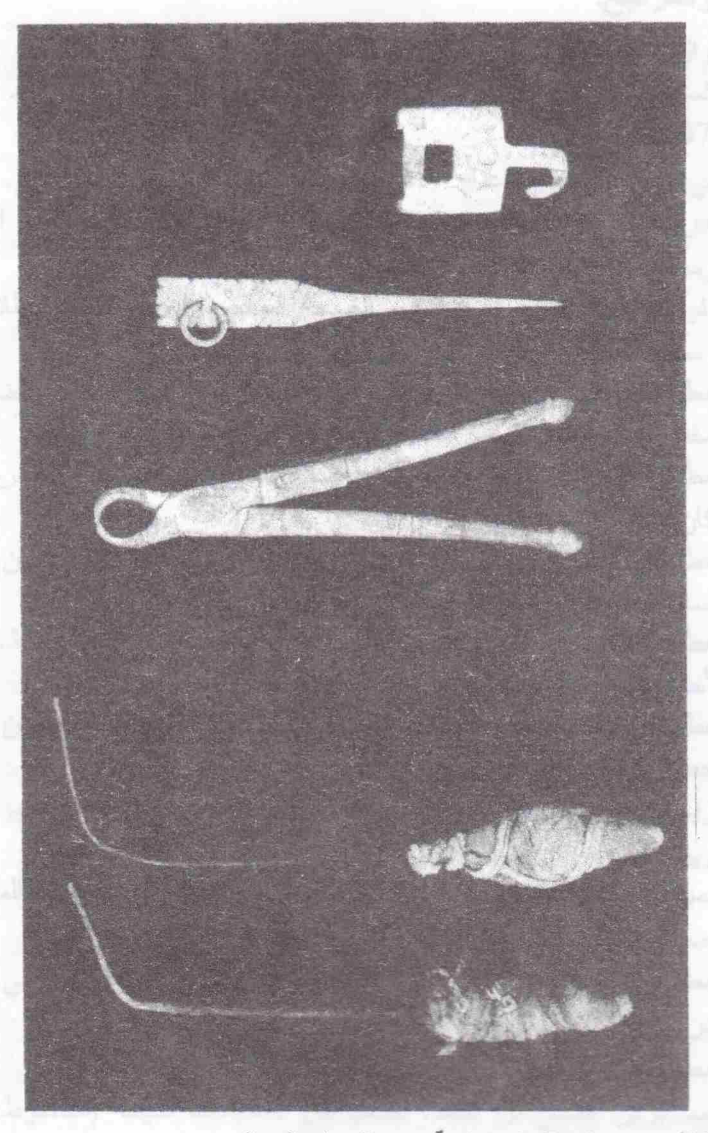
الصــورتان (89-90) الثوب النسائي اليومي نموذج عمد العليا: منظران من الأمام (أ) ومن الخلف (ب)



الصورة (91): بدوية مع طفل من الحالكة قبيلة السيبان



الصـــورتان (92): بدويـــات من الحالكة في محطة بالقرب من ريبون في وادي دوعن الأسفل



الصورة (93): مواد الحياة الاعتيادية: من اليسار إلى اليمين:
قضيبان للعلاج بالكي، منزعة كلابية لقلع الأسنان، ريشة بدبوس للتجميل، بَكلة للحزام.

المصادر والمراجع:

1- أقوال علي بن زايد. دراسة عبدالله البردوني. صنعاء، 1985م.

2- ألكسندروف. أي. أ. جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (دليل). موسكو 1976م.

3- علي بن زايد. أشعار. إعداد أ. أغارشيف و أ. سانتشيس. موسكو، 1968م.

4- الجزيرة العربية: مواد حول تاريخ الاكتشاف. مترجم عن الألمانية موسكو، 1981م.

5- أرنولد من فيلانوفا – قانون الصحة الساليرني . مترجم عن اللاتينية . موسكو 1970.

6- العطاس علي بن أحمد. نفح المسك المفتوت من أخبار وادي حضرموت (مخطوط، أرشيف أسرة العطاس. حريضة. ج.ي).

7- العطاس علي بن أحمد. ترجمة : أحمد بن حسن بن عبدالله العطاس، بدون مكان/ 1379هـ/ 1959م.

8- العطاس علي بن حسن. كتاب السفر الساني من قلائد الإحسان وفرائد اللسان (مخطوط، أسرة العطاس. حريضة. ج.ي).

9- العطاس علي بن حسن. كتاب المقصد في شواهد المشهد (مخطوط، "مكتبة الأحقاف" تريم ، ج. ي).

10- العطاس أحمد بن حسن. شجرة في أنساب العرب القاطنون بالجهة الحضرمية (مخطوط، "مكتبة الأحقاف". تريم. ج.ي).

10/أ- باوزير مزاحم باسالم. البدر المنير في رفع الحجاب من نسب آل أبي وزير... القاهرة، 1329هـ/ 1911م.

11- بايمين سعيد عوض. عادات الولادة والختان في مديرية المكلا. – حضرموت. المكلا، 1984م، ص 57 – 66.

12- بامطرف محمد عبد القادر. المعلم عبد الحق: الشاعر الشعبي الأول. عدن، 1983م (ط2).

13- بامطرف: الغائب الحاضر. عدن، 1988م.

14- باصبرين علي بن أحمد. الجُمل من المخيمات الدينية (مخطوط، مكتبة الأحقاف". تريم، ج.ي).

15- باحنّان محمد بن علي. جواهر تاريخ الاحقاف. جزآن، القاهرة، 1961م.

16- بلحاج عبدالله بن عبد الرحمن. المقتصر الصغير فيما لابد لكل مسلم من معرفة في العبادات على مذهب الإمام الشافعي. جدة، 1985م.
17- باير . غ.م. ريبون في حضرموت . زنانيتي – سيلا . 1985م، العدد9 ص 30 – 32، العدد10 ص 41 – 43.
18- بوديانسكي. ف.ل. العربية الشرقية. موسكو 1986م.
19- وثائق المؤتمر الأول للأدب والتراث الشعبي بالمحافظة الرابعة. عدن، 1974م.
20- الوثائق الخطية. قسم التوثيق، 1076 – 1359/ 1665 – 1941، سيئون، 1985م.
21- غيرا سيموف . أ. غ. في تقاطع طرق الشرق الأوسط. موسكو، 1983م.
22- غيرا سيموف. أ. غ. الوثائق اليمنية. موسكو 1987م.
23- دال. ف. ي. المعجم اللغوي للغة الروسية الحية. المجلد الثالث. موسكو، 1956م.
24- الجهاز المركزي للإحصاء. فرع محافظة حضرموت. الإحصائية السنوية للأعوام 1983– 1985م. المكلا، 1987م.
25- الزهراوي أبو القاسم. مبحث في الجراحة والأدوات. ترجم النص عن العربية أ.م. بونياتوف. تقديم ب.د. بيتروف. موسكو، 1983م.
26- أبن ناصر يسلم ناصر. أشعار من الوادي لمستور حمادي. سيئون، 1983م.
27- أبن هاشم طاهر بن حسين. كتاب التحف النبيل ببعض معاني حديث جبريل. سنغفورة، 1402هـ/ 1982م.
28- الأبريقي الحبّاني حسين بن محمد. المحققه في متغيرات البندقية – تحقيق ودراسة عبدالله أحمد محيرز. عدن، 1988م.
29- القرآن الكريم. ترجمة وتعليق. أي. يو. كراتشكوفيسكي ط2، موسكو، 1986م.
30- الملاحي عبد الرحمن. عادة الولادة (مخطوط، أرشيف المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، المكلا، ج.ي).
31- نوسال م. أ، نوسال ي.م. الأعشاب الطبية وطرق استخدامها شعبياً – كييف، 1959م.
32- رودينوف . م. أ. في أودية حضرموت – حول العالم. 1983م. العدد12 ص18 – 22.

33- روديـنوف. م. أ. المتنبي: شاعر في المجتمع الإسلامي القرن العاشر الميلادي – الإسلام. الدين والمجتمع والدولة. موسكو 1984م ص149 – 155.
34- رودينوف م. أ. البدوي الليبي – حول العالم، 1985. العدد 10 ص6 –10.
35- روديـنوف م. أ. الكلمـــة الشعرية: مواد من حضرموت الغربية – قضايا الـثقافة العربية. في ذكرى الأكاديمي أي. يو. كراتشكوفسكي ، موسكو، 1987م ص82 – 96.
36- رودينوف م. أ. الأفق يُرى من المضيق. العلم والدين 1989، العدد5 ص 61 – 64.
37- الصـبان عـبد القـادر محمد. ملحن ألحان الدان: سعيد مبارك مرزوق. سيئون، 1979م.
38- الصبان عبد القادر محمد. متحف العادات والتقاليد الشعبية بمديرية سيئون: دليل . سيئون 1983 م.
39- الصـبان عـبد القـادر محمد. تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت. سيئون، 1983م.
40- الصبان عبد القادر محمد. الشاعر الشعبي مع المزارعين. سيئون، 1984م.
41- سترابون. الجغرافيا. ترجمة وتعليق غ. أ. ستراتانوفسكي. موسكو 1964م.
42- الـتقرير التكميلـــي: العام الثالث: 1987 – 1988م. المكلا، 20 مارس 1989م.
43- الحبشي عبدالله محمد. فهرست المخطوطات اليمنية في حضرموت. عدن، 1975م.
44- الهمداني أبو محمد الحسن. كتاب الإكليل. تحقيق أنستاس الكرملي. المجلد 8. بغداد، 1931م.
45- الهمدانـــي أبـــو محمـــد الحسن. كتاب صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد الناجي. القاهرة، 1953م.
46- الشاعر والباحث عبد القادر الصبان. سيئون، 1988م.
47- شهاب محمد، بن نوح عبدالله. الإمام المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد... جدة، 1400هـ/ 1980م.
48- شرول. ك. د. صباح – شعاع الصباح. موسكو، 1986م.
49- The Agrarian reform Law, the housing Law, the family Law, the fundamental labour Law. L., 1978.

50- Al – Amri Husayn b. Abdullah. The Yemen in the 18 –th and 19+th centuries: a Political and intellectual hisctory. L., 1985 (Durham Middle East Monographs, N° 1).

51- Bent J. T. Expedition to the Hadramut – GJ. 1894, Vol. 4, C. 315 – 333.

52- Bent J. T., Bent M.V A. Southern Arabia. L., 1900.

53- Bochow K.H., Stein L. Hadramaut: Geschichte und Gegenwart einer sudarabischen Landschaft. Lpz., 1986.

54- Dostal W. Arabien, Hadramaut. – EC. E 428, 429, 1180 – 1201, 1315, 1346. Gottingen, 1969 – 1972.

55- Haines S.B. Memoir of the South and east coasts of Arabia. Pt. 2. – JRGS. 1845, vol. 15, c. 104 – 160.

56- Al – Hamdani's Geographie der arabischen Halbinsel. Hresg. D. H. Muller. Bd l, Leiden, 1884; Bd.2. 1891.

57- Hamilton R.A. A Greeting ceremony in the Aden Protectorate. – Man. 1942, vol. 42, c. 88 – 90.

58- Hamilton R.A. Six weeks in Shabwa – GJ. 1942, vol. 100, c. 107 – 125.

59- Hamilton R.A. The Social organization of the tribes of the Aden Protectorate. – JRCAS. 1942, vol. 39, c. 239 – 248.

60- Hein W. Sudarabische Itinerare.–Mitteilungen der k.k Geographischen Gesellschaft in wien. 1914, Bd 17, c. 32 – 58.

61- Helfritz H. Chicago der Wuste. B., 1932.

62- Helfritz H. Land ohne Schatten: die letzen Wunder der Wuste. Lpz., 1934.

63- Helfritz H. Geheimnis um Schobua. Unter sidarabischen Beduinen im Lande der Sabaer. B., 1935.

64- Helfritz H. Vergessenes Sudarabien Wadis. Hochhauser und Beduinen. Lpz., 1936.

65- Helfritz H. Gluckliches Arabien. Zurich, 1956.

66- Hirsch L. A Journey in Hadramut. – GJ. 1894, vol. 3, c.196 – 205.

67- Hirsch L. Reisen in Sud – Arabien. Mahra-Land und Hadramut. Leiden, 1897.

68- Al- Hubaishi A., Muller-Hohenstein K. An Introduction to the vegetation of Yemen. Eschborn, 1984.

69- Ibn al-Mugawir. Descriptionarabiae meridion alis... qui liber inscribitur Ta'rih al-Mustabsir. Pt 1-2. Ed. O.Lofgren. Leiden, 1954.
70- Ingrams D. Excursion into the Hajr Province of Hadhramaut. – GJ. 1941, vol.98, c. 121-134.
71- Ingrams D. A Time in Arabia. L., 1970.
72- Ingrams W.H. House building in the Hadhramaut. – GJ. 1935, vol. 85, c. 370-372.
73- Ingrams W.H. Hadhramaut: ajourney to the Sei'ar country and through the Wadi Mo-seila. – GJ. 1936, vol. 88, c. 524-551.
74- Ingrams W.H. Unexplored regions of the Hadhramaut. – JRCAS. 1936, vol. 23, c. 376-412.
75- Ingrams W.H. Aden Protectorate: a report on the social, economic and political conditions of the Hadhramaut. L., 1937.
76- Ingrams W.H. Bee-keeping in the Wadi Du'an. – Man. 1937, vol. 37, c. 32.
77- Ingrams W.H. A Dance of the ibexhunters in the Hadhramaut: is it a pagan sur-vival? – Man. 1937, vol. 37, c. 12 – 13.
78- Ingrams W.H. The Hadhramaut: Present and future. – GJ. 1938, vol. 92, c. 289-312.
79- Ingrams W.H. Life in ancient Hadhramaut. – Antiquity. 1945, vol. 19, c. 187 – 193.
80- Ingrams W.H. Arabia and the Isles. 3d ed. L., 1966.
81- Al- Ja'qubi. Historae. Pt.1-2 Ed, M. Th. Houtsma. Leaden, 1883.
82- Korniss P., Szurovy G. Osi karavanutak foldjen. Budapest, 1983.
83- Lee Warner W.H. Notes on the Hadhramut. – GJ. 1931, vol. 77, c. 217-222.
84- Maktari A.M. Notes on some ordinances, decrees and laws of the Kathiri Sultanate: 1942-1964. – Arabian and Islamic Studies Ed. R.L.Bidwell, G.R.Smith. L.-N.Y., 1983, c. 234-245.
85- Maltzan H. von. Reise nach Sudarabien.Braunschweig, 1873.
86- Meulen D. van der. Aden to the Hadhremaut. A Journey in South Arabia. L., 1947.
87- Meulen D. van der. Hadramaut das Wunderland. Zurich, 1948.
88- Meulen D. van der, Wissmann H. von. Hadramaut. Some of its mysteries unveiled. Leyden, 1932.

89- Miles S.B. Journal of an excursion in Oman in south-east Arabia. – GJ. 1896, vol. 7, c. 522-537.

90- Miles S.B. Across the green mountains of Oman. – GJ. 1901, vol.18, c. 465-498.

91- Miles S.B. On the border of the great desert: a journey in Oman – GJ. 1910, vol. 36, c. 159-178,405-425.

92- Pearson J.D. Published works of Robert Bertram Serjeant. – Arabian and Islamic Studies. L. – N. Y., 1983, c. 268- 282.

93- Philby H. Aden and Hadramaut. – Great Britain and the East. L., 1937, vol. 48, c. 624- 734.

94- Philby H. The Iand of Sheba. – GJ. 1938, vol. 92, c. 1-12, c. 107-132.

95- Rutheven W.P. Land and people of the Hadramaut: Aden Protectorate. – Geographical Review. 1940, vol. 30, c. 627-648.

96- Stark F. The Southern gates of Arabia: a journey in the Hadramaut. L., 1936.

96- a. Stark F. The Southern gates of Arabia. 2-d ed. L.,1957.

97- Stark F. Two months in Hadhramaut. – GJ. 1936, vol. 87, c. 113-126

98- .Stark F. Seen in the Hadhramaut. L., 1938.

99- Stark F. An Exploration in the Hadhramaut and journey to the coast. – GJ. 1939, vol. 93, c. 1-17.

100- Stark F. A Winter in Arabia L., 1940.

101- Thesiger W. Walves of the desert: the Sa'ar tribeatthe watering Place. – Geograpical Magazine. 1949, vol. 21, c. 396-400.

102- Thesiger W. Arabian sands. L., 1959.

103- Wellstedt J.R. Narrative of aJourney from the tower of Ba-l-Haff on the Southem Coast of Arabia to the ruins Nakab AL Hajar .InApril 1836- JRGS, 1837,Vol.c.20-34.

104- Wellstedt J.R. Traveis in Arabia. Vol. 1-2. L., 1838.

105- Wissmann H. von. South Arabia. Part of Aden Protectorate from Shuqra to al-Shihr and Baihan to Hadramaut. Publised by the Royal Geographical Society. 1957 – 1958.

106- Wrede A. von/. Adolph von wrede's Reise in Hadhramaut, Beled Beny Yssa und Beled el Hadschar. Hrsg. .... H. von Maltzan. Braunschweig, 1870.

106/أ- عكاشة محمد عبد الكريم. السلطنة القعيطية والتوغل الاستعماري في حضرموت: 1839 - 1918م. عمّان، 1985م.
107- علي حسين علي، الملاحي عبد الرحمن عبد الكريم. تاريخ الصراع الحمومي - القعيطي ودوافعه: 1867- 1967م، المكلا، 1989م.
108- أمير خانوف خ. أ، أكابيون. أ. م. أبحاث في ج. ي. د. ش. الإكتشافات الآثرية 1986م. موسكو، 1988م ص526- 527.
109- أندريانوف ب. ف، تشيبوكساروف. ن. ن. المناطق التاريخية الأثنوغرافية: (مشاكل التقسيم الإقليمي التاريخي الاثنوغرافي).الموسوعة الروسية 1970 العدد 3ص 15-25
110- أرتينوف س. أ. المستحدث في ثقافة الاتنوس وموجباته الاجتماعية - الاقتصادية. الأبحاث الاثنوغرافية لرقي الثقافة. موسكو، 1985م ص31-49.
111- اريستونوف س. أ، تشيبكساروف. ن.ن. نقل الأخبار كآلية لوجود المجموعات السلالية الاجتماعية والبيولوجية للإنسانية. - الأعراق والشعوب. الإصدار الثاني، موسكو، 1972 ص 8-30.
112- باوزير أحمد عوض. الوطنية في الشعر العامي. المكلا، 1980م.
113- باوزير سعيد عوض. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي. القاهرة، 1961م.
114- باوزير سعيد عوض. صفحات من التاريخ الحضرمي. عدن، ط2، 1983م.
115- بامطرف محمد عبد القادر. الشهداء السبعة، بغداد، 1974م.
116- بامطرف محمد عبد القادر. الأقطاعيون كانوا هنا. المكلا، 1983م.
117- بامطرف محمد عبد القادر. في سبيل الحكم. عدن، 1983م.
118- بامطرف محمد عبد القادر. الميزان. المكلا - عدن، 1404هـ/ 1984م.
119- بامطرف محمد عبد القادر. ملاحظات على ما ذكره الهمداني عن جغرافية حضرموت. عدن، 1984م. ط2.
120- بامخرمة محمد. تربية النحل في مركز يبعث بمديرية حجر - حضرموت. المكلا، 1984 ص40-43.
121- بايبورين أ. ك. دراسة منظومة الثقافة. موجز محتوى التقارير الدورية العلمية السنوية لمعهد الاثنوغرافيا لدى أكاديمية العلوم السوفيتية: 1974 - 1976، لينينجراد، 1977م ص35-36.

122- البكري صلاح. تاريخ حضرموت السياسي. مجلدان. القاهرة، 1376 – 1377هـ/ 1956 – 1957ط2.
123- باوير غ.م. عن مكانة الجنوب العربي في التجارة البحرية في النصف الثاني للقرن الأول قبل الميلاد – ميروي. الإصدار الأول. موسكو، 1981م ص209-227.
124- بن عقيل عبد العزيز. وادي العين: مدنة وقراه وتركيبه الاجتماعي القبلي ومواقعه الأثرية – حضرموت. المكلا، 1984م. ص20-39.
125- بن عقيل عبد العزيز. حوطة في طور التأسيس – آفاق 1987م. العدد10 ص28-40.
126- بن عقيل عبد العزيز. الحوط في حضرموت: قواعد للأبحاث الميدانية – حضرموت القديمة والمعاصرة. المجلد2. سيئون 1987م ص178-192.
126. أ- بن عقيل عبد العزيز. التركيبة الأثنو- اجتماعية ومؤسسات الحماية الاجتماعية في حضرموت (القرن19-النصف الأول القرن20م) ملخص أطروحة الدكتوراه، 1992م.
127- بن ثعلب محمد. توزيع السكان والتنمية في محافظة حضرموت. جامعة دمشق. دمشق1987م.
128- بروملي. يو. ف. القضايا المعاصرة للأثنوغرافيا (أبحاث نظرية وتاريخية). موسكو، 1981م.
129- بكير علي سالم. بحث في مصادر التاريخ الحضرمي. المكلا، 1979م.
130- فافيلوف. ن.ي. خمس قارات. لينيجراد، 1986م.
131- فالكوفا. ل.ف. السياسة الاستعمارية الإنجليزية في عدن والمحميات (1945-1967م) موسكو، 1968م.
132- فاسيليفا. أ، بوخوفا. أو. أ. العلاج غير المتخصص للأمراض المزمنة. لينيجراد، 1972م.
133- غيرنكو. ت. م. ثقافات شرق أفريقيا في عملية التغييرات التكوينية (القرنان 19-20م).الموسوعة السوفيتية 1984م العدد ص 38-50.
134- غريازنيفتش. ب. أ. التقسيم الأثنى – الإقليمي لليمن في القرون 7-10م. الآثار المكتوبة وقضايا تاريخ ثقافة شعوب الشرق.موسكو 1981م ص 26-32

135- غريازنيفتش ب. أ. حصيلة عمل البعثة السوفيتية – اليمنية في عامي 1983-1984م – فستنيك. أكاديمية العلوم السوفيتية 1985م. العدد 5 ص 136-148.

136- غريازنيفتش ب. أ. حضرموت القديمة في ضوء الأبحاث الميدانية للبعثة السوفيتية – اليمنية. بشير التاريخ القديم 1989 العدد ص 129-135.

137- دافيدوف أ. د. الجماعة القروية والتسمية نسبة إلى الأب في بلدان الشرقين الأدنى والأوسط. موسكو، 1979.

138- داؤود محمد سعيد. حركة بن عبدات في الغرفة ،حضرموت، 1924-1945م – الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت: 1900 – 1963م. المكلا، 1989م ص1-66.

139- يريميف د. ي. لماذا تخلف الشرق عن الغرب – آسيا وأفريقيا اليوم 1989م العدد7 ص16-20.

140- جوكوفسكي ب.م. النباتات الزراعية وقرابتها. لينيجراد، 1971م

141- الشرق والمعاصرة. مجلدان. موسكو، 1980م.

142- أبن هاشم محمد. تاريخ الدولة الكثيرية. القاهرة، 1948م.

143- أيفانوف ن. أ. الاحتلال العثماني للدول العربية 1516-1574م. موسكو، 1984م.

144- كوجين ي.ف. حول مسألة الهندسة المعمارية للسكن التقليدي في حضرموت (ج.ي.د.ش) – قضايا تركيب الفنون والهندسة المعمارية. لينيجراد، 1985م، الإصدار 21ص 67-76.

144/أ- كوجين يو.ف. الفن المعماري التقليدي في حضرموت (الجمهورية اليمنية) . ملخص أطروحة دكتوراه.

145- كراسنوف. ي . أ. أدوات الحراثة القديمة، موسكو، 1975م.

146- كراتشكوفسكايا. ف. أ. في الذكرى المئوية لدراسة حضرموت: 1843-1943م – أنباء الجمعية الجغرافية لعموم الاتحاد السوفيتي. موسكو – لينيجراد، 1943م المجلد 75، الإصدار 4 ص31-45.

147- كراتشكوفسكايا ف. أ. المسكن والقضية السكنية في حضرموت. إلى الأكاديمي... كراتشكوفسكي من مجموعة موسكو لمعهد الاستشراق... موسكو 1944م ص1-13.

148- كراتشكوفسكايا. ف. أ. الثوب النسائي في حضرموت (الجنوب العربي) – الدورة العلمية/ جامعة لينيجراد الحكومية/ 1946م. موضوعات التقارير الخاصة بقسم الاستشراق. لينيجراد، 1946م. ص25-26.
149- كراتشكوفسكايا. ف. أ. المسكن في حضرموت.
150- كراتشكوفسكايا. ف. أ. الأهمية التاريخية للآثار المعمارية في الجنوب العربي – الاستشراف السوفيتي. 1947 العدد4 ص 105 – 128.
151- كراتشكوفسكايا ف. أ. الأزياء النسائية في حضرموت – أبحاث في تاريخ بلدان الشرق. لينيجراد، 1946م ص129-157.
152- ثقافة الاعاشة والاثنوس (وفقاً لمواد الثقافة الريفية الأرمينية). رئيس التحرير. س. أ. أريتونوف. ي. س. ماركايان. إيريفان، 1983م.
153- ماركاريان. أي. س. تناسب الأشكال المحلية والتكوينية للثقافة – الأبحاث الاثنوغرافية في تطور الثقافة. موسكو، 1985م ص7-30.
154- مكرتوميان. يو. أي. المكونات الأساسية لثقافة الاثنوس – المسائل العلمية لدراسة الثقافات السلالية. ايريفان، 1979م.
155- مورغا ن.ل. غ. المجتمع القديم. لينيجراد، 1934م.
156- نتائج أعمال البعثة لعام 1984م: دليل المعرض. سيئون، 1984م
157- نتائج أعمال البعثة لعام 1985م. سيئون، 1985م.
158- ناؤمكين. ف. ف الجبهة القومية في النضال من أجل استقلال اليمن الجنوبي والديمقراطية الوطنية (1963-1969م). موسكو، 1980م.
159- ناؤمكين ف.ف. المؤسسات التقليدية في يافع العليا (ج.ي.د.ش) في الزمن الحديث والمعاصر – السلطة الحكومية والمنظومة الاجتماعية – السياسية في البلدان العربية. موسكو، 1984م ص141-156.
160- ناؤمكين. ف. ف. السقطريون – دراسة تاريخية – أثنوغرافية. موسكو، 1988م.
161- نيغريا. ل.ف. النظام الاجتماعي لشمال ووسط الجزيرة العربية في القرون الخامس – السابع الميلادي. موسكو، 1981م.
162- تاريخ اليمن الحديث (1917 – 1982م). موسكو، 1984م.
163- بيرشتس. أ. ي. الاثنوس في الجماعات الحضرية – البدوية المبكرة – الاثنوس في المجتمع ما قبل الطبقي والطبقي المبكر. موسكو، 1982م ص 163 – 180.

164- بيوتروفسكي. م. ب. اليمن في العصر الإسلامي المبكر. موسكو، 1985م.
165- بوغوريلسكي. ب. ي. في وصف آداب السلوك عند عرب حضرموت (عدة مقالات) آداب السلوك، ص101 -113.
165- أ-يوغوريلسكي. ب. ي. الأعمال التقليدية لدى السكان الحضر في حضرموت. ملخص أطروحة دكتوراه.
166- رودينوف. م. أ. الكلمة الشعرية في الثقافة التقليدية لحضرموت.
- الكونفرس الاتحادي العام في قضايا الثقافة العربية في ذكرى...كراتشكوفسكي. موضوعات المداخلات والاخبار. موسكو، 1983م ص47 - 48.
167- رودينوف . م. أ. البحث الاثنوغرافي في حضرموت: نتائجه وآفاقه. أفاق 1985م العدد8 ص31-43.
168- رودينوف. م. أ. الدراسة الاثنوغرافي في حضرموت: التاريخ والمستقبل - الحكمة، 1985م العدد 122 ص76-96.
169- رودينوف م. أ. المجتمع المعاصر لحضرموت: عاداته وسلوكه.
- نتائج عمل البعثة لعام 1985م. سيئون، 1985م ص101 -114.
170- رودينوف م. أ. أثنوغرافيا حضرموت. حضرموت القديمة والمعاصرة. المجلد2. سيئون، 1987م، ص142-155.
171- رودينوف. م. أ. الأبحاث الاثنوغرافية في حضرموت (ج.ي.د.ش): النتائج والآفاق - قضايا الاثنوغرافيا العامة والمتاحف - موجز مضمون المداخلات إلى الدورة العلمية "الاثنوغرافيا السوفيتية خلال 70 عاماً" لينيجراد، 1987 ص33-34.
172- رودينوف م. أ. المروة، العصبية ، الدين. في تفسير آداب السلوك في الشرق الأوسط - ايتكيت . ص60 - 68.
173- رودينوف م. أ. الصفات المميزة لآداب السلوك لدى اللبنانيين. إيتكيت . ص81 -100.
174- رودينوف م. أ. الخرزة الزرقاء في الكف النحاسية. لينيجراد، 1988م.
174- أ- رودينوف م. أ. الثقافة التقليدية لحضرموت الغربية (وفقاً للمصادر المكتوبة والميدانية). ملخص أطروحة دكتوراه.
175- الصبان عبد القادر محمد. دراسات في الشعر الشعبي/ سيئون/ 1978.
176- الصبان عبد القادر محمد. لمحة عن حياة البادية. عدن/ 1978م.
177- الصبان عبد القادر محمد. الزعيم العمالي حمود باضاوي. سيئون، 1982م.

178- الصبان عبد القادر محمد. نشوء الحركة العمالية وتطورها بوادي حضرموت/ سيئون/1982م.
179- الصبان عبد القادر محمد. الفلاحون وعاداتهم المهنية، سيئون، 1983م.
180- الصبان عبد القادر محمد. العادات والتقاليد في الاحقاف: مديرية سيئون./ المكلا، 1984م.
181- السقاف عبدالله محمد. تاريخ الشعراء الحضرميين. خمسة مجلدات. القاهرة 1353هـ/ 34-1935م.
182- السقاف. جعفر محمد. أضواء على تاريخ وادي حضرموت الزراعي؛ بدون تاريخ، بدون مكان.
183- السقاف. جعفر محمد. لمحة عن الأغاني والرقصات الشعبية في محافظة حضرموت. عدن، بدون تاريخ.
184- سرجنت. ر. نثر وشعر من حضرموت. ترجمة سعيد محمد دهي. المكلا، 1980م.
185- سيدوف. أ.ف. التنقيبات الأثرية في حضرموت، بشير التاريخ القديم 1989 العدد 2 ص 135 – 142 .
185/أ- سيربوف. س. ن. الطبقات الاجتماعية التقليدية في حضرموت
- الإسلام والتركيب الاجتماعي لبلدان الشرقين الأدنى والأوسط. موسكو، 1990 م ص144-160.
186- سيوكيانين ل. ر. الشريعة الإسلامية. قضايا النظرية والتطبيق. موسكو 1986.
187- طاهر. علوي عبدالله. نظرة في الأزياء الشعبية اليمنية – الحكمة. 1987 م. العدد 134ص 34-45.
187/أ- العقيدة التقليدية لدى شعوب آسيا الصغرى.مجموعة مقالات موسكو 1992م.
188- أودالوفا. غ. م. اليمن في عهد الاحتلال العثماني الأول (1538 – 1635م) موسكو، 1988م).
189- حداد عبدالله صالح. من الألعاب الشعبية: رقصة العيد. المكلا، 1980م.
190- الحداد علوي بن طاهر. الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها. سنغفورة، 1359هـ/ 1940م.

191- الحداد علوي بن طاهر. جنى الشماريخ في الإجابة على أسئلة التاريخ. عدن، 1369هـ/ 49 – 1950م.
192- حضرموت القديمة والمعاصرة: الأبحاث الميدانية لعام 1987م. مجلدان. سيئون، 1987م.
193- الحامد صالح بن علي. تاريخ حضرموت. جدة، 1968م.
194- تشستوف. يو. ك. جوفمان بي بي،بوغداف .ف.ي . الابحاث الاثرية في حضرموت ، موضوعات مداخلات الدورة العلمية لعموم الاتحاد السوفيتي في ضـوء نـتائج الأبحاث الاثنوغرافية والأثرية 1986-1987م – سوخومي، 1988م ص247-248.
195- تشـلنوف. م. أ. عـن الجزء الداخلي لعلم الأثنوغرافيا – المسائل المهمة للاثنوغرافيا. موسكو 1973م ص15-26.
196- شافروف ن. ن. تربية النحل في أسيا الصغرى. تبليسي، 1907م.
197- الشـاطري محمـد بن أحمد. أدوار التاريخ الحضرمي. جزءان، المكلا، 1392هـ/ 1972م.
198- شـنيرلمان. ف.أ. قضـايا الاثـنوس ما قبل الطبقية والطبقية المبكرة في الاثنوغرافيا الاجنبية – الاثنوس في المجتمع الطبقي المبكر . موسكو، 1982 م ص207-252.
199- يوخنـيفا. ن.ف. مـاذا تعنـي "الأثنوغرافيا المعاصـرة"؟ – المظاهر الاثنوغرافية لدراسة الحاضر. لينيجراد، 1980م ص7-15.
200- Bafaqih M., Chelhod J. Notes Preliminaires Sur I' architecture de Shibam: Une Ville de Hadramawt (Sud – Yemen). – Studia Islamica. P., 1980, fasc. 51, c. 179- 197.
201- Bauer W.P. Materialuntersuchungen zu Handwerktechniken in Tarim (Hadramaut) mit einer allgeminen Darstellung der Lotkunst. – Jahrbuch des Bernischen Historischen Museums in Bern. Bren, 1965 – 1966, N° – 45 – 46, c. 489 – 503.
202- Beeston A. F. The Ritual Hunt: a Study in old South Arabian religious Practice. – Le Museon. 1949, vol. 61, c. 183 – 196.
203- Berg L.W. van den. Le Hadramout et les colonies arabes dens I' Archipel Indien. Batavia, 1886.
204- Bochow K.H. Sudarabische Architktur. – Architektur der DDR. B., 1980, c. 559 – 568.

205- Bochow K.H. Architekturen trotz Hitze und Staub: Impression aus der VDR Je – men – Fotographie. 1984, N° 6, c. 212 – 217.

206- Bravmann M.M. The Spiritual background of early Islam. Studies in ancient arab concepts. Leiden, 1972.

207- Bujra A.S. Politiczl conflict and stratification in Hadramaut – Middle Eastern Studies. 1967, vol. 3, c. 355- 375.

208- Bujra A. S. Urban elites and colonialism: the nationalist elites of Aden and South Arabia. – Middle Eastern Studies. 1970, vol. 6, c. 189 – 211.

209- Bujra A. S. The Politics of stratification: a Study of Politica change in a South Arabian town. Oxf., 1971.

210- Chelhod J. Les structures dualistes de Ia societe bedouine. L' Homme. 1969, vol. 9, N° 2, c. 89 – 112.

211- Chelhod J. a. o. L' Arabie du Sud. Histoire et Civilisation. T. 1: Le peuple yemenite et ses racines. P., 1984; T. 2: La societe yemenite de I' Hegire aux ideologies modernes. 1984; T. 3: Culture et institutions in du yemen. 1985.

212- Doe B. Sudarabien: Antike Reiche in Indischen Ozean. – Neue Entdeckungen der Archaologie. Ed. M. Wheeler. Bergisch Gladbach, 1970.

213- Doe B., Serjeant R. A Fortified tower – house in Wadi jirdan (Wahidi Sultanate). – BSOAS. 1975, vol. 38, c. 1-23,276-295.

214- Dostal W. Uber Jagdbrauchtum in Vorderasien. – Paideuma. 1962, Bd 8, c. 85-97.

215- Dostal W. Beduinen in Sudarabien: Eine ethnologische Studie zur Entwicklung der Kamelhirtenkultur in Arabien. Horn – Wien, 1967 (Wiener Beitrage zur Kulturges – chichte und Linguistik… Bd 16.

216- Dostal W. Zur Megalithfrage in Sudarabien. – Festschrift fur W. Caskel zum 70. Geburstag. Leiden, 1968, c. 53 – 63.

217- Dostal W. Handwerker und Handwerkstechniken in Tarim (Susarabien, Hadramaut). Gottingen, 1972 (Publication zu Wissenschaftlichen Filmen. Volkerkunde… Ergan – zungsband 3).

218- Dostal W. Zur Kooberation zwischen Ethnologen, Kameramann und einheimischen Mitarbeitern bei der ethnograpraphischen Filmdokumentation. Gottineg, 1972 (Institut fur den Wissenschaftlichen Film).

219- Dostal W. The Development of Bedouin life in Arabia: seen from archaeological material. – Studies in the History of Arabia Riyadh University Press. 1979, vol. 1, Pt 1, c. 125 – 144.

220- Dostal W. Towards an ethnographic atlas of Arabia. – Proceedings of the Seminar for Arabian Studies. L., 1979.

221- Dostal W. Notizen uber traditionelle Architktur im Suden der arabischen Halbin – sel. Fikrun wa Fann. Munchen, 1981, N° 35, c. 56 – 84.

222- Dostal W. Ethnographic atlas of Asir. Preliminary report. Wien, 1983 (Osterreichische Akademie der Wissenschaften. Philosophisch – Historische Klasse. Bd 406).

223- Dostal W. Some remarks on the ritual significance of the bull in preislamic South Arabia – Arabia and Islamic Studies. L. – N.Y., 1983, c. 196 – 213.

224- Dostal W. Squire and peasant in Tarim. On Social Evolution. Bd. I. Horn – Wien, 1984, c. 228 – 232.

225- Dostal W. Egalitat und Klassengesellschaft in Sudarabien: Anthroplogische Unter – suchungen zur socialen Evolution. Horn – Wien, 1985 (Weiner Beitrage zur Kulturge – schichte… Bd 20).

226- Ebla to Damascus. Art and Archaeology of ancient Syria. Ed. H. Weiss Smithsonian Institution Traveling Exhibition Service. Wash., 1985.

227- Essays on the problem of tribe. Ed. J.Helm. – Proceedings of the 1967 annual spring meeting of the American Ethnological Society. Seattle – London, 1968.

228- Gingrich A. Towards an ethnographic atlas of Asir. Reseach. Of the International Committee on Urgent Anthropological and Ethnological Research. Vienna, 1981, N° 23, c. 9-33.

229- gingrich A. Traditional bee-keeping. – W.Dostal. Ethnographic atlas Asir. C. 62 – 74.

230- Gingrich A., Heiss J. A Note on traditional agricultural tools in Sa'dah Province (with special reference to the ard). – Proceedings of the seminar for Arabian Studies. 1986, N° 16, c. 51- 63.

231- Grohmann A. Sudarabien als Wirtschaftsgebiet. Prag – Brunn, 1933.

232- Gwynne M. The possible origin of the dwarf cattle of Socotra. – Geographical Maga – zine. 1967, vol. 133, pt 1, c. 39 – 42.

233- Hartley J.C. The political organization of Arab tribe of the Hadramaut. Univer-sity of London, 1961 (Ms. Of unpublihed ph.D. Thesis).
234- Jemen: 3000 Jahre Kunst und Kultur des glucklichen Arabien. Frankfurt /1987/.
235- Kiernan R.H. The unveiling of Arabia: the story of Arabian travels and discovery. L., 1937.
236- Londberg C. Etudes sur les dialectes de I'Arabie Meridionale. T. I. Hadramout. Leide, 1901.
237- Landberg G. Glossaire Datinois. T. I. Leide, 1920; t.3. 1942.
238- Leidlmair A. Hadramaut: Bevolkerung und Wirtschaft im Wandel der Gegenwart – Bonner Geographische Abhandlungen. 1961, Bd 30, c. 1-47.
239- Leidlmair A-Klimamorphologische Probleme in Haderamaut. – H. von Wissmann-Fest-schrift. Tubingen, 1962, c. 162-180.
240- Little T. South Arabia – Arena of conflict. L., 1968.
241- Maktari A.M. Water right and irrigation practices in Lahj. Cambridge 1971 (Univer – sity of Cambridge Oriental Publication, 21).
242- Malinowski B. Freedom and civilization. N. Y., 1944.
243- Muller W. In memoriam H. von Wissmann. –Reydan. 1979, vol. 2, c. 6-12.
244- Patai R. Golden river to golden road. Philadelphia, 1962.
245- Patai R. The Structure of endogamous unilineal descent groups. SWJA. 1965, vol. 21, N°4, c. 325 – 350.
246- Patai R. The culture areas of the Middle East. – The nomadic alternative: modes and models of interaction in the African-Asian deserts and steppes. Ed. W. Weisslder. The Hague – Paris, 1978.
247- Serjeant R.B. Building and builders un Hadramawt. – Le Guseon. 1949, vol 62, c. 275-284.
248- Serjeant R.B. The Cemeteries of Tarim (Hadramawt), with notes on sepulture. – Le Museon. 1949, vol. 62, c. 151-159.
249- Serjeant R.B. Materials for South Arabian history. Notes on new Mss. From Hadra mawt. – BSOAS. 1949-1950, vol. 13, c. 281-307, 581-601.
250- Serjeant R.B. A Journey by two Jesuits from Dhufar to Sana in 1590. GJ. 1950, vol. 25, c.194 – 207.

251- Serjeant R.B. The Quarters of Tarim and their tansurah. – Le Museon. 1950, vol. 63, c. 276-284.
252- Serjeant R.B. Prose and Poetry from Hadramawt. South Arabian Poetry: I. l., 1951.
253- Serjeant R.B. Two tribal law cases. – JRAS.1951, c. 33-47, 156-169.
254- Serjeant R.B. Hud and other pre-islamic prophets of Hadramawt. – Le Museon. 1954, vol. 67, c. 121-179.
255- Serjeant R.B. Star – calenders and an almanac from south – west Arabia. – Anthropos. 1954, vol. 49, c. 433 – 459.
256- Serjeant R.B. Folk-remedies from Hadramawt. – BSOAS. 1956. vol. 18, c. 5 - 8.
257- Serjeant R.B.The saiyids of Hadramawt. University of London. L., 1957.
258- Serjeant R.B. Ametal padlock and keys from South Arabia. – Man. 1959, vol. 59, c. 49.
259- Serjeant R.B.Historians and Historiography of Hadramawt. – BSOAS. 1962, vol. 25, c. 239 – 261.
260- Serjeant R.B. Recent marriage legislation from al-Mukalla. – BSOAS. 1962, vol. 25, c. 472 – 498.
261- Serjeant R.B. Sex, birth, cicumcision: some notes from south – west Arabia. H. von wissmann – Festschrift. Tubingen, 1962, c. 193-208.
262- Serjeant R.B. The Portuguese off the South Arabian Coast. Oxf., 1963.
263- Serjeant R. B. Some irrigation system in Hadramaut. - BSOAS. 1964, vol. 27, c. 33 - 76.
264- Serjeant R. B. Kinship terms in Wadi Hadramaut. - Der Orient in der Forschung. Festchrift für O.Spies. Wiesbaden, 1967, c. 626 - 633.
265- Serjeant R. B. South Arabian Hunt. L., 1976.
266- Serjeant R. B. Haram and hawta, the sacred enclave in Arabia. - Studies in Arabian History and Civilization. L., 1981, pt 3, c. 41 - 58.
267- Serjeant R. B. A "maqamah" on palm protection (shirahah). - Journal of Near Eastern Studies. Chicago, 1981, vol. 40, No 4, p. 307 - 322.
268- Serjeant R. B. The Ports of Aden and Shihr (mediaeval period). - Studies in Arabian History and Civilization. L., 1981, c. 207 - 224.
269- Serjeant R. B. Hadramawt to Zanzibar. - Paideuma. Wiesbaden, 1982, no ،28c. 109 - 127.

270- Smith W.R. Animal worship and animal tribes among the Arabs of the Old Testament. - The Journal of Philology. 1880, vol. 9, c. 75 - 100.
271- Smith W.R. Kinship and marriage in early Arabia. L., 1903.
272- Snouck Hurgonje C. Enkele Zagswijzen en een Raaadsel der Hadhramieten. - Festbundel aan Prof. M. J. de Goeje., Donaufeld, 1891, c., 3 - 15.
273- Snouck Hurgronje C. L' Interdit sèculier en Hadramôt. - Revue africaine. 1905, No 256, c. 92 - 99.
274- Snouck Hurgronje C. Zur Dichtkunst der Bâ Atwah in Hadhramôt. - Orientaslishche Studen Th. Nöldeke. Gieszen, 1906, Bd 1, c. 97 - 107.
275- Snouck Hurgronje C. Sad es-Suwêni, ein seltsamer Wali in Hadhramôt - Zeitschrift für Assyriologie und verwandte Gebiete. Strassburg, 1911, Bd 26, c. 221 - 239.
276- Spencer R.. F. The Arabian matriarchate: an old controversy. - SWJA. 1952, vol. 8, No 4, c. 478 - 502.
277- Stein L. Reiseskizzen aus der VR Jemen. - Mitteilungen aus dem Museum für Volkerkunde Leipzig. 1983, No 48, c. 6 - 15.
278- Varisco D. The adaptive dynamics of water allocation in a al-Ahjur. Yemen. Ann Arbor, 1982.
279- Wilken G.A. Het Matriarchat bij de oude Arabierern. Leyden, 1884.
280- Wilkinson J.C. Water and tribal settlement in South-East Arabia. Oxf., 1977.
281- Ziddeh F. Property law in the Arab world. L., 1979.
282- Zwemer S. M. The unexplored regions of Hadhramaut. - Arabia, the cradle of Islam. Edinburg - London, 1900, c. 72 - 77.

الصحف:

1- 14 أكتوبر - عدن.
2- الشرارة - المكلا.

М.А.Родионов

ЭТНОГРАФИЯ ЗАПАДНОГО ХАДРАМАУТА

Общее и локальное в этнической культуре



